ساعدت جامعة بغداد على نشره

الثورة العراقية الكبرى

سنة ١٩٢٠

عبد الله الفياض
جامعة بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة الارشاد – بغداد
١٩٦٣

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

ساعدت جامعة بغـداد على نشره

الثورة العراقية الكبرى

سنة ١٩٢٠

تأليف

عبد الله الفياض

المدرس بكلية التربية ـ جامعة بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة الارشاد ـ بغـداد

١٩٦٣

الاهـــداء

الى والدين رحيمين اقدم هذه الثمرة
المتواضعـــة التي هي وحي منهما ٠



المؤلف ٠

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل lisanerab.com

تصدير

بقلم سماحة العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

الثورة العراقية الكبرى

ماضي الثورة وحاضرها ، خصوم الثورة ، محكمة التاريخ ، عاقبة الطيش والغرور ، الانتفاضة الكبرى اصل الانتفاضات ، عوامل الثورة ، عامل سياسي ، عامل اقتصادي ، وعود الحلفاء ، النكث بالعهود ، صراع بين الحاكم والمحكوم ، اندلاع الثورة ، حادث خليـــق بالدرس ، كيف انقلبت الآية ، بحوث عن الثورة •

يوشك ان ينقضي على الثورة العراقية الكبرى نحو من نصف قرن محصت احداثه ووقائعه تلك الآراء المضطربة والاحكام المتباينة التى ذهب اليها الناس بشأن الثورة ومخضتها مخضا دفع محاولات المكابرين المنددين بها المستخفين باهدافها النبيلة • ومن ذلك انها حركة مرتجلة او ضرب من الشغب منبعث عن الاغراض الشخصية ها هو التاريخ ـ وهو الحـــكم العادل ـ ينصف تلك الانتفاضة الشعبية ويزيف اقوال خصومها الالداء • اجل ها هو التاريخ يفضح اغراض اولئك الذين ناوأوا الوثبة الاولى نحوا من نصف قرن وظلموا قادتها والصقوا ما الصقوا بهم من التهم الباطلة ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة • ويلاحظ ان جل اولئك المتنكرين للثورة العراقية من الخونة المارقين وصنائع المستعمرين وفيهم ويا للاسف البالغ من ينتحل العروبة وفيهم عراقيون كذلك • وكان لهذا النمط من الناس ان يتربعوا في المناصب العالية جزاء وفاقا لخيانتهم وغدرهم وتجنيهم على ابطال الثورة المغاوير فاقتنوا الاموال الطائلة وحازوا الثروات الجسيمة على حساب النكاية

بالامة الثائرة والعبث بمصالحها واهتضام حقوقها المشروعة ، حتى انهم لغلبة الغرور والطيش عليهم امنوا يوم العقاب والحساب •

اجل لم يبق احد بعد فترة الاختبار والتمحيص هذه يشك بأن الانتفاضة العراقية الكبرى شقت لابناء هذه البلاد نهج التحرر والانطلاق والسير قدما لتحقيق حقهم في الحرية والعدالة الاجتماعية واختيار نظام من نظم الحكم الشعبية •

لقد جدت كما لا يخفى بعد الثورة الكبرى ثورات • وتعددت انتفاضات شعبية معروفة تميزت بالبذل والفداء وارخاص المهج والارواح وذلك للتخلص من تعسف المتعسفين واثرة المستأثرين ودسائس الاستعمار والمستعمرين ولكنها على خطر شأنها ما كانت الا فروعا تشعبت عن الثورة العراقية الكبرى فهذه الثورة وهى اصل كل ثورة او انتفاضة شريفة حدثت بعد ذلك التاريخ في العراق •

من رأيي ان الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ وليدة عاملين خطيرين اولهما الضغط والاستغلال الاقتصادي واستنزاف جهود العاملين في ميدان الزراعة خاصة ـ والعراق قطر زراعي قبل كل شيء ـ والاستيلاء على مواردها من الخامات بابخس الاثمان وردها بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصريفها في اسواق هذه البلاد باغلى الاثمان وهذا هو جوهر الاستعمار الحديث • من هذه الناحية ادرك العراقيون ان حياتهم الاقتصادية او المعاشية مهددة بضرب من الضنك والفقر المدقع والاعواز ولهذا تأثرت بهذا العامل طبقة الزراع والفلاحين قبل غيرها حتى حفزها لهذا التأثر البليغ لان تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة المجيدة بل كانت في مقدمة من بذل وضحى في سبيل مقاومة ذلك الضغط والاستغلال • ولم يكن لهؤلاء الثوار الريفيين البواسل بد من ملاذ يلوذون

به ويفزعون اليه في سبيل تسويغ الانتفاضة واقامة الحجة على شرعية هذه الحركة فوجدوا ذلك العون والملاذ في عدد غير قليل من العلماء الاعلام المجاهدين وخصوصا علماء النجف وكربلاء في ذلك الحين وفي مقدمتهم الشيخ المجاهد محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة والشيخ مهدى الخالصي تغمدهم الله برحمته ، تؤآزرهم طبقة مثقفة من شباب الاسر العلمية المعروفة في النجف ، فافتوهم بضرورة الدفاع عن الشرف والكرامة وعن الحقوق العامة وعن حوزة الفضيلة والدين .

اما العامل الثاني في اندلاع الثورة فهو ذلك الضغط السياسي والحجز على الافكار والحيلولة بين ابناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بانفسهم واختيار حكامهم وحكوماتهم بملأ ارادتهم ثم للمحاولات التي بذلتها السلطة المحتلة لفرض نوع من السيطرة الاستعمارية المباشرة على العراق . وقد تأثر بهذا العامل الثاني ابناء المدن والحواضر اكثر من غيرهم . ولذلك بادر قادة الرأي في جملة من امهات المدن الى تنسيق جهودهم وتنظيمها لمقارعة الاستعمار في اعقاب الحرب العالمية الاولى والمطالبة بحقوقهم الطبيعية في تقرير المصير .

ولا يخفى ان الحلفاء الظافرين في الحرب الدولية الاولى وهم بريطانيا وحليفتاها فرنسا والولايات المتحدة الامريكية اذاعوا فور اعلان الهدنة بيانا رسميا مذيلا بتوقيع لويد جورج وكليما نصو كان له اثره وخطره في دول الشرق وفي ارجاء البلاد المنتزعة بقوة السلاح من الامبراطورية العثمانية خصوصا الاقطار العربية وفي مقدمتها العراق . وقد نص بيان الحلفاء على الاعتراف بحقوق الشعوب المذكورة في تقرير مصيرها بنفسها هذا بالاضافة الى بيان او اكثر من بيان سبق ان اذاعته السلطات المحتلة على شعوب

البلدان « المحررة » كما كانوا يسمونها في تلك الفترة •

وما اكثر الامثلة على تلك البيانات السياسية المعسولة • ومن اشهرها بيان الجنرال « مود » الذي اذاعه فور استيلائه على بغداد • وكان والحق يقال نموذجا رائعا في بلاغة الالفاظ • وخلاصة هذا البيان ان البريطانيين ما جأوا الى هذه البلاد فاتحين وانما دخلوها محررين تحدوهم رغبة صادقة في اقالتها من عثرتها وتمكينها من بعث معالم حضارتها الباذخة • وهذا يعني ان الانكليز الذين صاغوا فقرات ذلك البيان كانوا يؤمنون بأن لنا ماضيـــا مجيدا في تاريخ الحضارة • هذا على ان هناك طبقة اخرى من ساسة الانكليز وغلاتهم في حب السيطرة والاستعمار كان لهم رأي آخر يختلف عما ورد في بيان الجنرال مود • ولا نبالغ انهم كانوا يسخرون من رأي ذلك الجندي المغوار الذي لفظ انفاسه الاخيرة في بغـداد بعد اصابته بوباء الهيضـة • وهكذا دلت التجارب على ان العبرة ليست بالالفاظ المعسولة او الاقـــوال الخلابة • وهكذا اتضح بأن السلطة البريطانية المحتلة تبيت للعراقيين شرا مستطيرا وسيطرة استعمارية غاشمة •

وعلى كل حال كان للبلاغات او البيانات المذكورة وقعها الخطير في نفوس الطبقة الواعية من ابناء العراق واليها استند الشعب العراقي فيمـــا استند لدى المطالبة بحقه في تقرير مصيره طبقا للمبادىء التي وردت في متن تلك البيانات فواصل الشعب جهده المضنى حتى اكره السلطة البريطانية على اجراء استفتاء عام في البلاد اسفر عن رغبة الشعب العراقي في الحكم الذاتي والاستقلال التام •

هذا ولا يخفى ان الانكليز جنحوا بعد ذلك الى المطل والتسويف هذا من جهة وثابر العراقيون من جهة اخرى على المطالبة بحقوقهم المقطوعة لهم وان لم يجدوا من المحتلين اذنا صاغية • ولم يأل هؤلاء جهدا في الدس

والنكث بالعهود وبذر بذور الشقاق • فكان ذلك ايذانا باندلاع نيران الثورة • وقد سجل واقع الثورة العراقية كما لا يخفى أن في العراق شعبا بذل كل ما عز وهان في سبيل حريته وكرامته وفي مقارعة الفساد والطغيان الى ان اعترف الانكليز مكرهين بأن العراق دولة مستقلة ذات سيادة •

هذا حديث مقتضب عن ماجريات ما قبل الثورة وعن الثورة العراقية نفسها اما ما جرى بعد ذلك وكيف انقلبت الآية في فترة معينة من الفترات التي انتقل الحكم فيها الى ايدي ابناء البلاد وكيف لوحق المجاهدون وكيف اوذي الاحرار وامتحن الثوار وفي مقدمتهم العلماء الاعلام وكيف عوقبت المنطقة الثائرة بالعسف والحرمان وذلك وفق خطة استعمارية مرسومة فأنه حديث طويل يثير الشجون ويمري الجفون •

كانت الثورة العراقية وما زالت حادثا خطيرا خليقا بالدرس وقد تناولها عدد غير قليل من الكتاب والباحثين في كتب ورسائل ظهر اكثرها بالعربية لكتاب عراقيين وبعضها بالانكليزية لباحثين من الانكليز واخيرا ظهر عنها بحث باللغة الروسية ، هذا عدا ما نشر عنها في الصحف والمجلات من مقالات وبحوث بلغات عدة • وكان آخر من تناول موضوع الثورة بالبحث الاستاذ عبدالله الفياض في كتابه هذا وهو كتاب يتضح لقارئه اي جهد مضني بذله المؤلف في تأليفه فلم يفته مآخذ من المآخذ او المظان المحررة في هذا الموضوع باللغتين العربية والانكليزية • وعلاوة على ذلك فأنه ظفر بجملة من الوثائق والمستندات النادرة • ولم يكتف السيد الفياض بهذا وانما لاحظنا انه قتل تلك الكتب بحثا ونقدا وعرف كل كتاب تعريفا كافيا وذكر خصائصه ومميزاته في فصل تضمنته مقدمة الكتاب فجاء بحثا من البحوث المقارنة في

تاريخ الثورة • لذلك لا يسعنا الا اكبار الجهد الذي بذله المؤلف ونحث هواة البحوث التاريخية ولا سيما ما يتصل منها بالعراق على اقتناء هذا الكتاب الممتع ونرجو ان يحالف مؤلفه التوفيق •

بغداد **محمد رضا الشبيبي**

٢٠ شعبان ١٣٨٢ هـ

١٦ كانون الثاني ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تصـــدى كثير من الكتاب ، من عرب[1] واجانب[2] ، للكتـابة عن الثورة العراقية في سنة عشرين وتسعمائة وألف • وقد ظهر لي ان معظم المؤلفات المذكورة لم تسلم من النقص ، واعتقد ان كتاب البصير كان افضل

(١) البصير ، محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقيـــة ، جزآن (بغداد ، ١٩٢٤) ؛ الحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى (صيدا ١٩٥٢) ؛ الفرعون ، فريق المزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، جزآن (بغداد ، ١٩٥٢) ؛ البازركان ، علي ، الوقائـــع الحقيقية في الثورة العراقية (بغداد ، ١٩٥٢) ؛ علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية (بغداد ، ١٩٥٠) ؛ سعيد ، امين ، الثـــورة العربية الكبرى ، الجـــزء الثاني (القاهرة ، ١٩٣٥) ؛ العمـــري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ثلاثة اجزاء (بغداد ، ١٩٢٥) •

(٢) Wilson, A.T. A Clash of Loyalties. 2 Vols. London, 1939; Ireland, P.W., Iraq: A Study in Political Development, London, 1937; Haldane, Sir A. L., The Insurrection in Mesopotamia, 1920, Edinburgh, 1922;

بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق الحديث ــ تعريب جعفر خياط (بيروت ، ١٩٤٩) ؛ كوتولوف ، ل • ن ، الثورة التحررية الوطنية العراقية في سنة ١٩٢٠ (موسكو ، ١٩٥٨) • (اصل هذا الكتاب باللغة الروسية ، واثبت عنوانه بالعربية كما ترجمه مؤلفه وذلك لعدم توفر حروف طباعة روسية في المطبعة) •

ما كتب عن الثورة بالعربية ولكنه مع ذلك لا يخلو من هنات • ويظهر نقص كتاب البصير في ناحيتين : احدهما ان الدكتور البصير اغفل الوثائق المتعلقة بالثورة فلم يحاول ان يثبتها او يشير اليها على الاقل • وقد فقد البصير باغفاله الوثائق وسيلة مهمة من وسائل التحقيق التأريخي • واعتقد ان البصير كان بوضع يستطيع معه ان يجمع اكبر كمية من هذه الوثائق لصلته الوثيقة بالثوار اولا ، ولانه من العاملين في الحقل الوطني ثانيا ، ولانه كتب عن الثورة في عهد مبكر حين كانت هذه الوثائق متوفرة ثالثا • اما ناحية الضعف الثانية في كتاب الدكتور البصير فهي انه اقتبس جل معلوماته عن الحركات العسكرية للثورة من كتاب الجنرال هالدن سالف الذكر ولم يشر الى وجهة نظر الثوار حول القضايا العسكرية الا نادرا • وقد يعتذر البصير عن اتخاذه هذا الموقف بأن الثوار كانت تنقصهم السجلات التي تتعلق بأمكانياتهم العسكرية لان قواتهم ما كانت على شكل جيش نظامي ولهذا تعذرت عليهم معرفة عدد القتلى والجرحى في المعارك • هذا فضلا عن الخسائر المادية للمحاربين في الاموال والعتاد • وبالرغم من وجاهة هذه الحجة فأن الثوار او بالاحرى هيئة الدعاوة والنشر للثورة التي كان مركزها النجف ، كانوا يصدرون بلاغات حربية مطبوعة وخاصة عند وقوع المعارك المهمة بينهم وبين قوات العدو • وكان بعض هذه البلاغات يتضمن معلومات طريفة وقريبة للتدقيق احيانا ولهذا تصلح لان تكون من بين المصادر التي تساعد الكاتب على الوصول الى الحقيقة • وقد اثبت نماذج منها اثناء البحث على سبيل المثال لا الحصر •

وبالاضافة الى ما سبق فأن البصير بالغ احيانا في الدور الذي لعبته الاحزاب السياسية في الثورة كجمعية العهد وجمعية حرس الاستقلال • وبالرغم من كل ما ذكرت فان كتاب الدكتور البصير يبقى في الطليعة بين الكتب التي بحثت في الثورة •

ويعد كتاب الحسني سالف الذكر من بين الكتب الجيدة التي تناولت موضوع الثورة • وقد اورد الحسني في كتابه هذا تحقيقات شخصية مفيدة تدل على الجهد الذي بذلـــه المؤلف في هـذه الناحية • واخص بالذكر الاستفتاء الذي عمله لاستحصال اراء مجموعة من الشخصيات الممثلة لمختلف وجهات النظر • وقد دون الحسني ما توصل اليه بهذا الصدد بفصل خاص من كتابه اسماه « آراء وافكار » •

ولم يخـل كتـــاب الحسنى من نقائص ، منهـا ان المؤلف لـــم يورد الا نادرا امثلة او حالات واقعية تدعم الاحكام التي اصدرها • ويظهر ذلك بوضوح في الفصل المتعلق باسباب الثورة • فالحسني يسرد في فصله المذكور اسبابا عديدة للثورة مثل ســوء ادارة الحكام وظلمهم للنـاس ، وغلاء المعيشة في العراق حينذاك واغتصاب الحكومة لأقوات الشـــعب ، وذلك بشرائها بأثمان رخيصة وبيعها باثمان عالية الى آخر ما هنالـك من الاسباب ، ولكنه لم يدعم اقواله بمثال مقرون بزمان او مكان او الاثنين معـــاً •

وعندما حاولت ان اسد هذه الثغرة عثرت على امثلة كثيرة اوردتها في الفصل الثالث والرابع من هذا الكتاب •

وهنـــاك ناحيـــة اخـرى تتعلق بترتيب المعلومات لا اقر الحسني عليها وهي انه بحث المفاوضات التي حصلت اثناء الحرب بين الأمام شيخ الشريعة والسلطات البريطانية في العـــراق ، قبل ان يبحث الحـــركات العسكرية التي سبقت هذه المفاوضات وربما استدعتها • وكنت افضل ان يشير الحسني الى هذه المفاوضات في محلها ، اي بعـــد انسحاب القوات الانكليزية من الديوانية وذلك في ٣٠ تمـــوز ١٩٢٠ ، حتى يستطيـــع القاريء ان يقدر اهمية هذه المفاوضات ويفهم موقف كل فريـــق مـن المتفاوضين •

ولا اعلم كيف تصور الحسني ان القاريء يستطيع الوقوف على اهمية المفاوضات وهو لم يقرأ بعد عن اعمال الفريقين عسكريا • وقد اتبع بعض من كتبوا عن الثورة الطريقة التي اتبعتها ومن هؤلاء الدكتور البصير •

وكان السيد عباس علي من بين الذين انفوا عن الثورة • وكان كتابه يدور حول حياة السيد محمد الصدر الذي اعطاه المؤلف لقب « زعيم الثورة » • ولما كان اسهام السيد الصدر في الثورة محدودا فأني لا اقر المؤلف على هذه التسمية • ثم انالكتاب مشحون بعبارات المدح المفرط لذا لا ارى حاجة لمناقشة آراء الكاتب •

وكان الشيخ فريق الفرعون من بين الكتاب الذين كتبوا عن الثورة • ويمتاز كتاب الشيخ فريق بكثرة الوثائق وتنوعها • ويظهر لي ان احتكاك الشيخ فريق بالثوار واشتراكه شخصيا مع افراد اسرته بالحركات العسكرية للثورة ، وقرابته من احد زعماء الثورة البارزين وهو الشيخ عبدالواحد الحاج سكر ، مكنه من الحصول على هذه الوثائق التي لم يستطع ان يحصلها غيره ممن كتبوا عن الثورة • وهناك ميزة اخرى يكاد ان ينفرد فيها الشيخ فريق الفرعون وهي انه يمثل وجهة نظر ابناء العشائر الذين قامت الحركات العسكرية للثورة على اكتافهم في الغالب • ولكن صفة الحياد مفقودة في كثير مما كتبه الشيخ فريق • فاراد الشيخ فريق ان يجعل الثورة فراتية لا عراقية • وقد يكون مع الشيخ فريق عذر في هذه الناحية اذا نظر الى الجانب العسكري من الثورة ، اذ من المعلوم ان الغالبية العظمى من العمليات العسكرية تمت في منطقة الفرات الاوسط ، ولكن الثورة لاتقتصر على الجانب العسكري كما لاتقتصر من حيث الزمان على الاشهر الخمسة التي اشتبك بها الثوار مع القوات البريطانية في العراق • ونحيل القاريء على الفصول القادمة من هذا الكتاب ليرى أهمية

الناحية الفكرية والسياسية للثورة التي تمخضت عنها الأعمال العسكرية بعد اكثر من سنتين •

وليت الشيخ فريق الفرعون وقف عند هذا الحد ، بل ان القارىء يلمح في ما كتبه الشيخ فريق تعصبا لمنطقته وقبيلته • وعندي ان الشيخ فريق اساء لمنطقته وقبيلته من حيث اراد الاحسان لهما • ولا ادري كيف يستطيع كاتب ان يكتب عن الثورة العراقية ويغفل او يتناسى دور الفراتيين فيها ؟ انه ان تناساهم فلا يبقى له الا الهيكل العظمي للثورة • واي مؤلف يستطيع ان يكتب عن الثورة دون ان يبحث عن الاعمال الباهرة التي قامت بها قبائل الفرات الاوسط وخاصة قبائل الرميثة والسماوة والكفل والشامية والدغارة وغيرها ؟ كما يكون المؤرخ قد جانب الحق اذ اغفل قبيلة الشيخ فريق ، آل فتله وزعيمها الشيخ عبدالواحد الحاج سكر • ومع كل هذا فأني لا ارى مبررا للشيخ فريق في ان يؤكد على دور الفراتيين عامة وآل فتله خاصة ولكنه يمر مرا سريعا احيانا بجهود الاخرين الذين قاموا بواجبهم المقدس في الثورة كل حسب ظروفه وقدرته •

وكتب الاستاذ علي البازركان كتابه المذكور كتعليق على كتاب الشيخ فريق سالف الذكر ولكن لهجة الاستاذ البازركان لا تفضل لهجة الشيخ فريق في كثير من الاحيان فهما قد عقدا مناظرة ولم يكتبا تاريخا •

اما الاستاذ العمري فانه مر بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ مر الكرام • نكتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفـــر وغيرهما • وفي الوقت الذي نجده يطنب في ذكر جهود جمعية العهد في سوريا والعراق يورد معلومات مقتضبة عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • يضاف الى ذلك ان العمري خصص اكثر من نصف كتابه ، الذي هو عن العراق ، للبحث في شؤون البلاد العربية المجاورة •

اما كتاب امين سعيد فهو يفضل كتاب العمري ، مادة واسلوبا ، ولكنه

يتفق معه في الغالب في وجهة نظره عن الثورة . ومن اهم ما لاحظته في المؤلفات العربية التي كتبت عن الثورة هو خلوها من بحث عن الحالة الاقتصادية في العراق خلال فترة الاحتلال البريطاني واثر ذلك في قيام الثورة . ولم تورد هذه المؤلفات عن هذه الناحية المهمة الا معلومات عابرة لا تستند على ارقام احصائية في الغالب . وقد حاولت سد هذا الفراغ فأوردت معلومات غير قليلة في اماكنها من هذا الكتاب .

وكان السير آرنولد ولسن ، نائب الحاكم الملكي العام ، ابان الثورة من بين الكتاب الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وكان ولسن من بين الساسة البريطانيين الذين يعارضون السياسة الحرة في العراق وكان يعد التصريح الانكليزي الافرنسي المعروف الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ بمثابة « قنبلة حقيقية اطلقت فحطمت مقدما الجهاز الاستعماري الجسيم الذي كان يحلم بتشميله منذ مدة طويلة على جميع بلاد الشرق الاوسط »(١) . ولم يستطع ولسن اخفاء عواطفه حين كتب كتابه سالف الذكر عن العراق ، فمرة يصف العراقيين بأنهم لا يتحلون بروح المواطنة الحقة ، ومرة يصف القبائل العراقية بانها شبيهة بالقبائل نصف المتوحشة ، ثم يضطر تحت ضغط الحقيقة لان يعجب من اتحاد هذه القبائل لدوافع وطنية ودينية لمقاومة السلطات البريطانية عند قيام الثورة . ويظهر ان عواطفه طغت على حب الحقيقة حتى في تقاريره الرسمية فهو قبيل قيام الثورة بأيام زار الحلة فظهر له ان الناس مرتاحون للحكم البريطاني وان المجتهدين فشلوا في حث الناس على القيام بوجه سلطات الاحتلال . وقد اشرت الى هذا ونحوه مما اشرت اليه اثناء البحث .

اما الجنرال هالدن ، القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، خلال

---

(١) فيلبي ، هـ. سنت جون ، ايام فيلبي في العراق (بيروت ١٩٥٠) ص ١٧ .

الثورة فكان من بين الكتاب الذين كتبوا مجلدا ضخما عن الثورة • وكان هالدن اكثر تحريا للحقيقة من السير ولسن ولم يتردد في الثناء على الثوار في بعض المناسبات التي تستوجب الثناء • ولكنه يهجم على الثوار احيانا دون مبرر ويصفهم باوصاف تقترب من اوصاف ولسن في بعض الاحيان • وهناك ناحية اخرى في كتاب هالدن المذكور ، لاحظتها اثناء البحث ، وهي ان اعداد القتلى والجرحى الانكليز التي اوردها بكتابه تقل كثيرا عما ورد في رواية الثوار الخطية او الشفهية ، كما ان عدد قتلى الثوار كان مبالغا فيه احيانا •

وكانت المس بيل من اشهر من كتب عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وبالرغم من انها لم تتجنب الشطط في بعض ما كتبت بهذا الخصوص فهي اكثر تدقيقا وارق لهجة من السير آرنولد ولسن • وكان وصفها للاستفتاء في الحلة بأنه معبر عن اراء السكان من الامثلة على ذلك • فقالت ان اهل الحلة عبروا بصورة قلبيةعن رغبتهم في ان يكونالسير برسي كوكس ملكا على العراق • وقد روى لنا الدكتور البصير الذي كان حاضرا في الحلة عند اجراء الاستفتاء قصة التعبير القلبي لاهل الحلة • وقد اوردت ذلك في مكانه من هذا الكتاب • وقد جانبت المس بيل الحقيقة حين وصفت الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي بالرجل « الخرف »[١] • وهذا النوع من التعبير لا يقره العرف التاريخي من جهة ، ولا يتناسب مع مركز الامام في نفوس الملايين من المسلمين من جهة اخرى • ولا يبرر كون الامام عدو الانكليز اللدود للكاتبة ان تصفه بهذا الوصف •

اما كتاب المستر فيليب ويلارد آيرلند سالف الذكر فيمتاز بالانصاف والتدقيق في ترتيب الاحداث ولذا فهو ذو قيمة علمية بارزة[٢] • ومع هذا

---

(١) بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق ، ص ١٧٠ •

(٢) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس (بيروت ، ١٩٦٢) ص ٤٣٠ •

فأن آيرلند لم يطلع على كثير من المصادر المحلية للثورة • فهو قلما اجرى تحقيقات محلية مع اهل العراق مع انه كان بوضع يستطيع معه ان يفعل ذلك لانه اشتغل مدة في العراق • والتحقيقات المحلية ، كمصدر من مصادر التاريخ لا تخلو من الخطر ولكنها ضرورية في كثير من الاحيان • وقد استفدت منها عند كتابتي لهذا الكتاب •

وكان المسيو ليوكوتلوف من بين الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وكان جهلي باللغة الروسية سببا في عدم قدرتي على الاطلاع على جميع محتويات الكتاب • وقد ترجم لي بعض الافاضل اجزاء من هذا الكتاب وخاصة الفصل المتعلق بالنتائج التي توصل لها المؤلف عن الثورة • ولم اكن بمركز من يستطيع ان يعطي حكما عن هذا الكتاب •

وقد جريت في كتابي هذا على تقسيم الحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة الى دورين : احدهما فكري وسياسي وثانيهما سياسي وعسكري• فالدور الفكري يتمثل بما دخل هذه البلاد من وسائل الثقافة الحديثة سواء كان ذلك من الغرب مباشرة او عن طريق بلدان الشرق الاوسط وخاصة البلاد العربية مثل سورية ومصر • كما يتمثل الدور الفكري في نهضة صحافية محدودة نشأت على الاكثر بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ ، وخاصة في المراكز الثقافية المهمة مثل بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف • ويظهر النشاط السياسي في هذا الدور بالحركة الدستورية التي باركها جماعة من المجتهدين في النجف الاشرف وعملت لها نخبة من المثقفين في العراق • كما يظهر النشاط السياسي في ما انشأ من جمعيات واحزاب سياسية مبعثرة هنا وهناك • وان كانت النجف الاشرف وبغداد في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى مركزين للحركة الفكرية والسياسية معا ، فان البصرة كانت موطنا رئيسا لحركة سياسية معروفة • وقد اوردت تفصيلات وافية عن هذا الدور في الفصل الثاني من هذا الكتاب •

وقد كانت ظروف الحرب من الاسباب الرئيسة في تنشيط الحركة السياسية في العراق ، اذ كثر المشتغلون بالسياسة ، كما اخذت اعمالهم تتركز في اهداف معينة وهي العمل من اجل تحرير البلاد واقامة حكم وطني فيها . وقد اخذت بغداد تشاطر النجف الاشرف قيادة الحركة الوطنية . اما الموصل فأن الثورة العربية في الحجاز وسورية اولا ، والحركة الكمالية في تركيا ثانيا ، بعثا فيها روحا وطنيا ظهرت آثاره في الحركات التي اعقبت الهدنة في سنة ١٩١٨ ، سواء كان ذلك في ولاية الموصل نفسها او في دير الزور . اما البصرة خلال الحرب وبعدها فأنها اخذت تتخلى عن مركز القيادة السياسية الذي احرزته قبل الحرب . ثم سيطرت عليها حالة من الفتور امتدت طيلة فترة الاحتلال بما فيها قيام الثورة العسكرية في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . وخصصت الفصل الثالث من هذا الكتاب لبحث دور الاحتلال البريطاني للعراق ، كما بحثت فيه احوال البلاد السياسية والاقتصادية خلال هذا الدور .

اما الفصل الرابع من كتابي هذا فقد خصصته لبحث اسباب الثورة المختلفة فظهر لي ان السبب الديني كان في الصدارة من بين هذه الاسباب .

وتعرضت في الفصل الخامس الى بحث الحركات العسكرية خلال ثورة العشرين ، فظهر لي ان اسهام مدن البصرة وبغداد والموصل فيها كان ضئيلا ، ما عدا جهود فردية لبعض الذين هربوا من وجه سلطات الاحتلال ، ولبعض الضباط الذين كانوا في الجيش العثماني . وقد التحق هؤلاء بمناطق الثورة الرئيسة في الفرات الاوسط .

اما الجهات الوسطى والجنوبية من العراق ، ما عدا الفرات الاوسط[١] ، فقد كان اسهامها في الحركات العسكرية خلال ثورة ١٩٢٠

---

(١) يقدر الجنرال هالدن على الص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر خسائر الثوار ب «٨٤٥٠» شخصا بين قتيل وجريح . وان (٥٥٠) من هذا =

محدودا • فلولا جهود الشيخ ضاري المحمود وبعض الوطنيين في لــــواء الدليم وعدد من الاهالي في ديالى وعلى رأسهم الشيخ حبيب الخيزران ، ولولا الحوادث المبعثرة في لواء الناصرية (المنتفك) لكانت الاعمال العسكرية للثورة من نصيب سكان الفرات الاوسط فقط • يضاف الى ذلك ان جماعات مبعثرة وافرادا ضحوا بأموالهم ودمائهم في سبيل الوطن امثال عبدالمجيد كنه الذي شنقته السلطات الانكليزية ببغداد ، وما ورد في بلاغ اصدره الثوار في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ عن ضحايا حركة حصلت ببغداد • ويقول هذا البلاغ اتصل بنا « ان نار الثورة استعرت في بغداد فقتـــل في الجانب الغربي عشرون جنديا من البريطانيين وذلك عندما ارادوا القبض على الشيخ يوسف السويدي ••• » •

وقد تزعم الثورة رجال الدين ورؤوساء القبائل • فكان القطب الذي دارت حوله الثورة الامام محمد تقي الشيرازي اولا وآية الله شيخ الشريعة ثانيا والامام مهدى الخالصي ثالثا •

وظهرت شخصيات كانت ابـــرز من غيرها في الحقلـــين السياسي والعسكري • فكان السيد محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر ابو التمن من ابرز العاملين في الحركة الوطنية ببغداد • وكان الشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد علوان الياسري والشيخ عبدالواحد الحاج سكر والسيد نور الياسري من اهم العاملين في الحركة الوطنية سياسيا وعسكريا في منطقة النجف الاشرف والشامية • اما في منطقة الديوانية فكانت شخصية الحاج مخيف والسيد هادى مكوطر والشيخ شعلان ابو الجون والشـــيخ غثيث الحرجان من ابرز العاملين في الحركات العسكرية للثـــورة • وكانت

= العدد قتلوا او جرحوا في المناطق العراقية الاخرى عدا الفرات الاوسط والاعلى • اما الباقي فقد قتلوا او جرحوا في منطقة الثورة الرئيســة وهي الفرات الاوسط •

شخصية السيد گاطع العوادي من اشهر الشخصيات العاملة في الحقل الوطني بالحلة • اما في الدليم وديالى فكان الشيخ ضاري المحمود والشيخ حبيب الخيزران من ابرز العاملين في الحركات العسكرية للثورة •

ان تأكيدي على هذه الشخصيات لا يعني اهمال الجهود التي قام بها الآخرون ، كلا فأن جميع الذين اسهموا بالثورة ينظرهم الشعب العراقي نظرة تقدير واجلال ، وستنظرهم الاجيال القادمة نظرة ملؤها الاحترام والفخر •

اما الفصل السادس من هذا الكتاب فقد دونت فيه النتائج الرئيسة للثورة •

وقبل ان اختم مقدمتي هذه اقدم جزيل شكري لاستاذي الدكتور نقولا زيادة ، احد اساتذة التاريخ في الجامعة الامريكية ببيروت الذي كان خير معين لي اثناء كتابتي لهذه الرسالة • وقد كان لارشاداته القيمة وتوجيهه اثر واضح في اخراج هذه الثمرة المتواضعة الى حيز الوجود •

كما اني اتقدم بجزيل الشكر للمؤسسات والافراد الذين مدوا لي يد المساعدة سواء بتزويدي بالمصادر او الوثائق • واخص بالذكر هيئة المدارس الجعفرية ببغداد التي زودتني بوثائق تأسيس اول مدرسة جعفرية اهلية تحت اسم «مكتب الترقي الجعفري العثماني» ،والسيد محمد علي كمال الدين الذي زودني بأعداد جريدتي « الفرات » و « الاستقلال » النجفيتين فصورتهما واتخذت منهما نواة لمجموعة الوثائق التي جمعتها عن الثورة العراقية والتي اصبحت ملكا لمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت • والشيخ اسد حيدر الذي زودني بوثيقة موقعة بتوقيع الامام شيخ الشريعة • ولا يفوتني ان اشكر مؤسسة فلبرايت الامريكية في العراق التي قدمت لي منحة مالية اثناء دراستي في الجامعة الامريكية ببيروت • كما اشكر جامعة بغداد التي منحت هذا الكتاب منحة مالية سخية مكنتني من نشره •

واقول ، ، قبل الختام ، انني حاولت ان ادرس الثورة العراقية دراسة موضوعية ولكنني لا ادعي انني وفيت الموضوع حقه اذ انني احتمل وجود وثائق لم اتمكن من العثور عليها خاصة الوثائق الرسمية الموجودة في الهند وبريطانية والوثائق التي يحتفظ بها اهلها في العراق • وكل ما ارجوه ان تكون دراستي هذه محفزا لحضرات الباحثين لينبروا لاتمام هذه الصفحة التي دونتها من تاريخ العراق ، كما يعملوا على تدوين الصفحات الاخرى من تاريخ العراق الحديث التي اشعر ان تدوينها بصورة علمية لم يتم بعد[1] •

عبدالله الفياض

بغداد ـ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٢

---

(١) كان اصل هذا الكتاب اطروحة قدمت للجامعةالامريكية ببيروت في ١ حزيران ١٩٥٤ • وقد اضفت اليها معلومات كثيرة عثرت عليها مؤخرا •

الفصـــل الاول

احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية في نهاية القرن التاســع عشــر

لم يكن هدفي ، من كتابة هذا الفصل التمهيدي ، الالمام بأحـــوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية في مطلع هذا القرن ، بل كل ما كنت اتوخاه هو ان القي نظرة سريعة على هذا النوع من العلائق التي كانت شائعة بين سكان هذه البلاد في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن •

كان العراق لقرون خلت خاضعا للحكم العثماني ، ولكن قبضـــة العثمانيين على هذه البلاد ، اذا استثنينا المدن الكبيرة كبغداد والموصـــل والبصرة ، لم تكن قوية • ويكاد نفوذ العثمانيين ان يكون اسميا في بعض المناطق التي تكونت فيها اتحادات قبلية قوية كبعض اجزاء ولاية البصرة التي تكون فيها اتحاد قبائل المنتفك[1] ،والفرات الاوسط الذي تكون فيه

(١) تكون اتحاد قبائل المنتفك من قبائل كثيرة مبثوثة من أعالي الناصرية الى ظهر البصرة نهرا وبرا ، وفي القرن الثاني عشر للهجرة احتلت هذه القبائل قسما من نهر الغراف ، وهو غراف الشطرة وقلعة سكر وقرى حطامان • وكانت هذه المجموعة من القبائل تسكن ارضا اطلق عليها ديرة المنتفك • وبالرغم من فقدان الارقام المضبوطة التي تبين مساحـــة ديرة المنتفك نستطيع ان نقدرها بما لايقل عن عشرة آلاف ميل مربع ، وذلك بالاستناد الى معرفتنا التقريبية لحدودها الشمالية والجنوبية حيث كانت تمتد من الفاو عند مصب شط العرب الى اعالي السماوة • اما عدد نفوسها فيقدره سليمان فائق على الص ١٤٩ من كتابه الموسوم بـ « تاريخ بغداد » المطبوع ببغداد ١٩٦٢ بمائتي ألف نسمة • كمـــا قدره الشـــيخ ثامر السعدون ، نائب المنتفك السابق ، بنصف مليون • ولكني اعتقد أن هـــذه التقديرات لا تخلو من مبالغة وذلكلقلة نفوس العراق في العهد العثماني• =

اتحاد الخزاعل ، وبعض الاقسام الساحلية من دجلة الواقعة جنوب بغداد حيث تكون اتحاد بني لام وقبائل ربيعة • ويعزى ضعف سيطرة العثمانيين على معظم أنحاء العراق الى بعـــد وادي الرافدين عن الاســـتانة ورداءة المواصلات من جهة ، ولشيوع النظام القبيلي الذي لا ينسجم مع وجـــود سلطة مركزية من جهة اخرى • وقد خيم الجهل والفقر والمرض خلال اكثر فترات الحكم العثماني ، فصارت البلاد ساحة للحرب والمنازعـــات وما لحقها من الكوارث العظيمة ، مما أدى الى خراب الديار واندثار مؤسسات الري التي يتوقف عليها رفاه هذه البلاد بالدرجة الاولى • وكان طبيعيـا ، تحت ظروف كهذه ، ان تكون القبيلة هي التنظيم السياسي والاجتماعـي الذي يمكن أن يعيش في ظله الافراد وان يمنح هؤلاء الافراد اخلاصهـم وولاءهم لذلك التنظيم دون غيره • وكان لكل قبيلة من هذه القبائل منطقة خاصة بها تسمى « الديرة »(١) •

وقد اقتضت سياسة الحكومة العثمانية في العراق أن تبقى القبائل على ما كانت عليه من تشاحن وخلافات فظلت هذه القبائل تتنازع فيما بينها مرة وأخرى مع الحكومة • وكانت الحكومة تستعين ببعض القبائل الموالية لهـا لضرب القبائل الثائرة • وفي الثلث الاخير من القرن التاسع عشر اي في

= وقد قدر نفوس العراق في نهاية القرن التاسع عشر، الاستاذ عبدالرزاق الهلالي على الص ٣٣ من كتابه الموسوم بـ « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٩ بمليون وربع نسمة• وكان لهذه القبائل أهمية كبيرة في سياسة البلاد الى درجة أن الجنرال هالدن على الص ٢١٦ من كتابه سالف الذكر عد مدينة الشطرة، احدى المدن التي تقطن حولها هذه القبائل بمثابة بارومتر للوضع السياسي في أواسط الغراف خلال العهد التركي • ويعتقد ان هذه المدينة التي تمتعت بتاريخ طويل من الفوضى والاضطراب كانت مثار قلق للموظفين الاتراك الذين لاقى بعضهم حتفه فيها •

(١) منطقة مخصصة لرعي الحيوانات أو الزراعة لقبيلة أو لمجموعة من القبائل •

عهد ولاية مدحت باشا على العراق ، ثارت قبائل الدغارة وقتلت متصرف الديوانية فاهتم الوالي لهذا الامر وجهز جيشا كبيرا لقمع هذه الحركة مستعينا بالقبائل الموالية للحكومة(١) • وكانت هذه القبائل لا تعترف بسلطة الحكومة الا قليلا • وبالرغم من محاولات الحكومة المتكررة في سبيل تثبيت سلطتها في المناطق القبيلية فانها لم تنجح بذلك مما دعاها الى الاكتفاء من رؤساء القبائل بدفع مبالغ معينة لقاء منحها الاراضى الزراعية بطريقة الالتزام •

وكان رؤساء القبائل كثيرا ما يماطلون في دفع هذه المبالغ فحينئذ تلجأ الحكومة لاستعمال القوة لتحصيل ضرائبها من العشائر • فكانت مجموعة قبائل الخزاعل في الفرات الاوسط في نهاية القرن الماضي لا تدفع للحكومة الا ١٪ من الضرائب المستحقة عليها وعندما تجمع الحكومة ضرائب الرز في هذه المنطقة ترسل مفارز عسكرية لهذا الغرض(٢) •

وكان المجتمع العشائري قائما على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية التي تدور حول « وحدة الدم » او « العصبية » التي تفرض بعض الحقوق والالتزامات المتبادلة والتي تعمل على توحيد وجهات النظر المختلفة وشد القبائل والعشائر فتميز بعضها عن بعض(٣) •

ولم تقم الحكومة العثمانية خلال حكمها الطويل في العراق الا نادرا باصلاحات ادارية واقتصادية من شأنها حل مشكلات القبائل المستعصية • فهي لم تستطع نشر الامن في البلاد ولم توطن القبائل وتيسر لها العيش عن طريق تنظيم الري • وكرست الحكومة معظم جهودها لشن الحملات

---

(١) البصير ، محمد مهدي ، القضية العراقية ، ج١ ، ص ٧ •

(٢) British Government, Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia . Vol 1.P.66.

(٣) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة • ترجمة عبدالجليل الطاهر ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٥ •

التأديبية على هذه العشائر وبالرغم من كثرة هذه الحملات وقساوتها فانها لم تؤد الى تفكك الروابط القبيلية والقضاء على نظم القبائل واعرافها وانما دفعت الافراد الى البحث عن الطمأنينة في تنظيمهم القبيلي(١) •

ولعل اهم محاولة للاصلاح خلال الحكم العثماني جرت في عهد مدحت باشا الذي قدم واليا على العراق سنة **١٨٦٩** • وقد حاول هذا الوالي أن يقوم باصلاحات ادارية واقتصادية وثقافية • ويعد ادخاله لنظام تسجيل العقارات بالطابو من أهم أعماله(٢) • وكان مدحت يستهدف من وراء ادخال نظام الطابو « معالجة مشكلة التوطين والقضاء على الفتنة والثورات بتدابير ايجابية وتحويل القبائل الى مواطنين بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري »(٣) • وتميزت ولاية مدحت باشا بمحاولته في تفويض الاراضى الاميرية لطالبيها بأثمان بخسة وبأقساط طويلة المدى(٤) • وعندما شرع مدحت باشا ببيع الاراضى التي عدها أميرية تقدم عدد من سكان المدن(٥) ، ورؤساء العشائر ومن بينهم السعدون لشراء الاراضى • ولسنا هنا بصدد بحث الظروف التي تم فيها تفويض(٦) الاراضى في عهد مدحت ، بل

---

(١) الطاهر ، عبدالجليل ، البدو والعشائر في البلاد العربية ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ •

(٢) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٤١ ، ص ٣٣٣ • (٣) الطاهر ، عبدالجليل ، البدو والعشائر ، ص ٣٧ •

(٤) الحكومة العراقية ، الاصلاح الزراعي واعمار الاراضي ، بغداد، ١٩٥٦ ، ص ش • (٥) لونكريك ، ن•م ، ص ٣٣٢-٣ •

(٦) لقد حصلت مناقشات طويلة بين الباحثين حول نظرة الحكومة العثمانية للارض التي فوضها مدحت باشا بعد اعتدادها أميرية صرفة **يجوز** لها بيعها • فلونكريك ، على الص ٣٣٣ من كتابه الموسوم ب «اربعة قرون» وعبدالرزاق الظاهر ، على الص ٧٦ من كتابه الموسوم ب «الاقطاع والديوان في العراق« المطبوع بالقاهرة ، سنة ١٩٤٦ ، يريان أن الحكومة باعتدادها هذه الاراضى أميرية تجاهلت حقوق المزارعين التي اكتسبوها عن طريق =

يهمنا اثار سياسة مدحت فيما يتعلق بالارض في تطوير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في اجزاء كبيرة من العراق وخاصة في ولاية البصرة • ولعل ابرز هذه الاثار ما حصل من تضارب في المصالح الاقتصادية بين الملاكين الجدد وبين الفلاحين • ولنضرب مثلا على ذلك ما حصل بين زعماء مشيخة المنتفك ، آل سعدون ، وافراد عشائر المنتفك •

فعندما رغب مدحت باشا في تطبيق سياسة توطين العشائر استقدم الشيخ ناصر الى بغداد واطلعه على سياسة الحكومة الجديدة ، تلك السياسة التي تنطوي على تحويل المشيخة الى متصرفية بالفعل لا بالاسم فقط • ووعد الوالي للشيخ ناصر حسنا تالاستقرار في موضع معين وما يتبع ذلك من رقي في الزراعة • ووعد الباشا شيخ المنتفك بأن يسهل له ولعائلته عملية تفويض الاراضى في لوائي البصرة والمنتفك • وقد وافق الشيخ ناصر على سياسة الحكومة وقبل تفويض مساحات شاسعة في لوائي الناصرية (المنتفك) والبصرة باسمه وأسماء أفراد أسرته • وأود أن أشير هنا الى أن آل سعدون بتفاهمهم مع الحكومة وتحولهم من شيوخ يشاركون افراد العشائر في حروبهم القبلية التي كان من اهم دوافعها حماية ديرة المنتفك من هجمات القبائل الاخرى أو من هجمات الحكومة ، الى ملاكين يجبون ايجار الارض ، وضعوا حجر الاساس في الخلافات الطبقية بينهم وبين اتباعهم من افراد قبائل المنتفك • وفي معرض كلامه عن اضطراب العلاقات القائمة بين المزارعين وآل سعدون يقول لونكريك : « كان تبدل الوضع هذا شيئا فجائيا لسكان الاهوار فعندما كانت اراضي المنتفك الواسعة ينعم بها

= السكنى والتصرف• ومن الناحية الثانية يرى يعقوب سركيس على الص ٨٠ من الجزء الاول من كتابه الموسوم ب «مباحث عراقية» المطبوع ببغداد ، ١٩٤٨ ، ان وجهة نظر الحكومة صحيحة ، وان الارض سالفة الذكر اميرية لم يكتسب السكان فيها أية حقوق • وقد اوردت تفصيلات وافية عن قضية تفويض الاراضى الاميرية في عهد مدحت باشا في كتابي الموسوم ب « مشكلة الاراضي في لواء المنتفك» المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦ •

انعاما رسميا على هذا السعدوني او ذاك ، اخذت تبدأ معها المنازعات بين المالك والملتزم »[1] • وقد أشار تقرير أصدرته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٦ الى المنازعات الجديدة بين شيوخ المنتفك وأفراد قبائلهم بقوله : « بعد أن وزعت أرض العشائر بين الدولة والسعدون ، وسجلت في السجلات الرسمية على هذا الوجه ، وجد افراد القبائل انفسهم بأنهم انحدروا الى مجرد مستأجرين ولكن افراد القبائل لم يعترفوا بهذا التغيير واظهروا تذمرهم منه ، ذلك التذمر الذي تحول الى ثورة دائمية • وبالرغم من محاولات الحكومة في القضاء على هذه الثورة ، فأن محاولاتها هذه باءت بالفشل • وكان انشغال الحكومة في فترة ما قبل الحرب العالمية [يقصد الحرب العالمية الاولى] بالحروب البلقانية والايطالية من الاسباب الرئيسة في فشلها سالف الذكر • وقد نجم عن الحالة التي وصفناها عجز الحكومة والسعدون معا عن جباية اجرة الارض من المزارعين بكاملها ، ولم يتيسر لهما الا الحصول على جزء يسير منها »[2] •

ولما عين ناظم باشا واليا على بغداد سنة ١٩١٠ « طار السعدون فرحا » ولكن افراد العشائر « جزموا بأن السعدون يكونون عونا ويدا للحكومة • ومنذ ذلك اليوم أخذ أفراد العشائر ينظرون الى السعدون نظرهم الى أعدائهم وكابحي جماحهم »[3] •

وقد اثمرت سياسة توطين العشائر التي اتبعها مدحت باشا في اماكن متعددة • فأصبح شيخ عنزة مالكا للبساتين في سقي الفرات الاعلى • واستقر رئيس قبائل شمر الجربا في أراضيه بالشرقاط • وكون السادة (أنصاف العشائريين) في انحاء الشامية الموحشة نواة للسكن والتوطن • وحصل

---

(١) لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٣٣٣ •

(٢) Arabs of Mesopotamia, P. 54 — 55.

(٣) «لغة العرب» ج٣ ، رمضان ، ١٣٢٩ هـ ، ايلول ، ١٩١١ ، ص ١١٢ ــ ١١٣ •

بين أفراد قبائل شمر ورؤسائهم وضعا شبيها بالوضع الذي حصل بين آل سعدون وافراد قبائل المنتفك • اذ ان « فرحان بن صفوك اصبح باشا كناصر [السعدون] فوجب عليه أن يكون واسطة لاسكان البدو التابعين له ، وزار استانبول فغاظ قبيلته بتخلقه بالعادات التركية وتزوجه بأزواج مدنيات ، وباقامته لاجل الزراعة والفلاحة على دجلة بكل خضوع »[١] •

وكان الهدف السياسي من بين الاهداف التي توختها سياسة توطين العشائر التي بدأها مدحت باشا في العراق • اذ ان الحكومة تستطيع ان تجبي الضرائب وتفرض الجندية على القبائل المستقرة بشكل أسهل مما لو كانت متنقلة • ثم أن الحكومة بتفويضها الارض لرؤساء القبائل دون الافراد خلقت وسيلة للنزاع الدائم بين افراد القبيلة وزعمائها وبذا يسهل عليها السيطرة على الفريقين عند الحاجة • ومن الواضح ان الحكومة فرطت بمصلحة افراد القبيلة وبمقتضيات العدالة في سبيل هدفها السياسي • اذ من المعلوم ان الحكومة تجاهلت حقوق الافراد الناشئة عن السكنى والتصرف وعدت الارض اميرية صرفة يحق لها تفويضها لمن ارادت • وكانت الارض التي فوضتها الحكومة للشيوخ والتجار ملكا مشاعا ، في الواقع لا في القانون ، لافراد القبائل • اذ كانت القبائل فيما مضى تسكن أرضا معينة ان كانت مستقرة أو تعدها لها ان كانت متنقلة ، أطلقت عليها كلمة «ديرة» • وقد حصلت هذه الديرة عن طريق الاحتلال العسكري[٢]

---

(١) لونكريك ، ن٠م٠ ، ص ٣٣٣ـ٤ ٠

(٢) كانت العشائر القوية في العهد العثماني تطمع بأرض جاراتها من القبائل الضعيفة فكانت تحتاج الى رجال محاربين يستخدمون للاستيلاء على الارض المجاورة او لحماية ارضهم من القبائل الاخرى ، وكان افراد القبيلة يقسمون الارض التي يحصلونها بهذه الوسيلة على مجموعهم ٠ ويسمى الفرد الذي ينال حصته عن هذه الطريقة في لواء الناصرية حصاصا عن طريق التفك اي البنادق ٠ ومن امثلة ذلك قبيلة آلبو نجيم في قضاء الشطرة التي استولت على ارض آل برغش عن طريق التفك ووزعتها بين افرادها ٠

أو الاحياء والسكنى أو الشراء من أصحـــاب التيمار الذين كانوا يتلقون ارضهم على شكل هبات من الحكومة • ومما يؤيد حصول القبائل على الديرة عن طريق المنازعات مع القبائل الاخرى هو اشارة تقرير رسمى الى ان « دماء كثيرة سفكت من المجموعات القبيلية نتيجة للتطاحن فيما بينها لاحتلال مناطقَ معينة من الارض »[١] • ولما أخذت مياه الفرات قبيل نهاية القرن التاسع عشر تتحول الى فرع الهندية كاد الفرع الثانى (فرع الحلة) يجف شيئا فشيئا • وقد نجم عن ذلك ان نزحت قبيلة « البو سلطان » الساكنة على فرع الحلة الى ارض الجحيش على سقي دجلة واقنعـــت الحكومة باحالة قسم من ارض الجحيش وزيد اليها بطريق الالتزام • وقد اثار هذا العمل ثائرة الجحيش ورفعوا شكاواهم الى الحكومة المحلية فلم تصغ لهذه الشكوى • وبعد ان توترت الحالة بين الفريقين ، حذرت « جريدة الرقيب »[٢] الحكومة من مغبة تماهلها وبينت لها ان كلا الفريقين يتأهب للحرب ، وان قائممقام المنطقة « يقول عندما بلغه ذلك ، بأسهـم بينهم ، » • وكانت النتيجة ان وقعت الواقعة بين القبيلتين « وقتل وجرح من الفريقين نحو الف او يزيدون »[٣] •

اما حصول القبائل على الديرة عن طريق الاحياء فهو امر طبيعى في بلاد تكثر فيها الاهوار والمستنقعات كأرض العراق • وحصول القبائل على الديرة عن طريق الشراء هو الاخر ممكن « لان المقاطعات كانت توهب هبة مطلقة من جانب داود باشا وعلى رضا ، فظل أحفاد أصحاب وحـــدات التيمار الاقطاعيين متمسكين بالوثائق والعقود التي خولتهم منزلتهم الاقطاعية وسوغت لهم حفظها وكان بيع الاراضى الحكومية وشراؤها جاري العـادة

---

(١) الحكومة العراقية ، الاصلاح الزراعي واستثمار الارض ، ص ر •

(٢) العدد (٤) السنة الاولى ، ٢٧ محرم ، ١٣٢٧ هـ ، ١٨ شباط ١٩٠٩ •

(٣) العدد (٥) السنة الاولى ، ٤ صفر ١٣٢٧هـ ، ٢٥ شباط ١٩٠٩•

منذ أجيال من غير علم الحكومة أو اعترافها »[1] .

وكان السلطان عبدالحميد وأسرته من بين الملاكين الجدد الذين ظهروا في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن . اذ عمدت الحكومة الى تسجيل اراضى واسعة من ديار القبائل باسم السلطان وعائلته . ومن امثلة ذلك ان قطعا من الاراضى الزراعية واقعة في منطقة المشخاب كانت فيما سبق لقبيلة الخزاعل وحلفائهم « قد حولت الى اراضى سنية سنة **١٩٠٠** واعطيت الى فرعون [أحد رؤساء الفتلة] لزراعتها »[2] . وفي سنة **١٨٨٢** أشيع بأن السلطان عبدالحميد قد اشترى ارضا كانت تعود للخزاعل « واعتبرت منذ ذلك الحين اراضى سنية . وعلى ما يظهر ان الحكومة العثمانية لم تدفع تعويضا عن امتلاكها للاراضى المذكورة ، ولذلك أثارت هذه المعاملة السخط والتذمر بين افراد العشائر . وكنتيجة لهذا التذمر وضعت الحكومة العثمانية تدابير لتوزيع الناتج على الفلاحين وتضرير آل[3] زوين »[4] . وعند اندلاع الحرب [العالمية الاولى] اغتنم الفلاحون فرصة ضعف الحكومة وأنكروا الـ $\frac{1}{4}$ حصة آل زوين . ويظهر من هذا المثال وغيره أن الفلاحين كانوا يعدون أنفسهم أصحاب الديرة ولم يسلموا أجرة الارض للملاكين الجدد بما فيهم موظفي الحكومة الا بالقوة .

وكانت أرض أسرة السلطان عبدالحميد في العراق واسعة ، أي حوالى ثلث اراضى العراق الخصبة ، وقد عملت لها الحكومة ادارة خاصة أطلق عليها اسم « الادارة السنية »[5] . ويظهر أن هذه الادارة كانت تسيء

---

(١) لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٣٣١ .

(٢) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ، ص ٧٠ .

(٣) عائلة من السادة العلويين ، ويعرفون بالاعرجي . وكان رئيسهم السيد هادي زوين من رجال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ البارزين كما سنرى .

(٤) تقرير سري ، ص ، ١٥٠ .

(٥) الحكومة العراقية ، تقرير رسمي ، ص ش .

معاملة الفلاحين فكتبت جريدة « الرقيب البغدادية » تحت عنوان « حالة الزراع في الجعارة [الحيرة] » تقول : ان ادارة السنية طلبت « من الزراع ثلث حصة الميري على الحساب وذلك قبل ادراك الحاصلات خلافا لما امر الله به في قوله عز وجل (وآتو حقه يوم حصاده) بل على العادة السابقة فالتزموا على العادة ان يبيعوا حاصلاتهم سلفا (وعلى تعبيرهم على الاخضر) بسعر التغار[1] بخمس ليرات • وفي ابتداء كانون الثاني سنة ٣٢٤ رومية طلبوا منهم القسط الثاني فطلبوا قطع السعر ليسلموا • فجرت المخابرات على الاصول واعطت بلدية النجف قرارا بان السعر ستة ليرات ونصف وعلى ذلك جرى الحساب بين الفلاحين والملاكين ووفى بعضهم ذممهم والان على ما يقولون ان الحكومة المحلية تطلب منهم الحساب على سعر التغار (٧٤٠) غرشا باعتبار الليرة مائة غرش ، وفي هذا من الجور ما لا يحسن معه السكوت فأن الاسعار لا تقف عند حد ••• فنؤمل من الولاية واللواء تحقيق هذا الامر وان لا يدعوا مجالا لغدر الرعايا•••»[2] • ومن الملاحظ ان هذه الحادثة حصلت بعد تحويل املاك السلطان عبدالحميد رسميا الى اراضى اميرية سنة ١٣٢٤ رومية الموافقة الى سنة ١٩٠٨ م[3] • ومما يجدر ذكره ان واردات الاراضى السنية « ما كانت تدخل خزينة الدولة في الولايات العراقية ، وان هذه الواردات كانت تزيد على عشرات الالوف من الليرات ولعلها بلغت مئات الالوف »[4] •

ويظهر ان طريقة الالتزام لم تكن شائعة في الاراضى التى تزرع بالحبوب حسب بل كانت شائعة في مناطق النخيل ايضا • وفي سنة ١٢٨٦ هـ

---

(١) التغار أو الطغار يساوي ٢٠٠٠كغم • (٢) السنة الاولى ، العدد (٧) ، ١٨ صفر ، ١٣٢٧هـ •

(٣) البازركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٣١ •

(٤) سركيس ، يعقوب ، مباحث عراقية ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠٨ •

أخذت الحكومة تعدل عن هذه الطريقة حين « ارتبطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب[١] ، فارتفعت من بين الاهالي المنافسات والمنازعات التى كانت تنجم عن الالتزام • ثم فوضت اكثر الاراضى منها ببدل المثل ومنها بشرط الاعمار والغيت بعض الرسوم التي كانت تؤخذ من الاهالى فدبت روح الحياة في ثروة البلاد »[٢] •

ونتج عن سياسة الحكومة في تفويض اجزاء كبيرة من الاراضى الزراعية الى من تقدم لشرائها ظهور طبقة من الملاكين الجدد • وكان بعض هؤلاء لا يمتون بصلة للمزراعة والمزارعين • ففي لواء الناصرية (المنتفك) فوضت الحكومة حوالى (٢٠٠) ألف دونم لعائلة سركيس البغدادية الاصل والمسكن • كما فوضت ارضا واسعة في اللواء نفسه الى مناحيم دانيال • وعندما احتل الانكليز منطقة الشامية في سنة **١٩١٧** وجدوا أن أراضى « المويحي » في هور الدخن قد فوضت الى مناحيم دانيال وعائلة سادن حضرة الامام على (ع) (الكليدار) • كما وجدوا ارضا واسعة في الشامية تملكها عائلة حفظي الملي الساكنة في استانبول[٣] • ونال بعض الملاكين الجدد ارضهم من الحكومة عن طريق الهبة ، اذان الولاة قاموا « بعد مدحت باشا بتفويض الاراضى الى كبار الموظفين ورجال الجيش »[٤] • ويظهر أن مشكلة الملاكين الجدد ، وخاصة المتغيبين منهم ، كانت من المشكلات التي جابهت الحكومة البريطانية بعد احتلالها للعراق • فكتب الحاكم السياسى المحلة في سنة **١٩١٨** يقول : « ان مشكلة الملاك المتغيب The Absentee Landlord, ، تتطلب حلا سريعا ، وغالبا ما يكون هؤلاء من البغداديين الذين استحصلوا على سندات طابو لاراضى خصبة

---

(١) الجريب يساوي ٣٩٦٧م٢ •

(٢) الغملاس ، ابن ، ولاة البصرة ومتسلموها ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٧٥ •

(٣) Reports, I, p. 73.

(٤) الحكومة العراقية ، ن•م ، ص ش •

وواسعة بأساليب ، ٥٠٪ منها على الاقل ، كانت ملتوية Shady ولم يتيسر لمعظم هؤلاء الملاكين ان يروا الارض التي يملكونها »[١] •

وصحبت ظهور طبقة الملاكين الجدد تغييرات اجتماعية واقتصادية عميقة الاثر كان من شأنها ان تتناول العلائق بين المزارعين الفعليين والملاكين الجدد بالتغيير ، كما تناولت العلائق القديمة بين الشيخ وافراد قبيلته • فأفراد القبائل الذين تناولهم هذا التغيير تحولوا من مشاركين فعليين ، حسب العرف على الاقل ، في ديرة القبيلة الى مجرد اجراء عند صاحب الارض الجديد ، سواء كان هذا الاخير من شيوخ القبائل ، كالسعدونيين ورؤساء شمر ، او من تجار المدن او من قواد الجيش والموظفين • وقد اخذ هؤلاء الملاكون يقتربون من الحكومة ويعملون على تأييد سلطتها رغبة في حفظ مصالحهم • وقد ضربنا مثلا على ذلك من السعدون في ولاية البصرة الذين طاروا فرحا عند قدوم ناظم باشا سنة ١٩١٠ بينما اغتم المزارعون لقدومه خوفا من ان يلزم جانب السعدون ضدهم • وعندما احتل الانكليز العراق اقتضت سياستهم خاصة في ولاية البصرة ان يبعدوا السعدون عن الارض ويضعفوا نفوذهم ويحلوا محلهم شيوخ العشائر والسراكيل ، ولكنهم لم يعملوا شيئا ذا قيمة للفلاحين الفعليين •

ولعل أهم آثار التغيير الذى نجم عن ظهور طبقة الملاكين الجدد هو ان الاقتصاد الزراعى ، كما سنرى عند كلامنا عن التجارة العراقية في هذه الفترة ، في العراق اخذ يتحول تدريجا من اقتصاد قائم على اساس (اشباع الحاجات) في الغالب الى اقتصاد قائم على اساس (الربح) • وكانت سلطة الملاكين الجدد بما فيهم شيوخ العشائر على الفلاحين في نهاية القرن التاسع عشر تختلف تبعا لقوة نفوذ الحكومة في المنطقة من جهة وتبعا لنوع الزراعة الذي يشيع في تلك المنطقة • ففى المناطق الحديثة الاعمار كانت سلطة

(١) Reports, I, p. 121.

الملاك ضعيفة • وكان فلاحو الزراعة الشتوية اقل خضوعا لملاكهم ولشيخهم ايضا لان وسائل الرى الحديثة كالمضخات لم تكن شائعة الاستعمال ولم يتطلب هذا النوع من الزراعة حينذاك توظيف رؤوس اموال كبيرة • ولهذا كان هذا النوع من الفلاحين يتمتعون بنوع من الاستقلال • اما فلاحو النخيل والرز فكانوا اكثر الفلاحين خضوعا لملاكيهم لان زراعة هذين النوعين من المحصولات تتطلب عملا مستمرا ومنظما • كما تتطلب زراعة النخيل رؤوس أموال كبيرة • وقد عرف فلاح الرز خاصة أن قلة التنظيم في الزراعة ينتج عنها محصول قليل ، وان عليه اطاعة الشيخ الملاك او الملتزم من الملاك ان أراد محصولا جيدا[١] •

وكانت أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في أواخر القرن التاسع عشر اولية هذا اذ استثنينا دخول عدد ضئيل من المضخات الزراعية • ولكن تطورا طرأ على الاقتصاد الزراعى فأخذ يتحول من اقتصاد قائم على اساس اشباع الحاجات الى اقتصاد قائم على اساس الربح • وفيما سبق « كانت الزراعة العراقية قائمة تقريبا على اساس الاقتصاد القبيلى فكانت القبيلة تنتج كل ما تحتاج اليه ••• الا انه بعد منتصف القرن الماضى بدأت عوامل عدة تعمل من أجل اتصال العراق اقتصاديا بالعالم الخارجي عن طريق خليج البصرة ومن هنا قام بعض شيوخ القبائل في المناطق الجنوبية من العراق خاصة بتحويل اراضى قبائلهم الى انتاج المحاصيل التجارية من اجل بيعها في الاسواق الخارجية تدفعهم الى ذلك الرغبة في الارباح »[٢] • ومن دلائل تحول الاقتصاد الزراعى الى اقتصاد قائم على اساس الربح هو ان صادرات العراق من التمور كانت تتراوح بين (٤٠ ـ ٥٠) الف طن حسب تقدير الرحالة الهولندى « ليكاما آ • نيجهولت » Nijeholt الذى زار العراق

(١) Ibid, p. 67.

(٢) الحكومة العراقية ، ن • م ، ص ج •

في عام ١٨٦٦ – ١٨٦٧ • وقد ارتفعت هذه الصادرات في فترة قصيرة فوصلت في عام ١٩٠٦ الى (٦٠) ألف طن[١] • وسنشير الى علامات هـذا التحول عند كلامنا عن تجارة العراق في هذه الفترة وعن زيادة الصادرات الزراعية وارتباط اسعارها صعودا وهبوطا بالاسوق العالمية •

اما تجارة العراق الخارجية فقد سجلت تقدما في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ويعود ذلك الى عوامل أهمها : (١) فتح قناة السويس في خريف سنة ١٨٦٩ • ويقول يعقوب سركيس ان فتح قناة السويس سهـل « علينا وعلى أوربا الاتصال ببعضنا البعض في مبادلة الاموال وقلل نفقـات نقلها فغدت اوربا تنتفع بما كان لا يصل اليها من محصولاتنا الارضيـة كالحبوب والتمور وغيرها من المحصولات واصبحنا نجلب منها عوضا عن اثمان اموانا اموالا كثيرة من منتوجاتها الصناعية لم نكن قادرين على شرائها ليس لبعد الشقة حسب بل لقلة ما في يدنا يوم لم تكن شارية لمحصولاتنا الا لشيء لا يذكر »[٢] • (٢) سير البواخر التجارية في دجلة • وقد افتتح هذا الطريق قبل افتتاح القناة بنحو احدى عشرة سنة • وكانت تسير فيه باخرتان عثمانيتان هما بغداد والبصرة • ثم دخلته بواخر بيت لنج Lynch الانكليزية[٣] • وقد أورد الاستاذ سركيس قائمـة في البواخر التي كانت تستعملها الحكومة العثمانية لاغراض تجارية وعسكرية في انهر العراق وفي الخليج العربي • وهي كما يلي : أسماء البواخر البحرية : نجد[٤] وقوتها (١٥٠) حصانا • آثور وقوتها (١٢٠) حصانا • اما النهرية فهي : ديالى ، موصل ، رصافة ، بغداد ، مسكنة ، تلعفر ، بصرة • وقواتها (١٢٠ ، ٨٠ ،

(١) الدباغ ، عبدالوهاب ، النخيل والتمور في العراق ، بغـداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٩٣ •

(٢) سركيس ، يعقوب ، ن•م ، ج٢ ، ص ٢٧٦ •

(٣) سركيس ، ن•م ، ج٢ ، ص ٢٨١ •

(٤) كانت هذه الباخرة حربية •

٦٠ ، ٥٠ ، ٤٠ ، ٣٠ ، ٢٥)حصانا على التناظر[١] • (٣) نمو المصالح التجارية الاجنبية وخاصة البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن • ويقول لونكريك بينما « كان القنصل التاجر في القرن الثامن عشر غير قادر على طلب شيء سوى دوام الامتيازات وتركه حرا دون تعرض له ، أصبح " مقيم " القرن التاسع عشر وهو المتكلم نيابة عن شركات البواخر وجماعات انشاء التلغراف والاثاريين ، ومؤسسات الهبات الخيرية ••• ولم يكن ليغيب عن بال الجميع في العراق ••• ان مستقبل بريطانيا في العراق سائر الى الاهمية لا محالة وربما ليصير شيئا أعظم »[٢] • ونقلت جريدة « العراق » عن « التايمس » البغدادية قولها « ان بريطانيا وسعت تجارة الخليج وأوجدت علاقات تجارية واسعة مع داخلية العراق »[٣] •

ويروى الاستاذ مير بصري ان نيجهولت الذى وصل البصرة في ٢٨ تشرين الثانى ١٨٦٦ قال « ان تلك المدينة قد احتفظت باهمية لا شك فيها ، وان تكن قد هوت من مجدها السالف فمنذ سنوات معدودة نظمت مصلحة انكليزية للبواخر بينها وبين ميناء بومباى ومسقط وبندرابي شهر فزادت تجارتها على وجه محسوس • والبصرة ترسل الى بغداد بجميع البضائع التى تردها من الخليج على وجه التقريب ومن ثم توزع على العراق العربى والموصل وانحاء ايران الغربية والشمالية • ويرد من الهند عن طريق البصرة السكر والقهوة والصبغ والبهارات والانسجة القطنية والاخشاب الفاخرة • أما البضائع الاوربية فأهمها الاقمشة القطن والحرائر ••• والمعادن الخام والمشغولة ••• وقد وردت الى البصرة خلال سنة ١٨٦٦–٦٧ سواء من الشمال او الجنوب بضائع بقيمة ٢١٤٫٤ مليون فرنك (اى ما يساوي ٨٫٥ ملايين باون انكليزي ذهب) ، والتمور في طليعة مواد التصدير،

---

(١) سركيس ، ن•م ، ج٢ ، ص ٢٩٦ •

(٢) اربعة قرون ، ص ٢٦٦ •

(٣) العدد (٣٦) السنة الاولى ، ١٣ تموز ، ١٩٢٠ •

ويشحن منها أصناف مختلفة • وتبلغ صادرات هذه المادة سنويا (٤٠-٥٠) ألف طن • ويأخذ جزء من هذا التصدير منذ عهد قصير سبيله الى أوربة "• ويخمن نيجهولت قيمة المواد المحلية أو المجاورة الاصل المصدرة من البصرة في سنة ١٨٦٧ بمبلغ (١١ر٥) مليون فرنك منها (٤) ملايين من التمور ومثلها من الحنطة والشعير ومليونان من الرز وما تبقى صوف ومواد مختلفة وفي السنة نفسها بلغ دخل الكمارك نحوا من (٩٠٠) ألف فرنك (الفرنك كان يساوي آنذاك ٢٥ للباون الاسترليني الواحد) • ويقول نيجهولت أن ولاية بغداد تستورد القهوة من جزيرة العرب والعطور والصموغ • ومن ايران حرير رشت والصوف وجلود الحملان والشالات ومواد الادوية • وولاية بغداد نفسها تنتج كميات كبيرة من الاصواف والتمور المشهورة في كل آسيا ، وفيها صناعة محلية للصوف والانسجة المتنوعة[١] •

ومن الملاحظ ان واردات الكمارك في العراق حسب تقدير السالنامات[٢] كانت تساوى في السنوات ١٣١١-١٣١٥ هـ (١٨٩٣-١٨٩٨)م (١٣ر٥٦٨) مليون غرش[٣] لكل سنة ، وفي ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ ١٩٠٠ م (١٢ر٦٩٩) مليون غرش لكل سنة ، وفي ١٣١٨ ، ١٩٠١ (١٠ر٣٠١) ملايين غرش ، وفي ١٣١٩-١٩٠٢ (١٦ر٤٤٦) مليون غرش ، وفي ١٣٢١ - ١٩٠٣ (١٦ر٤٤٦) مليون غرش ، وفي ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ (١٦ر٦٤٦) مليون غرش وفي ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ (١٥ر٩٠٤) مليون غرش، وفي ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ (٢١ر٩٢٧) مليون غرش •

(١) « تجارة العراق قبل تسعين عاما ، البلاد ، العدد ٤٨٧٢ ، ٣١ كانون الثاني ، ١٩٥٧ •

(٢) اقتبست معلوماتى عن السالنامات من مقال تحت عنوان « واردات العراق بين عهدين » للاستاذ يعقوب سركيس نشر في العدد (٨) من مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد ، (٨) السنة (٤) تشرين الاول ١٩٤١ • ص ٦٦٤ وما بعدها •

(٣) كانت الليرة العثمانية تساوي (١٠٨) قروش في سنة ١٩٠٣ •

ويظهر من هذا الجدول ان واردات الكمارك بعـــد ان كانت في (١٨٩٨) (١٣٫٥٦٨) مليون قرش اصبحت (٢١٫٩٢٧) مليـــون قرش في (١٩٠٧) • واذا عددنا زيادة واردات الكمارك دليلا على زيادة التجارة تكون تجارة العراق قد تقدمت تقدما كبيرا خلال هذه السنوات •

ولم تكن زيادة واردات الكمارك ناتجة عن التوسع التجاري حسب ، بل كان لتنظيم ادارة الكمارك أثر في ذلك اذ أن العثمانيين لـــم يتشبثوا « بتنظيم ادارة الكمارك الا في سنة ١٢٧٨هـ ـ ١٨٦١ » • وقد بلغ دخل الكمرك ببغداد سنة ١٨٩٢ أو حواليها (١٣٠٠٠٠) ليرة عثمانية وفي سنة ١٣٦٦ مالية ، ١٩٠٦م بلغ (١٦) مليون قرش أي نحو (١٦٥٫٠٠٠) ليرة عثمانيـــة[١] •

ويقول كوتلوف أن الانتاج العام في العراق ارتفع في بدايـة القرن العشرين ، ويعود ذلك الى توسع التجارة الخارجية لان رؤوس الاموال الاجنبيةدخلت العراق بكثرة • كما أن الاقطاعيين أخذوا يرهقون الفلاحين رغبة بزيادة الانتاج بالرغم من أن وسائل الانتاج لم تتبدل[٢] •

وكان تأسيس البنوك من أسباب تقدم التجارة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر لان وجودها كان سببا لزيادة ثقة التجار الاوربيين في التجار العراقيين • وفي سنة ١٨٩٠ فتح البنك الشاهي ببغداد ولكنه رحل سنة ١٨٩٣ بعد أن اتفق مع البنك السلطاني العثماني • وبقي البنـــك العثماني وحده في العراق ففتح له شعبة في البصرة وأخرى في الموصل[٣] •

وبعد أن تطورت أساليب الصناعة في أوربا بعد الثورة الصناعية خرج " الاوربيون في طلب المواد الاولية لمعاملهم الكبرى وكان العراق من الاقطار

---

(١) غنيمة ، يوسف ، تجارة العراق قديمـا وحديثا ، بغـــداد ، ١٩٢٢ ، ص ١١٢ •

(٢) ن٠م ، ص ٤٨ •

(٣) غنيمة ، يو سف ، ن٠م ، ص ١١٠ •

التي وجهت أنظارهم لشهرة خصبه وريه وكثرة مواشيه »[1] • ويظهر أن التجار العراقيين كونوا علاقات وثيقة مع أوربا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • وكان الالمان بعد أن نالوا امتياز سكة حديد بغداد « قد علقوا الامال الطيبة السياسية والعسكرية والتجارية على هذا الخط الخطير الذي به يسودون على الشرق ويزاحمون سياسة بريطانية وتجارتها » • كما انهم سيروا بواخر شركة « همبورك أميركه » بين بلادهم والبصرة • « وكانت تجارة الالمان تزداد في العراق زيادة مطردة فبلغت قيمة الاموال الالمانية الواردة الى ميناء البصرة سنة ١٩٠٦ (١٠٨ر٦٥٠) ليرة استرلينية وبلغت (٥٢٨٤١٥) ليرة في سنة ١٩١٢ • وبلغت صادرات العراق الى المانيا (١٠٠٩٠٠) ليرة استرلينية في سنة ١٩٠٦ • وكان يرد الينا من المانيا السكر والبن والنحاس والورق ومضخات الري • ويصدر العراق الى المانيا العفص والصوف والكثيراء والجلود والتمر واللوز والحنظل وريش الطيور »[2] •

وكان لبريطانية المنزلة الاولى في البضائع التي تصدر من العراق وتدخل اليه • وقد كانت النسبة المئوية لتجارتها من مجموع تجارة بغداد سنة ١٩٠٩ ، (٣٣ر٤) بالمائة للصادرات و (٥٨ر٨) بالمائة للواردات • أما ثمن البضاعات التي صدرت من بغداد الى بريطانيا ووردت الى العراق منها وكان في سنة ١٩١٠ (٣٣٠٣٦١) ليرة استرلينية للصادرات و (١ر٣١٧ر٧٦٢) ليرة للواردات • ويصدر من العراق الى انكلترا الصوف والصمغ العربي والكردي والكثيراء والجلود والعفص والحنظل والتمر والافيون والحنطة والشعير وغيرها • ويرد من بريطانيا للعراق مصنوعات مانجستر ولنكشاير القطنية[3] •

---

(١) غنيمة ، ن•م ، ص ٧٩ •

(٢) غنيمة ، ن•م ، ص ٩٠–٩٣ • (٣) غنيمة ، ن•م ، ص ١٠٠–١٠١ •

وكان للعراق صلات تجارية مع البلدان الشرقية وخاصة مع ايران والهند . « ولولا ايران لفقدت تجارة العراق خطورتها ، لا بل حياتها » . ويسر التاجر في السنوات التي يكثر فيها الزوار الايرانيون الذين يؤمون الاماكن المقدسة في العراق فيبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ زائر ينفقون مدة اقامتهم في العراق مبالغ طائلة ويشترون من أسواقنا بضاعات مختلفة[١] .

وكانت خيول الموصل من أجواد الجياد العربية وكانت تجارتها رائجة في الهند[٢] .

ومن الادلة على تحول الاقتصاد الزراعي والحيواني عندنا في بداية هذا القرن من اقتصاد قائم على أساس اشباع الحاجات الى اقتصاد قائم على الربح . ان كل ما ارسل من المرعز الى بغداد والموصل ارسل به الى لندن وامريكا ولم يبع منه شيء في العراق . وكان عدد الفردات في ١٩٠٣ التي نقلت عن طريق الموصل وبغداد (١٨٠٠) فردة . وان ألف فردة اصدر من الصوف العرابي ومن الكرادي (١٠) آلاف فردة ومن العواسى (١٥) ألف فردة . ثم صعدت الاسعار في لندن ومرسيليا وأمريكا فكان لها صدى في بغداد[٣] . وكنا نرسل الحنظل الى المانيا وانكلترا[٤] . وفي سنة ١٩٠٣ ألحت المانيا في طلب رجيع الكلب فاشترت منه كميات عظيمة فوضع في أكياس وبعث به اليها . وطلبته أيضا أمريكا وبلغ المبعوث منه (٢٠٫٠٠٠) كيس وزن الكيس ٦٠ كيلو غراما[٥] . وارسل نوى المشمش في سنة

---

(١) ن٠م ، ص ١٠٤ . (٢) الجلبي ، داود ، « مكانة الموصل في الاقتصاديات العامة » ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، السنة الرابعة ، العدد (٨) تشرين الاول ، ١٩٤١ ، ص ٥٩٧ .

(٣) الكرملي ، الأب انستاس ، « الزراعة والتجارة في العراق سنة ١٩٠٣ » مجلة غرفة تجارة بغداد ، السنة الرابعة العدد (٨) ، ١٩٤١ . ص ٦٥٢ .

(٤) غنيمة ، ن٠م ، ص ١٠١ و ٩٣ .

(٥) الكرملي ، ن٠م ، ص ٦٥٦

١٩٠٣ الى مرسيليا ٠ وكان مقدار ما ارسل منه (٣٫٠٠٠) كيس وزن الكيس (٦٠) كيلو غراما[١] ٠ ورغبت المانيا والنمسا وأمريكا في مصارين الغنم سنة ١٩٠٣ فبيع منها مقادير وافرة ٠ وكانت المائة تباع منه سابقا بـ (٦٥-٧٠) غرشا فصعدت الى (١٠٥) بل (١١٠) غروش وحمل منها (٥٫٠٠٠) صندوق ٠ وطلبت لندن وبومباي الذرة البيضاء فأرسل اليهما منها (٢٠٫٠٠٠) كيس زنة كل كيس (٦٠)كغم وبيعت الوزنة (١٠٠)كغم بـ (١٠٨) غروش[٢] ٠ وفي سنة ١٩٠٣ كان حاصل التمر جيدا وطلب من بلاد عدة لا سيما من مصر وسورية والاستانة وبيع الطغار منه (٢٠٠٠)كغم بسعر ٩٠٠ الى ١٠٠٠ غرش على سعر الليرة (١٠٨) غروش[٣] ٠

ومن الجدير بالذكر ان وسائل التمدن الحديث المادية دخلت العراق قبيل الحرب العالمية الاولى ٠ وكان لدخولها أثر في تنوير أفكار الناس وتذوقهم لمنجزات المدنية الحديثة ٠ فكانت في بغداد شركة لصنع المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية ٠ ويظهر أن منسوجاتها كانت متينة الصنع ٠ فقماش « الفاصونة [نوع من المنسوجات الصوفية] يفوق على عمل أوربا صنعا ولطافة »[٤] ٠ وكان « في محلة قاضي الحاجات وسوق الشورجة عدة ماكينات تشغل بالغاز [النفط] للطحن وتهبيش التمن (تقشيره) ، وقد تضررت الاهالي من قعقعتها ورائحتها وهزها للابنية»[٥] ٠ وكانت دار للسينوموتوغراف (السينما) في محلة الميدان بغداد سنة ١٩٠٩ ٠ ويظهر أن الاقبال عليها كان شديدا الى درجة أن معظم ذوي

(١) ن٠م ، ص ٦٥٧ ٠ (٢) ن٠م ، ص ٦٥٦ ٠

(٣) ن٠م ، ص ٦٥٤ ٠

(٤) « الرقيب » العدد (٨) السنة الاولى ، ٢٥ صفر ١٣٢٧ ، ١٨ مارت ١٩٠٩م ٠

(٥) « الرقيب » العدد (٦) السنة الاولى ، ١١ صفر ١٣٢٧ ، ٤ مارت ، ١٩٠٩ ٠

الدخول القليلة ينفقون معظم ايراداتهم لهذا الغرض[١] •

أما أول سيارة فقد دخلت العراق عن طريق حلب سنة ١٩٠٨ • وفي سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١ سافر جاويد باشا الى النجف وأبي صخير بسيارته الخاصة[٢] • وقد بلغ عدد السيارات حوالي (١٢) سيارة في سنة ١٩١٤[٣] •

أما المضخات التي تستعمل لرفع مياه السقي فقد ازداد عددها من (١٢) في ١٩٠٠ الى عدة عشرات في سنة ١٩١٤ • وقد نصبت عدة مكائن لصنع الثلج واقيمت معاصر لعرق السوس والصوف[٤] •

ولم تكن في العراق سنة ١٩١٤ مصافي حديثة للنفط ، ولكن وجود منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماما عالميا • وفي ١٩٠٧ أكد ذلك جماعة من الخبراء الالمان[٥] • وقد وردت تفصيلات وافية عن ظهور النفط في العراق في مظانها[٦] •

ولعل أعظم ما شهده العراق من تطورات في بداية القرن العشرين حصل في حقل الري • وكانت أوضاع الري في سنة ١٩٠٠ شبيهة بما كانت عليه لقرون خلت ، فكانت الفيضانات السنوية تجلب الدمار الى البلاد ، بينما تقل المياه في وقت الصيهود رغم حاجة المزروعات الشديدة اليها • ولم تكن الحكومة قادرة على السيطرة على تنظيم المياه ، كما كانت عنايتها بالمبازل قليلة • أما أساليب الزراعة فكانت أولية لم يدخل عليها تطور جديد • وحصل أن ساءت الحالة في الفرات الاوسط في هذه الفترة

---

(١) « الرقيب » العدد (٨) •

(٢) البزركان ، علي ، ن•م ، ص ٣٤ •

(٣) Longrigg, S. H., Iraq, 1900 To 1950, London, 1953, p. 64

(٤) Ibid, P. 65.

(٥) Ibid. 64.

(٦) ابراهيم ، عبدالفتاح ، على طريق الهند ، بغداد ، ١٩٣٥ •

فهجرت المزارع وجفت القنوات وأخذت القبائل تتقاتل من أجل البحث عن وسائل الرزق • ومن أمثلة ذلك ما حصل بين قبيلتي البو سلطان والجحيش وزبيد سنة ١٩٠٩ ، وقد ذهب ضحية هذه الحادثة ألف قتيل أو يزيد[١] •وكان سبب سوء الحالة في الفرات الاوسط هو تحول معظم مياه الفرات من فرع الحلة الى فروع الهندية بحيث أصبح ما يسير في فرع الهندية يعادل ٩/١٠ مياه الفرات • ونتج عن هذه الحالة أن تلفت معظم مزارع الحلة والديوانية والدغارة ولم تجد تدابير الحكومة نفعا لقلة المبالغ المخصصة لتنظيم الري ولسوء الادارة المحلية • وبعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ دعت الحكومة العثمانية مهندس الري السير ويليم ويلكوكس William Willcoks وعينته مستشارا للري في العراق • فجاء للعراق مع (١٢) مهندسا ومكث في هذه البلاد سنتين ونصف درس في خلالها أحوال الري وطبيعة الاراضى • وقام مع هيئة المهندسين برسم الخرائط والتصاميم لمختلف المشاريع التي يتوقف على تحقيقها اعمار الاراضى وانتعاش البلاد وتخليصها من أخطار الفيضانات • وبعد أن أنتهى من عمله رفع تقريره الى الحكومة العثمانية في نهاية نيسان سنة ١٩١١ • وقد وردت تفصيلات عن مقترحاته في تقريره[٢] • وعهدت اليه الحكومة العثمانية بناء سدة الهندية وقد تم افتتاحها سنة ١٩١٣ وكانت كلفتها تقل عن نصف مليون ليرة انكليزية[٣] •

ويظهر من العرض العام الذي قدمناه لبعض نواحي تاريخ العراق في هذه الفترة ، أن نوعا من التحسن المحدود طرأ على الاوضاع العامة في العراق بالقياس الى بداية القرن التاسع عشر وما قبلها • ويظهر هذا التحسن في بعض النجاح الذي أحرزته سياسة مدحت باشا الرامية الى

---

(١) الرقيب ، العدد ، ٥ ، ٤ صفر ، ١٣٢٧ ، ٢٥ شباط ١٩٠٩ •
(٢) طبعته الحكومة العراقية ببغداد سنة ١٩٣٧ •
(٣) أنظر : Longrigg, Op. cit, P. 64.

توطين العشائر حيث استقرت جماعات قليلة من القبائل وأخذت تعمل في الزراعة وتربية الحيوانات • يضاف الى ذلك ان تحسنا محدودا ظهر في طرق المواصلات ، فمدت أسلاك البرق[١] وأخذت البواخر تمخر عباب دجلة • ولكن بالرغم من كل ذلك فان عوامل التأخر لا تزال عميقة الجذور ومتشعبة في جميع نواحي الحياة العامة في هذه البلاد • ويقول لونكريك : « أن العثمانيين بعد أن فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والاشورية التي اشتهرت خصوبتها في التاريخ ، مرة وثانية ، وبعد أن تمسكوا بها مدة قرون أربعة باسم السلطان ، تركوها ، ولا تزال متأخرة جاهلة ، وظلت فقيرة غير مستثمرة ، تعمها الفوضوية وهي ساخطة على حكامها ، ولم توجه الى أي طريق من طرق التقدم • ولم يجد السياح في أي ولاية تركية ، غير الولايات العراقية ، بلادا تكثر فيها القابليات الكامنة التي ظلت مهملة ، كما انهم لم يجدوا في غيرها سوء الحكم وهو آسن لا يتبدل »[٢] •

هذا هو العراق في نهاية القرن التاسع عشر الذي سنحدثك في الفصول القادمة عن نهضته الفكرية والسياسية في بداية القرن العشرين تلك النهضة التي أثمرت في ثورة العشرين التي هي موضوع هذا الكتاب •

(١) انشأت الدولة العثمانية في العراق ادارة البرق ومدت أسلاك التلغراف ، سنة ١٨٦١ •

(٢) أربعة قرون ، ص ٣٥١ •

الفصل الثـاني

حركة التحرر العراقية في بداية القرن العشرين

قد يكون من الصعب أن نفصل حركة التحرر العراقية في هـــذا الدور عن حركات التحرر السياسية[١] والفكرية في البلدان العربيـــة الاخرى وخاصة الواقعة منها في الشرق الاوسط • فحركة الوعي العربي في هذه الفترة من تاريخ العرب ، كانت تسير ببطء لانها اقتصرت عـــلى الطبقة المثقفة دون الجمهور • وكانت هذه الحركة تعمل على احياء تراث العرب الثقافي ولا سيما اللغة وتدعو الى بعث كيانهم السياسى • والحركة هذه وان اختلفت ، من حيث القوة والانتشار بين قطر عربي وآخر ، تبعا لاحواله الاجتماعية والسياسية والثقافية ، كان لها أنصار في مختلف البلدان العربية ومن بينها العراق •

---

(١) لقد فكر كثير من المفكرين السياسيين في نهاية القرن التاسع عشر في حل المشاكل السياسية ضمن اطار الدين ومن أمثلة ذلك الســيد عبدالرحمن الكواكبي الذي شك في حق السلاطين العثمانيين بالخلافة ودعا الى وجوب اختيار خليفة عربي يحكم بلاد العرب • ولم يكن هذا النوع من التفكير مقتصرا على الكتاب المسلمين ، بل قام بين مفكري المسيحيين العرب من فكر في حل المشاكل السياسية ضمن دائرة الدين • ومن هؤلاء نجيب عزوري الذي فكر بايجاد كنيسة كاثوليكية عربية ، كما دعا الى ايجاد اتحاد يضم البلاد العربية في الشرق الاوسط ، على أن يكون الحجاز مستقلا عن هذا الاتحاد ليكون مقر خليفة عربي • ومن هذا يظهر ان نجيب عزوري نظر الى مشكلة سياسية من زاوية الدين ، وهو أمران ألفه المسلمون ، فهو نادر الحصول عند المسيحيين لان الدين منفصل عن السياسة عندهم •

وللاستاذ نقولا زيادة مقـــال حول هـــذا الموضـــوع بعنـــوان :
« Recent Arabic Literature on Arabism »
منشور على ص ٤٦٨ وما بعدها من مجلة The Middle East Journal
المجلد الرابع ، ١٩٥٢ •

وكانت حركة الوعي العربي في سورية أقدم عهدا ، وأقوى تنظيما ، وأكثر أنصارا بالقياس الى الاقطار العربية الاخرى • ويمكن أن نرجع الاسباب الممهدة لنمو الوعي العربي في سورية قبل غيرها ، الى تأثير الحملة المصرية على سورية بقيادة ابراهيم باشا وما صحبها من اصلاحات شبيهة تلك التي أنشأها محمد علي باشا في مصر ، والى الجهود الثقافية للارساليات التبشيرية ، تلك الجهود التي تمخضت عن تسرب بعض نواحي الثقافة الغربية ، وعن حركة ثقافية ساعدت على احياء اللغة العربية وتيسير الطباعة فيها • وبالرغم من الرقابة الشديدة التي فرضتها حكومة السلطان عبدالحميد على النشر والتأليف ، وبالرغم من رداءة المواصلات عبر الصحراء السورية فقد تسربت الى العراق أضواء فكرية وسياسية من سورية ، عن طريق المطبوعات والاتصال المباشر في مواسم الحج والتجارة• وذلك « أن الوعي القومي العربي الذي نمت جذوره في سورية قد امتدت فروعه الى الاقطار التي تتكلم العربية ، وما لبث أن تحول هذا الوعي بعد أن زال عهد السلطان عبدالحميد(١) الى حركة تذمر واسعة الانتشار

---

(١) يقول سليمان فيضي ، وهو احد المعاصرين لعبد الحميد ، على الص ٤٥ ، ٤٦ من كتابه الموسوم ب « في غمرة النضال » المطبوع ببغداد ، سنة ١٩٥٢ : « لقد قال المؤرخون في السلطان عبدالحميد انه كان من دهاة الملوك ، بل هو أدهى معاصريه • وقد قال فيه الشعب انه ظالم متجبر ، خنق الحريات ، وأزهق الاحرار ، وأنفق مال الدولة على بطانته الفاسقة • لقد عشق الحكم وتمسك بالعرش ، فحكم البلاد حكما فاسدا مدة ثلاث وثلاثين سنة • ذاقت فيها الامرين فعمها الخراب ، وقضى المخلصون نحبهم في أعماق السجون ••• والمنافي ••• وعلى أعواد المشانق • وكان الشعب يرسف في قيود الذل والعبودية ••• أما أصوات الغوث والاستنجاد فلم تكن تطرق سمع السلطان ، اذ حال بينه وبين المستغيثين ستار منيع من رجال البلاط والجواسيس ، ممن أجزل لهم السلطان العطاء ، وأغدق عليهم من نعمه وآلائه ، وترك حبل الحكم لهم على غاربه ••• فحالوا بين الرعية والراعي ، ووسوسوا له بالخوف من مطاليب الامة ، وارتكبوا باسمه =

وذات هدف معين[1] .

ويظهر أن التقدم الذي أحرزته سورية كان معروفا لـــدى بعض المفكرين العراقيين في ذلك العصر وانهم كانوا يتطلعون الى تقليده والاستفادة منه ، كما اعتقدوا أن الاتراك لم يكونوا أكثر تقدما من السوريين خاصة والعرب عامة وبالتالي ليسوا على حق في فرض ثقافتهم ولغتهم على العناصر غير التركية التي تنضوي تحت العلم العثماني . وقد ظهر هذا الشعور في مقال اقتبسه محرر مجلة « تنوير الافكار » البغدادية من مجلة « المقتبس » السورية . وقد جاء في المقال السالف الذكر : « أما السعي في تتريك[2]

= المنكرات والموبقات .

وتصف جريدة « الرقيب » البغدادية بعددها الثـــاني الصادر في ٢٨ كانون الثاني ، ١٩٠٩ ، ١٣ محرم ، ١٣٢٧هـ حكومة السلطان عبدالحميد بقولها : « ليس من الامور الخافية على العموم ما كانت الحكومة السابقــة [يقصد حكومة السلطان عبدالحميد] تجريه من اختلاق الحجج عـــلى الرعايا المساكين لاجل نفيهم وتبعيدهم ، بل محوهم ... فلا يكاد الانسان يتفوه بكلمة الا وعليه ألف عين والغـــالب من كان يساق الى المنفى الذي يكون له قبرا يقبره وهو في قيد الحياة الى أن يوافيه الاجل الموعود ، وصار التجسس ... وسيلة لترقي جملة من الاسافل ... وكم من بريء صار طعما للاسماك وكم من ذي جمية ذهب ضحية ... وكم من مخلص للملك والملة قضى به الحال الى التلف حتى لم يخلو محـل من عـــدة من أولئك المبعدين بلا حق ... ومن جملة الولايات التي كانت تتخذ مقرا للمنفيين ومنزلا للمبعدين ولايتنا بغداد وذلك لبعدها عن مركز السلطة حتى كان يعد من فيها منهم بالمئات فضلا عن العشرات ... » . هذا هو عبدالحميد الذي كان خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين ورئيس الدولة العثمانية في الوقت نفسه .

(١) انطونيوس ، ن. م ، ص ١٢٨ .

(٢) يظهر أن فكرة التتريك لم تكن واضحة في ذهن الكاتب اذ انه يحاول أن يقرنها بفرض اللغة التركية على غير الاتراك من مواطني الدولة العثمانية ، والواقع ان فرض اللغة التركية يسبق حركة التتريك بكثـير وقد تكون الصلة بين الاثنين ضعيفة . اذ من المعلوم أن حركة التتريك =

العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم[١] يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي ، والاتراك ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيس والانكليز في الرقي ••• حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقيما في نشر التركية فقط في البلاد العربية ، والدليل على ذلك أن الولايات التركية أحط بكثير من بعض

= تقوم على تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر المكونة للامبراطورية العثمانية •

وقد ذكر سليمان فيضي على الص ٨٣ ، ٤ من كتابه سالف الذكر تفصيلات عن هذه الحركة وقال : « لم تكن العنصرية التركية ذات موضوع قبل عهد جمعية الاتحاد والترقي » • وكانت العاطفة الدينية عند غالبية الاتراك قوية • وقد أمعن الاتحاديون بحركتهم العنصرية وساهمت صحفهم في ذلك ، فنشرت صحيفة (الاقدام) التركية مقالا جاء فيه : « أن العرب يبيعون كل شيء بالمال ••• حتى العرض ••• الى غير ذلك من الطعن بشرفهم والدس على شهامتهم وتقاليدهم » •

وقد استخدم الاتحاديون ، فضلا عن الصحافة والمنظمات السياسية، الدين لتحقيق أغراضهم فشجعوا بعض خطباء الجوامع على النيل من الدين والخلفاء الراشدين وآل الرسول • وقد جمعت الحكومة أقوال أحدهم واسمه عبيدالله في كتيب عنوانه « شعب جديد » طبعت منه الملايين ووزعته على الاتراك • وكان لهذه الحركة أثر في تكتل العرب ضد الاتراك كما سنرى في الصفحات القادمة •

(١) كانت لغة التعليم في جميع الولايات العربية من الامبراطورية العثمانية هي التركية • وكانت هذه القضية مثار جدل عنيف بين الحكومة وقادة الرأي العام في البلاد العربية • ويقول المعلم داود صليوه محرر جريدة « صدى بابل » ، العدد (١) من السنة الاولى الصادر بتاريخ ٢١ شوال ١٣٢٧ الموافق ٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ان : « كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية أو تقرب منها في ديارنا هذه » • وقد بين المحرر الاضرار الناجمة عن هذه السياسة وقال : « انه يستحيل في جميع تلك الاصقاع أن نرى بين ذلك الشعب الغفير والجمع الوفير من يحسن كلمة تركية ما خلا أفراد من المدن يعدون على عدد الاصابع » •

الولايات العربية ، فولايتا سـورية وبيروت أرقى ولا شك من أدرنـة وبروسه ••• أما درجة التعليم والتهذيب في سورية فأرقى من بلاد الأكراد وأرمينية وولايات آسيا الصغرى ••• ولذلك جـاز لنـا أن ندعي أن السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية ••• »[١] •

وكانت المطبوعات السورية بما فيها الصحف ، كالمقتبس والعرفان ، معروفة في هذه البلاد وينقل عنها أصحاب الصحف العراقية المعاصرون[٢] •

ولم يسهم حكام مصر اسهاما فعـالا في حركـة الوعي العربـي السياسية في هذا الدور ، وذلك لانهم غرباء عن البلاد من حيث اللغة[٣] والشعور والتاريخ • يضاف الى ذلك ان احتلال البريطانيين لمصر في أواخر القرن التاسع عشر ، وما صحبه من مشكلات مالية وسياسية ، شغلها عن مواكبة سير حركة التحرر العربي بمظهرها السياسى على الاقل • ولم يعد المعنيون بقضايا العرب السياسية أحرارا بالعمل تحت ظل الحكم البريطاني الا اذا كان ذلك العمل لا يضر بمصالح بريطانيا في مصـر ولا يكـدر صلاتها مع الدولة العثمانية •

---

(١) « الامة تحبو » عن مجلة المقتبس الغراء « تنوير الافكار » ع٧ من المجلد الاول ، ربيع الاول ١٣٢٩هـ ، ص ٢٨٠ •

(٢) « العلم » العدد الاول من المجلد الاول ، ٢٩ مارت ، ١٩١٠ ، ص ٤٥ ؛ « صدى بابل » ع١٠ ، السنة الاولى ، ٣٠ رمضان ، ١٣٢٧ هـ ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩م •

(٣) يقول بروكلمان ، على الص ٩٩ من الجزء الرابع من كتابـه الموسوم بـ « تاريخ الشعوب الاسلامية » طبعة بيروت ، ١٩٥٠ • «وفي مصر كانت الطبقة الحاكمة أسرة محمد علي وأتباعها تعنى بالادب التركي أكثر مما تعنى بالادب العربي ، وان المطابع التي أنشأتها الحكومة في القاهرة لم تطبع الانظمة العسكرية باللغة التركية حسب ، بل طبعت فوق ذلـك سلسلة كاملة من آثار الادب التركي الكلاسيكية قبل أن تفكر في اسباغ هذا الشرف على الادب العربي » •

ومع هذا فلا حكام مصر الغرباء ولا الانكليز المستعمرون استطاعوا أن يحولوا دون تزعم شعب مصر العربي للحركة الثقافية العربية في هذا الدور من تاريخ العرب • ففي مصر كانت الصحافة والطباعة تتمتع بنوع من الحرية لا مثيل لها في غيرها من البلاد العربية التي كانت تنوء بأثقال استبداد حكومة السلطان عبدالحميد[١] • ولجأ كثير من الادباء والساسة العرب الى مصر خوفا من رهبة الاستبداد التركي ورغبة في الحرية التي لا حياة للفكر بدونها •

وفي مصر نمت حركة الجامعة الاسلامية التي زرع بذورها السيد جمال الدين الافغاني • وقد نظم الشيخ محمد عبده هذه الحركة وحولها الى برنامج ثقافي قابل للتطبيق ، اذ كان يقول : « انه ليس من واجب المسلمين ، في مجهودهم الرامي للدفاع عن دينهم ، أن يهتموا ببعث الدراسات الدينية حسب ، بل عليهم أن يدرسوا العلوم الحديثة وتاريخ الاوربيين وديانتهم وبذلك يدركون أسباب تقدم الغرب »[٢] •

وكان للحركة الفكرية في مصر صدى واسع في العراق • فجامعة الازهر التي تمتعت بشهرة تقليدية قديما والتي جعلها جماعة الشيخ محمد عبده مركزا لفعالياتهم الثقافية حديثا ، كانت مثار اعجاب جماعة من المعنيين في الشؤون الثقافية في العراق •

وبلغ هذا الاعجاب درجة الرغبة في السير على هديها الثقافي • ففي بداية هذا القرن دعا نعمان الاعظمي اخوانه العراقيين الى « اقامة جامعة كبرى كجامعة الازهر في مصر » كوسيلة الى نشر الثقافة في هذه البلاد[٣] •

---

(١) بروكلمان ، ن•م ، ج٤ ، ص ١٠٠ •

(٢) Gibb, H.A.R., The Modern Trends in Islam, Chicago, 1950, P. 39.

(٣) « فقدان العلم والتعلم » ، تنوير الافكار ، السنة الاولى ، ج١ ، شعبان ، ١٣٢٨ ، ص ٢١ •

والمطبوعات المصرية ، كالعروة الوثقى والمقطم والمقتطف والهلال تجد من يعتني بها[١] كما تجد من ينقل عنها في صحف العراق[٢] • ورحل الشيخ عبدالمحسن الكاظمي[٣] بعد أن ضيق العثمانيون عليه الخناق لمجاهرته بأفكاره التحررية[٤] الى مصر ليجد بين شعبها وقادة الفكر فيها من يعطف على أفكاره الحرة ويشاركه عواطفه العربية • وشارك الكاظمي في مصر ، بعد أن ضاق عليه العراق ، « في المساعي للدعاية العربية ، وارسل القوافي وأنشد القصائد هز بها المحافل ، واستعان « حزب الاتحــاد السوري » بشعره في بثمبادئه القومية وأسهم في «جمعية الرابطة الشرقية» التي أنشأها

---

(١) أخبرني الاستاذ عبدالحميد زاهد الكتبي انــه كان يعنى في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى باستيراد الكتب الحديثة ، بما فيها المصرية والسورية ، الى مكتبته في النجف وذلك لشدة الاقبال عليها • وقد أصبحت مكتبة الاستاذ زاهد ملجأ للوطنيين وموضعا يلتقون فيه لبحث القضايـــا السياسية •

(٢) صدى بابل ، السنة الاولى ، ج١٨ ، ٢٧ ذو القعدة ، ١٣٢٧ هـ ، ١٠ كانون الاول ، ١٩٠٩م • و « العلم » ع٢ و ٣ مج١ جمـــادي الاولى ، ١٣٢٨ ـ ٢٩ نيسان ، ١٩١٠ ، ص ١٢٢ •

(٣) أورد روفائيل بطي ترجمة وافية لشاعر العـــرب الكاظمي في مقدمة ديوانه المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٤٨ •

(٤) يقول الاستاذ روفائيل بطي على الص ٣ من ديوان الكاظمي ان قريحة الكاظمي قد أنارت له سبيل التفهم وكشفت أمام بصيرته حال بني وطنه وملته ، فوجدت في ر أسه هموم من التأخر ، وفكر في طرق الاصلاح• فلما وفد على بغداد رائد النهضة الشرقية السيد جمال الدين الافغـــاني منفيا من ايران تعرف الشاعر الفتى بجمال الدين ولازمه ، وأخذ عنه طرفا من العلوم وتوجيها في التفكير ، واعتنق مباديء ، ولكن سلطان الظلام كان مخيما على بلاد السواد من خطط الخلافة العثمانية ، فلم تحتمل السلطـة صاحب العقل اللماح ، فأخرج الافغاني من العراق ، ولاحقت النقمة عـلى تحرره وجرأته من كان يلوذ به من شباب الجيل ، فتحرج موقف الكاظمي ولا سيما ان فكرته اقتدح زنادها بتعاليم الزعيم فصار ينتقد الحكومـــة ويعدد نقائصها •

في القاهرة أعلام الشرقيين والمصريين »[١] • وكان اهتمامه بالقضية العربية مثار اعجاب المصريين فسموه « ترجمان العروبة الصادق »[٢] •

ولم يكن ما تسرب للعراق في هذا الدور من أفكار سياسية وثقافية حديثة ، سواء من الاقطار العربية المتقدمة كسورية ومصر ، أو عن طريق الهند وموانيء الخليج العربي [٣] ، أو عن طريق استانبول[٤] ، كفيلا بتهيئة الوسائل التي تساعد على ايجاد شعور وطني يضمن القضاء على استبداد وفوضى الحكام العثمانيين وبالتالي يعمل على تقويض حكمهم اذا ما أزفت الساعة التي يمكن فيها اقامة حكم وطني يستمد قوته من تربة هذه البلاد ويقوم على أكتاف أبنائه • ومن عوامل ضعف الشعور الوطني العراقي في هذا الدور اقتصاره على المثقفين من سكان المدن في الغالب ، بما فيهم بعض رجال الدين وأقلية ضئيلة من رؤساء القبائل • وكانت هذه الجماعة ، فضلا عن قلة عددها ، ينقصها التنظيم ، ووحدة الغاية ووضوح الهدف الذي تعمل من أجله •

ويوضح لنا آيرلند الحالة في العراق في هذا الدور حين يقول : « بقي العراق منعزلا عن الغرب ، وكان ذلك ناتجا عن رداءة المواصلات وبعد البلاد عن سواحل البحر المتوسط ، وكانت المقومات الثقافية تنقص هذه البلاد الغنية التي هي بمثابة سيبريا تركيا ، تلك المقومات التي تساعدها على تقبل الافكار الجديدة التي ظهرت وانتشرت على سواحل البحر المتوسط[٥] • وهناك أقلية فقط قوامها رجال المهن كالاطباء والمحامين

---

(١) بطي ، مقدمة ديوان الكاظمي ، ص ٥ •

(٢) بطي ، ن•م ، ص ٦ •

(٣) الاعظمي ، تنوير الافكار ، ج١ ، العدد السابع ، السنة الاولى ، ربيع الاول ، ١٣٢٩ ، ص ٢٨١ •

(٤) أنظر : Ireland, W., Iraq, London, 1937, P. 222.

(٥) ان ما بيناه سابقا عن وجود الاتصال الفكري بين العراق وسورية ومصر يبين قلة التدقيق التي وردت في رأي الكاتب •

والمعلمين والموظفين المدنيين ، تمكنت من أن تكون العمود الفقري للحركة الوطنية عبر الصحراء ، ومع ذلك فمن هؤلاء ومن ضباط الجيش تكوت النواة التي تجمعت حولها الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب في العراق »[١] .

وماذا عسى أن يعمل المثقفون في عراق ما قبل الحرب العالمية الاولى، وهم يعيشون بين جماهير جاهلة[٢] من أهل المدن ، وبين قبائل تعيش تحت

(١) Ireland, Op. cit, p. 227—8.

(٢) أورد الاستاذ عبدالرزاق الهلالي في كتابه الموسوم ب « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » المطبوع ببغداد سنة ١٩٦١ معلومات وافية عن التعليم في هذه الفترة بنوعيه القديم والحديث ، أي ما كان يجري في المدارس الدينية القديمة والكتاتيب ، وما يتم في مؤسسات التعليم الحديثة . وقد ذكر الهلالي على الص ١٧٧ــ١٧٨ ، من كتابه السابق ، ان أول مكتب أنشىء في مدينة الموصل سنة ١٨٦١ . وفي عام ١٨٩٤ أنشىء مكتب ثان دون أن يكون في المدن والحواضر التابعة للولاية كلها سوى ثلاث مدارس رشدية . وقد أصبح عدد المدارس في ولاية الموصل (٣٠) مدرسة رسمية سنة ١٩١٤ .

ويقول الهلالي ، على الص ١٨٤ ، انه لم يكن في ولاية البصرة قبل عام ١٨٨٣ أ ي مدرسة ابتدائية وقد أصبح عددها في سنة ١٨٩٥ ثماني مدارس منها ست في مدينة البصرة . وفي عام ١٩٠٥ كان في لواء البصرة (١٢) مدرسة ابتدائية ، وفي لوائي العمارة والناصرية (١٥) مدرسة ابتدائية . أما المدارس الرشدية فكان عددها في عام ١٩٠٥ أربعة مكاتب رشدية .

ولم تكن حالة بغداد الثقافية بأفضل من حالة أختيها الموصل والبصرة ، اذ كان عدد المدارس الابتدائية في ولاية بغداد لا يزيد عن (٣٤) مدرسة ابتدائية . وفي سنة ١٩١٤ لم يزد عدد مدارس البنات في بغداد عن أربع مدارس . ولم يكن في العراق كله عام ١٨٩٩ سوى (٢٠) مدرسة رشدية عدد طلابها جميعا (٨٤٠) طالبا . أما الابتدائية فلم تكن تزيد عن (١٣٠) مدرسة ابتدائية في سنة ١٩٠٨ . (الهلالى ، صص ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١) .

ويظهر انهذه المدارس كانت تتركز فيالمدن الكبيرة بالدرجةالاولى ، =

ظل نظام اقطاعي بغيض ، وتتناحر مع بعضها تارة ومع الحكومة تارة أخرى ؟ وكيف تستطيع النخبة المثقفة أن تعمل ، سيما وانها ترزح تحت ظل حكومة مهملة لا تعترف بحقوق الافراد ، فضلا عن القوميات ، وتتجهل أو تتجاهل واجباتها نحو المحكومين رغم انها أعلنت الدستور وجمعت ما اسمتهم بممثلي الشعب في ندوة أطلق عليها مجلس « المبعوثان » ٠

= يضاف الى ذلك أن بعضها يظهر في الوقائع (السالنامات) الرسمية دون أن يكون له وجود ٠ ومن الادلة على تركز المدارس في مراكز الولايات هو أن لواء الديوانية رغم أهميته وكثرة نفوسه ، لم تكن فيه مدارس رسمية في ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ الموافق ١٨ شباط ١٩٠٩ ٠ وقد وردت من سكانه شكاية نشرت في العدد (٤) من جريدة « الرقيب » الصادرة في التاريخ السابق ٠ واليك نصها : « ان لواء الديوانية يكرر شكايته من اهمال الحكومة اياه وعدم تشكيل مكتب ابتدائي فيه الان مع ان المعارف تأخذ منها الرسوم تامة ، وكذا نشكو عدم وجود طبيب للبلدية فيها والاهالي بحاجة لذلك لحفظ صحتهم فنوجه أنظار الولاية الجليلة ودائرة المعارف لهذه الشكايات وان لا يتركوا الرعايا هملا بلا صحة ولا تعليم » ٠

ورغم قلة المدارس وضعف مستواها العلمي فان ما أسس منها لم يحقق الغرض الذي أسست من أجله ، لان التدريس كان يجري بلغة اجنبية وهي التركية ٠ وقد نشرت جريدة « الرقيب » بعددها السابع من السنة الاولى بتاريخ ١٨ صفر ، ١٣٢٧هـ - ١١ مارت ، ١٩٠٩م ، مقالا تحت عنوان « التربية والتعليم » نورد مقتطفات منه ٠ يقول المحرر : « وبسبب قلة وجود المكاتب الابتدائية في ولايتنا [يقصد ولاية بغداد] نرى أن من يعرف القراءة والكتابة ان راجعنا عدد الاهالي لا يكون الا بنسبة واحد في المائة على جهة المبالغة والا فلعله بنسبة عدد العشائر لا يكون واحدا من ألف ٠ على أن الولاية الان وان زاد فيها الوالي السابق عددا من المكاتب الابتدائية لكنها حتى الان لا تكفي لعشر الاولاد تقريبا ٠٠٠ فالولاية عموما بتوابعها تحتاج تقريبا لمائتي مكتب ابتدائي ولعلها لا تكفي ٠٠٠ وعلى المعارف صرف الهمة في تعميم مكاتب الرشدية أيضا ٠ أما صورة التعليم فيجب أن تكون في ولايتنا لانها عربية (وكذا في عموم العراق وسورية والحجاز واليمن) أولا ، يعني في مكاتبها الابتدائية باللغة العربية المحضة كما فعله مدحت باشا في سورية ، وأن يكون المعلمون ممن يحسنون =

وقد ضرب صاحب « الرقيب » أمثلة عن حالة حكومة العراق بصورة عامة في نهاية العقد الاول من القرن العشرين • ومن هذه الامثلة ما يتعلق بالماكنة التي تسير تلك الحكومة وأعني بذلك موظفيها • ويظهر من رسالة وجهها محمد رشـــيد نائب خراسان الاسبق الى صاحب « الرقيب » ، أن الحكومة لم تدفع لموظفيها رواتبهم بانتظام وان هـــذه الرواتب لا تتناسب ومستوى المعيشة حينذاك وبالتالي كان الموظفون ، على عهدة صاحب الرسالة، مضطرين لاخذ الرشوة • يقول كاتب الرسالة ، محمد رشيد : « ماذا يعمل الموظف ولا يبلغ معاشه الثلثمائة غرش مع انه لا يقبض منه في السنة الا النصف أو ما يزيد قليلا ، واذا نظرت الى ما يقتضي له ولعائلته من مصرف [نفقات] ••• قضيت بالضرورة بأن ما يأخذه لا يكفيه لعشر مصرفـــه فمن أين يحصل الباقي ان لم يفعل ما ذكرناه من الموبقات [يقصد أخـذ الرشوة والاختلاس] مع انه عالم متحقق ان لا سائل يسأله عن أفعالـــه ولا رقيب يراقب حركاته ••• »(١) • وينقل لنا محرر « الرقيب » صورة شكوى من أحد ملاكي الحلة يقول فيها : « أن المأمورين الذين ترسلهم الحكومة كل سنة لتعداد الاغنام وبيوت العشائر داخل قضاء الحلة يأخذون قيمة كل (قوجان) سند عن الاغنام والويركو خمس غروش صاغ عن

= التعليم ••• » •

ويقول لونكريك ، على الص ٢٠٣ ، من كتابه الموسوم ب « أربعـة قرون ••• » قد نتج من اصرار الحكومة على اتخاذ التركية لغة للتعليم في العراق نتيجتان : « أولاهما ــ ان مادة التدريس كانت غير مفهومة فـــي الغالب • وثانيتهما ــ أن الشبان العراقيين نشأوا وهم غير قادرين عـــلى الكتابة بيسر بالعربية • ولا يمكن أن تنكر الفائدة السياسية من أمـــر تحويل العرب بهذا تحويلا نصفيا الى أتراك ، كما أن ذلك أجل الشعور بالقومية لدرجة عالية » •

ومن هذا يظهر أن الاتراك لم يكونوا جادين بتعليم رعاياهم مـــن العرب ، وانهم كانوا يقاومون العربية رغم انها لغة القرآن الكريم •

(١) الرقيب » العدد (٣) السنة الاولى ٢٠ محرم ١٣٢٧هـ •

ثمن (اليول) الطابع والكتابة من دون مراعاة الكثرة الاغنـــام والبيوت وقلتها • ولا يكتفون بذلك ، بل يكلفون الاهالي بمأكولاتهم ومأكولات الضبطية وعليق دوابهم • فلو أضفنا الفرق على أصل الرسوم لكان رسـم الاغنام أربعة غروش ونصفا عوض الثلاث ورسم البيوت خمسة وسبعين غرشا عوض الخمسين ، ان هذه الرسوم المخالفة للقانون تبلغ بنسبة عـدد السندات نحو الاربعين ألف غرش وما زالت تقسم بين المأمورين علنا • فأوجبت هذه الامور اضمحلال الاهالي الفقراء ••• »[١] •

ويظهر من هذه الامثلة أن الجرائد كانت تتحسس سوء الاوضاع وتعمل على نقدها بصورة موضوعية في أكثر الاحيان •

ورغم استبداد الحكومة واهمالها ، ورغم الفتور الذي سيطر عـــلى موقف الجماهير تجاه الحركة التحررية في العراق ، فان هذه الحركـــة قد بدأت تنظم صفوفها فنشطت في ايصال أفكارها التحررية الى الجماهير وأخذت توضح لهم أهدافها • وقد اتخذ المثقفون من الصحافة وسيلـــة لتحقيق هذا الغرض • وتمكنوا من بعث حركة صحفية نشطة وحرة في الوقت نفسه ، عملت جادة ، في تلك الفترة ، على التنبيه الى فساد المؤسسات الحكومية وما يصحب هذا الفساد من تأخر في أوضاع البلاد العامة • ولعل المواضيع التي عالجتها صحافة ذلك العصر والتي أشرنا الى بعضها تقـــوم دليلا على ما ذهبنا اليه •

وفضلا عن ذلك فان الصحافة في هذا الدور عالجت نقطة حيويـــة تؤلف ركنا أساسيا من أركان الحركة الوطنية ، وهي جعل اللغة العربية لغة التدريس في المدارس • ولا شك أن لهذه الناحية أهميتها القصوى في تنمية الشعور الوطني لما يصحب احياء اللغة من ذكريات وطنية وما ينتج عن معرفتها من تذوق لتراث البلاد الثقافي • وسنرى في الصفحات القادمة

(١) « الرقيب » العدد (٤) السنة الاولى ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ •

أن عدد الصحف في هذا الدور قد كثر كثرة مدهشة بالقياس الى الادوار التي سبقته • ويمكن أن يستنتج الباحث ، من كثرة الصحف وحيوية المواضيع التي تعالجها ، أن تقدما فكريا قد أخذت جذوره تنمو هنا وهناك ، وان هذا التقدم الفكري لا بد أن يتمخض عن نمو في الوعي السياسى والاجتماعي •

وسبق أن أشرنا الى الجدل الذي ثار بين الحكومة التركية وبين أرباب الصحف وغيرهم من المثقفين حول استعمال اللغة العربية كلغة للتعليم في المدارس الابتدائية • و يظهر أن هذه القضية الحيوية لم تثر على الصعيد الصحفي حسب ، بل أثيرت على الصعيد السياسى أيضا ، سواء كان ذلك في البلدان العربية الاخرى أم في العراق • ويهمنا هنا أن ننظر الى موضوع استعمال العربية في المدارس من الزاوية العراقية فقط ، ونشير الى الموقف الذي اتخذه نواب ولاية بغداد في مجلس الولاية من هذه القضية •

لقد نشرت جريدة « الرقيب » البغدادية في ٨ نيسان ١٩٠٩ مقالا تحت عنوان « المجلس العمومي وبلاد العرب والعربية » جاء فيه : « طلبنا من أعضاء مجلسنا العمومي أن يبذلوا جهدهم ويحصروا فكرهم في السعي وراء تشييد دعائم لغتنا العربية وان يجعلوا التعليم في اللغة العربية محضا في المكاتب الابتدائية ، ويضاف لذلك درس لتعليم الاولاد اللغة التركية الرسمية ••• وأما المكاتب الرشدية والاعدادية فالتعليم فيها باللغة الرسمية التركية بشرط أن يضاف لها درسا عربيا ••• »(١) •

ويظهر أن هذا الطلب رغم مشروعيته ووجاهته ، لم يلق قبولا من مجلس الولاية فأصدر قانونا بتاريخ ١١ مارت ١٣٢٥ رومي الموافق ٢٤

---

(١) العدد (١٢) السنة الاولى ، ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧هـ ـ ٨ نيسان ، ١٩٠٩م •

مارت ١٩٠٩م تناول بعض القضايا التربوية بالعراق ولكنه لم يقر استعمال العربية كلغة للتعليم في المدارس الابتدائية • والى هذا أشار المحرر في مقاله السابق بقوله : « وعندما رأينا مضبطة مجلسنا العمومي [يشير الى القانون السالف الذكر] ••• لم نجد لهم من هذا البحث سوى تقديم من يعرف اللغة العربية من المعلمين على غيرهم فهل هذا كان أملنا فيهم ؟ أليس هـذا غصبا لحقوق العرب والعربية ••• ؟ » •

وكان نواب ولاية بغداد الاثني عشر من الموافقين على هذا القانـون « سوى الحاج بكر افندي منتخب كربلاء » • ويورد صاحب « الرقيب » جدولا باسماء اولئك النواب ومناطق انتخابهم والعنصر الذى ينتمون اليه ومعرفتهم باللغة التركية ، ويقول : « فمن راجع ذلك يعلم ان ستة منهـم لا يعرفون اللغة التركية واربعة يعرفون طرفا منها وواحدا عربيا يعـرف طرفا منها وآخر هي لغة وطنه فكيف امكن الاكثرية الموافقة على هضم حقوق لغتهم الشريفة والاعانة على محوها واضمحلالها ؟) •

وعندما سأل المحرر احد النواب عن الموضوع اخبره انه وضع المضبطة على ما يرام ولكنه عندما خرج البحث من الكلام الى التحرير لم يعرف ما حرر في المضبطة ، وانه ختمها ويعتقد انها طبق مرغوبة • ويختم المحـرر مقاله بقوله « فهل يمكن لولايتنا السعيدة ؟؟؟ ان تنتظر من هذا المجلـس المحترم فائدة تذكر حاشا وكلا ••• » •

ويظهر ان نواب العراق في « مجلس المبعوثان » لم يقوموا بمـا كان ينتظره منهم أبناء شعبهم • وقد عاتبهم أحد المعاصرين بقصيدة عنوانها « الندبة العراقية » • وفيها يقول الشاعر مخاطبا اخوته النواب :

فأي امتيـاز قد حفظتم ذمامـه وانتم له أهـل عـلى كل واجب
وأي اشتراك قد عقدتم شروطـه ولم تتركـوه قسـمة للاجانب

اذا ما سمعتم صوت بيع نفوسكم تخلفتم عنه وجدتم لجانب
فقولوا لنواب العراق أما لكم تشاغلتم عنا بأعلى المراتب
يشق علينا جبنكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطايب

ويثير الشاعر تهمة خطيرة ضد النواب وهي بيع أرض العرب للاجانب فيقول :

تماهلتموا عن كل فائدة لنا ولا سيما في بيع أرض الاعارب
أما فيكمو من نهضة عربية كما نهضت يوم امتياز المراكب(١)
فليس انتخبناكم لاصلاح حالكم فنحن انتخبناكم لدفع النوائب(٢)

هذه صورة للعراق في بداية هذا القرن يظهر منها أن نواب العراق كانوا مهملين لواجبهم ، وان حكومته سيئة . ولكن الذي يهمنا هنا هو

(١) يظهر ان الشاعر يشير الى قضية كانت تشغل الرأي العام العراقي في ذلك الوقت وهي قضية تجديد امتياز « الملاحة في نهري دجلة والفرات » لشركة ستيفن لنج الانكليزية . وجاء في جريدة « صدى بابل » بعددها العشرين من السنة الاولى المؤرخ فى ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ - ٣١ من كانون الاول سنة ١٩٠٩ « ان امر الملاحة في نهري دجلة والفرات قد اضحى شغلا شاغلا ومرمى نقد الامة العثمانية قاطبة . وقد لهجت الجرائد على اختلاف اذواقها بحيث لم تبق جريدة الا وخاضت يم البحث في هذا الموضوع واستكبرت قرار المبعوثان فيه » . ويظهر ان رد فعل العراقيين تجاه هذه القضية كان قويا فيقول محرر جريدة صدى بابل ، في عددها السالف الذكر ، « بيد ان الامة العراقية التي عجمت عود هذه المسألة واستكبرتها بادر وجهاؤها فعقدوا مجلسا في نادي جمعية الاتحاد في مدينة السلام وخابروا من اختاروا مخابرته في هذا الشأن وقاموا بالذب عن حقوقهم ووطنهم واعلنوا اصرارهم عن الاقتناع بهذا الامر وانهم ابوا الا تخليص الملاحة من يد الاجانب وانهم مستعدون لان يقبلوا الامتياز ويقدموا المبلغ المفروض ... » .

(٢) صدى بابل ، العدد ٧٥ ، ٢٨ محرم ١٣٢٩ - ٢٩ كانون الثاني ١٩١١ .

ان جماعة من مثقفي العراق أخذوا يشعرون بسوء الاوضاع في بلادهم فانتقدوا حكومتهم لتقصيرها وحثوا نوابهم في مجلس « المبعوثان » على تنبيه الحكومة على هذا التقصير •

ومع هذا كان الوعي الوطني في العراق يسير سيرا وئيدا ، تحت ظروف كالتي وصفنا ، نحو نهاية غير واضحة في نفوس الجماهير ، وكان المعنيون بالحركة الوطنية يدركون أن حركتهم ، رغم المكاسب التي حققتها عن طريق الصحافة وغيرها ، ستبقى محدودة الاثر ما لم يتفهم الجمهور مقاصدها وأهدافها • وحينئذ فكروا في وسائل أخرى تساعدهم على تحقيق أهدافهم ، وقد ساقهم تفكيرهم ، لا سيما وان بينهم من تأثر في الثقافة الاوربية ، الى التنظيم السياسى الحديث كالانخراط في الجمعيات والاحزاب السياسية والتأكيد على دور الصحافة والنشر • ورغم سلامة هذا النوع من التفكير كانت نتائجه بطيئة وغير مؤكدة لان عراق العقد الاول من القرن العشرين كان متأخرا في ثقافته كما أسلفنا ، ولم يسبق لاهله أن تذوقوا فوائد العمل الجمعي[1] المبني على أساليب سياسية وعلمية حديثة ، كما لم يسبق لهم أن مارسوا هذا النوع من العمل وخضعوا للقيود الاخلاقية الصارمة التي يستلزمها نجاح الاعمال الجمعية •

ومن الادلة على عدم تقيد بعض ساسة ذلك العصر بالقيود الاخلاقية التي يفرضها العمل الحزبي هو أن السيد طالب النقيب ، رغم انخراطه في الاحزاب والجمعيات[2] السياسية في العراق وفي البلاد العربية الاخرى

---

(١) يصف الشاعر الكبير الشيخ علي الشرقي بني قومه بالبيت الآتي :

قومي رؤوس كلهم   ارأيت مزرعة البصل

(٢) انشأ السيد طالب جمعية البصرة الاصلاحية ، وايد المؤتمر العربي المنعقد بباريس سنة ١٩١١ لمعالجة القضية العربية •

لم يتقيد بدقة بالمفاهيم الحزبية • وكان يمنح ولاءه[1] للحكومة العثمانية ويسلبه منها بغض النظر عن ارتباطاته الحزبية ودون الالتفات الى ما تجره تصرفاته الفردية من أضرار للقضية التي يعمل الحزب من أجلها وهي استقلال البلاد العربية التابعة للعثمانيين بما فيها العراق •

الصحافة وأثرها في الحركة الوطنية :

سبق أن أشرنا الى أن العراق في بداية هذا القرن كان على صلة بالتيارات الفكرية العربية بمصر وسورية • وكان كثير من صحف هذين البلدين ، كالمقطم والعروة الوثقى والهلال المصرية والعرفان والمقتبس الشاميتين معروفا في هذه البلاد • ومع ان معرفة هذه الصحف كان مقتصرا على عدد ضئيل من ابناء المدن الكبيرة كالنجف وبغداد والموصل ، الا أن أثرها في الحركة الوطنية لم يكن بالقليل • أما الصحف التركية فانها ، لعوامل متعددة ، كانت منتشرة بين من يجيد اللغة التركية في المدن العراقية المختلفة • ومع هذا فان تأثيرها في الحركة الوطنية ، لاسباب سياسية في الغالب ، كان ضئيلا وغير مباشر • والصحف الايرانية هي الاخرى وجدت طريقها الى العراق في تلك الفترة • ومن هذه الصحف مجلة « بهار » الطهرانية وجريدة « كرمانشاه » الصادرة في تلك المدينة ،

---

(١) نقمت الحكومة العثمانية على السيد طالب لاشتغاله بالقضايا الوطنية في هذه الفترة فدبرت اغتياله ولكنها فشلت • ومع هذا فقد نجح السيد طالب باغتيال فريد بك قائد منطقة البصرة واخيرا تصالح السيد طالب مع الحكومة واذاع بيانا في هذا المعنى نشره امين سعيد على الص ٢٤ من الجزء الاول من كتابه سالف الذكر •

قال فيه : « اعلن ••• بأننا قد اتفقنا في امر تشريك المساعي وكأننا روح واحدة وجسد واحد لاجل رفع شأن وشوكةحكومتنا السنية ••• وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالا قطعيا وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا الابدية ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية ••• في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٢ هـ » •

وجريدة « جمالية » الهمدانية[١] • ويظهر أن الصلات الثقافية[٢] ، بما فيها المطبوعات ، كانت موجودة بين ايران والاقسام الوسطى والجنوبية من العراق وخاصة سكان العتبات المقدسة •

وكانت الصحافة في العراق ، شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى ، معدومة الوجود تقريبا تحت ظل حكومة السلطان عبدالحميد المستبدة • و مع هذا فقد وجدت بعض المجلات ذات الصبغة التبشيرية في الغالب مثل مجلة « اكليل الورد » التي أصدرها الآباء الدومنيكان في الموصل في كانون الثاني سنة ١٩٠٢ ، وهي أول مجلة تصدر في العراق الحديث[٣] • وفي ٢٥ آذار ١٩٠٥ أصدر الآباء الكرمليون في بغداد مجلة دينية تحت عنوان « زهيرة بغداد » ولكنها لم تعمر أكثر من سنة • وقد أصدر هؤلاء الآباء مجلة بالفرنسية في سنة ١٩٠٥ تحت عنوان « الايمان والعمل » •

ولم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز من ١٩٠٨ غير ثلاث صحف[٤] رسمية كانت تصدر في اللغتين العربية والتركية

---

(١) « العلم » العدد (٥) من المجلد الاول ، رجب ١٣٢٨ ـ ١٠ تموز ١٩١٠ م • ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ •

(٢) ذكر الاستاذ رفائيل بطي على الص ٢ من مقدمته لديوان الكاظمي المطبوع في القاهرة ، ١٩٤٨ ان الشيخ عبدالمحسن الكاظمي روى للصحفي المصري طاهر الطناحي ما محصله : « اخذني اهلي في طفولتي الى كتاب ••• انتقلت من عندها الى معلم عجمي يعلمني الفارسية ، لان ابي تاجر ، ولتجار العراق صلات وثقى بفارس والافغان والهند والمكاتبة التجارية تجري بهذا اللسان ••• » •

(٣) الحسنى ، عبدالرزاق ، تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٧ ص ٢٥ • وتوجد من هذه المجلة مجموعة كاملة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق تبدأ في سنة ١٩٠٢ وتنتهي في ١٩٠٦ •

(٤) هذه الصحف هي : جريدة « الزوراء » البغدادية ، وصدرت =

مرة في كل اسبوع .

وبعد اعلان الدستور خفت الرقابة على الصحف وتمتع الناس بنوع من الحرية لم يألفوه من قبل . وفي سنة **١٩٠٩** قال محـــرر جـــريدة « صدى بابل » ان هذه الحرية حركت في العراقيين « الهمم الى انشاء عدة جرائد في القطر ... بعد ان لم يكن فيه سوى جريدة واحـدة[١] وهي الرسمية »[٢] . وكانت من نتيجة تخفيف الرقابة على الصحف ان اصدرت سلسلة من الجرائد والمجلات « بلغ عددها في سنة واحدة نيفا وخمسين[٣] صحيفة في مختلف الموضوعات : في السياسة والعلم والادب ، وفي الاحصاء

= في ٥ ربيع الاول ١٢٨٦ هـ ـ ١٦ حزيران ، ١٨٦٩ واحتجبت في ١١ اذار ١٩١٧ . وجريدة « الموصل » وصدرت في عام ١٣٠٣ هـ ـ ١٨٨٥ م وتوقفت عن الصدور على اثر اعلان الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ســـنة ١٩١٨ م . وجريدة « البصرة » وصدرت عام ١٨٨٩ واحتجبت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ .

(١) يظهر ان الكاتب يقصد بالقطر مدينة بغداد التي هي محـل صدور جريدته ، واستعماله هذا بعيد عن التدقيق . يضاف الى ذلك ان عدد الجرائد الرسمية كان ثلاثا لا واحدة كما اسلفنا .

(٢) العدد (٧) السنة الاولى ، ٩ رمضان ، ١٣٢٧ ـ ٢٤ ايلول ، ١٩٠٩ .

(٣) لقد اورد الاستاذ جورج كيرك Kirk على الص ١٢٢ من كتابه الموسوم « مختصر تاريخ الشرق الاوسط » المطبوع بلندن ، ١٩٥٩ ، جدولا للصحف الصادرة في البلدان العربية بين ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ نورده هنا للمقارنة : لقد ارتفع عدد الصحف في لبنان من ٢٩ الى ١٦٨ ؛ وفي سوريا من ٣ الى ٨٧ ؛ وفي فلسطين من ١ الى ٣١ ؛ وفي العراق من ٢ الى ٧٠ (يظهر ان ارقامه بعيدة عن التدقيق فيما يخص العراق لان في العراق كانت ٣ جرائد رسمية ومجلة « اكليل الورد » الاهلية قبل هذا التاريخ) . وفي الحجاز من ٠ الى ٦ .

والفكاهة والهزل . »[١] ويظهر ان هذا العدد لم يستمر على ما هو عليه لان امتياز معظم هذه الجرائد قد الغي بموجب القانون المؤرخ في ٥ آذار ١٩١١ لعدم صدورها مطلقا او انها لم تصدر بانتظام . ولم يبق منها الا سبع جرائد وهي : الزوراء والزهور والرياض والمصباح ولغة العرب وصدى بابل والنوادر . وقد اورد الحسني تفصيلات عن كل من الجرائد والمجلات التي صدرت قبل الحرب العالمية الاولى او في اثنائها ، جديرة بالاطلاع عليها[٢] .

ومن الجدير بالذكر ان عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العالمية الاولى كان عشرين مجلة . اما مجموع الصحف التي صدرت في العراق قبل الحرب الاولى وفي اثنائها فكان ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية وهزلية وانتقادية[٣] .

وكان بعض هذه الصحف يعالج مواضيع ذات اهمية كبرى فجريدة « صدى بابل » التي صدرت في ١٩٠٩ مثلا ، نشرت قصيدة لاحدهم ينتقد فيها نواب العراق في مجلس المبعوثان وقد سبق ان اشرنا الى هذه القصيدة في الصفحات السابقة . ونشرت مقالا بينت به خطأ الحكومة التركية في اصرارها على استعمال اللغة التركية في المرافعات وحذرت الجريدة تركيا من اتحاد العرب ضدها بسبب مقاومتها للغتهم . وقالت ان الحكومة التركية ان اصرت على استعمال التركية « فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها »[٤] . وعندما يتكلم المحرر عن قرار مجلس المبعوثان المتعلق بمنح امتياز الملاحة في نهري دجلة والفرات لشركة « لنج » الانكليزية ، يهاجم بعض النواب

(١) الحسني ، ن . م ، ص ٥٠ ـ ٥١ . (٢) الحسني ، ن . م ، ص ٥١ وما بعدها . (٣) الحسنى ، ن . م ، ص ٢ .

(٤) المحرر ، « استعمال اللغة التركية في المرافعات » ، صدى بابل، العدد ١٧ السنة الاولى ٢٠ ذي القعدة ١٣٢٧ ـ ٣ كانون الاول سنة ١٩٠٩ .

العراقيين ويلومهم على تقصيرهم في حقوق البلاد ويقول : « ان الامة العراقية التي عجمت عود هذه المسئلة ••• بادر وجهاؤها فعقدوا مجلسا ••• وانهم ابوا الا تخليص الملاحة من يد الاجانب » • ولكن المحرر استثنى ثمانية من نواب العراق الثلاثين لانهم وقفوا بجانب الاهلين في هذا الموضوع[١] • يضاف الى ذلك ان محرر « صدى بابل » نشر لاحد الشعراء قصيدة تعالج موضوعا حساسا وهو الدعوة الى سفور المرأة • وبعد ان يفتخر الشاعر بعروبته يقول :

ماذا بكم في ذا الزمــان فتاتكم   تشقى وقدما لم يكن بكمو شقي
تخشى سفور قناعها عن وجهها   وتقول لم يوجد بكم ابدا تقي
كنتم قديمـــا قطب كل فضيلة   في الشرق غير هداكمو لم يشرق

اما مجلة « تنوير الافكار » التي صدرت في **١٣٢٨** هـ فهي الاخرى كانت تعالج موضوعات خطيرة ، فمحررها يدعو بني قومه لانشاء جامعــة كجامعة الازهر ، وينقل مقالا تحت عنوان « الامة تحبو » عن مجـــلة « المقتبس » يعالج فيــه كاتبــه مشكلات البلـــدان العربيـــة الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي • ويقول فيه « نريد بالامة هنا الامة العربية والشعوب العربية ، وان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جاراتها ••• »[٢] •

وكانت مجلة « العلم » النجفية من اشهر مجلات ذلك العصر • وقد بلغت من النضج والرصانة درجة لا يستهان بها • وعندما يتحدث محـــررها السيد هبة الديني الشهرستاني عن مهمة الصحافة يقول : « اليست هـــي

---

(١) المحرر ، صدى بابل ، العدد ٢٠ ، الســـنة الاولى ، ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ ـ ٣١ كانون الاول ١٩٠٩ •

(٢) « الامة تحبو » تنوير الافكار ، الجزء (٧) من المجلد الاول ، السنة الاولى ، ربيع الاول ١٣٢٩ •

للامة عينا مراقبا ولسانا ناطقا وخطيبا صادقا ودرعا واقيا ومعلما هاديا ومؤدبا ناجحا وصراطا واضحا ، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر لا تحمي في الباطل حميما ولا تهظم في الحق خصيما ، وكل صحيفة اخطأت هذا الصـــراط فعلى الامة تأديبها ولو بالسياط » • ثم يشير المحرر الى رسالة الصحافة في عصره فيقول : « وقد اضحت الصحافة في عصرنا من الفنون المهمـــة ذات موضوع ونظام وشروط واحكام يتدارسها الغربيون في مدارسهم العالية ، واكثر الصحافيين منا يقتحمون في ابوابها اقتحام الاعمى المتهـــور ولذلك قد يكون ما نفسده اكثر مما نصلحه ••• »[١] • وفضلا عن ذلك فأن مجلة « العلم » قد حاولت ان تحتفظ بنظرتها التقدمية الى الحياة دون ان تثـــير شكوك المحافظين من رجال الدين وغيرهـــم ، فنشرت مـــرة تقول : « على ان الاسلام مع العلم الصحيح فرسا رهان ورضيعا لبان لا يفترقا حينا من الدهر ••• » • وقد حاولت مرة ان تبرهن الى قرائها على ان الطب الحديث لا يناقض الدين ، ونصحت قراءها بنصائح طبية عديدة واشارت الى ما رواه احد الاطباء المعاصرين وملخصه انه رأى « في احد معتبرات كتب الشعراني رواية (ان السيد الرسول (ص) كان يأكل اللحم بالسكين والشــــوكة يقطعه بالسكين المربوطة في سلسلة الجفنة ويتناوله بسلاي النخيل الذي كان يؤتي به مغروزا في اللحم بعدد الآكلين) ••• فهكذا كان يفعــــل السيد الرسول (ص) ابتعادا عن الاكل باليد ما امكن لانه انظف وابعد عن شبهة حصول ضرر » •

وقد اهتمت مجلة « العلم » فيما اهتمت فيه ، بالنقد النزيه البناء ففتحت ما اسمته باب التقريظ والانتقاد وقالت ان هذا الباب يسمى « عند الافرنج

---

(١) « العلم » العدد (١) من المجلد الاول ربيع الاول ، ١٣٢٨ ـ ٢٩ مارت ١٩١٠ م • ص ص ، ٤ ، ٧ ، ٢٢ والعدد ٢ ، ٣ المجلد الاول جمادي الاولى ١٣٢٨ ـ ٢٩ نيسان ١٩١٠ • ص ص ، ١٣٢ ، ١٢٨ •

Critique اي ابداء الرأي فيما يقرأ ويكتب حسنا او قبيحا » •وقد الحق صاحب مجلة العلم بأدارة مجلته مكتبة عامة يؤمها كل احد[(١)] •

ولم يكن اهتمام مجلة « العلم » بالمواضيع الوطنية اقل من اهتمامها بالمواضيع الاخرى فيقول محررها : يجب ان « نتوازر في صيانة اوطاننا من مكائد الاعداء ونجتهد في تكثير عدة احرارنا وتوفير رجال السياسة والاصلاح وتوقيرهم بدل ان نرمى كل حر صادق ينبغ من بين الالوف بتهمة وخيانة • فتنفر العامة من آرائه فلا تساعده في قول ولا عمل • فلا يقوم لقومنا سوق • ولا يستقيم فيهم نظام وتندب المهمات عندئذ رجالها ولا ثمة من رجال » • وينقل المحرر قصيدة للسيد خيري الهنداوي تحت عنوان « اين كنا واين صرنا » ننقل منها ما يأتي :

شهدت بالعلى لنا امة الغرب　　وهل ينكر الفتى الاستادا

★ ★ ★

قد تلقت منا العلوم ففا　　تتنا بما تلقت استعدادا

★ ★ ★

اخلق الدهر جدة العلم منا　　مثل ما اهلك الردى الامجادا
فغدا عندها الكساد رواجا　　وانبرى عندنا الرواج كسادا
بددت شملنا الليالي على حين　　امنا من الليالي البدادا
فاحلت فينا الدمار سريعا　　وانتقتنا جماعة وفرادا
ما بقى عندنا من المجد شيء　　غير ذكرى تشق منا الفؤادا
يا آل فهر اضعت منك رجالا　　يال فهر لم تحفظ الاولادا
ليت قومي الاولى ترى اليوم　　ما حل بنا او تشاهد الاضدادا

---

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضى النجف وحاضرها ، ج ١ ، صيدا ، ١٣٥٣ ، ص ١٢٠ •

قد هبطنا والضد في الجو يسمو مصعدا في فضائـــه مرتادا[١]

وكانت جريدة « الرقيب » البغدادية من اكثر جرائد ذلك العصـــر رزانة ونزاهة واكثرها صراحة في نقد الحكومة . وقد اثنى عليها كثير من ابناء عصرها وغيرهم . فوصفتها مجلة « العلم » السالفة الذكر بأنها « سادت جل جرايد العراق لو لم نقل كلها : في الرواج والانتشار واستقامة القلم والقدم في كل مضمار » . وقال عنها سليمان فيضي نائب البصرة في مجلس المبعوثان ، « وفي كانون الثاني سنة ١٩٠٩ صدرت جريدة الرقيب لصاحبها الحاج عبداللطيف ثنيان ، وكانت أجرأ الصحف آنذاك في نصرة الحـق وفي مقارعة ظلم الحكومة فلاقى صاحبها من العنت والاضطهاد الشـــيء الكثير »[٢] .

وكانت مجلة « لغة العرب » البغدادية من اشهر مجلات ذلك العصر اصدرها في بغداد الآباء الكرمليون المرسلون فكان العلامة الاب انســـتاس الكرملي صاحبها ، والاستاذ الشاعر المطبوع الشيخ كاظم الدجيلي مديرها المسؤول . برز عددها الاول في غرة رجب ١٣٢٩ هـ ــ اول تموز ١٩١١ . وقد كان موضوع مشكلات اللغة العربية وما يدعو الى بعثها وانتشارها من بين المواضيع التي اولتها مجلة « لغة العرب » كبير اهتمامها .

ومن الجرائد التي خدمت النهضة العربية عامة والعراقية خاصة جريدة « بين النهرين » . وصدرت في بغداد في السادس من كانون الاول ١٩٠٩ وعاشت اكثر من ثلاث سنوات . وكانت « مصباح الشرق » من الجرائـد السياسية الجريئة وقد صدرت في بغداد في اول آب ١٩١٠ واستمـرت تصدر بانتظام سنة كاملة حتى عطلتها الحكومة . ولهذه الجريدة جهـــود

---

(١) « العلم » العدد (٥) ج ١ ، ١٥ رجب ١٣٢٨ هـ ــ ١٠ تموز ١٩١٠ م . ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٩ ــ ٢١٢ .

(٢) في غمرة النضال ، ص ٨٢ .

مشكورة في خدمة النهضة العراقية • وقد بلغت الجرأة بها وبزميلتها « بين النهرين » مبلغا كبيرا ، فطالبتا بأقامة حكم لا مركزي في العراق[(١)] •

وقد اورد الاستاذ الحسني تفصيلات عن المجلات والجرائد التي صدرت في هذا الدور من تاريخ العراق جديرة بالاطلاع عليها[(٢)] •

لقد اشرنا الى جملة من الصحف والمجلات التي صدرت في العراق خلال هذه الفترة وضربنا امثلة لاهم المواضيع التي عالجتها ، وربما نبين للقارىء مما اوردنا ان بعض هذه الصحف قد اتصف بالجرأة والاخلاص للقضية العامة مما عرض الكثيرين من اصحابها لمشكلات كثيرة لا سيما وانها كانت تعمل تحت ظل حكومة سيطر على تصرفاتها الاستبداد في كثير من الاحيان • هذا فضلا عن الصعوبات التى نشأت عن المشكلات الفنية للطباعة في ذلك الدور ، وفوق هذا كله كان القراء لا يزيدون على عدد الاصابع خاصة في المدن الصغيرة وذلك لتأخر الثقافة كما اشرنا الى ذلك في السابق • وكانت هذه الصحف عرضة للتعطيل ، فعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى اصدرت وزارة الداخلية امرا بتعطيل جميع الصحف في بغداد والبصرة ، غير ان « صدى الدستور » البصرية استمرت في الصدور معتمدة على نفوذ السيد طالب النقيب وحزبه • « ولم تكتف الحكومة بتعطيل الصحف ، بل شردت اصحابها ، فنفت عبدالحسين الازري[(٣)] وداود صليوه صاحب جريدة (صدى بابل) ، والاب انستاس الكرملي صاحب مجلة (لغة العرب) الى قيسرى ، ونفت ابراهيم[(٤)] صالح شكر وعبداللطيف ثنيان الى الموصل ،

---

(١) Ireland, Op. cit, p. 235.

(٢) الحسني ، ن• م • ص ص ٢٥ ـ ٣٠ ، ٤٩ ـ ٦١ ؛ فيضي ، سليمان ، ن• م ، ص ٨٠ ـ ٨٣ •

(٣) صاحب جريدة « مصباح الشرق » البغدادية •

(٤) صاحب مجلة « شمس المعارف » البغدادية •

وفر سليمان[١] الدخيل الى نجد ، ولجأ الكاتبان السيد رشيد الهاشمي والشيخ كاظم الدجيلي الى البصرة[٢] •

وبالرغم من كل ما سبق فأن الصحافة في هذا الدور قد قامت بدور لا يستهان به في تيقظ الأفكار وفي توسيع افق القراء ، على قلتهم ، بخصوص ما يجرى في العالم الذي يعيشون فيه من حركات سياسية واجتماعية • وقد صحب ازدياد الوعي الفكري في العراق ، نتيجة لجهود الصحافة وغيرها من وسائل التثقيف ، اتساع في دائرة الوعي السياسى في البلاد • وقد تظهر للقارىء اهمية الصحافة في ذلك الدور اذا علم ان الصحافة كانت « محور الحركة الوطنية في العراق يوم لم يكن فيه احزاب او منظمات سياسية • كانت تقارع الاستبداد بشجاعة فائقة وتتلقى الضربات بصبر وثبات•••»[٣] •

ولكن بالرغم من اهمية الدور الذى قامت به الصحافة ، وبالرغم من النشاط والاخلاص الذي اتصف به كثير من ارباب الصحف في ذلك العهد فأن الصحافة لم تستطع ان توصل الافكار التي بشرت بها الى الجمهور بصورة فعالة ومباشرة • وذلك لان جماهير عراق العقد الاول من القرن العشرين كانت لا تزال جاهلة وقلما كانت تستجيب الى دعاة الحركة الوطنية من المثقفين •

فعاليات المبشرين واثارها الثقافية :

ان من أقدم المبشرين الذين وردوا لهذه البلاد هم الآباء الكرمليون والكبوشيون • وقد أنشأ الاخيرون لهم رسالة في بغداد في سنة ١٦٢٦ ، ثم قصد منهم جماعة الى الموصل في السنوات التالية • وقد وجدوا من

---

(١) صاحب مجلة « الحياة » البغدادية ٠

(٢) فيضى ، سليمان ، ن٠ م ، ص ٨٣ ٠

(٣) فيضى ، سليمان ، ن٠ م ، ص ٨٠ ٠

الجليليين ، حكام الموصل ، ترحيبا ساعدهم على نجاح فعالياتهم[١] • أما الآباء الكرمليون فقد حلوا في البصرة في سنة ١٦٢٣م وفي بغداد سنة ١٧٢١م[٢] • وقد سمح والي بغداد المكرمليين في سنة ١٧٢٨ ، بتوصية من فرنسا ، بانشاء كنيسة ومدرسة للصبيان[٣] • وفي سنة ١٧٥٠ انشأ الدومنيكان رسالتهم في الموصل ، واشتهر هؤلاء الآباء بصناعة الطب التي مارسوها لخير الاهالي من أي مذهب كانوا[٤] • وقد فتحوا مدارسهم للطلاب من كل ملة ونحلة[٥] • ولما رأوا ما يعانيه المعلمون والمتعلمون من المشقات الناشئة عن عدم توفر الكتب اللازمة أسسوا مطبعتهم (١٨٦٠م - ١٢٧٧هـ) سدا لهذه الحاجة وتسهيلا للمعلمين والطلاب فطبعوا الكتب العديدة في اللغات الثلاث العربية والكلدانية (في كلتا لهجتيها) والفرنسية على اصول حديثة[٦] • ومن أقدم مطبوعاتهم « الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة » لمؤلفه قورلس بهنام بني وعدد صفحاته **(٣١٦)** وقد طبع في الموصل سنة **١٨٦٧**م وتوجد منه نسخة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق ببغداد • وكان أول مطبوع طبع في مطبعة الدومنيكان في الموصل هو « رياضة درب الصليب » سنة **١٨٦١**م[٧] • ولم يقتصر الدومنيكان على

---

(١) نصري ، القس بطرس ، ذخيرة الاذهان ، ج ٢ ، الموصل ، ١٩١٣ ، ص ١٩٥ - ٩٦ •

(٢) Gallances, H., Settlement of the Carmelites in Mesopotamia XVII & XVIII Centuries, London, 1927. p. 329.

(٣) نصري ، ن • م ، ٢ : ١٩٦ •

(٤) نصري ، ٢ : ٣١٩ •

(٥) الصايغ ، سليمان ، تاريخ الموصل ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٢٨ ، ص ٣٢٣ •

(٦) الصايغ ، ن • م ، ١ : ٣٢٤ •

(٧) بطي ، روفائيل « تاريخ الطباعة العراقية » لغة العرب ، ح ٥ تشرين ٢ ، ١٩٢٦ ، ص ٢٧٦ - ٨٠

طبع الكتب الدينية ، بل طبعوا كتبا عديدة لتعليم اللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية والعلوم • ومن مطبوعاتهم في هذه المواضيع « مبادىء التهجئة لتدريس الصبيان » طبع عام ١٨٦٢ ، ومختصر في التواريخ القديمة للقس لويس رحماني ، وطبع في سنة ١٨٧٦[١] •

ويورد الاستاذ روفائيل بطي قائمة بمطبوعات الدومنيكان بالموصل وقد بلغ عددها (١٧٤) مطبوعا[٢] • وعند المقارنة بين تأسيس أول مطبعة حديثة على يد المبشرين بسورية وبين مطبعة الدومنيكان بالموصل نجد أن مطبعة المبشرين الامريكيين في بيروت كانت أقدم عهدا ، حيث أسست سنة ١٨٣٤ ، وأغزر انتاجا[٣] • ويستطيع القاريء أن يقدر أهمية وجود المطبعة في الموصل اذا علم ان أول مطبعة أهلية[٤] أسست في بغداد هي مطبعة « دار السلام » وكان تأسيسها سنة ١٨٩١م ـ ١٣٠٩هـ[٥] • أي بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على تأسيس مطبعة الدومنيكان في الموصل •

وكان للمبشرين الدومنيكان فضل السبق في فتح مدارس البنات حيث أنشأ الراهبات ، المعروفات بأخوات المحبة ، في سنة ١٨٧٣ـ١٢٩٠هـ ، مدارسهن في الموصل للبنات المسيحيات والمسلمات على السواء[٦] •

---

(١) بطي ، روفائيل ، ن • م والصفحة •

(٢) « تاريخ الطباعة العراقية » لغة العرب ، ج١٠ ، نيسان ١٩٢٧ ، ص ٥٩١ ـ ٩٥ •

(٣) انطونيوس ، ن•م ، ص ١٠٠ •

(٤) لقد اشار المرحوم سركيس على ص ٣٠٣ من الجزء الثاني من مباحثه الى ان اول مطبعة حديثة رسمية انشأت في العراق في عهد داود باشا أي حوالى ١٨٢٠ ، ويظهر أن وجودها ، ان صح ، كان لاغراض الدعاوة لانها كما تقول الرواية جلبت لطبع كتاب يتناول مدح الوالي • ولا توجد مطبوعات طبعت فيها بعد تلك الفترة • وفي سنة ١٨٧٠ اسس الوالي مدحت باشا مطبعة لطبع جريدة الولاية الموسومة بـ « جريدة الزوراء » •

(٥) العلاف، عبدالكريم ، بغداد القديمة، بغداد ، ١٩٦٠ » ص ١٥٧ •

(٦) الصايغ ، ن • م ، ١ : ٣٢٤ •

دور الجمعيات والاحزاب السياسية في الحركة الوطنية :

قد يكون من المناسب قبل الكلام عن فعاليات الجمعيات والاحزاب السياسية في عراق ما قبل الحرب العالمية الاولى أن نشير الى ما يأتي : أولا ـ كانت هذه المؤسسات السياسية على ضربين أولاهما ما كان فروعا للمؤسسات السياسية المؤلفة في البلدان العربية الاخرى أو في استانبول . وثانيهما ما كانْ محليا وسنورد تفصيلات عن النوع الثاني من الجمعيات في الصفحات التالية .

ومن الجدير بالذكر أن في هذا الدور من تاريخ العرب لا توجد قضايا اقليمية تخص كل قطر على حدة ، بل كانت الجمعيات التي تأسست قبل الحرب العالمية الاولى تسير على خطط مختلفة ومناهج متعددة ولكنها تعمل لغاية واحدة وهي انعاش القضية العربية . وبعد أن أعلنت الحرب العالمية انفصمت الوحدة وانقسم المسعى وكانت مصر أول ما اعتزلت بنفسها تنشد قضيتها المصرية . وعلى هذا « لم تكن قضية عراقية بادىء بدء وانما كانت قضية عربية والعراق مركز من مراكزها وفيه طرف من أطرافها »[١] . وفي عهد مبكر نسمع عما يسمى بالاتحاد العربي فيروى محرر جريدة « الرقيب » ان مندوبي بغداد في مجلس (المبعوثان) العثماني قد انشطروا الى شطرين ، وان « عبدالمهدي جلبي وساسون أفندي التحقا بجمعية الاتحاد والترقي . ومصطفى أفندي الآلوسى وشوكت باشا التحقا بفرقة الاتحاد العربي وان الحاج علي أفندي آلوسى زاده بقي على الحياد »[٢] .

ويورد الشيخ علي الشرقي أسماء الجمعيات التي تشكلت بين **اعلان**

---

(١) الشرقي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » ، جريدة « النهضة العراقية » ، السنة (١) العدد ٢٠ ، ٢٣ ايلول ، ١٩٢٧ .
(٢) العدد ، (٧) السنة (١) ، ١١ مارت ١٩٠٩ ، صفر ، ١٣٢٧ .

الدستور العثماني وبين اعلان الحرب العامة ويذكر أمكنة تشكيلها وهي : أ ـ جمعية الاخاء العربي وتشكلت في سنة ١٩٠٩ والمشكل لها شفيق بك المؤيد وزملاؤه • ب ـ المنتدى الادبي وأسسه عبدالحميد الزهراوي ورفقاؤه سنة ١٩٠٩ • ج ـ الجمعية القحطانية وتشكلت في سنة ١٩٠٩ ، أسسها خليل حماده باشا وصحبه • د ـ جمعية العهد ، وأسسها عزيز بك علي المصري • وجميع هذه الجمعيات كانت في الاستانة • أما الجمعيات التي تشكلت في مصر فهي : ١ ـ حزب اللامركزية وتألف سنة ١٩١٢ ، ألفه فؤاد الخطيب وزملاؤه • ٢ ـ جمعية الثورة العربية وتأسست سنة ١٩١٤ • وفي سورية تأسست : ١ ـ الجمعية الاصلاحية البيروتية وكان تأسيسها سنة ١٩١٣ • ٢ ـ جمعية الفتاة العربية ، تألفت سنة ١٩١٣• أما في العراق ، فتأسست : أ ـ جمعية البصرة الاصلاحية • ب ـ جمعية العلم في الموصل وتحولت الى فرع من جمعية العهد • ويقول العمري أن جمعية العلم كانت تقبل الى عضويتها غير الضباط أيضا[١] • وقد أورد سليمان فيضي تفصيلات عن هذه الجمعيات وغيرها وذكر أسماء مؤسسيها[٢] •

ثانيا ـ ان هذه المؤسسات بصنفيها لم تكسب أنصارا كثيرين من الطبقة العامة ، بل كانت من صنع المثقفين ومقتصرة عليهم في الغالب ومع هذا فدورها في الحركة الوطنية خلال هذا العهد من تاريخ البلاد لم يكن قليل الاهمية •

ثالثا ـ كان معظم العراقيين العاملين في المؤسسات السياسية المكونة خارج العراق كجمعية العهد وغيرها ، من ضباط الجيش العثماني ، الذين التحقوا بالشريف حسين ثم بالملك فيصل بسورية ولم يرجعوا للعراق الا

---

(١) ن٠ م ، ١ : ١٦٨ •

(٢) في غمرة النضال ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٢٨٥ـ٢٨٦ ؛ سعيد أمين ، ن٠م ، ج١ ، ص ١ـ٥٠ •

بعد تكوين الحكومة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ ، لذا كان اسهامهم في الحركة الوطنية قبل الثورة وفي أثنائها محدودا وغير مباشر[١] . يضاف الى ذلك ان بعض أقطابهم أمثال الجنرال نوري باشا السعيد ، قد وقف موقف المناوئي للثورة لانها تخالف اتجاهه السياسي وهو العمل للقضية العربية عامة ، والعراقية خاصة ، ضمن اطار التعاون مع بريطانيا العظمى لا ضدها كما هو الحال في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ .

ومن الادلة على ذلك ما ورد في رسالة أرسلها المؤتمر العراقي بدمشق الى رؤساء الشامية في النجف الاشرف . واليك مقتبسات منها : المؤتمر العراقي ٢٩ حزيران[٢] ، رقم ٦٦ ، ١٣ شوال ٣٣٨ ، دمشق . « سوف ترفعون شأن القطر العراقي وتعلون مكانته في أنظار الامم والشعوب بهذا المظهر الشريف الذي تظهرون به من حين لاخر كأمة راقية متحدة تطلب حقها الطبيعي بالاستقلال التام ... أصبحت هذه الدولة [بريطانية] تسعى السعي الحثيث للمحافظة على نظام حكمها الحالي فى العراق مع تغير طفيف تهدئة للخواطر الثائرة ... وقد علمت انها لا تنجح وحدها في الوصول الى غايتها هذه بدون مساعدة بعض أبناء البلاد نفسها فبذلت جهدها للحصول على ذلك وتوهمت انها نجحت في تسخير بعض العراقيين الى ماربها هذه .

وربما حضر اليكم من الشام «الجنرال نورى السعيد» ليقوم بهذه المهمة المهمة المشار اليها التي أناطتها به السلطة البريطانية ألا وهي توطيد أركان الاحتلال وتثبيت أقدامه في العراق بمفاوضة العراقيين ودرس أفكارهم وتسكين خواطرهم وتعليلهم بالاماني والمواعيد الكاذبة ... لا يحتاج بعد

(١) الشرقي ، علي ، « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، ع٢١ ، ٢٦ ايلول ، ١٩٢٧ .

(٢) ١٩٢٠ وذلك بعد مقارنة التاريخ الهجري بالميلادي .

هذا أن نبين لكم واجبكم الذي تقومون به ازاء هذا الرجل اذا فارقنا اليكم بهذه المهمة وخصوصا الاجتهاد بمقاطعته والاعراض عن أقواله وتحذير الناس من الوقوع في حبائله والسهر على تتبع خطواته ومراقبة حركاته وعرقلة مساعيه ٠

لا تبالوا أيها الاخوان به ولا تقيموا له وزنا ولو ادعى الكلام باسم الملك حسين أو الملكين فيصل وعبدالله أو باسم المؤتمر العراقي أو أي جمعية أخرى فانه غير مفوض ولا مرخص وهكذا يجب عليكم الاعراض عن كل أحد يرد عليكم من الشام وعدم مذاكرته بمسائلكم ما لم يكن بيده تفويض من المؤتمر العراقي الموجود في حاضرة الشام ٠٠٠ »[١]

رابعا ـ لقد طرأ انحراف في الاتجاه السياسى ، لاسباب خاصة وعامة ، لبعض أقطاب الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب العالمية وقفوا تجاه الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ موقف المتفرج أو بالاحرى موقف المثبط ٠ فذكر الاستاذ سليمان فيضي ، وهو من المشتغلين بالحركة الوطنية مع السيد طالب خلال هذه الفترة ، ان السيد طالب كان « وطنيا صلبا يقارع ظلم الحكومة العثمانية بلا خوف أو وجل ، ويرفض معاونة الانجليز باباء وشمم ٠٠٠ وبقيت صفحته الوطنية ناصعة البياض حتى سنة ١٩٢٠ ٠٠٠ حين لمست منه تساهلا مع الانجليز فكان ذلك ايذانا بانقطاع المودة بيننا ٠٠٠ »[٢] ٠ وقد وجه السيد (ع ٠ ظ) كتابا مفتوحا الى « اعتاب صاحب الدولة العميد طالب باشا والى رجال الامة العراقية وزعمائها » قال فيه : « أيها الزعيم المطاع نريد أن تصلح بلادنا وتؤلف بين قلوب رجالنا ٠٠٠ »[٣] ٠ فأجاب السيد طالب : « غير اني لما أتيت دار

---

(١) « الفرات » العدد ، ٢ ، السنة الاولى ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨٠

(٢) في غمرة النضال ، ص ١٣٣ ٠

(٣) « الشرق » العدد ١٦ ، ١٨ ايلول ١٩٢٠ ، ٤ محرم ١٣٣٩ ٠

السلام وجدتها ويا للاسف في حالة يرثى لها • حيث اني رأيت فيها مسارح لانواع القلاقل والمجن ، أغراضا شخصية فاسدة ، وامورا فوضوية كاسدة ، هياجا في الداخل وثورات في الخارج ••• فمن جهة يطالب بالاستقلال التام ، ومن جهة تنهب الاموال ••• » • ويبين في رسالته انه فاوض ممثلي الحكومة البريطانية في العراق فأبدوا رغبتهم في التفاهم على امور منها « مسألة اصدار عفو عام عن المجرمين الذين زلزلوا كيان البلاد ••• » • ثم يقول : « فعرضت عندئذ هذه المسائل على زعماء الحركة في بغداد فلم يعيروها اهتمامهم ولا خطوا خطوة في سبيل التفاهم مع الحكومة دفعا للمشاكل ••• بل بذلوا قصارى جهدهم في القاء الفتن واثارة القلاقل بين العشائر والقبائل برفع النظر عما يترتب على عملهم هذا من الخطر على البلاد وأهلها »(١) •

وكان لتبدل موقف السيد طالب أثر كبير في أن تكون البصرة من أقل مناطق العراق اسهاما في ثورة العشرين مع انها كانت أكثرها فعالية في الحركة الوطنية خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى كما سنرى في الصحائف التالية •

حزب العهد :

أسس هذا الحزب عزيز بك علي المصري سنة ١٩١٣ ، وقد انخرط في صفوفه جماعة من الضباط العرب ، وللعراقيين منهم علاقة ممتازة بهذه المؤسسة(٢) • وقد جاء في منهاج هذا الحزب : « ان جمعية العهد السياسية سرية انشئت في الاستانة غايتها السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد

(١) « الشرق » العدد ١٨ ، ٢١ ايلول ١٩٢٠ ، ٧ محرم ١٣٣٩ •

(٢) البصير ، محمد مهدي ، ن•م ، ج١ ، ص ٢٦–٣٣ • لقد أورد البصير منهاج الحزب وشروط الدخول فيه ، كما أورد تفصيلات عن فعالياته جديرة بالاطلاع عليها •

العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا ».

ويرى الدكتور البصير ان أهداف الحزب الحقيقية أعمق مما ورد في هذه المادة ، وذلك انه كان يعمل على انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ويستدل على ذلك من اشتراك كثير من أعضائه بالثورة العربية في الحجاز، ومن محاولة جماعة من ضباط الحزب اشعال نار الثورة في بغداد قبيل نشوب الحرب العامة وخيبتهم في ذلك[١] .

وكان للحزب فرع في بغداد وآخر في البصرة . وكان فرعه في بغداد دائب النشاط[٢] في عهد الاحتلال كما سنرى .

النادي الادبي :

تأسس هذا النادي في بغداد على يد جماعة من المشتغلين بالحركة الوطنية ومنهم مزاحم الباجه‌جي وحمدي الباجه‌جي وغيرهما . ومن أعضائه البارزين الشيخ محمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي ، وتحسين العسكري ، بهجت زينل ، عبدالمجيد كنه ، مبدر الفرعون وغيرهم . كان النادي المذكور مرتبطا ارتباطا وثيقا بحزب الائتلاف والحرية في البصرة ، وكانت جريدة « النهضة » لسان حال الحزب . وقد أغلقت الحكومة هذه الجريدة ففر محرروها الى البصرة[٣] .

الجمعية الاصلاحية في البصرة :

أسسها السيد طالب النقيب في **٢٨** شباط **١٩١٣** ، وقد انضم اليها أكثر الضباط العرب في البصرة . وكانت تطالب الحكومة بالنظام اللامركزي . وقد اتسع نفوذ رئيسها السيد طالب « حتى أصبح الولاة يتملقونه والقواد يطلبون رضاه »[٤] .

---

(١) ن.م ، ج١ ، ص ٣٣-٣٤ .

(٢) فيضي ، سليمان ، ن.م ، ص ٢٥٧ .

(٣) فيضي ، ن.م ، ص ١١٦ .

(٤) ن.م ، ص ١٣٠ .

وكانت جمعية الاصلاح على صلـــة بحركة التحرر العربيـــة في الخارج • وعندما تبنى « حزب اللامركزية الادارية العثماني » بالقاهرة عقد المؤتمر العربي الاول في باريس[1] ١٩١٣م - ١٣٣١هـ أبرق رئيسها السيد طالب النقيب للمؤتمر يعلن فيها تأييده لقراراته[2] • هذا فضـــلا عن اشتراك اثنين من العراقيين وهما السيدان توفيق السويدي وسليمان عنبر[3] في أعمال هذا المؤتمر •

ويظهر أن السيد طالب لم يكن متصلا بالمشتغلين في القضايا الوطنية خارج العراق حسب ، بل كانت له صلات بمن كان يعتقد أنهم يشاطرونه الرغبة في العمل من أجل مقاومة سياسة الاتحاديين التعسفية في العراق • وكانت تجري بينه وبينهم مراسلات[4] من أجل تحقيق هذا الغرض •

ويقول الشيخ جواد الجواهري لما ميز الاتراك « بين العنصر التركي وسائر العناصر صار ميل النفوس العراقية الى أخذ الاستقلال الاداري•••

---

(١) وردت تفصيلات عن أعمال هذا المؤتمر في كتاب كتبه أحـــد أعضاء الجمعيات العربية ، ثورة العرب ، القاهرة ، ١٩١٦ ، ص ٧٥-٧٩ ؛ اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر « المؤتمر العربي الاول ، ١٩١٣ » ص ١٤ •

(٢) البصير ، ن•م ، ج١ ، ص ٣٨ •

(٣) أنظر : Longrigg, Op. cit, p. 46.

(٤) ذكر الاستاذ سليمان فيضي على الص ٩٨ من كتابه السالف الذكر أن السيد طالب كتب الى عدد من الوجوه يطلب تأييدهم بهـــذا الخصوص ومنهم : السيد زيدان ، عبدالله الفالح السعدون والشيخ خيرالله [لعله يوسف الخيرالله] في المنتفك • والى السيد طفار في السماوة • والى عطية أبو الكلل ونقيب الاشراف في النجف • والى محمد علي فاضل داود يوسفاني في الموصل • والى يوسف السويدي ، وعيسى الجميل ، ومحمود نديم الطبقجلي في بغداد • والى الحاج نجم البدراوي ، وأحمد المصطفى ، وفائق الخضيري في العمارة • والى الحاج عباس العلي في الكوت • والـــى السيد هادي زوين والسيد علوان الياسري في الفرات ••• »

حتى انه كان بيننا وبين المرحوم السيد طالب مكاتبات سرية بهذا الخصوص »[١] •

وقد استطاعت جماعة السيد طالب أن تحبط مساعي حكومة الاتحاديين الرامية المتدخل في الانتخابات النيابية سنة **١٩١٣** لولاية البصرة، وخاصة في لوائي البصرة والعمارة ، حيث فاز مرشحو جماعة السيد طالب وهم : عبدالله صائب ، عبدالمجيد الشاوي وسليمان فيضي عن العمارة • والسيد طالب ، وعبدالوهاب القرطاسي وعبدالله الزهير وأحمد نعيم كحالة عن البصرة • أما في لواء الناصرية (المنتفك سابقا) فقد نجحت حكومة الاتحاديين في فرض مرشحيها وهم : معروف لرصافي[٢] ، وحمزة بك (وهو تركي الاصل) وقريش أفندي[٣] •

وقد نشطت جمعية الاصلاح البصرية نشاطا ملحوظا في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى وبادر رئيسها السيد طالب « الى بث دعاته في كثير من أنحاء القطر مزودين بالمناشير السرية والتعليمات اللازمة ••• ولقيت دعوة أولئك المبشرين في شواطىء الفرات الاوسط نجاحها الاكبر حيث لبى كبير زعماء ذلك الصقع المرحوم مبدر آل فرعون[٤] وجماعة من

---

(١) الحسين ، الثورة ، ص ٢٠٨ــ٩ •

(٢) يقول سليمان فيضى ، ص ٨٧ من كتابه السابق أن عددا كبيرا « من العراقيين يعاضدون جمعية الاتحاد والترقى ويعملون فى فروعهابنشاط وهمة وعلى رأسهمالمرحومالشاعر معروفالرصافيالذىاستمر فيدعوتهلهمبقلبه وقلمه ولسانه ••• يدفعهم أحد دافعين الجهل أو المصلحة الشخصية » •

(٣) فيضي ، ن•م ، ص ١٠٢ــ١٠٤ •

(٤)جاء على الص ٧٠ من تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن «العشاير والسياسة» «ان مبدر الفرعونكان دائما موضعثقة عند موظفي الحكومة العثمانية • وكان غالبا ما يتردد على بغداد لتقديم المعلومات عن عشائر الفرات ــ تلك الخدمة التي استمر في تأديتها بكلكفاءة الى الادارة =

رفقائه الشيوخ في مقدمتهم السيد علوان الياسري دعوة النهضة فصاروا ينددون بالموظفين المحليين ويتأففون ويتضجرون من كثرة الرسوم والضرائب ... ثم انهم أرسلوا البرقيات العديدة الى الاستانة يعربون فيها عن استيائهم الشديد من معاملة مأموري الحكومة »[١] .

وكان تقديم مضبطة تحمل (٣٠٠) توقيع من وجوه البصرة وتتضمن طلب استقلال العراق عن الدولة العثمانية ، من أهم الاعمال التي أسفرت عنها حركة جماعة السيد طالب في ولاية البصرة . يضاف الى ما سبق أن مؤتمرا عقد في المحمرة حضره شيخا المحمرة والكويت والسيد طالب نفسه ، كانت غايته المداولة في مستقبل العراق السياسي وقد اتفق المؤتمرون على أن يعمل كل فرد منهم ما بوسعه لتحقيق استقلال العراق أو تكوين حكومة ذاتية فيه . وبعد انفضاض المؤتمر أرسل السيد طالب وجماعته عددا من الرسل الى كربلاء والنجف ليثيروا الاهلين هناك وليهيئوا الافكار للمستقبل[٢] . وكان سليمان فيضي من بين الذين انتدبوا للسفر بغية الاتصال بالمشتغلين بالحركة الوطنية في أنحاء العراق[٣] وخاصة الموصل .

وكان للسيد طالب أنصار في بغداد ففاز أحد مؤيديه ، وهو المحامي فؤاد أفندي بعضوية مجلس (المبعوثان) ، كما انتخب السيد محمد الكيلاني بالرغم من انه لا يؤيد سياسة الاتحاديين .

وبعد هذا الاستعراض العام لفعاليات جماعة السيد طالب في ولاية البصرة نود أن نشير الى العوامل التي ساعدته على اضعاف سلطة الحكومة

= البريطانية» . ان انتماء الشيخ مبدر الفرعون الى النادي الادبي في بغداد ، وهو مؤسسة سياسية ، لمقاومة العثمانيين ، وتأييده لحركة السيد طالب بالبصرة تجعلاني أميل الى أخذ رواية دائرة الاستخبارات البريطانية بنوع من الحذر .

(١) البصير ، ن.م ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٢) أنظر : Ireland, Op. cit, p. 233.

(٣) فيضي ، سليمان ، ن.م ، ص ١١٨ .

العثمانية في البصرة وتوسيع نطاق الحركة الوطنية بحيث أصبح أنصارها في كثير من المناطق العراقية المختلفة يشعرون بنوع من الاشتراك بالعمل من أجل تحقيق هدف عام وهو الحصول على استقلال البلاد • وكان تحالف السيد طالب مع امراء العرب المجاورين كالشيخ خزعل أمير المحمرة والشيخ مبارك أمير الكويت ، من العوامل التي مكنته من الوقوف في وجه العثمانيين في البصرة خلال السنوات التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى • وفي سنة ١٩١٣ حصلت ازمة بين السيد طالب والحكومة أسفرت عن مقتل والي البصرة • وفي أثناء هذه الازمة كتب « السيد طالب الى حليفيه الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت والشيخ خزعل أمير عربستان ليمداه بالسلاح والعتاد ، فتدفقت عليه الاسلحة بكثرة »[١] • ويظهر ان الانكليز لم يعارضوا في عقد محالفة كهذه ، لانها لا تهدد مصالحهم ، وربما كانت تخدم هذه المصالح بصورة غير مباشرة لانهم كانوا يخشون من وصول الالمان عن طريق سكة حديد بغداد الى فم الخليج العربي • ولهذا رأى الانكليز أن أي تدهور يصيب سلطة العثمانيين في البصرة يعرقل مشاريع الالمان الرامية للوصول الى الخليج وعندئذ تهدد طريق الهند • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان هذا الارتباك والتدهور قد يصلح أن تتخذ منه انكلترا وسيلة للتدخل في شؤون هذه البلاد اذا ما حان الوقت لذلك • وفضلا عن ذلك فان السيد طالب « كان من أدهى الرجال وأشدهم بأسا ، وكان لا يتورع عن الاقدام على أخطر المجازفات في سبيل تحقيق غاياته ، وكان يلتزم أعوانه ويحميهم ويبطش بخصومه ••• كان كريما مسرفا ••• وكان وطنيا صلبا ••• »[٢] • ومع هذا فقد تغير موقفه هذا وانحاز للانكليز كما أسلفنا •

وبعد ان استعرضنا مظاهر الحركة الوطنية والمؤسسات التي كانت

---

(١) فيضي ، سليمان ، ص ١٠٨ •

(٢) ن•م ، ص ١٣٣ •

يعمل في الحقل الوطني ، في هذا الدور من تاريخ العراق ، نقول : هل كانت الحركة الوطنية هذه منبثقة عن تنظيم شعبي متمثل بكتل شعبية لها مناهج واضحة وتعمل على أسس عقائدية ؟ هل كان المشتغلون في الحركة الوطنية ، سواء من كان منهم منخرطا في سلك الجمعيات والاحزاب السياسية أو من يعمل بصورة فردية ، مدفوعين بدوافع قومية بحتة تعمل على بعث الكيان العربي أو العراقي على الاقل ؟

وللجواب على السؤال الاول نقول : ان الحركة الوطنية ، في هذا الدور من تاريخ العراق ، كانت في الغالب من صنع المثقفين وهم أقلية ضئيلة حينذاك ، وقلما تغلغلت في الاوساط الشعبية ، وذلك للجهل المتفشي بين أوساط الشعب ؛ ولشيوع النظام القبلي في البلاد ، وما ينجم عنه من منح الولاء للعائلة والقبيلة لا للحزب ؛ وأخيرا لقلة من يتقيد بالمفاهيم الحزبية ، وما تتطلبه من قيود اخلاقية صارمة ، من أبناء الشعب بما فيهم بعض مثقفي ذلك العصر • وقد ضربنا ، فيما سبق ، أمثلة تؤيد وجهة نظرنا هذه فلا نرى ضرورة للتكرار •

وللاجابة على السؤال الثاني نقول : يبدو أن فكرة القومية بمفهومها الحديث لم تكن واضحة في أذهان معظم المشتغلين بالحركة الوطنية في ذلك العهد • ويعود ذلك لتغلغل الروح الاسلامية في نفوس معظمهم بصورة خاصة ، وللاسباب الاخرى التي أشرنا اليها قبل قليل بصورة عامة • وقلما نجد بينهم من كان يجرؤ على نقل الخلافة الاسلامية من آل عثمان واقامة حاكم عربي مقام الخليفة العثماني •

ويؤيد ذلك أن مؤسسى حزب العهد ، وغالبيتهم من العراقيين ، أوردوا في منهاج حزبهم أن « غاية الجمعية السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية ، على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول على غرار اتحاد النمسا والمجر • وان الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة

مقدسة بيد آل عثمان »[1] .

وعندما أوفدت جمعية البصرة الاصلاحية الاستاذ سليمان فيضي للموصل سنة **١٩١٣** وجد عند وصوله : « ان المؤمنين بالقضية العربية قلائل ، وان المشتغلين فيها أقل ، وان النزعة الدينية التي يتميز بها أهل الموصل تقف حائلا بينهم وبين التمرد على الدولة العثمانية ذات الصبغة الاسلامية والخلافة المقدسة ... »[2] .

وقد تجرأ بعض المشتغلين بالحركة الوطنية فاجاز نقل الخلافة من العثمانيين ولكن لا ليقيم محل الخليفة العثماني رئيس دولة عربي ، بل ليقيم محله خليفة عربيا . فذكر الاستاذ سليمان فيضي أن السيد طالب النقيب أرسل في أوائل سنة **١٩١١** كتابا الى الشريف حسين يخبره أن النواب العرب وقعوا على الوثيقة التالية : « نحن نواب العرب في مجلس الامة نعهد الى حسين باشا في حكم مكة ، ونقر باسمنا واسم البلاد العربية التي نمثلها بأن له وحده السلطة الدينية على البلاد العربية . ونحن مستعدون أن نجاهر علانية بهذه البيعة متى دعت الاحوال الى ذلك » . ويذكر أن الموقعين على هذه الوثيقة كثيرون ولكنه عرف ثلاثة منهم فقط وهم: « السيد طالب النقيب ، وشكري العسلي ومحمد شفيق باشا المؤيد نائبي دمشق »[3] .

[وكان موقف الشيعة من العراقيين حول شكل رئاسة الدولة العربية أو العراقية فيما يخص صلته بالاسلام لا يختلف من حيث الجوهر عن موقف السنة حول هذه القضية . فالشيعة الامامية لا يعترفون بالسلطة

---

(١) فيضي ، سليمان ، ن.م ، ص ١٣٦ .

(٢) في غمرة النضال ، ص ١٢١ .

(٣) في غمرة النضال ، ص ٨٧-٨٨ .

الروحية للخليفة العثماني ويعدونه غاصبا[1] للحكم ، ومن ثم لايرون حرجا دينيا في ابعاده عن رئاسة الدولة الاسلامية ، ومع هذا فانهم اشترطوا في الرئيس الجديد أن يكون ذا صبغة اسلامية • وقد ظهرت هذه الرغبة في المضابط التي وقعها علماء الدين ورؤساء العشائر وغيرهم والتي حملها الشيخ محمد رضا الشبيبي في سنة ١٣٣٨هـ الى الملك حسين في الحجاز ، وجاء في هذه المضابط « أن تكون للعراق حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربي مسلم » • وقال السيد محمد باقر الحلي قصيدة بهذه المناسبة جا فيها :

فليحيى (عبدالله) وهو لشعبنا ... ملك ووالده الشريف امام
وعلى الرجال العاملين تحية ... وعلى حماة المسلمين سلام[2]

وربما اتضح للقارىء مما قدمناه عن مظاهر حركة التحرر العراقية ، وعن اتجاهات معظم القائمين بها ، والاطار الذي كانوا يعملون في حدوده ، أن لا سبيل للمثقفين ، ان أرادوا الخلاص من ربقة الحكم العثماني ، وخاصة بعد أن تبنت حكومة الاتحاديين حركة التتريك ، الا الاستعانة برجال الدين لتحقيق هذا الغرض • وقد رأى المشتغلون بالحركة الوطنية من المثقفين أن كسب رجال الدين الى جانب الحركة التحررية يحقق لها هدفين : أولهما ـ تزييف ادعاء الاتراك ، في نظر الجماهير على الاقل ،

---

(١) ينظر الشيعة الامامية ، وهم الغالبية العظمى في ايران والعراق، للخلفاء الامويين والعباسيين بأنهم غاصبون للحكم من أئمتهم الاثني عشر ولكن الغالبية العظمى من مجتهديهم يوجبون الجهاد تحت راية هؤلاء المغتصبين اذا كان ذلك الجهاد لغرض حماية الثغور الاسلامية • وعلى هذا أصدر معظم مجتهدي الشيعة في العراق فتاواهم بوجوب قتال الانكليز تحت راية العثمانيين في معركة الشعيبة خلال الحرب العالمية الاولى •

(٢) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، صيدا ، ١٣٥٣هـ ، ص ٢٥٩ ، ٦٠ •

في أن خلفاء آل عثمان حماة الدين وانهم يعملون لمصلحة الاسلام ؛ وثانيهما ــ الاستفادة من نفوذهم في كسب تأييد الجماهير ورؤساء القبائل في الوسط والجنوب للحركة الوطنية ليكتب لها النجاح كليا أو جزئيا . وقد أحرز المثقفون في هذا المضمار نجاحا كبيرا وخاصة في بغداد وفي أوساط العتبات المقدسة في العراق . وقد شجع المثقفين في تنفيذ خطتهم هذه وجود المجتهدين(١) من علماء الامامية في هذه الاماكن واستجابة

(١) كان لهؤلاء المجتهدين ورجال الدين الاخرين نفوذ كبير على الشيعة في جميع الاقطار الاسلامية وخاصة في العراق وايران . وكان باستطاعة هؤلاء المجتهدين أن يتدخلوا في كل حقل من حقول الحياة العامة التي لها مساس بالدين ، بما فيها القضايا السياسية . وكان باستطاعة كل فرد من الشيعة أن يعرض أية مشكلة تدخل الاعتبارات الدينية في حلها ، على المجتهد ويطلب منه أن يصدر فيها أحكاما تنطبق مع أحكام المذهب الجعفري . وقد يكون هذا الحكم متعلقا بتكفير ملك أو وزير ظالم أو تكفير من يأتمر بأمره أو يحارب من أجل تنفيذ أحكامه الجائرة .

وقد كان لبعض هؤلاء المجتهدين مواقف محمودة استنكروا فيها تدخل الاجانب في شؤون البلاد . ومن أمثلة ذلك ما ذكره الاستاذ علي آل بازركان على الص ٤ من كتابه الموسوم ب « الوقائع الحقيقية ... » أن آية الله المرزا حسن الشيرازي قد أصيب حوالي سنة ١٩٠٠ بحجر طائش في أحد أزقة سامراء ، وعندما علم القنصل الانكليزي ببغداد بالخبر توجه الى سامراء لمقابلة الامام الشيرازي فرفض الامام مقابلته ، وعندما أبلغه القنصل بأنه مستعد للاقتصاص ممن أساء للامام ولو أدى ذلك الى ارسال انذار للحكومة العثمانية رفض عرضه قائلا : انه لا يعتقد بوجود عداء بينه وبين أهل سامراء وان ما حدث كان نتيجة الصدفة ، ولا يرى « حاجة لدس أنف بريطانيا في هذا الامر الذي لا يعنيها لانه والحكومة العثمانية على دين واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد ... » . وقد قدرت الحكومة العثمانية موقف الامام الشيرازي وطلبت من الشيخ سعيد النقشبندي أن يشكره على فعله هذا .

وكان للمرزا حسن الشيرازي دور محمود في عرقلة مساعي الانكليز للتدخل في بعض شؤون ايران . وقد أورد براون Browne على الص ٣٧١ــ٧٢ من الجزء الرابع من كتابه الموسوم ب «تاريخ فارس الادبي» =

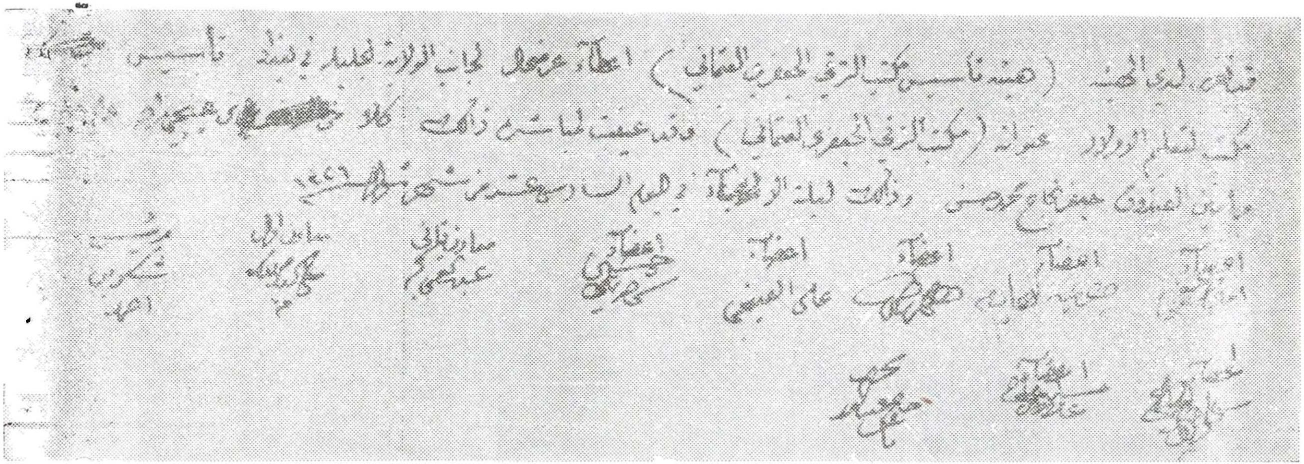
معظمهم الى تحقيق هذا الهدف .

ومن الجدير بالذكر ان معظم مجتهدي ذلك العصر قد أسهموا في ايجاد الحلول لمشكلات العصر الرئيسة ، فوقفوا بجانب الشعب الايراني في كفاحه ضد الاستعمار الانكليزي والروسى[1] ، وأيدوا فكرة الاهتمام بالثقافة الحديثة بما فيها دراسة اللغات الاجنبية الحديثة في العراق ، كما أيدوا حركة الدستور في ايران والعراق ، وكان لجهودهم آثارها المشكورة في كفاح العراقيين مع الانكليز ابان ثورة العشرين كما سنرى في الفصول القادمة .

[أما تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة فقد ظهر في منطقتين من

= المطبوع بلندن ، ١٩٠٩ : ان ناصر الدين شاه وبطانته كان قد انصاع الى ضغط الدبلوماسيين البريطانيين فمنح امتياز التبغ في ايران الى شركة بريطانية سنة ١٨٩٠-٩١ . ورغم محاولة حكومة ايران أن تنفذ هذه الاتفاقية ، فانها لم توفق وذلك لمعارضة رجال الدين بزعامة المجتهدين مرزا حسن الشيرازي والحاج مرزا حسين الاشتياني . وكان لسعي السيد جمال الدين الافغاني أثره البالغ في اقناع هذين المجتهدين ليقفا بجانب الشعب الايراني في محنته . ويعتقد براون أن قضية فشل امتياز التبغ لعبت دورا فعالا في الحركة الدستورية في ايران والتي تمخضت عن نجاح الايرانيين في الحصول على الدستور في ٥ اب سنة ١٩٠٦ .

(١) لقد أورد براون في كتابه سالف الذكر ، ص ٣٧٢ ، اشارات عن دور المجتهد ملا محمد كاظم الخراساني وجماعته في كفاح ايران من أجل الحرية والاستقلال . وقد تأثر الشيخ محمد كاظم من سلوك روسيا العدائي تجاه ايران ولذا أعلن الجهاد عليها في ١١ كانون الثاني سنة ١٩١١ . وبينما كان ينوي السفر من العراق الى ايران ليتزعم حركة الجهاد ضد الروس توفي فجأة في اليوم التالي ، وقد قيل أنه توفي مسموما . وقد نشرت جريدة « النجف » الصادرة بالفارسية بعددها الحادي والثلاثين مقالا بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٩هـ أبنت فيه الشيخ الخراساني ، ذكرت فيه عن نشاطه العلمي فقالت انه يدرس في الليل والنهار ، ويوقع على أكثر من مائة رقعة استفتاء يوميا ويرسل (٣٠٠) رسالة الى أنحاء العالم . وان أركان الديمقراطية قد هدت بوفاته .



قرار هيئـــة تأسيس مكتب الترقي الجعفري العثماني بخصـوص تقديم طلب اجازة لفتح المكتب المذكور .

مناطق العراق المهمة وهما بغداد والنجف الاشرف •

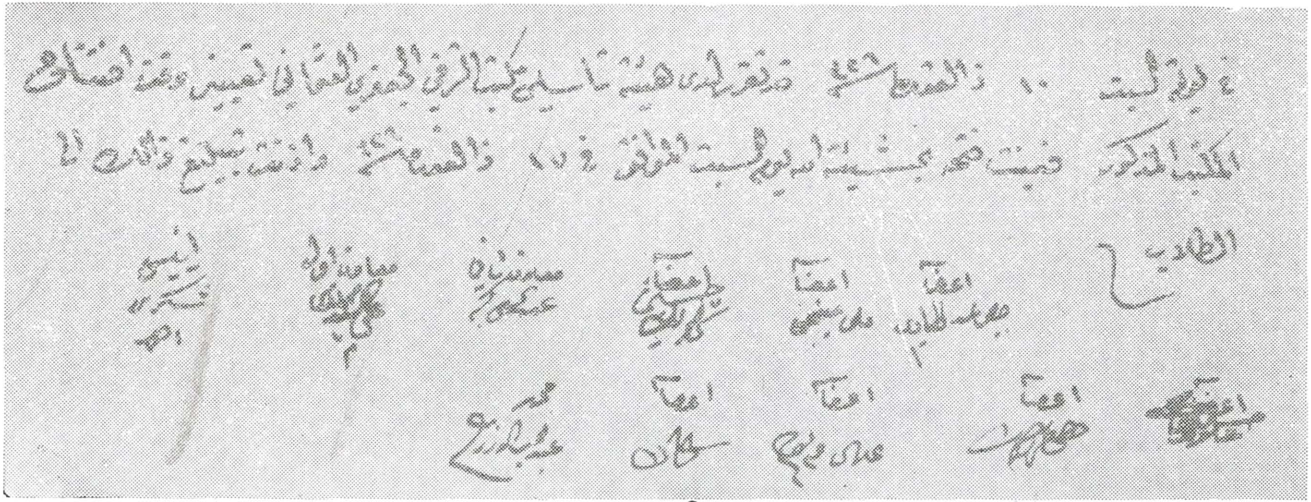
أما في بغداد فقد أثمرت هذه الحركة في فتح « مكتب الترقي الجعفري العثماني » والذي يعرف بالمدرسة الجعفرية اليوم • وكانت الحاجة الشديدة الى توفير مختصين باللغات الاجنبية والمحاسبات التجارية من أهم بواعث فتح هذه المدرسة • وكانت هذه الوظائف مقتصرة في الغالب على اليهود الذين حازوا قصب السبق حينذاك في اتقان علم المحاسبات الحديثة واللغة الفرنسية لانهم كانوا يدرسون هذه العلوم في مدرسة الاليانس الاهلية التي أسستها الطائفة اليهودية ببغداد • وقد فكر جماعة من المثقفين أمثال جعفر الحاج محمد حسن أبو التمن ورؤف القطان ومهدي الخياط بحل هذه المشكلة • وقد عمل جعفر أبو التمن على اقناع الحاج سلمان الحاج داود أبو التمن(١) باعتباره من وجوه عائلة آل ابي التمن على تبني هذه الفكرة • وقد تمخضت جهود العاملين على فتح المدرسة الجعفرية عن تأسيس هيئة لتنفيذ هذا المشروع باسم « هيئة تأسيس مكتب الترقي الجعفري العثماني » • وقد رأى الحاج سلمان وصحبه الاستعانة برجال الدين ليكسبوا عطف الجمهور على مشروعهم • وكان لهم ما أرادوا حين تبنى العلامة الشيخ شكر في بغداد هذه الفكرة وقبل أن يكون بين العاملين على انجازها • وبعد أن تبلورت الفكرة لدى هذه

(١) كان الحاج داود من الاسر المعروفة ببغداد • وذكر الاستاذ علي آل بازركان على الص ٥٠ـ٥١ من كتابه سالف الذكر أنه لم ينسى « مجلسه [الحاج داود] في مسجده وقد وضع أكوام المجيديات (عملة عثمانية تساوي ربع دينار عراقي تقريبا) أمامه والمجاهدون حوله وهو يسألهم عن عدد من يعيلونهم ليدفع لهم نفقات كسائهم ومعيشتهم ••• ثم انه تزعم ما يزيد على الاربعمائة مجاهد وسافر بهم للعمارة لقتال الانكليز ••• » • وقد مات الحاج داود في الاسر بمدينة البصرة • وجاء في « صدى بابل » العدد ١٠ ، ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ، أن لعائلة الحاج داود أيادي بيضا في تأسيس المدرسة الجعفرية بما قدمته من مال وجهد لنجاح المشروع •

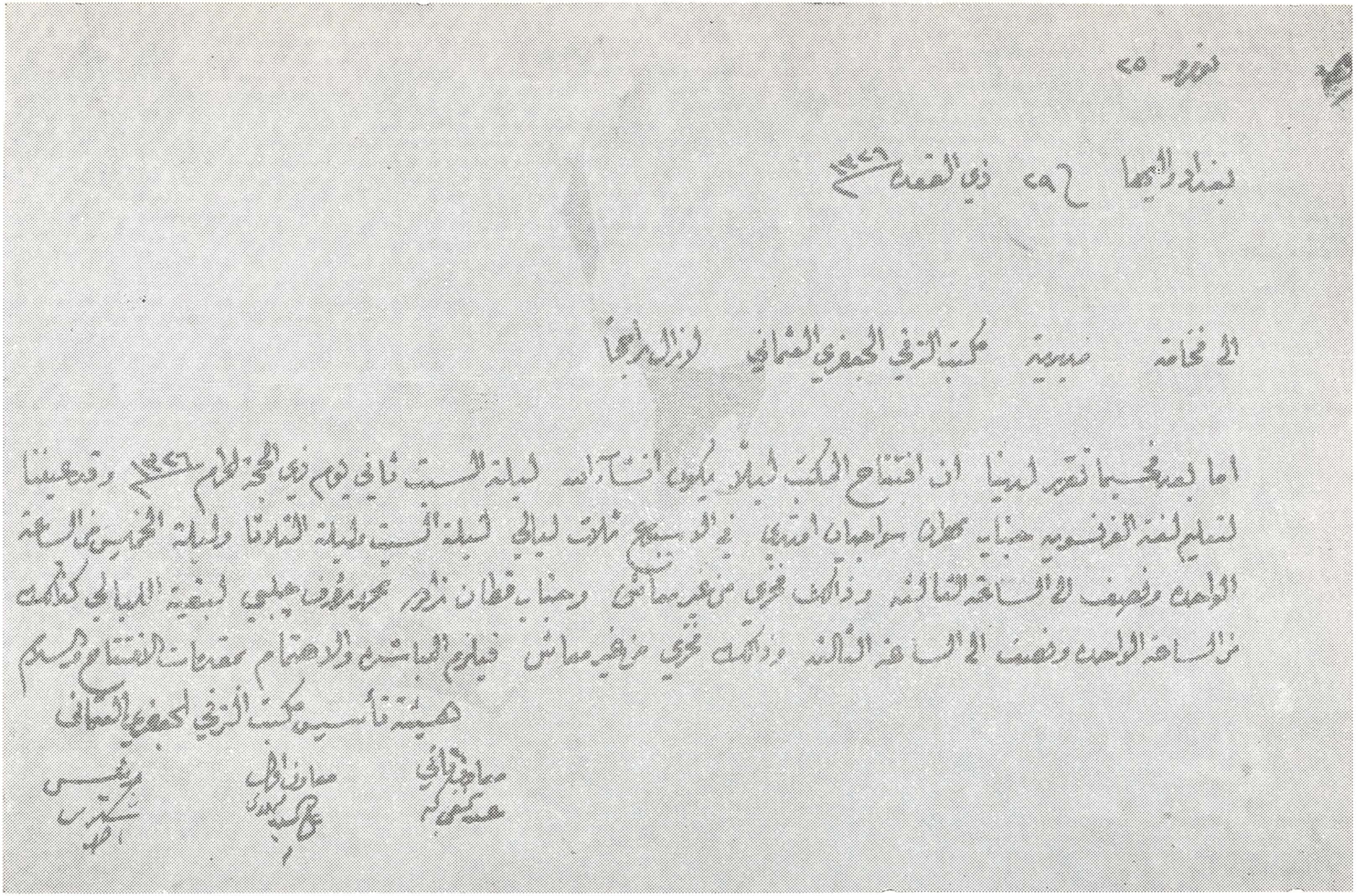
الجماعة عملوا على كسب تأييد عالم متجدد من علماء الشيعة وهو المجتهد العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي • وما كادوا يعرضون الامر على العلامة الحبوبي حتى وجدوا منه تأييدا قويا لفكرتهم • وقال أن ايجاد معهد يهيء للمسلمين تعلم اللغات الاجنبية ويكون منهم كتبة ومحامين يعد من الامور الحيوية لهم • وكان لنفوذ الحبوبي الروحي أثر كبير في اقناع المعارضين لفكرة التجدد من أبناء الجعفرية • وقد قررت الهيئة التأسيسية لمدرسة الجعفرية تقديم عريضة لوالي بغداد بتاريخ السادس من شهر شوال سنة ١٣٢٦هـ يطلبون منه الاذن بفتح المدرسة • واليك صورة قرار الهيئة • وعينت كلا من علي جلبي العينهجي وجعفر محمد حسن أبو التمن(١)

(١) روى محرر جريدة « المستقبل » العدد ٦٠٥ ، السنة (٣) ، ٢٢ جمادي الاخر ١٣٨٢ ، ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢ أن الاستاذ كاظم شكارة المشرف العام على ادارة المدارس الجعفرية في هذه المدارس منذ عام ١٩٢٢ ، أخبره أن جعفر أبا التمن استهل « نشاطه الاجتماعي وكفاحه الوطني منذ الايام الاولى لشبابه وكانت مساهمته الفعالة في تأسيس - مدرسة الترقي الجعفري العثماني - عام ١٩٠٨ هذه المدرسة التي سميت بعد ذلك بالمدرسة الجعفرية قد لعبت دورا بارزا في تنوير الاذهان وتوجيه النشىء وبعث الهمم ونشر الوعي بالاضافة الى انها كانت منتدى وطنيا سريا تتجمع حوله العناصر الوطنية المجاهدة ، وحمل أبو التمن العبء الكبير في بناء المدرسة وادارتها وتنظيمها ، وكان مع جماعة مؤسسى الجعفرية الشيخ شكر والحاج سلمان أبو التمن وحاج حسين الشهربنلي وعلي العينهجي وعلي السيد مهدي البغدادي والحاج عبدالغني كبه والحاج جعفر الملائكة ، لا يظن عليها بمال ولا يبخل بجهد أو وقت ، ومنذ تأسيسها حتى عام ١٩٢٠ كان أبو التمن أمينا لصندوق المدرسة الجعفرية ولكن عمله كأحد قادة ثورة العشرين الوطنية الكبرى ومطاردة السلطات البريطانية له حالا دون أن يبقى أمينا للصندوق بعد ذلك ولكنه بقي عضوا فعالا في الهيئة الادارية حتى عام ١٩٢٧ • واقرارا للحقيقة أقول ان المدارس الجعفرية مدينة في وجودها لابي التمن » •

وكتب لي السيد علي نقي الحيدري انه استخرج من كتابه الموسوم بـ « الدوحة الحيدرية » الذي هو في دور الاعداد : ان العلامة السيد أحمد الحيدري التحق بكربلاء هو وآخرون ليعملا من أجل الثورة العراقية في =



قرار هيئة تأسيس المكتب الجعفري الذي يتضمن تاريخ افتتــاح المكتب .


نمرو ٥٥

بغداد في ٢٩ ذي القعدة ١٣٢٦

الى فخامة مدير مكتب الترقي الجعفري العثماني لازال موفقا

اما بعد فحيث تقرر لدينا ان افتتاح المكتب ليلا يكون ان شاء الله ليلة السبت ثاني يوم ذي الحجة الحرام ١٣٢٦ وقد عينا لتعليم اللغة الفرنسوية جناب محمد سراجي افندي في الاسبوع ثلاث ليالي ليلة السبت وليلة الثلاثا وليلة الخميس من الساعة الواحدة ونصف الى الساعة الثالثة وذلك مجرى من غير معاش وجناب قطان زاده محمود رؤوف چلبي لتعليم مسك الدفاتر كذلك من الساعة الواحدة ونصف الى الساعة الثالثة وذلك مجرى من غير معاش فيلزم المباشرة والاهتمام بمقدمات الافتتاح والسلام

هيئة تأسيس مكتب الترقي الجعفري العثماني

معاون ثاني　　معاون اول　　رئيس

قرار هيئة التأسيس حول تدريس اللغات الاجنبية ومسك الدفاتر ليلا .

لتنفيذ هذا القرار كما يظهر من الوثيقة سالفة الذكر • وعندما قدم طلب رسمي لوالي بغداد بهذا الخصوص امتنع في أول الامر ولكنه بعد لأي وافق على فتح المدرسة وخاصة بعد أن علم انه « لا يوجد أي جعفري في المدارس الحكومية » ويذكر الاستاذ علي آل بازركان انه عمل على اقناع الوالي بوسائل مختلفة[١] • وقد عين علي آل بازركان معلما للغة التركية في المدرسة بعد فتحها وكان يدرس دون مقابل وعندما عينت له ادارة المدرسة راتبا رفض ذلك كما يظهر من وثيقة عثرت عليها بين الوثائق التي تحتفظ بها ادارة المدرسة • وقد فتحت المدرسة الجعفرية بتاريخ **١٧** ذي القعدة سنة **١٣٢٦** كما يظهر من الوثيقة المنشورة هنا • ويقدر القارىء أهمية فتح المدرسة الجعفرية اذا علم أن الفرقة الجعفرية ، وهي تؤلف الاكثرية في العراق ، كان « يحظر عليها في الدور السابق الاستبدادي القيام بأمر المكاتب العمومية الجعفرية فكانت تقتصر على المدارس البسيطة[٢] في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية حيث كان يدرس علم الفقه وبعض العلوم الدينية واللغة العربية لا غير ••• »[٣] • وكانت المدرسة الجعفرية تعنى فيما تعنى به ، اللغة الفرنسية والرياضيات والعلوم المدنية[٤] • يضاف الى ذلك أن هذه المدرسة كانت « أول مدرسة أخذت تعلم الاميين القراءة

= سنة ١٩٢٠ تحت قيادة الامام الشيرازي • وكان جعفر أبو التمن من بين العاملين بهذا الحقل « وربما كان [السيد أحمد] يخرج هو والمرحوم المجاهد الحاج محمد جعفر أبو التمن وغيره الى ساحة القتال لبعض شؤون القبائل وزعمائهم واصلاح ذات بينهم ••• » •

(١) ن • م ، ص ٤٨ •

(٢) كان الافضل أن يقول الكاتب القديمة لان المدارس البسيطة لا تعلم الفقه •

(٣) « صدى بابل » العدد ١٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ ـ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٠٩ •

(٤) « صدى بابل » العدد ٩ ، ٢٣ رمضان ١٣٢٧ ـ ٨ تشرين الاول سنة ١٩٠٩ •

والكتابة والحساب ومسك الدفاتر ليلا »[١] • كما ان طلابها كانوا يرتدون اللباس الحديث في المناسبات الرسمية كما يظهر من الوثائق المنشورة هنا •

ويظهر ان الاقبال على هذه المدرسة كان كبيرا « فبلغ عدد الطلبة فيه [المكتب] ما ينيف على الثلثمائة طالب ولولا ان ضـاق المـكان وغصت الساحة بالطلبة لما اعتذر المكتب عن قبول كثيرين غيرهم »[٢] •

وقد ظهرت ثمار تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة لا في بغـداد حسب ، بل في النجف الاشرف أيضا•وعندما شعر جماعة من أهالى النجف ممن يحملون الجنسية الايرانية في الغالب ، بضرورة تأسيس مدارس تعنى بالعلوم الحديثة واللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، ظفروا بتأييد وتشجيع الغالبية العظمى من رجال الدين المعاصرين أمثال الحاج ميرزا حسين (الخليلي) وآية الله الملا كاظم الاخوند الذي عرف بأبي الاحـرار[٣] والشيخ فتح الله المعروف بـ « شيخ الشريعة » والشيخ عبدالله المازندراني وغيرهم • وقد تأسست لهذا الغرض هيئة علمية ضمت بالاضافة الى مـن اشترك فيها من العلماء عددا من التجار أمثال الحاج عبدالكريم البوشهري وغـيره •

وقد أسفرت هذه الحركة عن تأسيس مدرستين احداهما تسـمى المدرسة « العلوية » التي فتحت أبوابها للطلاب سنة ١٣٢٦هـ • والثانيـة تسمى المدرسة « الرضوية »[٤] وهي شبيهة بالمدرسة « العلوية » من حيث

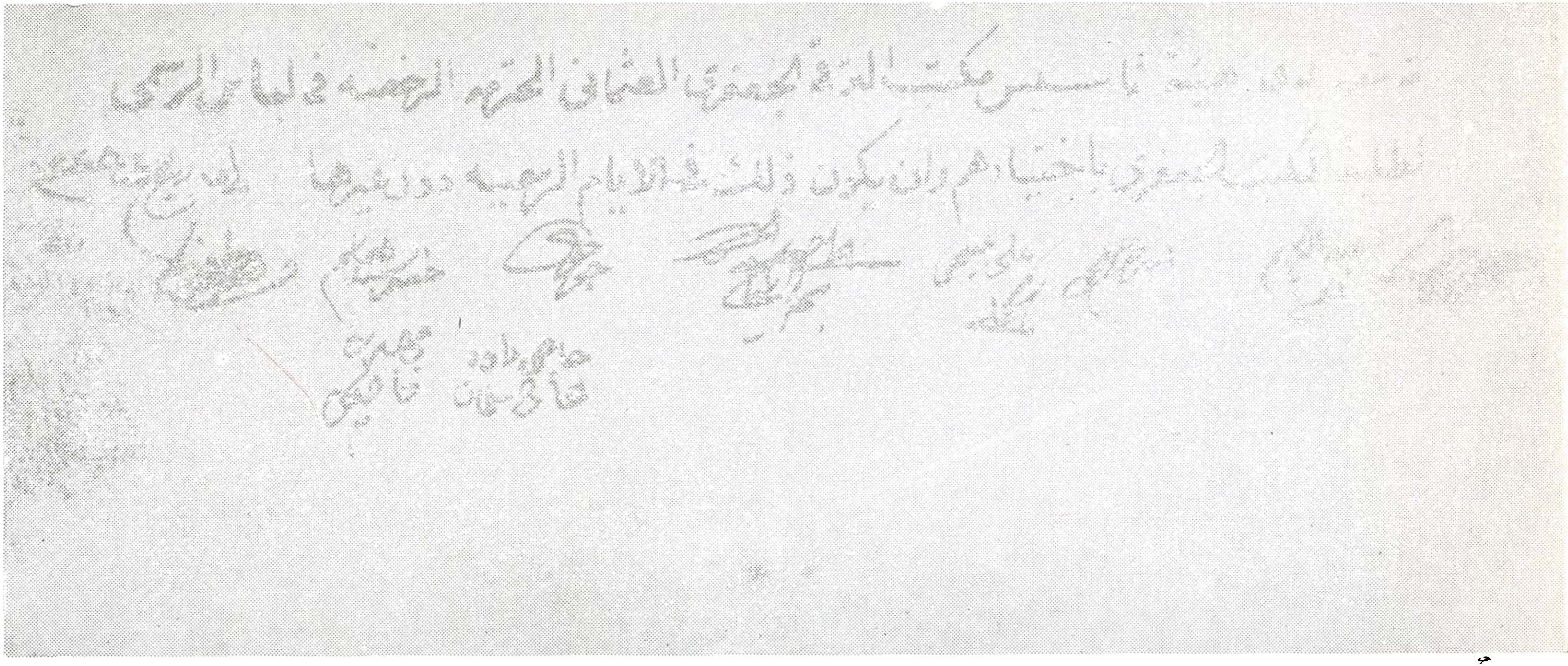
---

(١) آل بازركان ، علي ، ن•م ، ص ٥٠ •

(٢) « صدى بابل » العدد ١٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ ـ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٠٩م •

(٣) الخاقاني ، علي ، شـعراء الغري ، ج٧ ، النجف ، ١٩٥٥ ، ص ٣ •

(٤) لقد استقيت كثيرا من المعلومات عن هاتين المدرستين مـن الاستاذ جعفر الخليلي•وقد أخبرني ان اسم هذه المدرسة «المرتضوية» =



قرار هيئة التأسيس حول اتخاذ اللباس الرسمي •

الهدف والمنهج[1] • وكانت المدرسة « العلوية » فضلا عن مهمتها الثقافية ، بمثابة ناد ثقافي وسياسي ، اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الايرانية مقرا لاعمالهم • وقد زودت المدرسة « المرتضوية » خاصة بقاعة للمطالعة فيها أنواع الجرائد والمجلات • وكان درس الرياضيات واللغتين الفرنسية والانكليزية من بين الدروس التي تعنى بها المدرسة « العلوية » أما الرياضة فكانت أشبه بالتعليم العسكري وكان لها لباس عسكري خاص له أوسمته واشاراته وعلاماته • وكان للدين درس خاص سمي ب « الشرعيات » خصص له درس أو درسان في الاسبوع • وكان طلبة المدرسة « العلوية » في المواسم والمناسبات يرتدون اللباس الاوربي الحديث ، شأنهم في ذلك شأن طلاب المدرسة « الجعفرية » ببغداد الذين كانوا يرتدون اللباس الاوربي أثناء الدراسة •

وتنحصر أهمية هاتين المدرستين لا في أنهما كانتا من الوسائل التي ساعدت على نشر الثقافة الحديثة في محيط محافظ كمحيط النجف الاشرف حسب ، بل ان تأييد معظم العلماء لفكرة تأسيسهما ومنهجهما أكسب حركة التجدد قوة وقبولا في الاوساط المحافظة وخاصة بين الجماهير الجاهلة • يضاف الى ذلك أن عددا من خريجيها[2] أسهموا في الحركة الثقافية في العراق أمثال الاديب جعفر الخليلي والسيد ضياء الدين بحر

= لا «الرضوية» كما وردت في كتاب الشيخ جعفر محبوبة الذي سيرد ذكره بعد قليل •

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضره ، ج١ ، صيدا ، ١٣٥٦ ، ص ٩٩ •

(٢) كان من خريجي المدرسة « العلوية » الشيخ هادي والشيخ مهدي الجزائريان ، وهما من عائلة الشيخ عبدالكريم الجزائري أحد أبطال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وممن درس فيها السيد علي حسام الدين الذي تقلد عددا من الوظائف في الدولة العراقية • ومن خريجيها الشيخ عبدالرزاق الشيخ راضي ، ومن طلابها الشاعر السيد محمود الحبوبي •

العلوم رئيس محكمة التمييز الشرعية الجعفرية ببغداد .

وقد بلغ تأييد العلماء لهاتين المدرستين درجة كبيرة ، وقد أجاز المجتهد الاكبر الملا كاظم الاخوند صرف الحقوق الشرعية على أمثال هذه المدارس .

ويقدر القارىء أهمية فتح المدرسة « الجعفرية » ببغداد والمدرسة « العلوية » و « المرتضوية » في النجف ، وعناية هذه المدارس بالعلوم الحديثة واللغات الاجنبية الحية ، اذا علم ان العامة من الشيعة في ذلك العصر يعدون العناية بأمثال هذه الامور كفرا محضا[1] . وبالرغم مما في هذا القول من مبالغة فانه لا يخلو من الحقيقة .

ويظهر أن تأييد العلماء لانشاء المدارس الحديثة لم يقتصر على ما ذكرنا من الامثلة ، بل انهم كانوا يحثون مقلديهم اينما وجدوا على الارتشاف من منابع الثقافة الحديثة .

وقد أوردت جريدة « الرقيب » نبذة بهذا المعنى تحت عنوان « جواب الاستفتاء من الجعفريين » ، قد تقوم دليلا على ما ذهبنا اليه . وجاء في هذه النبذة : « جواز دخول أولاد الجعفرية الى المكاتب لتعلم العلوم والمعارف والكمالات واللغات المختلفة التي تمس الحاجة الى تعلمها وتقضي الضرورة بعدم جهلها مع التحفظ على القواعد الاسلامية وعقايدهم مما لا ينكر ولا قائل بعدمه ، ولذا ان أساطين العلماء الاعلام المجتهدين في النجف وكربلاء دفعا للشبهة الواقعة في أذهان الجهلة قد كتبوا لعموم الجعفرية يحثونهم ويشوقونهم الى تأسيس وتشييد مكاتب كهذه حاوية للشروط المتقدمة وذكروا أن ذلك من أفضل الاعمال الخيرية »[2] . وكانت هذه النبذة موقعة بتوقيع « جعفر الحاج محمد حسن » .

---

(١) آل بازركان ، علي ، ن.م ، ص ٤٧ .

(٢) العدد (١١) ١٤ ربيع الاول ، ١٣٢٧هـ ، ٥ نيسان ، ١٩٠٩م .

ومن المؤسف انني لم أعثر على أصل الاستفتاء الذي قدم للعلماء ، كما اني لم أعثر على نص أجوبتهم ولكن ذلك لا يضعف هذا الدليل عندي ، لان تأييد العلماء لفتح المدارس الحديثة كالمدرسة « الجعفرية » ببغداد ، والمدرستين « العلوية » و « المرتضوية » في النجف يعد سابقة يمكن القياس عليها ، كما ان علانية هذا الجواب ونشره بالجرائد العامة يجعل احتمال كذبه بعيدا •

وعند المقارنة بين موقف العلماء في مصر في بداية القرن العشرين من اقتباس الثقافة الحديثة وتعلم اللغات الاجنبية وبين موقف العلماء في العراق ، وخاصة في العتبات المقدسة ، من الموضوع نفسه ، نرى أن الشيخ محمد عبده وجماعته كانوا يعملون على ادخال العلوم واللغات الحديثة في صلب منهاج جامعة الازهر ، وكانوا يقولون بضرورة تطوير أساليب الدراسة القديمة في الجامعة المذكورة لتساير التطورات العلمية والتربوية الحديثة على ألا يمس ذلك بجوهر الدراسات القديمة • وقد اتخذت هذه الحركة في العراق في بداية القرن العشرين اتجاها مغايرا وذلك أن معظم العلماء في هذا الدور أيدوا الاهتمام بالثقافة الحديثة وباركوا حركة دراسة اللغات الاجنبية ولكنهم لم يدخلوا هذا التغيير في صلب المدرسة القديمة وأبقوها على حالها كما كانت لقرون خلت • ولم يتقدم أحد منهم ، فيما نعلم ، بمنهاج عملي يستهدف اصلاح طرق التدريس القديمة أو يجري تغييرات أساسية في مناهج التدريس القديمة كما فعل الشيخ محمد عبده وتلامذته في جامعة الازهر •

وكان من نتيجة ذلك ان قامت المدرسة الحديثة بجوار المدرسة القديمة دون أن يكون بين الاثنين صلة وثقى • وفي الوقت الذي نجحت فكرة التجديد في مصر وأخذ الازهر يقبل فكرة ادخال الشيء النافع من العلوم الحديثة دون أن يفقد كيانه القديم ، انكمشت فكرة التجديد في

الأوساط الدينية عندنا وأخذت تزول بزوال مؤيديها من العلماء • ومع هذا فقد بدأت مؤخرا فكرة تنظيم الدراسات الدينية في النجف الاشرف على يد جماعة « منتدى النشر » فأسست هذه الجماعة « كلية الفقه » قبل سنوات قليلة • ولكن قلة موارد هذه الجمعية وقلة المؤآزرة التي تلقاها من ممثلي المدرسة القديمة جعلت نتائج أعمالها محدودة • ومن العسير على المرأ أن يتنبأ لها ، اذا لم تتغير الظروف المحيطة بها ، بمستقبل يضاهي جامعة الازهر أو يقترب منها على الاقل •

ويحدثنا المستر « ونكيت » R. Wingate عن الحالة في النجف الاشرف قبيل الحرب العالمية الاولى ، فيقول : « كانت النجف ، باعتبارها أكثر مراكز الشيعة قدسية ومركز مجتهديهم ، تتمتع بتأثير قوي في الاوساط الشيعية وخاصة في القضايا التي لها علاقة بشؤون ايران الى حد قيل معه أن المجتهد يستطيع تحريم شاه ايران[1] • وقد اتيحت للنجف فرصة ممتازة لاظهار نفوذها عندما اندفعت موجة عارمة Unfortunate لحركة ديمقراطية تبنتها طبقة المثقفين وعمت الشرق لعشر سنوات خلت ،

(١) ان التحريم ، كما هو معلوم ، اجراء كان يتخذه الباباوات تجاه الخارجين على تعاليم الكنيسة وهو غير معروف بهذا المعنى عند المسلمين • والمجتهد ، كما أسلفنا ، قد يحكم بتكفير شخص مسلم ارتكب عملا يستوجب ذلك • وقد يحكم بالامتناع عن اتيان عمل من شأنه أن يسبب ضررا للمسلمين • وعندما أفتى العلماء في أوائل هذا القرن بتحريم التدخين على أثر منح الحكومة الايرانية امتيازا يخول شركة انكليزية احتكار التبغ في ايران ، حدث مرة ، كما حدثني من أثق بقوله ، ان الشاه أمر خادمه أن يحضر له جوزة التدخين (نارجيله) فامتنع الخادم عن القيام بهذا العمل قائلا له أن المجتهد قد حرم التدخين ولا يسعني لاعتبارات دينية أن أعين على عمل محرم • وموقف الخادم هذا تجاه الشاه يشبه موقف المسيحيين ممن تحرمه الكنيسة ومع هذا لا يصح أن نعتبر التحريم أمرا يقره الاسلام •

تلك الموجة التي أسفرت عن نجاح الحركة الدسنورية في ايران وتركيا . وقد قامت قيامة النجف في هـذه الفترة وأصبحت مركـزا للمناورات السياسية . وكان دعاة الدستور يعرفون جيدا ان فرصة نجاحهم ضئيلة ما لم ينالوا تأييد كبار المجتهدين . وقد استخدم هؤلاء كل وسيلة متيسرة لديهم ليصلوا الى غرضهم هـذا . وكان النجاح حليفهم لان الاخونـد الخراساني[١] قد انضم الى جانبهم . ومنـذ ذلك الوقت أصبحت النجف مرآة تنعكس عليها حركات الاحزاب السياسية المختلفة في ايران . وكان المعنيون بالحركة الدستورية خارج النجف Outs دائبين على نيـل تأييد كبار المجتهدين لحركتهم الامر الذي خلق مشكلات لمن فيها Ins ... وينجرف الجهلاء والخرافيون[٢] من السـكان مع دعاة الحركـة الدستورية وحينئذ يضطر المجتهد ، الذي تعتمد قوته على تأييد الناس له ، أن يؤيد قضية كهذه ذات تأثير بعيد النتائج »[٣] . ويستمر المستر ونكيت فيقول : « ان ما قلناه يعكس الجانب الديني في النجف ، فمن مجتهديهـا الى علمائها الى طلبتها يكونون ممعنين بالجهل وهم عرضة لتلاعب الساسة الانتهازيين في طهران وبغداد الذين يعملون على توريطهم في اعطاء حـكم يكون له ، باعتباره صادرا عن علماء المدينة المقدسة ، تأثير كبير على العقل العام أو الرأي العام Common Mind » .]

تأثير حركتي الدستور الايرانية والتركية في الحركة الوطنية :

ان البحث في الحركتين الدستوريتين الايرانية والتركية خارج عن موضوع هذا الفصل ، ويستطيع الباحث أن يجد تفصيلات وافية عنهما في

---

(١) يقصد المجتهد الاكبر ملا كاظم الاخوند .

(٢) ان مسؤلية هذا الكلام السمج تقع على الكاتب .

(٣) Reports, I, p. 67 — 8.

الكتب[١] التي خصصت لهذا الغرض • ولكن قد يكون من الضروري أن نشير هنا الى أن الحركة الدستورية ، بدورها الاول ، في تركيا قد سبقت مثيلتها في ايران اذ يرجع تاريخ أول دستور تركي الى سنة **١٨٧٦**• ومع هذا فأن تعليق هذا الدستور لمدة **(٣٠)** عاما ، رضخت خلالها الدولة العثمانية بما فيها العراق الى حكومة عبدالحميد الاستبدادية ، جعل تأثيره في البلاد التابعة لهذه الدولة بحكم العدم[٢] • أما حركة الدستور التركية، بدورها الثاني **(١٩٠٨-١٩٠٩)** ، فانها متأخرة عن حركة الدستور في ايران لان أول دستور منحه مظفر الدين شاه للشعب الايراني كان في **٥** آب سنة **١٩٠٦**[٣] • ولهذا رأيت أن أبحث تأثير حركة الدستور الايرانية في حركتنا الوطنية أولا •

لقد ساهم الايرانيون ، بما فيهم بعض العلماء ، الساكنون في العتبات المقدسة العراقية ، بحركة بلادهم الدستورية • فكان لوجودهم بين ظهرانينا أثر مهم في تنبيه العراقيين ، وخاصة سكان الاماكن المقدسة منهم ، لاضرار الاستبداد ولاهمية الحكم الدستوري في حياة السكان • ومع هذا فان تأثير عامة الايرانيين محدود • ولكن تأييد العلماء ، ذوي الكلمة العليا في حياة معظم العراقيين والايرانيين في ذلك العهد ، للحركة الدستورية ، أكسبها

---

(١) لقد وردت أسماء عدد من الكتب التي تبحث في حركة الدستور التركية في كتاب :

Birge, J. K., Aguide to Turkish Area Study, Washington, 1949, p. 93.

أما حركة الدستور الايرانية فقد بحثت بالتفصيل في :

ملكزاده ، مهدي ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، ٦ مجلدات ، طهران ، ١٣٣٠ •

(٢) أنظر : **Birge, Op. cit, p. 93.**

(٣) **Browne, E. G., The Press and Poetry of Modern persia, Cambridge, 1914, p. 310.**

قوة وقبولا لا في الاوساط الايرانية حسب ، بل في الاوساط العراقية أيضا . وكان النجف الاشرف مركز هذه الحركة .

لقد جابهت العلماء ، وخاصة في العتبات المقدسة في العراق ، خلال العقد الاول من القرن العشرين ، مشكلة معقدة وهي : هل ينسجم الحكم المطلق مع قواعد الشريعة الاسلامية أم لا ؟ وهل الدساتير والمجالس النيابية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين ؟

وليس غريبا أن تطرح مشكلة كهذه أمام هؤلاء العلماء وفي هذا الوقت بالذات . لان هذه المشكلة كانت مشكلة العصر أولا ، ولان هؤلاء العلماء حينئذ ، كما أسلفنا ، يحتلون الصدارة في حل مشكلات الناس بما فيها المشكلات السياسية ثانيا . ولذا فان هذه المشكلة لم تكن قضية عابرة أثارتها المصادفات ، كما انها لم تكن حركة منفصلة عن سير الحركات العامة خلال ذلك العصر في ايران وفي البلدان التابعة للامبراطورية العثمانية بما فيها العراق . وكان الجانب السياسي من هذه الحركات يتلخص في القضاء على الحكم الاستبدادي والاستعاضة عنه بحكم دستوري نيابي يكون الحكم فيه للامة لا للملوك والسلاطين .

وكان تطلع شعوب هذه المنطقة للحكم الديمقراطي ناتجا عن ازدياد اتصالها في أوربا التي قطعت ، حينذاك شوطا بعيدا في اقامة حكومات ديمقراطية ، وعن انتشار الثقافة الحديثة في تلك الربوع نتيجة لتيسر المطبوعات وتقدم الصحافة وغير ذلك من وسائل المدنية الحديثة .

وكانت هذه القضية مثار جدل ونقاش حاد بين العلماء « واستغرق البحث فيها ... مدة ... وكان النقاش في هذه الموضوعات بين المجتهدين الاعلام في غاية العمق الفلسفي والاجتماعي مراعين مطابقة ذلك للكتاب والسنة واصول الفقه . كما كان البحث والجدل بين العلماء والادباء

والطلبة والشعب[١] في النجف نهاية في العنف والقسوة ، وتمخض الجدل فولد الانقسام الى طبقتين : أحرار ومستبدين ولكن الاكثرية من المجتهدين أفتوا بالحرية وبوجوب الاخذ بنظرية الملكيـــة المشـــروطة بالدســتور والديمقراطية » [٢] .

وقد ثار الجدل المشار اليه بين العلماء على أثر استفتاء[٣] تقدم به جماعة من دعاة الدستور الايرانيين واليك نصه : « الى حضرات المجتهدين حفظة الحكمة الالهية : لا بد وانكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي[٤] وأنتـم تعرفون جيدا ان هذا المجلس الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقة الاثني عشرية المقدسة لمحو الظالمين والخائنين ونشر العدل عـــلى جميع البلاد واعلاء شأن الراية الأيرانية ، يؤسفنا أن عددا من الانانيـين المفسدين الذين أخذوا ينشرون الافتراءات والاكاذيب من أجل محو هذا المجلس . فنحن ننتظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن » .

جواب الاستفتاء : هذا ما قرره المجتهدون الاعلام : بسمه تعـــالى وبه نستعين ، بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على القوم الظالمين الى يوم القيامة : أما بعد فبالتأييدات الالهيـــة

---

(١) لا نقر الكاتب على اشراك شعب أكثريته جاهلة حينـذاك في مناقشات غاية في الخطورة كهذه .

(٢) كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣ .

(٣) نقلنا نصوص الاستفتاء وجوابه عن كتاب السيد محمد علـي كمال الدين ص ٢٣ ، ٢٤ السالف الذكر وهو نقلها بدوره عن كتـــاب (انقلاب مشروطيت ايران) الذي ترجمـــه الى الفارسية عن الروســية (م. هوشيار) وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ .

(٤) ذكر براون Browne على الص ٣١ من كتابه سالف الذكر المطبوع في كمبرج ١٩١٤ : ان مظفر الدين شاه منح الشـــعب الايراني الدستور في ٥ آب ١٩٠٦ وفتح اول مجلس للامة في ٧ تشرين الاول ١٩٠٦ .

والمراحم السماوية وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان (روحنا فداه) : ان قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها • وعليه نكرر قولنا : ان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف • فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس • أ هـ •

التوقيع كاظم الخراساني

وذكر الاستاذ كمال الدين أن المؤلف الذي نقل عن كتابه الاستفتاء وجوابه السالفي الذكر قد أشار الى أن توقيع هذا المجتهد (كاظم الخراساني) كان بتوكيل وقرار من المجتهدين ولم يشذ منهم غير واحد وهو السيد كاظم اليزدي • وقد أورد قائمة بأسماء من عرفه منهم وشاهده[1] وهم : (١) الشيخ كاظم الخراساني (٢) الشيخ محمد تقي الشيرازي (٣) الشيخ عبدالله المازندراني (٤) مرزا حسين الشيخ خليل (٥) شيخ الشريعة (٦) السيد مصطفى الكاشاني (٧) السيد علي الداماد (٨) الشيخ عبدالهادي شليلة البغدادي (٩) الشيخ حسين النائيني (١٠) الشيخ محمد حسين القمشىء (١١) السيد مصطفى النقشواني • ولقد وردت تراجم وافية لمعظم هؤلاء المجتهدين في مظانها[2] •

ويظهر أن العلماء قد أيدوا حركة الدستور لا في ايران حسب ، بل في البلاد العثمانية أيضا • فعندما أعلن الدستور العثماني سنة ٩٠٨ « أرسل أولئك المجتهدون ، بوكالة المجتهد الشيخ كاظم الخراساني ، برقية الى عبدالحميد في الاستانة يفتون فيها بوجوب تنفيذ الدستور »[3] •

---

(١) التطور الفكري في العراق ، ص ٢٤ •

(٢) محبوبة ، جعفر ، ماضى النجف وحاضره ، ج١ ، صيدا ، ١٣٥٣ ، ص ص ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠ •

(٣) كمال الدين ، محمد علي ، ن•م ، ص ٢٧ •

وقد استمر العلماء على مواكبة الحركة الدستورية وأظهروا تأييدهم لها في كثير من المناسبات . فعندما خلع الشاه محمد علي الذي كان معارضا للدستور وأقيم مقامه أحمد مرزا ، احتفل العلماء احتفالا عظيما بهذه المناسبة في الثاني من رجب سنة ١٣٢٧هـ ، واشترك في هذا الاحتفال العثمانيون والايرانيون[١] .

وقد تقوم هذه الحادثة دليلا على مدى تأثير حركة الدستور الايرانية في ايقاظ كثير من العراقيين ، لان تأييد العلماء لها جعل الناس يعتقدون بأن فكرة قيام حكومة دستورية حديثة لا تتعارض مع تعاليم الاسلام . يضاف الى ذلك ان اشتراك عدد من العراقيين بمناسبات كهذه يدل على ان حركة الدستور بدأت تربح مؤيدين من الاوساط الشعبية .

ويظهر أن تأثير حركة الدستور الايرانية لم يكن مقتصرا على أوساط العتبات المقدسة ، بل تعداها الى بغداد . فنجد جريدة « الرقيب » البغدادية مثلا تراقب حركة الاحرار في ايران وتنشر أخبار كفاحهم مع حكومتهم بلهجة تنم عن التأييد . ومن ذلك ما نشرته تحت عنوان « حوادث ايران » من أن الاحرار في ايران أبرقوا بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٠٩م الموافق ٢٧ صفر ١٣٢٧هـ « لحضرات حجج الاسلام الخراساني [محمد كاظم] والمازندراني [الشيخ عبدالله] في النجف الاشرف ... » يخبرونهم بانتصاراتهم على جيش الحكومة ، ويعلمونهم أن الغلبة كانت « للاحرار وقد قتلوا ... جملة من العساكر وأخذوا منهم عدة أسارى بعد اندحارهم ... وقد أعطت هذه البشارة روحا جديدا للاحرار الايرانيين »[٢] .

---

(١) محبوبة ، جعفر ، ن٠م ، ص ٩٣ .

(٢) السنة الاولى ، العدد (١٠) ١٠ ربيع الاول ـ ١٣٢٧ هـ ـ ١ نيسان ١٩٠٩ .

وفي مناسبة أخرى تقول جريدة « الرقيب » تحت عنوان « ما كربلاء؟ وما بغداد ؟ » •

« ان السيد أكبر شاه الايراني ـ المعين لحزب الاستبداد ـ الذي كان مبعدا من ايران وجاء للعتبات الشريفة وسكن كربلاء وبناء على خطبه ووعظه ضد المشروطية ، وان ذلك مخالف لمبادىء بلادنا الحرة المشروطة اخرج من كربلاء ••• ولكنه ••• جاء الى الكاظمية فلا ندري هل تحويله من كربلاء الى الكاظمية بدل طبعه وميله لجهة حزب شاه ايران الذي هو ضد المشروطية ؟ ••• ولا ندري هل ما لا يجوز التفوه به في كربلاء يجوز اعلانه في الكاظمية ؟ ••• ونوجه لذلك أنظار من يهمهم اشراب قلوب الاهالي عموما حب الحرية والمساواة وبغض الاستبداد والعداوات ••• يا عجبا هل يخطر على فكره وجود حدث في الاسلام أشد وأقوى ، وأضر ، وأهلك على الامة من تفريق الكلمة واعادتهم بعد ان وفقهم الله للخروج من ظلمات الجور والاستبداد الى نور العدالة والحرية والمساواة اليها ••• »[1] •]

أما تأثير الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ في حركة التحرر العراقية فكان عميقا ومباشرا • ومن الجدير بالذكر ان محمود شوكت باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية وبطل الدستور عام ١٩٠٨ ينتمي الى عائلة عراقية شهيرة[2] • وقد ظهر تأثير الانقلاب الدستوري العثماني في نواحي متعددة أهمها : أولا ـ قيام حركة صحفية ، قوية ومتنورة في الغالب ، على أثر اعلان الدستور • وقد أسهمت الصحافة ، كما بينا

---

(١) العدد (١١) السنة الاولى ، ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ ـ ٥ نيسان ١٩٠٩ •

(٢) هو أحد نجال المؤرخ العراقي الشهير سليمان فائق ، المتوفى ١٨٩٦ وأخ السيد حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارات العراقية •

سابقا ، بتوسيع دائرة المتعلمين في البلاد ، كما ساعدت على نشاط الوعي السياسى فيها •

ثانيا ـ سهل الانقلاب الدستوري العثماني قيام عدد من الجمعيات والاحزاب السياسية العربية والعراقية أسهمت في الحركة التحررية ، كما أشرنا الى ذلك سابقا •

ثالثا ـ أفسحت حركة الدستور العثماني المجال الى عدد من العراقيين للاسهام في ادارة شؤون الدولة العثمانية كنواب في « مجلس المبعوثان » العثماني وكضباط في الجيش العثماني وغير ذلك • وقد أسهم هؤلاء في الحركة التحررية كما أسلفنا •

رابعا ـ ساعد الانقلاب الدستوري العثماني على تيسير اتصال العراق بالعالم الخارجي عن طريق الصحافة والمطبوعات والسفر بينما كان ذلك محدودا أو منعدما في عهد حكومة عبدالحميد الاستبدادية •

وبعد هذا نقول يظهر ان تأثير الحركتين الدستوريتين الايرانية والعثمانية قد أخذ يتغلغل في أوساط جماهير المدن الرئيسة في العراق كبغداد والبصرة والعتبات المقدسة ، ولعل تبني رجال الدين لحركة الدستور في هذا الدور من تاريخ العراق كان السبب الاول في ذلك •

وليس غريبا أن نرى « مجلة العلم » النجفية تنشر ورود سؤال « في ثامن شهر محرم الحرام سنة **١٣٢٨**هـ من بلاد سورية الى النجف الاشرف الى حضرة حجة الاسلام شيخ المجتهدين الاعلام ناشر الوية العدل والدستور الباذل قواه في حفظ الثغور العلامة الرباني المولى محمد كاظم الخراساني ••• »[(١)] •

وليس غريبا أيضا ان أكد العلماء علانية على وجوب تنفيذ الدستور

---

(١) السنة الاولى ، ع١ ، ج١ ، ٢٩ مارت ١٩١٠ ، ص ١٤ •

« وأعلنوا فتاواهم وأخذت صورها (بالفوتو) ونشرت وأصبحت اجتماعاتهم في النجف وتظاهراتهم تقام في الصحن الشريف والجوامع والمدارس علنية بعد ما كانت أشبه بالسرية وعم النقاش والجدل معظم أنحاء العراق بين مقلدي أولئك المجتهدين فكانت مدرسة شعبية كبرى استعرضت فيها جميع النظريات في شكل الحكم وانتجت وعيا عاما في العراق . وبالاخص العتبات المقدسة »[1] .

ويبدو أن الناس ، بما فيهم العلماء ، قد انقسموا ، في ذلك الدور من تاريخ العراق ، حيال المفاضلة بين الحكم الدستوري والاستبدادي الى فريقين : أحدهما مؤيد للحكم الدستوري وثانيهما معارض له . ويظهر ان هذا الجدل قد تعدى دوائر المثقفين وانتقل أحيانا الى الاوساط الشعبية . وقد نشرت جريدة « الرقيب » البغدادية مقالا تحت عنوان « الاحرار وحزب التقهقر في كربلاء » جاء فيه « ان من أعظم ما ابتشر به الاحرار الايرانيون والعثمانيون في كربلاء هو وصول الشيخ جواد ... وغص الجامع بأهله لاستماع خطبه المؤثرة فذكر بمناسبة الحال ما أمر به النبي (ص) من اجراء العدل والمساواة والمؤاساة ... وقال ان الحسين (رض) لم يقتل الا بسيف الاستبداد فعارضه أحد أركان المستبدين في كربلاء ولم يجسر على القيام والتفوه بكلمة (لانه أحقر من ذلك) بل كان مساقا من جماعته وحزبه الذين (يريدون ليطفئوا نور الله) فنال من حضرة الشيخ وثلبه وهاج عونته ولولا حضور وكيل المتصرف ... [لحصل ما لا تحمد عقباه] ... ورغما عن أركان حزب التقهقر التمسوا من حضرة الخطيب الحضور في اليوم التالي وأحاطوا به احاطة الهالة بالقمر ... فرمى الله بالذل والخزي أولئك الاضداد لكل فضيلة وعند ذلك تهللت وجوه

(١) كمال الدين ، محمد علي ، ن.م ، ص ٢٧ .

الاحرار ••• وتكلم الخطيب بما خطر له من مدح العدل وقدح الظلم والثناء على الاحرار والطعن في المستبدين الاشرار فلم يستطع من أولئك الظلمة أحد أن يفوه بكلمة ••• »[1] •

(١) السنة الاولى ، العدد (١٠) ١٠ ربيع الاول ١٣٢٧ ، ١ نيسان ١٩٠٩م •

الفصل الثالث

الاحتلال الانكليزي للعراق

ان الاسباب التي دفعت بريطانية لاحتلال هذه البلاد متعددة أهمها :

أولا ـ المصالح الاقتصادية ـ كان لبريطانية مصالح تجارية في هذه البلاد يرجع وجود بعضها الى ما قبل القرن التاسع عشر ، وقد سبق أن أشرنا الى نمو هذه المصالح في الفصل الاول من هذا الكتاب . وقد ازدادت في بداية هذا القرن ، أهمية هذه البلاد الاقتصادية في نظر العالم بما فيه بريطانية . اذ أن وجود منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماما عالميا في ذلك الحين [١] . يضاف الى ذلك ما أثاره تقرير وليم ولكوكس عن مشاريع الري في العراق ، وما ينتج عن انجازها من مستقبل زراعي زاهر ، من اهتمام حول أهمية العراق الاقتصادية في المستقبل . وقد كتب ولكوكس في ١٩٠٩ « يبشر العثمانيين بيوم يفيض النضار عليهم فيه كالانهار » . وقال : « انه اذا عملت الحكومة ما أشار به في تقريره من أعمال الري وأنفقت مليونين و٢٠٠ ألف جنيه لمد السكة الحديد من بغداد الى دمشق عادت بلاد ما بين النهرين الى سابق عزها ومجدها »[٢] .

ثانيا ـ المصالح السياسية والضرورات العسكرية . كانت سياسة بريطانية تقوم على عمل كل ما من شأنه أن يحفظ مصالح امبراطوريتها في الشرق وخاصة الهند . فعملت جادة ، في وجه المنافسة البرتغالية والهولندية والفرنسية ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، من

---

(١) Longrigg, Op. cit, p. 65.

(٢) « صدى بابل » ، العدد ١٨ ، السنة الاولى ، ١٣٢٧هـ ، ١٠ كانون الثاني ، ١٩٠٩م .

أجل السيطرة على الطرق البحرية الموصلة للهند • وقد ازداد اهتمام بريطانية في هذه الناحية بعد ظهور منافستين بريتين[١] قويتين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهما المانيا[٢] وروسيا ، لا سيما ان كلتا الدولتين كانتا تعملان للحصول على قواعد في نهاية الخليج العربي الشمالية • وقد أظهرت المانيا اهتمامها في منافسة بريطانية في هذه المنطقة ، عندما شرعت ببناء سكة حديد بغداد ، ثم عملت على مدها الى سواحل الخليج العربي في بداية هذا القرن • وروسيا هي الاخرى أظهرت نياتها التوسعية في هذه المنطقة حين « اتضح أن القنصل الروسى في بغداد كان يعمل للحصول على ميناء وقاعدة بحرية على الخليج العربي ، وان شركة نمساوية روسية تقدمت ١٨٩٨ بطلب للحكومة العثمانية بانشاء سكة حديد من طرابلس ، في سورية الى الكويت »[٣] •

وكان من نتيجة هذه الفعاليات أن صرح اللورد كرزن Curzon حاكم الهند سنة ١٨٩٢ « بأنه يعد سماح أية دولة لروسيا بأن تنشأ ميناء على الخليج الفارسى اهانة لبريطانية وتغييرا للاوضاع القائمة هناك ، وسببا لقيام حرب عالمية »[٤] • يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية عقدت

---

(١) أن تفوق بريطانية البحري جعلها تنظر لمنافساتها من الدول البرية باهتمام أكبر من منافساتها من الدول البحرية •

(٢) كانت المانيا في بداية هذا القرن تعمل على منافسة انكلترا في العراق وسواحل الخليج العربي • وقد حصلت في سنة ١٨٩٩ على امتياز تمديد سكة حديد برلين ــ بغداد الى بغداد ثم الى سواحل الخليج العربي • وكانت انكلترا تراقب هذه الفعاليات بقلق نظرا لما لالمانيا من الرغبة في التوسع سياسيا واقتصاديا في هذه المناطق • وقد ظهرت نيات المانيا واضحة في تأسيسها لشركة « ونكهاوز » لغرض القيام بأعمال تجارية هناك • يضاف الى ذلك انها فتحت لها قنصلية في بندر بوشهر بالرغم من أن الرعايا الالمان في تلك المدينة لا يزيدون على ستة أشخاص •

(٣) Kirk, Op. cit, p. 89.

(٤) Ibid, 88.

اتفاقا سريا سنة ١٨٩٨ مع مبارك شيخ الكويت[١] تعهد بموجبه ألا يؤجر أرضا أو يمنح امتيازا لاي أحد الا بموافقة بريطانية »[٢] •

وفضلا عن ذلك كان لبريطانية مطامع اقليمية في العراق • اذ كانت تنوي اقتطاع القسم الجنوبي من هذه البلاد وربطه في الهند[٣] •

وقد ظهرت رغبة بريطانية في احتلال العراق قبل الحرب اذ « أن أمر احتلال الفاو والبصرة من الهند لم يكن مشروعا جديدا ، اذ كانت قد اقترحته ، رسميا ، لجنة خاصة ألفت لهذا الغرض في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩١٢ من أجل تعزيز مركز بريطانية في بلاد العرب التركية أمام الموقف العدائي الذي كان يبديه الموظفون الاتراك »[٤] •

ثالثا ـ الاسباب الناشئة عن انضمام تركيا الى المانيا في الحرب العالمية الاولى • ويمكن أن نقسم هذه الاسباب الى صنفين : أ ـ حماية المصالح البريطانية وتأييد أصدقائها في رأس الخليج العربي • كان الاتراك في هذا الدور قد أظهروا عداءهم لبريطانية دون أن يكونوا في حرب معها • وقد ذهب ممثلوهم وممثلو الالمان الى ايران ليثيروا شعور الايرانيين ضد بريطانية ، وحتى شيخ المحمرة كان هدفا لدعاوتهم • وكانت بريطانية تخشى أن يستولي الاتراك على نهاية الخليج العربي وبذا يضعفون النفوذ الانكليزي هناك ، وحينئذ تفقد بريطانية حلفاءها من الشيوخ ، وخاصة شيخي الكويت والمحمرة • يضاف الى ذلك أن بريطانية كانت تعتقد أن

---

(١) كان الكويت في ذلك العهد قائممقامية تابعة للبصرة ولم يكن له صفة دولية حتى يصح التعاقد مع أميره على اعتباره خاضعا لسيادة السلطان ولكن خوف بريطانية من أن يصبح الكويت ميناء روسيا أو نهاية لخط حديد بغداد جعلها تثبت علاقاتها مع أمير الكويت •

(٢) Kirk, p. 89.

(٣) Ibid, p. 127.

(٤) آيرلند ، فيليب ويلارد ، العراق ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ٢ •

صداقتها مع ابن السعود مهددة ، الى حد ما ، بالخطر[1] .

ب ـ حماية آبار النفط في عربستان من بلاد ايران : يظهر أن حماية النفط في هذه المنطقة كانت ثانوية ، كما يعتقد آيرلند ، اذ أن وزير الهند كتب في رسالة خصوصية الى نائب الملك في الهند بعد أن صدرت الاوامر للحملة الانكليزية بالتوجه الى العراق يقول : « كنت أعتبر على الدوام بأن أهم ما نستهدفه من ارسال الحملة هو التأثير المعنوي على شيوخ العرب ، أما حماية منابع النفط فقد كانت شيئا ثانويا عندي من بين الاعتبارات الاخرى »[2] .

ج ـ الخوف من اعلان الجهاد ضد بريطانية : كان خوف بريطانية ، من أن الاتراك ، بالتعاون مع الالمان ، يستطيعون أن ينظموا حركة جهاد تمتد من بلاد العرب الى السند ضدها ، من بين الاسباب الرئيسة التي جعلتها ترسل حملة لفتح العراق[3] . وقد تم ارسال الحملة بالرغم من معارضة حكومة الهند في أول الامر ، لاسباب عسكرية ، ولانها كانت تخشى أن تؤدي مبادءتها لتركية وخليفة المسلمين بالعدوان ، الى اثارة حفيظة المسلمين الهنود[4] .

وقد اتخذ دعاة حركة الجهاد من ايران مسرحا رئيسا لفعالياتهم ، فانتشروا في معظم أنحاء البلاد ونظموا عصابات كان من نتيجة فعالياتها أن اضطر بعض القناصل الروس والانكليز في ايران الى ترك مراكزهم . ثم بذلت جهود لحمل ايران على الدخول في الحرب بجانب المانية وتركيا .

---

(١) Longrigg, Op. cit, p. 77.

(٢) العراق ، ص ٤ .

(٣) Moberly, F. J., The Campaign in Mesopotamia Vol 2, London, 1924, p. 1.

(٤) آيرلند ، ن٠م ، ص ٢ـ٣ .

يضاف الى ذلك أن بعثة تركية المانية ارسلت لاقناع أمير الافغان على الدخول في الحرب ومهاجمة الهند ، ولكن الامير الافغاني كان مترددا ، بالرغم من ان المتطرفين من شعبه كانوا يضغطون عليه لاعلان الجهاد . أما في جزيرة العرب فان تأثير حركة الجهاد كان ضئيلا ، ورغم ذلك فقد استطاع مثيرو هذه الحركة أن يخلقوا لبريطانية بعض المتاعب[1] . أما داخل العراق فقد أسفرت حركة الجهاد عن بعض النجاح .

هذه هي أهم الاسباب التي دفعت بريطانية لارسال حملة لاحتلال البصرة بقيادة الجنرال « دلامين » "W. S. Delamain" فبلغت هذه الحملة قرية « الفاو » في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ واستولت عليها بسهولة . ثم ترك دلامين سرية في الفاو وركب النهر بمعظم قواته متوجها نحو (عبادان) لحماية مؤسسات النفط فأنزل قواته في منطقة (سنية) بدون مقاومة من الترك[2] . وما كان قائد القوات العثمانية في البصرة على علم بسقوط (الفاو) بأيدي الانكليز ، ولولا أن يخبره الموظفون الملكيون الذين تركوا هذه القرية فارين الى البصرة ، لما اطلع على هذا النبأ المحزن الا بعد وقت طويل وفي ايراد هذه الحقيقة ما يدل على عدم استعداد الاتراك للطوارىء وضعف دائرة الاستخبارات ودوائرهم العسكرية[3] . وصحب هذه الحملة السر برسي كوكس Percy Cox كأكبر ضابط سياسى . وعند دخول البريطانيين العراق أعلن كوكس أن الحكومة البريطانية لم تكن في حرب مع سكان ضفاف النهر (شط العرب) العرب طالما ابتعدوا عن القيام بأعمال عدوانية ، وان عداء الاتراك اضطر بريطانية لاتخاذ هذه الخطوة

(١) Moberly, Op. cit, p. 2.

(٢) العمري ، محمد أمين ، تاريخ حرب العراق ، ج١ ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ص ١٠ .

(٣) الحسين ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج١ ، صيدا ، ١٩٣٥ ، ص ١١ .

لتحمي أصدقاءها وتحفظ مصالحها[١] • وبعد أن اشتبك الترك مع الانكليز بمعارك عديدة[٢] تمكن الانكليز من دحرهم واحتـلال البصـرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤[٣] • وبدخول الانكليز البصرة يكونون قـد احتلوا ثغر العراق الوحيد وقبضوا على مفتاح الخليج العربي واستولوا على مدينة تبلغ تجارتها السنوية ستة ملايين دينار[٤] • وقد أذاع « كوكس » بهذه المناسبة بيانا على السكان قال فيه : « لقد احتل الانكليز البصرة ، ومع هذا فليس لنا عداء ••• مع السكان واني أعدكم بمستقبل ملؤه الحريـة والعدالة »[٥] • وقد غنم الانكليز ، فيما غنموا في البصرة ، مخزنا لسـكة حديد بغداد ـ البصرة ، التي كان في نية الالمان ايصالها الى هاتين المدينتين • فاستفادوا مما فيه من مواد فائدة عظمى في مد سكك الحديد بين البصـرة والقرنة وبين الاخيرة والعمارة وبين بغداد والكوت[٦] •

وبعد ان احتل الانكليز البصرة انسحب أحد قواد الاتراك « صبحي بك » الى القرنة وانسحب « عادل بك » الى الناصرية • ويمكن أن يستنتج الباحث من السهولة التي تم فيها احتلال البصرة أن الاتـراك لم يكونوا مستعدين للدفاع عن العراق حينذاك ، وان القيادة العامة في تركيا لم تكن على علم تام بما كان ينويه الانكليز تجاه هذه البلاد • ومن الادلة عـلى ذلك ان القيادة التركية جردت العراق من القوات النظامية سوى فرقـة

(١) Longrigg, Op. cit, p. 78.

(٢) وردت تفصيلات عن الحروب بين العثمانيين والانكليز في : Moberly, Op. cit, Vols, 1, 2 & 3.

(٣) العمري ، ن•م ، ج١ ، ص ١١ •

(٤) الحسين ، ن•م ، ص ١٣ •

(٥) Wilson, Op. cit, p. 11

(٦) الحسين ، ن•م ، ص ١٣ •

واحدة في البصرة ، كان في نيتها أن تسحبها لولا التماسات والي بغداد[1] • يضاف الى ذلك أن تركيا لم تحتفظ باسطول قادر على تأمين سيطرتها على سواحل الخليج ، بل كانت السيادة البحرية هناك لانكلترا • وبعد أن فتح الانكليز المناطق المجاورة لمدينة البصرة تقدموا نحو « القرنة » واحتلوها وبذا سيطروا على دلتا دجلة والفرات وسهل عليهم استعمال شط العرب للملاحة • واستولوا على منطقة المزارع الغنية الواقعة بين القرنة والبحر ، كما مكنهم احتلالها من حماية بلاد عربستان الفارسية من غارات الاتراك وأخيرا كان لاحتلال هذه المنطقة تأثير أدبي في نفوس القبائل العراقية •

وفي ٤ شباط **١٩١٥** زار اللورد « هاردنك » ، حاكم الهند ، البلاد التي تم للجيش البريطاني فتحها ، ومما قاله في هذه المناسبة : « ان الاحتلال الانكليزي أثار مسائل تقتضي حلا سريعا ، وقد جئت الى هنا لارى الاحوال المحلية بعيني ••• ولا نستطيع رسم خطط المستقبل من غير أن نتبادل الآراء مع بقية الدول الكبرى ، ولكني اوأكد لكم أن المستقبل يجلب لكم عهدا أفضل من ذي قبل »[2] •

أما الاتراك فانهم أعادوا النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق وأوكلوا قيادتها الى « سليمان عسكري بك » • يضاف الى ذلك انهم عملوا ما بوسعهم لكسب تأييد العراقيين لهم في حربهم مع الانكليز وذلك عن طريق اعلان الجهاد المقدس فكان لهم ما أرادوا •

وأفتى معظم العلماء من السنة والشيعة بوجوب الجهاد لدفع الضرر عن المسلمين ورأوا أن تعزيز موقف العثمانيين المسلمين تجاه الانكليز غير المسلمين أمر لا مناص منه حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الاسلامية •

---

(١) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج١ ، ص ١٠ ـ ١١ •

(٢) الحسني ، ن•م ، ص ١٦ •

ولعل أهم العوامل التي ساعدت على نجاح حركة الجهاد في العراق خلال هذا الدور هي :

أ ـ ضعف الوعي الوطني في العراق حينذاك ويعود ذلك الى عوامل متعددة ، وقد سبق أن بحثنا بعض هذه العوامل في الفصل الثاني من هذا الكتاب فلا ضرورة للتكرار . يضاف الى ذلك أن المثقفين في العراق ، وان كانوا على علم بما أحرزته حركة الوعي القومي العربي في سورية والحجاز من تقدم خلال الحرب العالمية الاولى ، لم يستطيعوا ايصال هذه الافكار الى الجمهور وكسبه لتأييدها . وكان موقف الانكليز ، ممثلا بحكومة الهند ، مناوئا لبث الشعور القومي في العراق خلال الحرب ، لذا عملوا على عزل العراق عن حركة الوعي العربي في البلدان العربية الاخرى ، هذا في الوقت الذي كانوا يباركون هذا الوعي ويشجعونه في غير العراق رغبة في دعم موقف حليفهم الشريف حسين . ومما يؤيد موقف الانكليز هذا « أن حكومة الهند لم تبذل الا قليلا من الجهد ، عدى جهودها مع ابن السعود ، في اقناع العرب لحمل السلاح ضد الاتراك »[١]. ويقول لورنس « ان ثورة الحسين لم تنجح في اثارة السكان المدنيين ... في العراق ، ويعزى ذلك الى الموقف غير الودي الذي وقفته السلطات العسكرية في الهند من هذه الحركة ، وقد عمدت هذه السلطات الى اخفاء أو تصغير أخبار نجاح الثورة . وكان هدفها من ذلك اخماد روح الاستقلال بين السكان العرب المحليين » . وعندما ارسل لورنس الى العراق سنة ١٩١٦ لكي يدرس احتمال قيام العراقيين بالثورة ضد الاتراك ، وجد أن السلطات البريطانية المحلية تعارض في ذلك[٢] .

---

(١) آيرلند ، ن.م ، ص ٦٦ .

(٢) Lawrence, T.E, Seven Pillars of Wisdom, New york, 1938, p. 60.

ب ـ كان المثقفون المشتغلون بالسياسة أقلية ضئيلة ينقصها التنظيم الحزبي الذي هو ضروري لكل فعالية سياسية ناجحة ، كما تنقصها الصحافة الموجهة ووسائل الاتصال الاخرى بالرأي العام ، لذا لم تستطع هذه الفئة أن توجه سياسة البلاد توجيها صحيحا • وكان من نتيجة ذلك ان نحيت هذه الجماعة عن العمل السياسى ، الذي هو من صميم اختصاصها ، وتركته الى طبقة الروحانيين الذين لا يجيدون فن السياسة في الغالب فوجهوا جهود العراقيين في هذه الحركة الى جهة لم تعد عليهم بفائدة كبيرة •

ج ـ كان لدعاوة العثمانيين وتقربهم من رجال الدين أثر كبير في التأثير في عواطفهم وحملهم على توجيه الرأي العام المتأثر بالعواطف الدينية حينذاك ، نحو مصلحة العثمانيين التي كان من مقتضياتها أن يحمل العراقيون السلاح في وجه الانكليز في حركة لا تعود عليهم بفائدة كبيرة • ويعود اهتمام العثمانيين في ايجاد الدور السياسى الديني في العراق الى حركة الجامعة الاسلامية التي تبناها السلطان عبدالحميد • وبعد أن نشر الدستور « أخذ المرخصون من مركز جمعية الاتحاد والترقي يترددون بين الاستانة والنجف وبين بغداد والنجف وهكذا بعض ولاة الاتحاديين كأحمد جمال باشا [١٣٢٨هـ] وبعض المتصرفين كصائب بك وحمزة بك وغيرهم من الذين يترددون على النجف ويديرون بعض المناورات السياسية »[١]•

وبالرغم من أن هدف ساسة العثمانيين من وراء الدعوة للجهاد كان سياسيا ، نجد بعض الاعلام المجتهدين ، مدفوعين بعقيدتهم الدينية يعيرون هذه الحركة اهتماما كبيرا • وقد كان من بين هؤلاء المرحوم الشيخ مهدي الخالصى الذي نشر رسالة عنوانها « الحسام البتار في جهاد الكفار »[٢] •

---

(١) الشرقي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول، ١٩٢٧ ، ٨ ربيع الثاني، ١٣٤٦هـ•

(٢) نشرت هذه الرسالة في جريدة « صدى الاسلام » البغدادية بأعداد متسلسلة ، وقد أورد محرر الجريدة بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة =

ومن الاسباب التي يوردها الخالصي عن وجوب الجهاد ما تضمنه معنى الآية الكريمة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) ، « مضافا الى أن الخراج في الاراضي الخراجية للمسلمين فيجب على الوالي الدفع عنه وحفظه عن استيلاء الكافر عليه وانفاقه في مصالح المسلمين »[١] • وقد عثرت على وصف لاجتماع عقد لتحريض الناس على الجهاد أورد ملخصه هنا ليظهر لك مدى اهتمام الناس بهذه الحركة حينئذ • يقول محرر « صدى الاسلام» : « لم نكن نظن أن أحدا بقي في تلك الاصقاع لم يحضر لكنا لما شارفنا مسجد الكوفة ألفينا جملة من العشائر والوفا من الناس والفرسان قد حضروا لاستقبال راية أمير المؤمنين (ع)[٢] والاستظلال بها لما مرت على مسجد الكوفة [كثرت الجموع] ثم أخذت العشائر والفرسان بالهوسات[٣] والكل محتفون حول انسان رفعة المجد حضر صاحب السعادة الفريق الاول « محمد فاضل » باشا فتقدم المشار اليه ••• الى مسجد مقام نبي الله يونس حيث تقام الحفلة » • ثم يستمر المحرر بحديثه فيقول : « ذكرنا كثرة الخلائق الواردة والمستقبلة وقد انظم البعض الى البعض فكان محشرا هائلا واجتماعا مدهشا يتقدم ذلك المحشر ثلة من

= ١٣٣٣هـ العدد (٤٤) نبذة عن هذه الرسالة وعن مؤلفها جاء فيها : « ألف العالم الورع والمجتهد المطاع حضرة الشيخ مهدي الخالصي من أكابر أئمة العلم والاجتهاد في العراق رسالة نفيسة دون فيها ما يتعلق بامور الجهاد وما يترتب على الامة الاسلامية من القيام بشروطه وقواعده وأركانه مما لم يسبق له نظير فرأينا أن ننشرها تباعا في جريدتنا » •

(١) الخالصي ، الشيخ مهدي ، « الجهاد » صدى الاسلام ، العدد ٤٩ ، ٩ ذي القعدة ، ١٣٣٣هـ •

(٢) يقصد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لان الشيعة اذا أطلقوا كلمة أمير المؤمنين مجردة قصدوا بها عليا (ع) •

(٣) هوسوا بمعنى ركلوا الارض بأرجلهم أثناء الهيجان والتهيوء للحرب • ويطلق على هذه الحركة بالانكليزية "War-dance"

حجج الاسلام وكوكبة من المشايخ وزمرة من الاشراف »[1] ٠

وقد أفتى بالجهاد معظم علماء العصر[2] « ولم يكتف العلماء بالفتيا فقط ، بل خاضوا تلك المعامع بانفسهم ووقفوا وقوف الابطال وأبلوا بلاء حسنا وكان أشدهم جهادا وأكثرهم صبرا وجلادا المرحوم العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي فانه قاد جيشا جرارا الى جبهة الشعيبة ٠٠٠ وكذلك العلامة الشهير شيخ الشريعة والعلامة السيد علي الداماد فان لهما مواقف مشهورة في حرب (القرنة) وما بعدها ٠٠٠ »[3] ٠ ويذكر الشيخ فريق ان السيد الحبوبي انفق أموالا طائلة لغرض الجهاد ولما قدم له ممثل الاتراك مالا يتولى انفاقه على المجاهدين رفض ذلك[4] ٠ وقد أخبرني السيد محمد سعيد كمال الدين الذي رافق حملة الحبوبي في طريقها من النجف الى الشعيبة ان نفقات الحبوبي على الحملة كانت كبيرة الى حد انه اضطر الى رهن أملاكه الخاصة لينفق منها على المجاهدين ٠ وكان الامام السيد مهدي الحيدري من بين العلماء الذين التحقوا بساحات الجهاد في

(١) صدى الاسلام ، ع ١١٤ ، ٢٨ محرم ، ١٣٣٤هـ ٠ وجاء في العدد (٥٦) من الجريدة سالفة الذكر المؤرخ ١٧ ذي القعدة ، ١٣٣٣هـ ان اجتماعا مماثلا حصل في كربلاء عندما « اجتمع السادة والعلماء والموظفون والاشراف والاهلون في كربلاء يتقدمهم حضرة صدر العلماء السيد اسماعيل وهو من أجلة المجتهدين ٠٠٠ فسار بهم ٠٠٠ الى صحن سيد الشهداء الامام الحسين (ع) وهناك تناول سيفا مرصعا تاريخيا من موقعه الخاص ، وكان محفوظا ومعلقا في القبة المباركة ٠٠٠ وقال خذوا هذا السيف ٠٠٠ وقدموه الى حضرة القائد العام نور الدين بك » ٠

(٢) البازركان ، علي ، ن٠م ، ص ٤٣ ٠ ويخطأ الاستاذ البازركان في ايراد اسم الشيخ كاظم الاخوند بين من أفتوا مع أن الاخوند توفي قبل اعلان الحرب بثلاث سنوات أي ١٩١١م ٠

(٣) محبوبة ، جعفر ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٤٦ ٠

(٤) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، ج١ ، بغداد ، ص ٣٧ ٠

العمارة • وقد نجح المجاهدون الذين كان يقودهم في دحر الجيش البريطاني في معركة نهر « الروطة » في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٣هـ •

وقد أسفرت الدعوة للجهاد عن تجمع عدد من أهالي المدن والعشائر يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ ألف مقاتل بينهم ١٥٠٠ مجاهد من الاكراد[١] • وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في « الشعيبة » قرب البصرة[٢] ، فهجموا في ٤ نيسان ١٩١٥ على المواقع الانكليزية المحصنة في الشعيبة ووقعت معارك دامية في الشعيبة وفي غابة « البرجسية » ، أبلى المجاهدون فيها بلاء حسنا •

وكانت للمجاهدين العراقيين مواقف مشهودة في جهات «صخريجة» شمال « عران » وفي « مزيرعة » على الضفة اليمني من دجلة • كما اشتركوا في قتال الانكليز على أبواب الاهواز طلبا للتقدم على شط كارون لتهديد الانكليز في شط العرب • وقد اصطدمت الجموع العراقية بالجموع الانكليزية في أوائل شباط ١٩١٥ وربحوا في تلك المناورة التي اضطرت الانكليز الى التقهقر ولكن انسحاب الجيوش التركية في جبهة «صخريجة» أثر في ذلك الموقف مما أدى الى انسحاب القوات المجاهدة[٣] • وبالرغم

---

(١) الحسني ، العراق دوري الاحتلال والانتداب ، ص ١٦ـ١٧ • وجاء في مجلة مرآة العراق ، ١٥ شباط ، ١٩١٩ ، ص ١٢ : ان عدد المجاهدين في الشعيبة كان عشرة الاف مقاتل ، بينما الحسني يجعل عددهم (١٣) ألفا • ومن الطبيعي أن يحصل هذا الاختلاف في تقدير العدد لانه لم يسجل هؤلاء المجاهدون بسجلات خاصة •

(٢) كان المجاهدون بقيادة ضياء بك ، وعهدت الى السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عجمي السعدون والشيخ عبدالله الفالح رئاسة كل قسم من الاقسام الثلاثة التي انقسموا اليها • وكانت أغنية المجاهدين « بارض الشعيبة باچر (بكرة) تفگنه ايثور (يثور) » • وقد كان السيد هادي مگوطر ممن اشتهروا في حرب الشعيبة فقال أحدهم بحقه « ثلثين الجنه الهادينا » أي أن الله يعطيه ثلثي الجنة مكافأة له على عمله •

(٣) الشرقي ، علي ، النوادي العراقية ، النهضة العراقية ، ج٢٢ ، ٢٨ ايلول ، ١٩٢٧ •

من قلة المؤن وسوء معاملة الضباط الاتراك للمجاهدين قدم هؤلاء مساعدة فعلية أكبرها القواد الاتراك[1] •

وبعد هذا العرض الموجز لحركة الجهاد في العراق ، خلال هـذا الدور ، وأسباب نجاحها ، نطرح السؤالين التاليين وهو : ما الفائدة التي جناها العراق من هذه الحركة ؟ وما تأثير حركة الجهاد هذه في تهيـأة أفكار العراقيين للثورة على الانكليز في سنة ١٩٢٠ ؟ وللاجابة على هذين السؤالين نقول: أن تدخل العلماء في حركة الجهاد وتأييدهم لها وضح موقفهم تجاه الانكليز وجعلهم يعلنون ان امارة الكافر على المسلم غير جائزة وبذا أصبحوا ملزمين ، أدبيا على الاقل ، بالفتيا في وجوب قتال الانكليز سـواء كان ذلك باشتراك العراقيين مع الاتراك المسـلمين أو بقتالهم للانكليـز بصورة منفردة كما حصل في ثورة العشرين • ولا شك ان توضيح موقف العلماء هذا أكسب حركة مقاومـة الانكليز قوة كبيرة ومهـد الطريق للمثقفين بعد الحرب العالمية الاولى للاستفادة من هذه القوة واستعمالها في التأثير على الجمهور العراقي الذي كان مصيره ، في تلك الفترة ، بيد العلماء الذين كانوا قادة الحركة السياسية في العراق كما بينا سابقا • يضاف الى ذلك ان اشتراك جماعات كبيرة من العراقيين ، وخاصة أفراد القبائل ، في قتال الانكليز وسفرهم الى البصرة ، واطلاعهم بصورة مباشرة على وسائل الحرب الحديثة ، وسع خبرتهم حول شؤون العالم الخارجي • وكانت هذه المشاركة بمثابة مدرسة عملية مكنت هذه القبائل من الالمـام ببعض القضايا العسكرية والسياسية التي جابهتهم ابان ثورة العشرين فيما بعد •

ومن الواضح ان الاتراك وقفوا ، بعد فشل حركة الجهاد عسكريا ، من العراقيين اخوانهم في الدين وزملائهم في الخنادق العسكرية في معارك

(١) الحسني ، ن•م ، ص ١٦ـ١٧ •

« الشعبية » وغيرها ، موقفا مشينا فأهانوا رؤساءهم ونكلوا بكثير من أهالى المدن والعشائر •

وفي مرة قال أحمد بك أوراق ، أحد القواد الاتراك ، بحضور المجاهدين من العراقيين « انا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولا وعشائر شط دجلة ثانيا لانهم خونة » فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك « أنتم الخونة للاسلام ••• و تحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي وأنتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها »(١) • ويقول الشيخ جعفر محبوبة « وبعد مرور شهر على حادثة الشعيبة بعثت الحكومة العثمانية بعثا مؤلفا من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت) بك الى النجف للقبض على المنهزمين من الجندية وقائمقام النجف يومئذ (بهجت) بك وكان فظا غليظا سيىء الادارة متهورا خرق السياسة معدوم الكياسة غير ملتزم بدين ولا يركن الى مذهب وقد ضغط على النجفيين حتى كاد أن يستأصل أموالهم بتحميلهم الضرائب الباهظة وساق الرجال وشردهم بلا جريمة وتعدى كثيرا على الاشراف ومس ببعض الكرمات المقدسة ••• »(٢) •

وقد أثر هذا الموقف السيء من جانب الترك في نفوس كثير من العراقيين وجعلهم يعتقدون ان خلاص بلادهم من الترك لا يقل أهمية عن خلاصه من الانكليز ، وان قضية الرابطة الاسلامية ، كما فهمها الترك حينذاك ، قضية خاسرة ، وان الاتراك لم يكونوا جادين بالدعاوة لها ، وان أهدافهم ، وان أخفوها بستار الدين ، هي سياسة بالدرجة الاولى ولا صلة لها بالدين •

---

(١) فرعون ، فريق ، ن٠م ، ج١ ، ص ٣٩ـ٤٠ •

(٢) ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، ٢٤٦ـ٤٧ •

ولا شك ان جلاء هذا الموقف لدى كثير من أفراد الجمهور العراقي نمع القضية العراقية وشد من أزر المثقفين وجعلهم يستفيدون من فهم جماعات كبيرة من الجمهور لنوايا الاتراك الحقيقية وذلك بأن وضحوا للجمهور ، الذي أخذ يصغي اليهم أكثر فأكثر ، ان موقفهم المناوىء تجاه الاتراك ومقاومتهم لمشاريعهم في السابق ، لم تكن ناتجة عن تماهل من جانبهم في شؤون الدين أو رغبة في اضعاف شوكة الاسلام ، بل انما هو ناجم عن سوء الحكم التركي الذي لا تتحقق في ظله مصلحة العراق بأي حال من الاحوال .

وقد أخذ المثقفون يفكرون ، بعد سقوط البصرة بيد الانكليز وفشل حركة الجهاد ، برسم الخطط للمستقبل لا سيما انهم اعتقدوا « ان الحكومة العثمانية أدبرت أيامها وتلاشت في العراق ، وأخذ العراقيون[1] يفكرون في خسارتهم وربحهم من الحالة العسكرية والسياسية الموجودة في البلاد ... وكانت مؤامرات ومراجعات في « الشعيبة » وتحت أثلات البرجسية كما كانت مواقعة ومناجزة حزبية هناك وهكذا كانت الحالة في « مزيرعة » و « أبو عران » حول القرنة وفي « الشلوة » و « العلة » على أبواب الاهواز وكثرت المؤامرات في الشطرة وفي الناصرية وفي الشامية وفي النجف وفي كربلاء ولكن التربية السياسية ضعيفة في نفوس العراقيين والحذق السياسى قليل فلم تنجح أكثر الخطط السياسية التي وضعتها هذه المؤامرات ولم تكن وحدة تامة بعد أن فقد المركز في البصرة وأبعد الزعيم السيد طالب وكانت الافكار كلها متجهة اليه ... »[2] .

---

(١) لا نقر الكاتب على هذا التعميم لان الجمهور العراقي حينذاك لم يبلغ من النضج السياسى ما يجعله يسهم بفعاليات سياسية كالتي وصفها الكاتب .

(٢) الشرقي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، العدد (٢٢) ٢٨ ايلول ، ١٩٢٧م ، ١ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ .

وما عاد المجاهدون من الشعيبة حتى أخذت الحركة الرامية للتخلص من حكم الاتراك ، الذين كان نجمهم آخذا بالافول ، تؤتي ثمارها في كثير من أنحاء العراق وقد تعد حركة النجف الاشرف التي حصلت بعد معارك « الشعيبة » مباشرة ضد الترك تعبيرا عمليا لهذا الاتجاه . ويحدثنا المستر ونيكت "Wingate" عن هذه الحركة فيقول : « وعندما هزم الاتراك في بداية الحرب بمعركة الشعيبة ، تلك المعركة التي أسهم بهـــا عدد من النجفيين ، اهتبل النجفيون هذه الفرصة التي كانوا ينتظرونها منذ القديم . وكان الاتراك عارفين بما تبيته لهم النجف فأخذوا عدة احتياطات لتـــلافي هذا الوضع ، من بينها اعلان الاحكام العرفية في النجف ، وبالرغم من كل ذلك فقد استطاع كريم الحاج سعد أن يدخل البلدة مع (٣٠) من أعوانه خلال فتحة عملوها في سورها في نيسان ١٩١٥ . وقد تمكن المغيرون من أن يمطروا الترك بوابل من الرصاص لمدة (٢٤) ساعة . وفي أثناء ذلـك تدفقت المعونة من الخارج وهبت المدينة لمعاونة الثائرين . وقد وجـــد الترك أن الماء والطعام قد قطع عنهم ، وأنهم يواجهون عشرة آلاف مسـلح لذا رأوا أن المقاومة نوع من العبث فسلموا بعد ثلاثة أيام . فأخذ الثوار أسلحتهم وسهلوا لهم الانسحاب عن طريق الكفل . وبقيت النجف منـذ ذلك التاريخ حتى شهر آب سنة ١٩١٧ مستقلة استقلالا تاما تحت حـكم شيوخ « الزقرت »[١] و « الشمرت » الاربعة »[٢] .

ومن الجدير بالذكر انه بالرغم من نمو الحركة المعادية للترك في

---

(١) الزقرت والشمرت طائفتان كانتا تسكنان النجف . وقـــد تكونتا حوالي سنة ١٢٢٨ للهجرة في عهد المجتهد الاكبر الشيخ جعفـــر الكبير . وقد أورد الشيخ جعفر محبوبة على الصفحة ٢٤٠ وما بعدها من الجزء الاول من كتابه الموسوم ب « ماضي النجف وحاضرها » معلومـــات مفصلة عن هاتين العشيرتين العربيتين .

(٢) Reports, I, p. 68. .

كثير من أنحاء العراق ، خلال سنوات الحرب ، نجد كثيرا من العراقيين[١] يستمرون على معاونتهم للترك في حربهم مع الانكليز حتى نهاية الحرب • ولعل ذلك يعود الى قوة العاطفة الدينية في نفوس الجمهور وبعض المثقفين من جهة ، والى ضعف الوعي الوطني في العراق من جهة أخرى •

وبعد أن فشل الاتراك في صد الانكليز في منطقة البصرة انسحبت معظم قواتهم الى الكوت والناصرية وقد لاحقتهم القوات الانكليزية فاحتلت العمارة في ٧ حزيران ١٩١٥ ، والناصرية في ٢٥ تموز من السنة نفسها • ويقدر العمري[٢] أسرى الاتراك في هذه المعارك بنحو (١٠٠٠) جندي و (١٥) مدفعا وقد أصبحت جبهة الانكليز بعد هذه الانتصارات تمتد من الناصرية الى العمارة فالاهواز[٣] •

لقد أخذ الترك يتحصنون بعد ذلك في الكوت التي كانت ذات أهمية عسكرية في نظر الفريقين المتنازعين ، اذ باحتلالها تدخل ولاية البصرة بأسرها في قبضة الانكليز ، كما ان احتفاظ الاتراك بها يساعدهم على أن يشغلوا الانكليز في جبهتين هما جبهة العمارة والناصرية • وأخيرا تمكن الانكليز من احتلالها في ٢٨ ايلول ١٩١٥ وبذا أمنوا سيطرتهم على دجلة والفرات ونهر الغراف ، كما أسروا نحو (١٢٨٩) جنديا وغنموا (١٧) مدفعا من الترك[٤] •

وكانت خطة بريطانية في أول الامر تنطوي على الاكتفاء باحتلال ولاية البصرة ولكن نجاح قواتها في احتلال هذه الولاية دون تقديم تضحيات

---

(١) لقد استمر الشيخ عجمي السعدون على معاونة الترك حتى نهاية الحرب ، وبعد الحرب انسحب معهم الى الاناضول واكتسب الجنسية التركية وتوفي هناك قبل سنتين •

(٢) حرب العراق ، ج١ ، ص ١٣ـ١٤ •

(٣) الحسني ، ن•م ، ج١ ، ص‌ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ •

(٤) العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥ •

كبيرة ، جعل فكرة احتلال بغداد من الامور المقبولة لدى الاوساط البريطانية • وكان قائد القوات البريطانية في العراق الجنرال نيكسون "Nixon" من المؤيدين لفكرة احتلال هذه المدينة • وقد بين لحكومته ان احتلال بغداد ضروري لتهدأة الحالة في ايران ، وان له تأثيرا أدبيا في نفوس الشرقيين • وهو بعد ذلك لا يجرد الترك من مركز مهم للتجمع ، وقاعدة للتجهيزات العسكرية حسب ، بل انه يسهل على القوات البريطانية هزيمتهم عندما يهاجمونها عن طريق النهر من آسيا الصغرى أو من سورية • وقال الجنرال نيكسون ان احتلال بغداد سيفقد الاتراك بواخرهم النهرية ومؤنهم ويؤدي الى تقوية مركز بريطانية حتى في حالة فشلها في حملة الدردنيل ، وأخيرا ان احتلال هذه المدينة سيجعل من الصعب جدا على تركيا أن تتصل بافغانستان • وحينئذ يصعب عليها وعلى حلفائها الالمان أن يحرضوا الافغانيين وقبائل الحدود الشمالية الغربية الهندية على الثورة ضد بريطانية • وبالرغم من المصاعب العسكرية التي جابهت حكومة الهند وقلة القوات المتوفرة لديها ، خول نيكسون في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١٥ بالزحف على بغداد •

وكان للحالة العسكرية والسياسية في البلاد العربية الاخرى تأثيرها في وضع بريطانية في العراق•وفي هذه الفترة بالذات كانت وزارة الخارجية البريطانية قلقة عن الوضع في مصر وكانت تخشى أن يهب العرب لمعاونة الترك ضد الانكليز • ونتيجة لذلك بدأت المفاوضات بين الشريف حسين والسلطات البريطانية هناك بالرغم من أن المستر شمبرلن لم يكن مؤيدا لها بالكلية لان ما كانت تتوخاه ، كما يظهر ، لا ينسجم مع وجهات النظر السائدة في الهند والعراق(١) •

(١) Moberly, Op. cit, II, pp. 10—33.

معركة سلمان باك[١] : كان الجنــــرال طاوزند "Townshend" يعتقد ، في ضوء خبرته الماضية عن ضعف مقاومة الترك ، ان قواته لن تجد صعوبة في احتلال بغداد • وكان أهم ما يشغله من الناحية العسكرية حينذاك صعوبة المواصلات وعدم كفاءة وسائل النقل وقلتها من جهـــة ، وعـــداء العرب العراقيين للجيش الانكليزي الزاحف نحو بغداد من جهة أخرى •

وقد علم طاوزند ، قبيل وصوله سلمان باك ، أن القوات التركية ببغداد قد تلقت مددا من الاناضول وان الجنرال فون كولتز "Von der Golts" الالماني قد توجه الى بغداد في (١٠) كانون الاول ١٩١٥ لتنظيم الدفـــاع التركي هناك • وقد أورد لنا موبرلي[٢] "Moberly" معلومات متقنـــة ومفصلة عن تحصينات الاتراك وجهود قائدهم نورالدين في تهيأة وسائل الدفاع عن هذه المنطقة ، جديرة بالاطلاع عليها • وقد ربح الاتراك هذه المعركة وكبدوا الانكليز خسائر فادحة اذ خسروا (٤٫٥١١) قتيلا في ٢٢ كانون الاول ١٩١٥ وهو اليوم الاول من أيام المعركة عدى خسائرهم في الايام التالية • وقد بلغت اصابات الاتراك (٦٫١٨٨) قتيلا وهي تزيد على اصابات الانكليز بمجموعها بقليل • ويقول موبرلي ان الاتراك لم يسبق لهم أن حاربوا في العراق مثلما حاربوا في معركة سلمان باك ، والواقـع انهم لم يحاولوا سابقا أن يسترجعوا مركزا فقدوه[٣] •

---

(١) كان موقع سلمان باك ، قبل دفن الصحابي سلمان الفارسي فيه ، يعرف بالمدائن عاصمة الفرس الساسانيين • ويوجد في سلمان باك طاق كسرى الذي يبلغ ارتفاعه (٩٥) قدما • ومن الجدير بالذكر ان هـــذه المنطقة قد شهدت معارك تاريخية مشهورة خـــلال القرون الستة الاولى للميلاد • وقد استولى الرومان على المدائن او طيسفون مرارا خلال حروبهم مع الساسانيين • وفي سنة ٦٣٧م استولى العرب المسلمون عليها بعـــد أن دحروا الفرس في معركة القادسية •

(٢) Op. cit, II, pp. 62—108.

(٣) Ibid, 108.

وبعد معركة سلمان باك اعتقد الخبراء العسكريون أن وضع القوات البريطانية في العراق سيكون حرجا ، وان تراجع الانكليز في سلمان باك سيؤثر في علاقتهم مع العرب وفي وضعهم في ايران ، وان العرب قد يسببون للبريطانيين مضايقات في الناصرية على الفرات وفي عربستان[١] .

حصـــار الكوت[٢] :

لقد كان تراجع الانكليز من سلمان باك محفوفا بالمخاطر ولكنهـم بعد لأي وصلوا الكوت فحاصرهم الاتراك فيها . ويقـول طاوزند أن الاسباب التي دعته الى البقاء في الكوت هي ايقاف تقدم الجيش السادس التركي الذي كان لا يقل عن الجيوش الانكليزية كفاءة ، واحباط خطة فون كولتز الذي قيل انه جاء مع جماعة من الضباط الالمان ليقود الجيش التركي ويهاجم القوات البريطانية القليلة العدد ويخرجها من العراق ، وأخيرا أن بقاء طاوزند في الكوت سيهيأ الوقت الكافي للجنرال نيكسون لتنظيم الامدادات التي بدأت تتدفق عليه[٣] . وقد استمر حصار الكوت

(١) Ibid, 129.

(٢) كانت بلدة الكوت الواقعة على دجلة حيث يتفرع نهر الغراف منه ، مكونة من (٦٥٠) بيتا وكوخا . وتتمتع الكوت بأهمية تجارية ، اذ كانت مركزا لنقل الحبوب التي يأتي معظمها من شط الغراف . ويخرج منها طريقان للقوافل يتجهان الى بغداد كما ترتبط بطرق للقوافل مع بدرة ومندلي على حدود ايران . ويبلغ عدد سكان الكوت عند وضع الحصار عليها (٦٠٠٠) نسمة . وقد ذاقت الكوت مرارة الحصار وأكل أهلها لحوم الخيل والبغال . ويقول موبرلي ، على الص ١٦٣ ، ج٢ ، من كتابه سالف الذكر ، ان الجنرال طاوزند قد فكر في أن يخرج السكان العرب بأجمعهم من المدينة ، وعندما استشار السير كوكس قال له ان قضية كهذه تقررها الاعتبارات العسكرية ولكنه يود أن يذكر الجنرال أن برد الشتاء سيؤدي الى هلاك النساء والاطفال بعد أن يقذفهم الى الصحراء . وقد عدل الجنرال طاوزند عن هذه الفكرة التي لا تقرها القوانين البشرية .

(٣) Moberly, Op. cit, 11, p. 159—160.

حوالي خمسة أشهر أي انه بدأ في ٧ كانون الاول سنة ١٩١٥ وانتهى في ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦ • وقد لاقى الفريقان المتنازعان مصاعب جمة ، وذاق الانكليز المحاصرون ويلات الحصار فأكلوا لحوم الخيل وخلعوا أبواب وشبابيك البيوت لاستعمالها في الوقود • وقد حصلت بينهم وبين الاتـراك مفاوضات لرفع الحصار أظهر الانكليز خلالها استعدادهم لدفع مليون أو مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوات التركية ولكنه امتنع عن قبول هـــذه الرشوة وأصر على التسليم بدون قيد أو شرط • ويقول موبرلي ان تسليم الكوت كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه احتلال بغداد ، وان خسائر البريطانيين منذ البداية حتى تسليم الكوت كانت كبـــيرة اذ بلغت (٤٠) ألفا بين قتيل وأسير ، وأخيرا ان تسليم الكوت كان ضربة قويـــة للمشرف البريطاني(١) •

وقد بقيت القوات التركية والانكليزية بعد تسليم الكوت هادئة ولم تقم بفعاليات عسكرية مهمة حتى نهاية سنة ١٩١٦ • ويعود ذلك الى أن كلا الفريقين كان منهوكا نتيجة للخسائر الجسيمة والمصاعب الجمـــة التي صحبت العمليات الحربية السابقة • فالانكليز لم يجدوا مبررا للقيـــام بهجوم ضعيف لا تتطلبه ظروفهم الجديدة ، كما ان الاتراك ، وان انجزوا هدفهم القريب باحتلال الكوت ، لم تكن قواتهم العاملة بالعراق كافيـــة للقيام بهجوم • يضاف الى ذلك ان الروس أصبحوا يهددون بغداد وقـد يتطلب ذلك تحويل معظم أو جميع قواتهم لهـــذا الغرض • وقد رأى البريطانيون ان انسحابهم الى الجنوب يؤدي الى تهديد القبائل العراقيـــة لخطوط مواصلاتهم ، كما يكون تأثيره سيئا على الحالة العامـــة في ايران وافغانستان • يضاف الى ذلك ان احتفاظ الانكليز بمراكزهم على دجلـة سيهدد مواصلات الاتراك اذا ما حاولوا الذهاب الى الحي كما يسهل مهمة

---

(١) Ibid, 458.

الروس المتقدمين نحو بغداد • وقد أبلغت الحكومة البريطانية ممثليها في العراق ان سياستها في الوقت الحاضر دفاعية وانها لا تعلق أهميـــة عـلى استرداد الكوت أو احتلال بغداد[١] •

ويقول موبرلي ان احتلال الروس لراوندوز واقترابهم من خانقين جعل الاتراك يهتمون للامر • وقد قيل ان أنور باشا جاء الى بغداد فـــي مايس ١٩١٦ وقرر انه لا ينوي ايقـــاف الروس حسب ، بل ســـيحتل كرمانشاه كخطوة لتنفيذ خطة الالمان والترك الرامية لاثارة القلاقل فـــي ايران • وقد نصحه ضباط أتراك وألمان بعدم جدوى هـــذه الخطة وان هجوما كهذا سيبدد قوة الاتراك وينهي موبرلي كلامه باعتقاده أن مجازفة الاتراك في ارسال قواتهم الى ايران كانت من الاسباب المهمـــة لضـــياع بغداد من أيديهم[٢] •

ولا يهمنا هنا أن نبحث في تطور الحروب بين الاتراك وأعدائهم من الانكليز والروس ، بل ما يهمنا هو موقف العراقيين من هـــذه الحروب وفهم الاسباب التي دعتهم لاتخاذ موقف كهذا •

يقول الجنرال فون كولتز « أما العرب فكانوا ينتظرون نتيجة المعركة لينظمو الى الجانب الرابح ومع هذا يمكن القول انهم كانوا أكثر ميـــلا للانكليز منهم الى الاتراك »[٣] • ويظهر أن هذا الرأي بعيد عن التدقيق لان التقارير الانكليزية تشير الى أن العراقيين لزموا جانب الترك في أكثر الحالات التي كان الانكليز فيها طرفا في النزاع • ففي حصـــار الكوت يقول موبرلي « كان أهل الكوت على اتصال دائم بالعدو ••• وبالرغم من ان الجنرال طاوزند أخذ منهم جماعة كرهائن فانـــه كان يخشى من أن

(١) Moberly, Op. cit, 3, p. 1.
(٢) Ibid, p. 14.
(٣) Ibid, p. 301.

العدو قد يحثهم على الثورة في الليل • والواقع أن أهل الكوت قد سببوا لنا ازعاجا لانهم كانوا ينهبون ممتلكاتنا عند سنوح كل فرصة»[١] • وعندما حاول الانكليز أن يزحفوا من الناصرية الى الكوت عن طريق الغـــراف وقفت العشائر في وجههم واضطرتهم على التراجع • ولما حاول الجنرال گورنج "Gorringe" في (٧) كانون الثاني ١٩١٦ أن يتقدم من الناصرية صدته العشائر واضطرته الى التراجع بعد أن وصلت طلائع جيشه الـــى السويج[٢] • وبعد هـــذه الحادثة أخبر الجنرال گورنج قائـــد القوات البريطانية في العراق بأن القبائل حول شطرة المنتفك تعارض اية حركة نحو الحي وانه يقترح الانسحاب من البطنجة ففوض بالانسحاب • وفي طريقه الى الناصرية هاجمته قوات كبـــيرة من العرب تقدر بـ (٥٠٠٠) مقاتل وكبدت قواته (٣٧٣) قتيلا وكانت اصابات العرب تقدر بـ (١٠٠٠) قتيل[٣] • وكانت قوات العرب بقيادة عجمي السعدون تقاتل الانكليز في المناطق المجاورة للناصرية[٤] • أما في منطقة العمارة وشيخ ســـعد كانت غارات العرب ، على رواية موبرلي ، مستمرة حول معسكرات الانكليز وفي الاماكن النائية في الليل كانوا ينهبون ويهاجمون القوات المنعزلة عندمـــا تحين الفرصة ، وكان الجيش يستعمل لواء الخيالة للحراسة ، ورغم كل ذلك بقي غزوهم مستمرا وكلفوا الانكليز مقدارا كبيرا من الاصابات كما سببوا لهم ازعاجا غير متناه •

ان هذه الامثلة وغيرها توضح أن ميل العراقيين الى الترك كان واضحا والسبب في ذلك هو قوة العاطفة الدينية لدى الجمهور العراقي لا سيما ان

(١) Ibid, II, p. 158.

(٢) يقصد المؤلف قرية سويج الدجة الواقعـــة بين الشـــطرة والناصرية •

(٣) Moberly, II, p. 210—11.

(٤) Ibid, 2, p. 296.

Ibid, 2, p. 301.

الزعامة السياسية كانت لرجال الدين في تلك الفترة من تاريخ العراق .

وقد استأنف الانكليز هجومهم على الاتراك في أوائل سنة ١٩١٧ وكان هدفهم في هذه المرة احتلال بغداد وقد تمكنوا من احتلالها في ١١ آذار ١٩١٧ . وقد أورد موبرلي تفصيلات وافية ومتقنة عن الحركات العسكرية التي قام بها الجنرال مود عندما هجم على بغداد واحتلها[١] .

ويقول موبرلي أن الترك قد قرروا في ١١ آذار ١٩١٧ الانسحاب من بغداد ، وليس فقط ان بغداد كانت تحت حكم الترك لقرون خلت ، بل أن للترك ارتباطات دينية وتاريخية وعاطفية ببغداد ، يضاف الى ذلك ان فقدانها يجعل بقاء الاتراك في العراق من الامور الصعبة[٢] .

وكان لاحتلال بغداد أثر كبير في رجحان كفة الانكليز في العراق ، اذ لم يكن احتلال بغداد قد جرد الاتراك من أحسن قاعدة يديرون منها حركاتهم في العراق حسب ، بل انه سهل تقدم الروس من كرمانشاه وبذا زال خطر احتلال ايران واحتمال تهديد الهند . يضاف الى ذلك أن شيوخ العرب في جنوب العراق الذين كانوا قبل ذلك مبتعدين عن الانكليز ويعتدون على قواتهم تقاطروا بأعداد كبيرة ليقدموا ولاءهم للانكليز . وفضلا عن ذلك فان احتلال بغداد أثر في تهدأة الاحوال في جنوب ايران ، وساعد على تقوية مركز أمير الافغان المحايد أماما دعاة الحرب من شعبه ، كما أن المعارضين في الهند أصبحوا عالمين بأن بريطانيا لا تزال قوية وستحتفظ بمركزها في الشرق[٣] .

وبعد احتلال بغداد استمر الانكليز في احتلال الاقسام الاخرى من العراق ، وكانوا عند اعلان الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ على أبواب

(١) Ibid, 215.

(٢) Ibid, 241—42.

(٣) Moberly, 3, 251.

مدينة الموصل[١] وكان الاتراك قد أخلوا المدينة ولكنهم عادوا اليها بعد الهدنة • وفي (٣) تشرين الثاني دخل الانكليز مدينة الموصل وانزلوا العلم التركي وانذر قائدهم بالسفر حالا • وتقدمت الجيوش الانكليزية فاحتلت الموصل •

الادارة البريطانية في عهد الاحتلال :

كانت الادارة عسكرية بالدرجة الاولى وقد طلبت الحكومة البريطانية من هذه الادارة ألا تعير اهتماما كبيرا للقضايا غير العسكرية • وقد جاء في التقرير الاداري لولاية بغداد الصادر في سنة **١٩١٧** ما يلي : « ان المبدأ الذي تدار بموجبه ولاية بغداد حددته حكومة صاحب الجلالة في آب **١٩١٧** بقولها : ان الادارة المدنية يجب أن توضع تحت اشراف السلطات العسكرية ••• ويكتفى في الوقت الحاضر بحد أدنى من الاجراءات الادارية ، ذلك الحد الذي يكفي لحفظ النظام ويقوم بما تتطلبه القوات العسكرية • أما تعديل القوانين وادخال الاصلاحات فيجب أن يكتفى بأقل مقدار ممكن منه • ولا ترغب حكومة صاحب الجلالة آن تثار قضايا ادارية كبيرة أو متناقضة حتى يبعد الخطر التركي »[٢] • وبعد أن تم احتلال العراق على يد البريطانيين يقول لونكريك : « ان الادارة

(١) يذكر لونكريك على الص ٩٢ من كتابه السابق أن رسائل تبودلت بين الكولونيل لچمن "Leachman" وعلي احسان قائد القوات التركية حول اخلاء الموصل ، فادعى علي احسان ان الموصل ليست من العراق وان جيوشه ليست حامية للموصل ، بل هي جيوش محاربة • وقد عقد مؤتمر في ٧ كانون الثاني ، ١٩١٨ بمدينة الموصل توصل فيه الفريقان الى الاتفاق على اخلاء الموصل خلال عشرة أيام • وقد أورد الدكتور فاضل حسين تفصيلات وافية عن قضية الموصل في كتابه الموسوم ب « مشكلة الموصل » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٥ •

(٢) Administration Report of the Baghdad Wilayat, 1917 ,p. 1.

التركية قد اختفت ، وتنتج عن ذلك أن كثيرا من العراقيين السنة وجماعة من كبار الموظفين قد اختفوا معها ، وقد حصل ركود في أوساط السياسة المحلية • وأعطيت للحاجات العسكرية أفضلية على كل شيء ، ووضعت قيود على سفر المدنيين ، ففي جنوب العراق منحت السلطة العليا للعسكريين، وقد خصصت مصادر الثروة المحلية لاغراض الجيش واستخدم العمال العراقيون للقيام بالحاجات العسكرية بما في ذلك تحسين الملاحة في دجلة وبناء السكك الحديد • وقد تولدت التزامات مدنية عن القيام بالحاجات العسكرية سالفة الذكر فحصلت آلاف الادعاءات حول ما ارتكب من مظالم • ورفع الناس ، من صغارهم الى كبارهم ، شكاوى كثيرة »[١] •

أما الجنرال هالدن فيقول لقد تأثر الريفيون بالادارة الصارمة التي كانت خطوطها شبيهة بالادارة البريطانية في الهند[٢] • وقد وصف التقرير الاداري لولاية بغداد سنة **١٩١٧** هذه الادارة بقوله : « ان الضرورة الملحة لسد احتياج قواتنا الى أبعد حد من المصادر المحلية ، والضرورة اللازمة لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ الاوامر الصادرة من الوطن ، تلك الاوامر الرامية لتوسيع رقعة احتلالنا حتى تشمل ولاية بغداد بأجمعها ، نقول ان هذه الضرورات تتطلب ايجاد ادارة أكثر تعقيدا من الادارة الموجودة حاليا في ولاية البصرة • وقد اضطرتنا ظروف الحرب أن ننشأ منظمات تضطلع بامور ادارية تتطلبها حكومة كاملة النمو ، أما الموظفون اللازمون لهذه الادارة نقد جهزوا أما من ضباط الجيش أو من السكان المدنيين ، وقد خدمنا الاخيرون بصورة عامة بنشاط ورغبة ، وقليل منهم لم يحقق الثقة التي وضعناها فيهم • وتقسم الدوائر الحكومية بصورة تقريبية الى مجموعتين : (١) الدوائر التي خلفتها الحكومة التركية وقد أعيد تأسيس

(١) Longrigg, Op. cit, p. 92.

(٢) Haldane, Op. cit, p. 24.

هذه الدوائر تحت اشراف البريطانيين ومنها : أ ـ المالية ب ـ الاوقاف ج ـ الكمرك د ـ التربية • (٢) الدوائر المدنية التي لم تكن موجودة في العهد التركي والتي هي ضرورية لكل دولة متمدنة من جهة ، كما انها ضرورية لسد حاجات الجيش من جهة أخرى • ومن أمثلتها الري ، والزراعة (وكلاهما في ذلك الوقت يشتغلان تحت اشراف الجيش) • (٣) الدوائر شبه المدنية "Quasi-Civil Departments" ولقد أسست هذه الدوائر لتقوم بسد حاجات الحرب الموقتة ، ومن هذه الحاجات مراقبة الاتجار مع العدو وتجهيز الحبوب لاغراض مدنية • أما دوائر الحكومة المدنية الاخرى فكانت تدار من قبل الجيش موقتا ، وكان الجيش مسيطرا عليها تماما أثناء الحرب • ومن هذه الدوائر : المساحة ، السكك الحديد ، التلغراف ، الاشغال وغير ذلك • ان فعاليات الدوائر الاخيرة لم تكن ذات مستوى مشابه لمستوى المجموعات السابقة ، بل ان مستواها يفوق الاولى كثيرا لانها تعمل لاغراض عسكرية[١] •

وقد أورد التقرير السابق قائمة بالموظفين الذين استخدمتهم حكومة الاحتلال[٢] في تلك الفترة للعمل في ولاية بغداد • أما الوحدات الادارية

---

(١) Administration Report of the Baghdad Wilayat, 1917, p. 1—2.

(٢) يورد هذا التقرير (ص٢) عدد الضباط الذين خدموا في الادارة المدنية أو كانت رواتبهم تدفع من قبل مالية الادارة المدنية وكان موظفو الادارة المدنية لولاية بغداد كما يلي :

« ٣٨ ضابطا استعيرت خدماتهم من دائرة الاركان العامة في العراق •
١٠ ضباط من الخدمة المدنية الهندية والدوائر المدنية الهندية •
٦ ضباط من دوائر حكومة الهند السياسية •
١ ضابط من الدائرة السياسية لحكومة بمباي •
٣ ضباط من الخدمة المدنية في السودان •

التي كانت في العراق أيام الاحتلال ، فقد وردت أسماؤها في لونكريك[1] .

أما الاساليب الادارية التي اتبعها الانكليز في العراق فكانت مبنية ، كما يقول الجنرال هالدن ، « على خبرتهم السابقة في الهند . وكانت هذه الاساليب قاسية لم يألفها الشعب ولم يكن مستعدا لقبولها بصورة كلية . وكان ضباط الادارة الهندية مجربين ، وان بعضهم كان ذا مقدرة فائقة . وكان هؤلاء معتادين على ادارة مجتمع مستقر لذا حاولوا تطبيق النظام على مجتمعهم الجديد . أما الضباط الذين سبق أن اشتغلوا بالادارة في السودان فقد كانت أساليبهم أكثر مرونة . أما ما تبقى من الضباط الذين استخدموا في الادارة المدنية في العراق فانهم لم يكونوا ذوي خبرة سابقة في الادارة ولا يعرفون عن البلاد ولا عن سكانها شيئا لذا استخدموا بوظيفة معاون حاكم سياسي ، وقد عين بعضهم ، أحيانا ، بوظيفة حكام سياسيين[2] .

= ١ ضابط مجند حديثا « من الاهلين اسمه الماجور أي . بي سوان »

٥٩

ويمكننا أن نقول أن هذه النسبة تصح على ولاية البصرة أيضا . وقد جاء في التقرير أن الادارة المحلية عملت كل ما بوسعها للاستفادة من النابغين من السكان المحليين واستخدامهم في سلك الادارة ولكنها فشلت . وكان يشغل الادارة التنفيذية خمسون موظفا نصفهم أتراك والنصف الاخر عرب ولكنهم كانوا يحبون العثمانيين وترك كلا الفريقين وظائفهم بعد جلاء الجيش العثماني . وهناك موظفون اداريون يقرب عددهم من (١٤٠) كلهم تركوا وظائفهم ، ولم نستفد ممن بقي للاسباب الاتية :
(١) جماعة توقفنا ، في حالات قليلة عن توظيفهم لاخلاصهم للعثمانيين .
(٢) الجماعة الذين احتفظوا بتقاليدهم التي ورثوها من الحكم العثماني وهي لا تتفق ومقاييسنا . (٣) جماعة لم يرض عنهم الملاكون وزعماء القبائل » .

(١) Longrigg, Op. cit, p. 112.

(٢) Haldane, Op. cit, p. 21.

ويورد لنا حاكم شعبة كركوك السياسى الماجور لونكريك[١] وصفا للحالة في العراق بعد احتلال الانكليز لبغداد جاء فيه : « كان احتلال الانكليز لبغداد بداية عصر جديد • وقد شهد العراق ، من جراء أوضاع الحرب ، تغييرات قل ان شهد مثلها قطرا آخر في العالم • فاستبدل العراق بأسياده الشرقيين المسلمين ، الذين حكموه أربعة قرون ، أسيادا مسيحيين غربيين• وقد طرأ على النواحي الادارية تغير أساسى تناول الروح والفعالية • وكان الفتح العسكري مصحوبا بتأثير حضاري قوي ناتج عن اتصال العراق بمدنية الغرب • وظهر هذا التأثير واضحا في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية • وقد طرأ على هذا المجتمع الشرقي تغيير واضح أصبح معه مضطرا لمواجهة مشاكل عالمية جديدة خلقتها ظروف هذا المجتمع الجديدة• وأصبح المجتمع العراقي في الوقت نفسه ، وجها لوجه مع الاوربيين ، وأمكنه هذا الاتصال من الاطلاع على أحوال الشعوب الغربية وعلى مواطنهم • وكان الشعب العراقي وحكومته سابقا ، يرزحان تحت حالة من التأخر والفاقة لا سبيل لنكرانهما • ومن الجدير بالذكر أن التأثر بالوضع الجديد كان متفاوتا • فالقبائل لم تتأثر بالاوضاع الجديدة الا قليلا ، أما المجتمعات المدنية فقد ظهرت بوادر التقدم عليها بوضوح • فمن الناحية السياسية نجد أن حركة القومية العربية قد اشتد ساعدها ، وقد نظر اليها المتطرفون من معتنقيها نظرة جديدة • وأخذت هذه الحركة تقوي صلاتها بالحركات القومية في سورية ومصر • وبالرغم من ذلك فان هذه الحركة لم تحل دون بقاء جماعة كبيرة من العلائلات السنية والبيروقراطية التركية مخلصة للمبادىء والمثل العثمانية • ولو تركنا القومية جانبا لرأينا ان هناك عناصر قوية في العراق تنظر بعداء لفكرة وجود

---

(١) Reports of Political Officers of the Occupied Territories, 1917. p. 61.

حكومة • فالقبائل مثلا ، لم تصدق ، الا بعد لأي ، فكرة امكان قيام حكومة تتمكن من تهيأة ماء لري المزارع ، وتعمل على تأمين الاسواق ، وتسعى للحيلولة دون وقوع معارك دموية بينها ، وتسهر هذه الحكومة على مداواة مرضاها • ويمكن القول ، على العموم ، ان الدولة يجب أن تكون مكروهة في نظر هذه القبائل ، وتبقى بعيدة عنها • وهي في نظرهم شبيهة بما يطلقون عليه بعبع الاولاد "Bugbear" • أما الشيوخ فقد نظروا الى هذه الدولة نظرتهم الى عدوهم ، ورأوا ان أي تقدم يحرزه هذا العدو يكون معناه انتقاصا لقوتهم وتقليلا لامكانياتهم • ومن الجدير بالذكر ان هذا الشعور الذي وصفناه لا يقتصر على العرب من العراقيين ، بل تعداه للاكراد منهم • والاكراد ، وان كانوا يكرهون الترك ، لا نظن انهم يرحبون باستبدالهم بالعرب ، اذ سبق ان نمت لهؤلاء ميول قومية • أما رجال الدين الشيعة في الفرات الاوسط فكانوا لا يميلون الى الرضوخ لاي حكومة علمانية علمانية "Secular" (١) •

ونختم هذه المقتبسات التي تمثل الى حد كبير نظرة معظم المسؤلين الانكليز الى البلاد التي فتحوها حديثا بحد السيف ، بآراء نائب الحاكم الملكي العام في العراق السير آرنولد ولسن ، كما عرضها بصورة رسمية لوزارة الخارجية البريطانية ، وهي كما سترى أكثر الآراء تطرفا وأبعدها عن الواقع • كتب السير ولسن لوزارة الخارجية يقول : « ان التشابه بين العراق وبقية بلاد العرب ، على الاغلب ، مفقود تماما من الناحية السياسية والجنسية وغيرها من الروابط ••• والعربي الاعتيادي في العراق يرى ، خلافا لحفنة من سياسي بغداد الهواة ، ان تقدمه من الناحية الخلقية والمادية مضمون تحت رعاية بريطانية • وعليه يجب ألا نعقد تشابها بين العراق وبقية الاقطار العربية والاسلامية من الناحية السياسية ، كما يجب أن

(1) Longrigg, Op. cit, p. 75 — 76. (١)

يبقى العراق منفصلا عن هذه البلدان قدر الامكان ولكنه يبقى خاضعـــا لبريطانية ...».ويقول أيضا «ان من رأيي أن نضع العراق تحت الحماية البريطانية ، وسيكون بامكانه بمرور الزمن أن يتحول الى دولة عربيـــة نمنحها مركز دومنيون تحت التاج البريطاني »[(١)] .

ويبتعد السير ولسن عن التدقيق التاريخي حين يقول : « ليس بوسع العراق أن يستغني عن الوصاية ومرد ذلك الى فقدان الاداريين الاكفـــاء في هذه البلاد من جهة ، والى أن أهل العراق لا يتذوقون شعور المواطنة من جهة أخرى . يضاف الى ذلك أن موارد البلاد الاقتصادية ، بالمعنـــى العام ، غير كافية »[(٢)] .

وسنضرب أمثلة فيما يأتي عن اجراءآت حكومة الاحتلال الاداريـــة والمالية ليتسنى لنا تقدير أقوال المسؤلين الانكليز وادعاءاتهم فيما يتعلـــق بحسن ادارتهم للعراق في فترة الاحتلال من جهة ، وتأثير هذه الاجراءآت في تهيأة الظروف التي حملت العراقيين على الثورة عليهم في سنة ١٩٢٠ من جهة أخرى .

أولا ـ الاجراءات المالية ـ كانت حكومة الاحتلال مشغولة بالدرجة الاولى بجمع الضرائب . وقد كتب الجنرال هالدن يقول : « لقـــد كانت المسائل المالية تحتل الصدارة في نظرنا »[(٣)] .

وقال حاكم الديوانية السياسي سنة ١٩١٨ ان جزءا كبيرا من وقتـــه يخصص للقضايا المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورة غير مباشرة[(٤)] .

---

(١) Kirk, Op. cit, p. 138 — 139.

(٢) Wilson, Op. cit, Vol. 2, p. ll.

(٣) Op. cit, p. 57.

(٤) Reports, I, p. 201.

وكانت التبرعات الشبيهة بالاجبارية تجمع بأسماء مختلفة منها : (١) تبرعات للصليب الاحمر • وقد تألف لهذا الغرض مجلس من الرؤساء الروحانيين وأعيان البلدة وقرروا بذل المساعي التامة وتأليف اللجان من مختلف الطوائف لجمع الاعانات • ولم يكن ذلك مقتصرا على أبناء المدن ، بل تعداه الى رؤساء العشائر فوجهت لهم دعوة لهذا الغرض • وقيل في هذه الدعوة أن تبرعات رؤساء العشاير ستكون برهانا ساطعا على اخلاصهم للجيش البريطاني منقذ البلاد والعباد من أيدي الجور والظلم • ومن الجدير بالذكر ان ما صرفه البريطانيون خلال احتلالهم للعراق كان مخصصا بالدرجة الاولى لراحة الجيش وتمكينه من القيام بمهمته • وقد اقتبس آيرلند فقرة من تقرير قدمه السير جون هيويت الى مجلس الحرب ١٩١٩ جاء فيها : « نحن نرى بالاجماع وبكل تأكيد بأن فكرة صرف المخصصات التي كانت مخصصة للجيش كانت متأثرة بالرغبة في ترويج تقدم البلاد بعد الحرب لا أساس لها من الصحة ، ونعتقد بأن الصرف جرى وهدفه تأمين كفاءة الجيش وراحته »[١] •

(٢) تبرعات لجمعية بناء الملاجيء للجنود في بريطانيا • (٣) تبرعات لبناء الاثر الخالد للقائد مود[٢] • (٤) استعمال وسائل مختلفة لجمع المال • ففي سنة ١٩١٨ أحالت السلطات البريطانية احتكار بيع الخمور المحلية (العرق) في مدينة البصرة على رجل يهودي بعشرين ألف ربية في الشهر (١٥ ربية لكل ليرة) • وفي بعض الحالات يظهر أن السلطات

---

(١) العراق ، ص ١٠٤ •

(٢) جريدة العرب ، العدد ، ١١٢ ، ١١ مايس ، ١٩١٨ ، والعدد ، ١١٣ ، ١٣ منه ، ١١٤ ، ١٥ منه ، ١١٦ ، ١٦ منه • والاعداد ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ٨٧ لسنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة •

البريطانية ، مدفوعة برغبتها لمحصول على المال بأية وسيلة ، سمحت ببيع الترياق Opium ومنحت بائعه في البصرة اجازة لبيعه • كما سمحت لحملة اجازات بيع الترياق بفتح ثلاث محلات في العشار لبيع هــذه المادة للعمال الايرانيين • وفي تلك السنة كان المجاز ببيع الحشيش سجينا لانـه يشتغل في التهريب ، ولذا كانت الاجازة حين كتابة التقرير غير ممنوحـة لمن تقدموا لطلبها[١] • ولا ندري اذا كانت القواعد الانسانية العامة تبيـح اجراءآت كهذه •

ويظهر أن السلطات البريطانية في عهد الاحتلال لم تتردد في أخـذ رسوم على جثث الموتى[٢] التي تدفن في مقـابر النجف • وكانت هـــذه الضريبة تسمى ضريبة « الدفنية » وكانت تؤخذ على ممن تجاوز عمـره الثلاث سنوات وجلب للمدفن في وادي السلام (مقبرة النجف) أو الحضرة « مرقد الامام علي (ع) » • ويصف المستر ونيكت Wingate النجف هذه الضريبة بأنها مربحة ، وان حصيلتها في سنة ١٩١٨ كانـت (٠٠٠ر٤٨) روبية ، ويتنبأ أن يكون دخلها في العام المقبل (٠٠٠ر٢٠٠ر١) روبية وذلك بعد أن ترفع القيود عن نقل الجنائز •وهناك ضريبة أخرى متممة للضريبة سالفة الذكر وتسمى ضريبة الحجر الصحي (الكرنتينـــة) • ويصفها ونيكت بأنها مربحة جدا وان لها مبرراتها التامة • وكانت السلطات تأخذ (٤) روبيات عن كل جنازة تصل الى النجف ، وقد بلغت حصيلتها في سنة ١٩١٨ (٠٠٠ر٥٣) روبية وتأمل السلطات المحلية أن تبلغ حصيلتها في السنة القادمة (٠٠٠ر٢٠٠ر١) روبية •

هذه أمثلة عن الرسوم والضرائب التي لا يســندها مبرر شــرعي

---

(١) Reports, Vol I, p. 245.

(٢) كان مقدار هذه الضريبة (٧٥٠) ربية على كل جنازة تدفن في الرواق ، و ٥ر٦٢ ربية على التي تدفن في الطرمة (٢٥ر٣١) ربية على التي تدفن في الحجرة ، و (٢٥) ربية على التي تدفن في الصحن (٢٥ر٦) ربيات على التي تدفن خارج المدينة •

واضح ، أما الضرائب الشرعية وكثرتها وطرق جبايتها فسنبحثها في فصل آخر من هذا الكتاب •

ثانيا ــ الاجراءآت الادارية : ان الحكومة المحتلة عاملت أبناء العشائر معاملة شعب غير متمدن فاعتمدت في حل مشاكلهم على التحكيم العشائري واكتفت بأخذ الدية (الفصل) من القاتل[١] • يضاف الى ذلك أن حكومة الاحتلال بلورت العادات العشائرية في نظام أسمته « نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية »[٢] • ويرى الاستاذ ضياء شكارة أن حكومة الاحتلال سنت نظاما خاصا لادارة المناطق العشائرية قيل انه مستمد من نظام الحكم الذي أنشأه وطبقه في بلوجستان السير روبرت ساندمان • ويقول ان الادارة البريطانية العسكرية اتخذت خطة جديدة لتعزيز النظام القبلي واعادة بناء المجتمعات العشائرية واخضاع العشائر للانظمة البدوية بقوة القانون وذلك بالوسائل التالية : أولا ــ تعزيز نظام المشيخة • ثانيا ــ اشراك شيوخ العشائر في الحكم • ثالثا ــ منح نظام خاص لحسم المنازعات المدنية والجزائية بين أفراد العشائر وفق العادات والتقاليد البدوية[٣] •

ويظهر أن كثيرا من موظفي حكومة الاحتلال كانوا سيىء الادارة

---

(١) Political Officer's Reports from Iraq, Aug. 1919. p. 1.

(٢) وقد أصدر هذا النظام في بغداد في اليوم الـ ٢٧ من تموز ، ١٩١٨ ، الميجر جنرال ايج٠دي فانشو القائم بأعمال القائد العام للحملة العراقية • وهو مكون من (٦٢) مادة • وقد جرت عليه تعديلات عديدة ، منها التعديل الذي ضمن بقانون سمي (قانون تعديل نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩٢٤) • كما عدل مرة أخرى بقانون سمي قانون ذيل نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨ ، رقم ٧٦ لسنة ١٩٣٣ • وقد الغي هذا النظام بعد قيام ثورة ١٤ تموز الخالدة سنة ١٩٥٨ •

(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية (نسخة مطبوعة على الآلة الطابعة) ص ٨ •

« ولقد كان جهل أولئك الموظفين بنفسية العراقيين واختلافهم العريض مع الهند ، في الشعور والاحساس والتقاليد السبب الاول في مضاعفة النقمة والاستياء ••• وأصبح سلوك السلطة الجديدة موضع ريبة الاوساط الوطنية » • وعندما عينت حكومة الاحتلال الكابتن كرين هاوس F.S. Greenhouse حاكما على النجف ، أساء السيرة حتى انه اذا مر بشارع جعل أمامه من يستعمل السوط[1] ليفسح الطريق للحاكم المذكور• وجاء بعد هاوس الكابتن ونيكت الذي كانت شراسته مضرب المثل[2] •

ويقول العمري أن جيش الجواسيس كان منتشرا في المدن والقرى والعشائر ، ولم يكن اذ ذاك أثر لحرية المطبوعات أو الاجتماع ، يضاف الى ذلك ان الحكام السياسيين قلدوا اناسا من العوام بعض المناصب الامر الذي أزعج الاهلين[3] •

ويظهر أن سلطات الاحتلال كانت تلجأ الى السخرة أحيانا لتهيأة ما تحتاجه من العمال وقد كتب حاكم الشنافية يقول : « لقد استخدم عدد من العرب في بناء سكة الحديد وكنا نلجأ الى جمع العمال بالقوة في حالات كثيرة »[4] •

---

(١) لقد أخبرني شاهد عيان أن الناس ضجوا من صاحب السوط فشكوا الامر للشيخ عبدالكريم الجزائري ، وصادف أن اجتمع الشيخ والحاكم في أحد البيوت وقبل دخول الحاكم شهد الشيخ فعلة صاحب السوط مع الناس فما لبث الشيخ أن صفعه ولم يقل الحاكم شيئا احتراما للشيخ •

(٢) علي ، عباس ، ن•م ، ص ٣٩ •

(٣) مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٤ •

(٤) Reports, I, 58.

يقول حاكم الشنافية أن الشيوخ قد أظهروا تذمرهم من جمع العشائر للعمل، وان مايكسبه هؤلاء يساوي(٤) آنات يوميا ولذاكان الشيوخ مضطرين لان يدفعوا لهؤلاء من جيوبهم • ومما قاله الشيوخ أن هؤلاء =

ويظهر أن سلطات الاحتلال لم تعط ناحية التربية والتعليم ما تستحقه من الاهتمام • وفي مرة تباحثت المس بيل Gertrude Bell مع أحد زملائها حول التربية والتعليم في العراق ، وما عملته الحكومة في هذا الحقل ، فظهر لهما أن ما عمله الانكليز في هذا الحقل لا يبعث على الارتياح • وتضيف بيل الى ما سبق قولها « ان الناس في العراق ميالون الى التعليم العالي ، وان تقاعسنا عن ذلك يجعلهم يعتقدون اننا نريد أن نبقيهم متأخرين عن قصد »(١) •

ان الامثلة التي أوردناها تشير الى بعض مساوىء دور الاحتلال البريطاني للعراق ، ومع هذا فلا يخلو هذا الدور من محاسن • ومن أهم هذه المحاسن ان الاحتلال الانكليزي هيأ لبعض العراقيين فرصة مواتية للاتصال بالمدنية الغربية اتصالا مباشرا ، والتأثر بهذه المدنية بقدر ما كانت الاحوال الاجتماعية والفكرية لهؤلاء الافراد تسمح بذلك •

يضاف الى ذلك أن حكومة الاحتلال بأنظمتها الجديدة ، وأساليبها الادارية المتقنة ، واستعمالها الطرق العلمية لمعالجة مشاكل البلاد ، قدمت نموذجا حيا لحكومة حديثة تفوق كثيرا حكومة العثمانيين المنقرضة • وكان للجهود التي بذلتها حكومة الاحتلال في سبيل نشر النظام واطاعة القانون أثر كبير في توضيح فكرة الحكومة الحديثة خاصة لافراد القبائل الذين لم يسبق لهم أن شعروا بوجود الحكومة الا قليلا • ولهذا ساعدت فترة الاحتلال الانكليزي للعراق على تهيأة الظروف الملائمة لقيام الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ •

= الناس كانوا يتركون حقولهم ليقوموا بالعمل الامر الذي أدى الى تأخر الزراعة ، وأخيرا يبين أن ادارة السكك لم تعمل محلات لايواء هؤلاء العمال •

(١) The Letters of Gertrude Bell, Vol. 2, London, 1947, p. 396.

حالة العراق الاقتصادية في عهد الاحتلال :

كان التأثير الاقتصادي للاحتلال الانكليزي يختلف في جنوب العراق عنه في وسطه وشماله ، ويعود ذلك الى طول المدة التي قضاها الانكليز في الجنوب من جهة ، والى قوة نفوذهم هناك وما يتبع ذلك من استقرار من جهة أخرى • ويقول لونكريك « ان الضباط السياسيين استطاعوا ، نتيجة للاستقرار في جنوب العراق ، وبعد هذه المنطقة عن خط النار ، أن يوسعوا اتصالاتهم ويجبوا الضرائب ويستخدموا الشبان ويقاوموا الجرائم بغيرة ودقة ناتجة عن خبرة شخصية ••• وقد استطاعوا تأمين الطرق ومنعوا المنازعات القبلية ، وكانت الاماكن البعيدة فقط من ديار المنتفك وبني حجيم لم تستقر استقرارا تاما • أما أهل البصرة فقد ظهرت عليهم امارات الثراء ، ولما كان قادتهم اناسا ثاقبي الرأي ، نرى السكان يظهرون اهتمامهم في مستقبل مدينتهم التجاري أكثر من اهتمامهم في الحركة القومية[(١)] التي كانت منتشرة بين ظهرانيهم في فترة ما قبل الحرب ••• »[(٢)] • ويوضح لنا الاستاذ سليمان فيضي التغييرات التي طرأت على حالة أهل البصرة بعد الاحتلال حين يقول : « أدى انتقال الحكم من أيدي العثمانيين الى الانكليز ، الى حدوث تبدلات جوهرية في حياة الناس ، وفي القيم الاجتماعية والسياسية للافراد ، أو بالاحرى ان الاحتلال الانجليزي للبصرة كان بمثابة انقلاب حاسم في مختلف نواحي الحياة فيها • فحين عدت الى المدينة كان الكثير من أوصافها قد تغير ، فبرزت الى الميدان طبقة

---

(١) لقد أشرنا سابقا الى أن تغيير الاتجاه السياسى للسيد طالب النقيب زعيم الحركة القومية في البصرة ، وميله للتعاون مع الانكليز بعد احتلالهم للعراق كان من الاسباب الرئيسة لضعف الحركة القومية في البصرة • أما تفضيل البصريين لمصالحهم التجارية على مصلحتهم القومية ، كما يعتقد لونكريك ، فهو أمر فيه نظر •

(٢) Op. cit, p. 93.

جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء ، بالغت في الترحيب بالمحتلين الجدد ، وربطت مصالحها بمصالحهم • بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرغ على أعتابه ، وربأوا بانفسهم من التهالك على نيل مرضاته »[١] • وقد أثرت الحرب في الحياة المعاشية بالبصرة فارتفعت ايجارات البيوت فيها الى أربعة أو خمسة أضعاف ما كانت عليه سابقا • وان القصابين والخبازين رفعوا أثمان حاجياتهم وسببوا مشاكل للمستهلك • وكانت مشكلة التمور وأثمانها أهم المشكلات التي نالت اهتمام الاهلين • وقد أظهر المزارعون تذمرهم من سلوك كابسي التمور وشركات النقل • وكان كابسو التمور يدفعون (٢٠٥) روبية للكارة الواحدة بينما يريد المزارعون (٥٠٠) روبية لكل كارة ، وحجة الاولين أن هيئة السيطرة على الاغذية في الاسواق الاوربية لا تقدم أكثر من هذا الثمن • أما تجار النجف فكانوا ، كما يقول ونيكت في سنة ١٩١٨ ، يعيشون بعقلية العصور الماضية ، تلك العصور التي كانت فيها البضائع التجارية تنقل بطرق القوافل ، ولذا فهي محفوفة بالمخاطر • وكان التجار يأملون من صفقاتهم التجارية ربحا يساوي ١٠٠٪ من ثمنها • وكان الزائر الايراني الذي أمّ النجف بدافع التقوى ، والبدوي المتوحش الذي بهرته مظاهر المدنية ، تحت رحمة هؤلاء التجار • فلا استتباب الامن الذي كان مفقودا في العهد التركي ، ولا تدفق البضائع الى النجف بعد معركة الشعيبة ، التي أصبحت بعدها النجف، سوق العراق التجاري « Eporium » استطاعا أن يغيرا عقلية التاجر النجفي • فهو يحفظ صفيحة النفط ، مثلا ، في سردابه لمدة طويلة على أمل أن يزيد سعرها آنة • ويعتقد ونيكت ان علاجهم الوحيد هو أن تجعل اليهود يقطنون بينهم أو تسهل هجرة الهنود الى بلدتهم[٢] •

---

(١) في غمرة النضال ، ص ٢٠٢ •

(٢) Reports, I, p. 68.

أما الحالة في بغداد ، فيقول التقرير الرسمي عنها : « ان الصعوبات التي يتعرض لها جميع التجار في كل أنحاء العالم ، أثنـــاء الحرب ، وقد فعلت مفعولها في العراق وتعرض التصدير ، مثلا ، لصعوبات ناشئة عن قلة وسائل النقل • ولم تتوفر وسائل النقل لتصدير الجلود والصوف والمــواد الخام الاخرى التي تجمعت في بغداد قبل احتلالنا ، والتي نحن في حاجة ماسة لها في الوطن • ويصدق ذلك على التمور أيضا ••• وعلى هذا فقد تأثر الوضع المالي في ولاية بغـــداد بصورة عكسية ، ولــــكنه ما لبث أن تحسن • وبالرغم من ذلك فان عملتنا قد تكدست في الاسواق ، وحصــل لها كساد كبير نظرا لقلة البضائع المستوردة »[١] •

ويشير الاستاذ علي البازركان الى أن ازمـــة اقتصادية قد اجتاحت بغداد بعد دخول جيوش الاحتلال فيها ، واختفت من الاسواق جميـــع المواد الغذائية وارتفعت أسعارها ارتفاعا فاحشا ووزع الطحين والشـــعير بالبطاقات الى الاهلين بكميات قليلة جدا[٢] • ويشير الجنرال هالـدن الى أن حالات كثيرة حصلت أثناء الحرب استخدمت فيها دور الملاكين لايواء الجند • وقد اعتبر الملاكون هذا الاجراء في أول الامر قضيـــة لا مناص منها ، ولكن بعد أن مضى وقت طويل على عقد الهدنة ، بدأ شعور عـدم الرضا ينتشر بين أصحاب هذه الدور لا سيما وان دورهم لا تزال مشغولة [١٩٢٠] بالجند وبأجرة تقل عن الاجور السائدة حينذاك في السوق[٣] •

أما تأثير الاحتلال بالنسبة لطبقة خاصة من السكان يطلق عليهـــا هالدن طبقة « الافندية » ، فكان سيئا « اذ بقي المئات من هؤلاء بدون عمل فلجأوا لبيع ممتلكاتهم أو رهن دورهم ولم نعرهم اهتماما كبيرا بعد الهدنة•

(١) Reports of the Baghdad Wilayat, 1917. p. 3.

(٢) البازركان ، ن•م ، ص ١٥ •

(٣) Op. cit, p. 23.

وتقاس أهمية هؤلاء بما يستطيعون اثارته من اضطرابات »[١] • ولم يعط هؤلاء الافندية الذين كانوا موظفين عند الحكومة العثمانية رواتب تقاعدية كافية • وأما الراتب الزهيد الذي كان مخصصا لهم فكان يسلم اليهم مصحوبا بالتحقير والاهانة الامر الذي اضطر بعضهم الى تركه • وقد ساء وضع هؤلاء فاضطروا الى رهن وبيع ممتلكاتهم[٢] •

ولم يسلم سكان المدن الاعتياديون ـ التجار وأصحاب الحوانيت والفنانون وأمثالهم من التأثر بالاوضاع الجديدة ، فوضعت اليد على بيوت معظمهم لغرض ايواء الجند ، كما تأثروا بارتفاع أسعار المواد الضرورية وغيرها • يضاف الى ذلك أن ضريبة الاملاك وقدرها ١٠٪ من مبلغ الايجار السنوي للدار أثرت في حياتهم الاقتصادية[٣] •

وكتبت المس بيل في ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ الى أبيها قائلة : « ان تكاليف الحياة هنا عالية وبالرغم من انني استلم جراية Ration ولكنني مضطرة ان اشتري الصابون والسكر والبيض بأثمان عالية ••• »[٤] •

ولم تكن المشكلات المالية التي جابهت حكومة الاحتلال مقتصرة على المجتمعات المدنية ، بل ظهرت مثل هذه المشكلات في الريف أيضا • ومن أهم هذه المشكلات مشكلة الملاكين الغائبين The Abseentee Landlords وعندما يتحدث حاكم الحلة السياسي في سنة ١٩١٨ عن هذه المشكلة يقول : « تتطلب مشكلة الملاك المتغيب حلا سريعا • وغالبا ما يكون هؤلاء الملاكون من البغداديين الذين اتبعوا أساليب ، ٥٠٪ منها على الاقل ، كانت

(١) Ibid, p. 24.

(٢) العمري ، طاهر ، ن•م ، ج٣ ، ص ٣٠٦ •

(٣) Haldane, Op. cit, p. 24.

(٤) The Letters, II, p. 36.

ملتويـــة Shady للحصول على سند طابو لارض واسعة وخصبة . ولم يكن هذا الملاك ، في حالات كثيرة ، قد رأى الارض التي يمتلكها . وفي تسع وتسعين حالة من مجموع مائة حالة ، لم يستلم الملاك حصتــه من الناتج بصورة كاملة . واغتنم أفراد القبائل ، في بعض الحالات ، ضعف الحكومة التركية خلال الحرب فادعوا ملكية الارض التي كانت تسكنها قبيلتهم منذ عهد قديم . فنحن الان أمام صنفين من الادعاءات المتناقضة ، يمثل أحدها الملاك ، الذي يحتفظ بمستنداته الرسمية كاملـــة ، والذي يدعي أن القبائل المتوحشة ، التي لا تتورع عن سلب الحقوق ، قد سلبته حقه . أما الصنف الثاني فيمثله أفراد القبائل ، وهؤلاء لا يقل اصرارهم حول مشروعية حقهم عن اصرار الملاك . ويدعي هؤلاء ان المستند الذي يثبت أحقيته بأرضه ، التي انحدرت اليه من أسلافه ، أتلفـــه موظفون فاسدون لحكومة فاسدة . وفي الوقت الذي يعترف فيه القبلي بوجـــود مستندات لدى الملاك ، لكنه لا يعترف بمشروعيتها ، ويقول انه لم يدفع ايجار الارض الا في الحالات التي يجبر فيها على ذلك »(١) .

ومن أشهر الامثلة على هذا النوع من المشكلات هي قضية الارض بلواء الناصرية(٢) (المنتفك سابقا) ويقول حاكم المنتفك السياسى : « لقــد راجعني عدد من الملاكين معظمهم من آل سعدون ، وادعوا انهم لم يستلموا ايجار أرضهم لعشر سنوات خلت منذ احتلالنا لمدينة الشطرة . وبعد ان دققت الموضوع وجدت أن الارض في جميـــع لواء المنتفـــك لـــم تكـــن مثبتة الحدود بصورة مضبوطة ، فبعض الاراضى تكون مساحتها الفعليـــة آلاف الافدنة بينما المساحة المسجلة بورقـــة الطابـــو لا تتعدى خمســين

---

(١) Reports, I, p. 121.

(٢) أوردت في كتابي الموسوم ب « مشكلة الاراضى في لواء المنتفك » المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦ ، تفصيلات وافية حول هذا الموضوع .

مشارة[١] أو أكثر . ومن الصعوبة بمكان انه لا توجد عقود حديثة بين الملاكين والزراع في الوقت الذي نجد مثل هذه العقود في سوق الشيوخ . ويدعي المزارعون أن معظم الاراضى التي يطالب بها آل سعدون هي أميرية . وقررت [الحاكم] انه في حالة عدم مطابقة المساحة المذكورة في سند الطابو لمساحة الارض التي تعينها الحدود ، تدفع الملاكية للملاك على أساس الدونمات المثبتة في السند . فمثلا ، لو أن شخصا يدعي ملكية أرض مساحتها (٢٠٠٠) دونم ، وان ما هو مثبت في سند الطابو يساوي (٢٠٠) دونم فقط يدفع له عشر ملاكية المقاطعة المذكورة »[٢] . ان هذا الاجراء الذي اتخذه حاكم الناصرية ينطبق وسياسة حكومة الاحتلال الرامية لتأييد شيخ القبيلة والزراع ضد الملاكين . ويؤيد ذلك ما رواه العمري من أن الحكام البريطانيين كانوا « يسمعون شكوى الفلاحين من دون أن يلتفتوا الى براهين الملاكين . فأصبحت طبقة الملاكين في مقدمة المستائين »[٣] . ويقول الجنرال هالدن أن سياسة الحكومة البريطانية الرامية الى تأييد أفراد القبائل دون الملاكين أدت الى أن أفراد القبائل بالغوا في تقدير أهميتهم بما في ذلك تذمرهم من اجراءات البريطانيين الادارية ، بينما الملاكون لم يرتاحوا الى هذه الحالة[٤] .

---

(١) المشارة أو الدونم وحدة للمساحة وتساوي (٢٥٠٠)م٢ .

(٢) Political officer's Reports, Aug. 1919, p. 90.

(٣) مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٧ .

(٤) Op. cit, p. 23.

عهود الحلفاء ووعودهم

ونذكر هنا نص الوعود الرسمية التي قطعها الانكليز وحلفاؤهم للعراقيين في أثناء الحرب العظمى وفي زمن الهدنة مبتدئين بمنشور الجنرال مود ، وهو أولها ، فقد صدر يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٧ وهذا نصه :

« يا أهالي ولاية بغداد :

انني باسم مليكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم عليها أوجه اليكم الخطاب الاتي : ان الغرض من معاركنا الحربية هو دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع فاتماما لهذه المهمة وُجهت الي السلطة المطلقة على جميع الاطراف التي تقاتل فيها جنودنا .

ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء ، بل بصفتهم محررين فقد أخضع مواطنوكم منذ أيام هلاكو لمظالم الغرباء فخربت قصوركم وذوت حدائقكم وأنَّت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق . لقد سيق أبناؤكم الى حروب لم ينشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة . تكلم الترك من أيام مدحت باشا عن الاصلاح ، أفليس دثور العراق وافقاره برهانا على بطلان هذه المواعيد ؟

انها ليست أمنية جلالة مليكي المعظم وأمنية شعوبه فقط ، بل هي أيضا أمنية الامم العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته أن تعودوا كما في السابق وقد كانت أراضيكم مخصبة وكان العالم يتغذى بألبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم وقت كانت بغداد احدى غرائب الدنيا .

« لقد ارتبط قومكم بممتلكات جلالة مليكي المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تبادل تجار بغداد وتجار بريطانية من مدة مائة سنة المنفعة والصداقة . أما الالمان والاتراك الذين نهبوكم انتم وذويكم فقد اتخذوا

بغداد مدة عشرين سنة مركزا يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في ايران والبلاد العربية ولذلك لم تستطع الحكومة البريطانية السكوت عما يحدث في وطنكم حاضرا أو مستقبلا ، ولا نتسامح قياما بواجب مصلحة الشعوب البريطانية ومصلحة حلفائها في أن يرتكب الترك والالمان ما ارتكبوه مرة ثانية في بغداد .

ويجب عليكم يا أهل بغداد ، يا من جئنا نحميكم من الظلم والغزو ونضمن حرية تجارتكم ويا من ستنالون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومة البريطانية أن تعلموا أن هذه الحكومة لن تفرض عليكم أنظمة أجنبية عنكم نامنيتها الوحيدة أن تحقق ما تطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى ولسوف يسعد أهالي بغداد ويتمتعون بالغنى المادي والادبي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة ومطامحهم القومية .

لقد طرد العرب في الحجاز الترك والالمان الذين بغوا عليهم ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكا عليهم وعظمته يحكم مستقلا حرا وهو متحالف مع الامم التي تحارب دولتي تركية والمانيا ، وهذا شأن أشراف العرب وامراء نجد والكويت وعسير .

لقد ذهب كثيرون من أشراف العرب ضحية في سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام الغرباء الذين ظلموهم . وانكلترا وحلفاؤها مصممون على أن لا تذهب دماء هؤلاء الابطال هدرا ، وأمنية انكلترا وحلفائها أن تسمو الامة العربية مرة أخرى وتستعيد عظمتها ومجدها وأن تعمل لادراك هذه الامنية متحدة متفقة .

يا أهل بغداد تذكروا انكم تألمتم ٢٦ جيلا آذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائما الى الايقاع بين البيت ورب البيت كي يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها لانها اغراء بالعداوة

ولا يستقيم معها حال ولا يستقر معها سلام ، وأنا مأمور بأن ادعوكم بواسطة اشرافكم وشيوخكم الطاعنين في السن وممثليكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش كي تنظموا الى ذوي رحمكم شمالا وشرقا وجنوبا وغربا في تحقيق مطامحكم القومية .

صدر من مركز رئاسة الجيش البريطاني ببغداد في ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩ مارس سنة ١٩١٧[١] .

٢

وقد اكد الفريق الاول السير وليم مارشال قائد جيش الاحتلال في العراق بيان سلفه الجنرال مود ببيان جديد قال فيه أن « الجنرال مود ... لم يجد سعة في عمره لانجاز هذا الوعد فقد وضع الاساس وبقي علي اتمام البناء » . ويستمر مارشال ببيانه فيقول : « ويمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التي اعطيت مرارا يجب ان تنجز في اول فرصة ممكنة وبمثابة عربون في الوقت الحاضر يدل على نياتنا الحسنة أبلغكم ما يأتي : ١ ـ يسمح لاسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع الى اوطانهم ما عدا الذين من الجيش التركي . ٢ ـ تطلق الحرية التامة للتجارة وتخفف تضييقات الحصار في داخل الاراضى المحتلة . ٣ ـ يخفف التضييق أيضا على العمل الشخصى . ٤ ـ يسمح بنقل الجثث التي تدفن في كربلاء والنجف بشروط مناسبة . ٥ ـ تفتح الطريق من جديد للزيارات المنظمة للاماكن المقدسة ٦ ـ يعطى راتب شهر مكافأة للموظفين الدائمين من الاهالي في دوائر الحكومة الملكية من الذين لا يخدمون فعلا في صفوف الجيش وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام .

٧ ـ يختار بعض المسجونين في السجون الملكية ويطلق سراحهم .

---

(١) سعيد ، أمين ، ن٠م ، ج٢ ، ص ١٠ ـ ١٢ .

٨ - يوزع طعام والبسة على فقراء بغداد والمدن الاخرى وتخفف القوانين الحالية بعض تخفيف •

٣

وزار وفد من علماء النجف الحاكم السياسى ، يوم ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وكلفوه أن يبلغ القائد العام للجيش البريطاني في العراق تهانيهم بما ناله الحلفاء من نصر في ميدان سورية وفي البلقان وذكروه بما للعرب من حقوق فأرسل اليهم ردا بأسم القائد العام هذا نصه :

« يود القائد العام منكم أن تذكروا علماء النجف واعيانها وتجارها بما هو معروف عند كل أحد وهو أن بريطانية العظمى تحارب المانيا لاجل صيانة العهود التي لا يحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التي تتوقف سعادتها على رعاية العهود ، والنتيجة الحاضرة للفوز الذي أحرزته جنود الحلفاء في الشرق الادنى هي تحرير الشعوب التي قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها • وقد اذعنت بلغاريا للصلح بعدما هزمت فأجليت جنودها عن البانيا وصربيا والجبل الأسود وعلى حسب ما تقتضيه حقوق الشعوب فالمناطق التي يسكنها اليونانيون تعطى لليونان والتي يسكنها الصربيون تعطى لصربيا ويتخذ الحلفاء هذا المنهج الذي يسيرون عليه في معاملة الشعوب الاخرى قاعدة لهم في سياستهم نحو العرب وكما أن الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فالعرب ايضا حاربوا جنبا الى جنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربي(١) •

٤

وفي يوم ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ نشرت السلطة البريطانية المحتلة في العراق نص المنشور الذي اذاعته الحكومتان الانكليزية والفرنسية

(١) سعيد ، امين ، ن• م • ج٣ ، ص ١٥ ،

عن الغاية من مواصلتهما الحرب في الشرق الادنى وهذا نصه : « ان الغاية التي ترمي اليها بريطانية العظمى وفرنسة من مواصلتهما في الشرق تلك الحروب التي اثارت مطامع الالمان ، هي تحرير الشعوب الرازحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريرا تاما وتشييد حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغائب الاهالي الوطنيين الصادرة عن رضاهم وحسن اختيارهم . وتوصلا لهذه الغاية فقد اتفقت بريطانية العظمى وفرنسة على تشجيع ومساعدة تنظيم حكومات وطنية في سورية والعراق التي قد تم تحريرهما ... والاعتراف بهذه الحكومات عندما يتم تنظيمها فعلا . وان بريطانية وفرنسة لا يخطر في خلديهما قط ارغام هذه البلدان على قبول نظامات معينة من أي نوع »(١) .

واخيرا تقول المس بيل : « ان النقد الذي يوجه الينا هو اننا وعدنا بحكم ذاتي ، ولكن ليس اننا لم نخط خطوة نحو هذه الغاية حسب ، بل اننا اقمنا نظاما يختلف تماما عن الحكم الذاتي . وقد قالت جريدة عربية بحق اننا وعدنا بقيام حكومة عربية يساعدها مستشارون بريطانيون ولكننا في الواقع اقمنا حكومة بريطانية يساعدها مستشارون عرب »(٢) .

كانت البيانات والتصريحات السابقة أهم ما صدر عن المسؤلين الانكليز . ويظهر ان بعض هذه التصريحات وان نسبت للعسكريين ، فأنها كانت من صنع الساسة وصادرة عن علمهم . فالدوائر السياسية في لندن والهند هي التي اعدت منشور الجنرال مود ، مثلا ، قبل ان يطلع الجنرال المذكور عليه او يؤخذ رأيه فيه . والدليل على ذلك ان مود اذاع المنشور المنسوب اليه مع أنه لا يؤيد جميع محتوياته ، اذ كان الجنرال مود « يعد تشجيع الحركة العربية في بلاد ما بين النهرين شيئا غير مرغوب فيه ، كما

(١) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج٢ ، ص ٦١ .
(٢) The Letters, Vol II, p. 407.

تقرره وزارة الخارجية »[١] وكان الجنرال مود بالاضافة الى ذلك يعتقد ان تطبيق مقترحات حكومة صاحب الجلالة بشأن العرب لن يعـــود على بريطانية بمنافع عسكرية[٢] • وقد كثرت تعليقات الكتاب على العهود التي قطعها الانكليز للعراقيين ، بما فيها منشور الجنرال مود • فالحسني يقول :

« ان الانكليز اسرفوا في قطع العهود الطيبة للعراقيين ، اسرافهم في العبث بهذه العهود وفي الاساءة الى هذا الشعب الوديع • واذا كان الاتراك قد سعوا الى الايقاع بين البيت والبيت لكي يستفيدوا من الانشقاق ـ على حد تعبير الجنرال مود ـ فأن الانكليز سعوا الى الايقاع بين الاخ واخيه والوالد وولده ••• فأوجدوا الفوضى في اخلاق الشعب وعودوه على امتهان الكرامات ، وامعن حكامهم في سلب حرية الافراد والجماعات • »[٣] اما ولســـــن « Wilson » فيقول عن الفقرة الاخيرة من بيان مود « اذا كانت هذه الفقرة تعني شيئا فأن الحلفاء نظروا بعطف الى فكرة اتحـــاد فدرالي لبلاد العرب ، وهذه الفكرة تناقض تماما منطوق اتفاقية سايكس ـ بيكـــــو « Sykes-Picot »[٤] •

وعندما يعلق الحسني على بيان الفريق مارشال يقول : ان هذا الوعد من السر وليم مارشال وان جاء مؤيدا للوعود التي قطعها الجنرال مود ، بعيد فتحه لبغداد ، فقد قوبل بسرور غير منكور ولا سيما وعده باتخـــاذ التدابير الممكنة لازالة الشكوى من تصرفات الجند المحتل وعبثه بمقدرات البلاد واعراض الناس • ويقول الحسني : « والمتأمل في هـــذا الخطاب السخيف يرى أن حكومة الاحتلال البريطانية ترى في تسريح أســـرى الحرب ، والسماح بنقل الجنائز ، وتخفيف المراقبة على الاسفار ، واعانة

(١) ايرلنــد ، العراق ، ص ٦٥ • (٢) ايرلنــد ، ن• م ، ص ٦٥ ـ ٦٦ • (٣) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال ، ج١ ، ص ٦٢ •

(٤) Op. cit, I, 237—9.

بعض الفقراء ، نوعا من الحكم الذاتي فهل رأيت اسخف من هذا ؟ »[١]

وقالت المس بيل : « كان نشر التصريح الانكليزي ــ الافرنسي في العراق ضرورة يؤسف لها ، مهما كانت اهميته السياسية في الجهات الاخرى من العالم • فمع ان هذا التصريح جاء مكررا للنوايا التي كانت قد اذيعت على العراقيين عند احتلال بغداد قد صدر في وقت كانت فيه مصائر الحرب محفوفة بالشك والريبة وبذا كان يعتبر ضرورة عسكرية بينما نشر التصريح الانكليزي الافرنسي بعد انتصار الحلفاء فقوبل والحالة هذه بالتصديق »[٢] •

وبالرغم من صراحة بعض العهود التي منحها الانكليز للعراقيين ، وبالرغم من ان بعضها صدر في ايام السلم اي بعد الهدنة كما هي الحال في التصريح الانكليزي ــ الفرنسي ، فأن الانكليز كما يظهر لم يكونوا جادين في منح العراق الاستقلال • وهناك ادلة تاريخية تؤيد ذلك ، منها البرقية التي أرسلها وزير الهند في لندن الى سكرتير الشؤون الخارجية في « سملا » مقر نائب الملك في الهند والى الدوائر العسكرية والملكية البريطانية في العراق ، والمؤرخة في ٢٩ آذار ١٩١٧ • ومن الجدير بالذكر ان هذه البرقية صدرت بعد اعلان منشور مود سالف الذكر ، والذي أشارت فيه السلطات البريطانية الى منح هذه البلاد استقلالها • واليك بعض محتويات هذه البرقية :

(١) تبقى البصرة والناصرية وشط الحي وبدرة بحدودها الغربية والشمالية تحت الادارة البريطانية بصورة دائمة • (٢) تكون بغداد مملكة عربية يديرها حاكم أو حكومة من أهلها تحت حماية بريطانية في كل شيء

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ، ١٩٥٢ ، ص ٢٢ •

(٢) فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ١٦٦ •

الا الاسم « فانه يبقى عربيا » وبطبيعة الحال لن تكون لها علاقة مع الدول الاجنبية التي يجب على قناصلها أن يقدموا براءاتهم الى الحكومة البريطانية• (٣) تدار بغداد (خلف ستار عربي بقدر المستطاع) بواسطة وكالة وطنية وفقا للقوانين والشرائع الموجودة • (٤) في حالة ما اذا كانت البصرة لم تلحق ببغداد فأن رئيس الادارة العراقية العام يكون المندوب السامي المقيم في بغداد ، وتكون البصرة تحت ادارة حاكم يرتبط به اما اذا الحقت بها فأن رئيس الادارة العراقية يسمى آنئذ حاكم البصرة ومندوب العراق السامي • وتتكون هذه البرقية من (١٢) مادة يتعلق بعضها بأمور تفصيلية[١] •

ويظهر ان الانكليز كانوا يعلقون اهمية كبيرة على بقائهم في العراق فكتبت المس بيل في ١٠ نيسان ١٩٢٠ تقول : « نحن الان على وشك قيام تظاهرة عربية وطنية ، تلك التظاهرة التي أعطف عليها شخصيا • واني على يقين اننا ان تركنا هذه البلاد علينا ان نعيد النظر في مركزنا في آسيا كلها • ففقداننا للعراق يجر وراءه فقداننا لايران ثم الهند • وسيحل محلنا سبعة شياطين يكون اي واحد منهم اكثر سوء من الذي كان قبل وجودنا في هذه البلاد »[٢] • وكتب حاكم الديوانية السياسى في ١٩١٨ يقول : « ان السياسة التي اتبعناها منذ احتلال هذه البلاد هي تركيز النظام القبلي ••• وعندما يستقر النظام البريطاني في طول العراق وعرضه سيصبح وجود القبيلة غير ضروري للفرد العراقي ، وان هذا الفرد سيجني ثمار عمله وسيعيش بسلام وأمن لا لانه من ألبو سلطان أو من بني حسن ، بل لانه مواطن عراقي يتمتع بمزايا الوضع الجديد ••• وقبل أن يزول النظام القبلي نأمل أن نستبدل طبقة « الافندية » الحاضرة بموظفين نختارهم من أحسن أبناء المدن والقبائل ، وهناك أمل بأن القبيلة ستمدنا بعناصر مفيدة »[٣] •

---

(١) آيرلند ، العراق ، ص ٦٣ •

(٢) The Letters, II, p. 395.

(٣) Reports, I, p. 120.

وقد ظهرت رغبة بريطانية ، فيما يتعلق ببقائها في العراق ، واضحة حين أصدر نائب الحاكم السياسي العام منشورا في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ قال فيه : « ان الطريق المثلى التي يخطو بها الاهالي أول خطوة هي اشتراكهم فعلا في ادارة امورهم المحلية الخاصة ثم يرتقون مع الزمن الى امور أوسع نطاقا ، وطبقا لهذه الخطة تقرر أن ينشأ « مجلس بلدي » للنظر في امور البلدية »[١] • ويعلق فلبي على هذه المجالس المقترحة بقوله : « انه سيكون لتلك المجالس رئيس ونائب رئيس وسكرتير من البريطانيين بينما يكون للاعضاء المنتخبين الحق التام في البحث والمناقشة من دون أن يكون لهم حق التصويت »[٢] • ويقول أمين سعيد ان هذا البيان نبه أفكار العراقيين الذين كانوا يأملون أن تنشأ بريطانية دولة عربية في بلادهم الى أن الانكليز عازمون على حكم العراق حكما عسكريا استعماريا[٣] •

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من العهود سالفة الذكر كانت غامضة وصادرة من جهات عسكرية لا تتمتع بالسلطات السياسية التي هي من اختصاص وزارات الخارجية والبرلمانات في الدول الديمقراطية • وقد يكون للتصريح الفرنسي ـ البريطاني الذي أشرنا اليه سابقا نوع من صفة الالتزام الدولي لانه صادر من جهة مسؤلة وهي وزارتا الخارجية في البلدين المذكورين ، ومع هذا يظهر أن الدولتين لم تكونا جادتين فيه اذ أن اتفاقية سايكس ـ بيكو ، التي بقيت سارية المفعول بعد صدوره ، تناقضه بصراحة • ولم يكن التصريح الفرنسي ـ البريطاني سالف الذكر

(١) أورد أمين سعيد نص المنشور على الص ١٦ من الجزء الثاني من كتابه الموسوم ب « الثورة العربية الكبرى » •

(٢) فيلبي • هـ • سنت جون • أيام فيلبي في العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ، ١٩٥٠ ، ص ١٨ •

(٣) ن•م ، ج٢ ، ص ١٧ •

سببا في ابطال مواد هذه الاتفاقية الخاصة بالمناطق التي تناولها التصريح المذكور • وقد بقيت اتفاقية سايكس ـ بيكو سارية المفعول حتى ألغيت ضمنا بعد أن قرر مؤتمر الصلح بباريس مبدأ الاستفتاء في مناطق متعددة ، من بينها البلدان المنسلخة عن الدولة العثمانية • وقبل ذلك كان « الانكليز والفرنسيون يعملون سرا لابقاء قضية البلاد العربية بمعزل عن المؤتمر الا انهم اضطروا الى مجاراة الرئيس ولسن فوافق مندوبوهم يوم ٣٠ يناير [كانون الثاني] سنة ١٩١٩ ••• على قرار ••• يقضي بفصل أرمينية وبلاد العرب عن تركيا واستفتاء سكانها في تقرير مصيرها وفي اختيار وصي لها ••• »[١] • ومن الملاحظ أن الوعود والمواثيق التي حصل الاتفاق عليها بين السلطات البريطانية في مصر والشريف حسين ، رغم ضعف سندها القانوني لانها لم تأخذ شكل معاهدة أو اتفاقية موقع عليها من وزارة الخارجية البريطانية ، لم تنص على منح جميع البلاد العراقية ، باعتبارها من البلاد التي تناولتها اتفاقية الحسين ـ مكماهون ، استقلالها بعد الحرب • ويظهر أن بريطانية كانت تتجنب كل ما من شأنه أن يلزمها صراحة بالاعتراف باستقلال العراق بعد الحرب[٢] •

وقد سبق ان أشرنا في بداية هذا الفصل الى الاسباب التي حملت

---

(١) سعيد ، أمين ، الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٩ •

(٢) أورد سليمان فيضي على الص ١٨٩ ـ ١٩٠ ، من كتابه المذكور سابقا ، صورة لمشروع اتفاق كان المنوى عقده بين السيد طالب النقيب والسلطات البريطانية في الخليج العربي • وكان المشروع يتألف من عدد من المقترحات ينص الخامس منها على انه « اذا تم اخراج الترك من البلاد ، تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الانجليز ، ملكية أو جمهورية حسب رغبة الشعب » • وقد قابلت الحكومة البريطانية هذه المقترحات بالرفض ، رغم انها تؤمن مصالحها الاقتصادية في العراق •

بريطانية على اتخاذ هذا الموقف تجاه استقلال العراق • وبعد ان تناولت ما يتعلق بالعهود التي قطعتها بريطانية للعراق ، سأتناول بحث التدابير التي اتخذها العراقيون للحصول على استقلال بلادهم • وسأقسم هذه التدابير تسهيلا للبحث الى ما يأتي : أ ـ تشكيل الجمعيات والاحزاب السياسية • ب ـ القيام بالاحتجاجات والمظاهرات • ج ـ القيام بالانتفاضات المحلية • د ـ القيام بالثورة سنة ١٩٢٠ •

الجمعيات والاحزاب : لقد وردت اشارات الى نشوء جمعية سرية اسمها « جمعية النضهة الاسلامية » اتخذت النجف الاشرف مركزا لها • وكانت هذه الجمعية ، التي أسهم بعض الروحانيين[١] بفعالياتها ، تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في النجف والمناطق المجاورة لها • ويقول عباس علي أن هذه الجمعية تأسست في عهد الكابتن مارشال ، حاكم النجف السياسي ، الذي كان لسوء سيرته أثر في اقدام جماعة من النجفيين على اغتياله[٢] • ويظهر أن لهذه الجمعية صلة في قضية اغتيال حاكم النجف • وكانت هذه الجمعية قد وحدت « مساعيها مع الناقمين على سياسة السلطة المحتلة واستحسنت فكرة اغتيال الحاكم كذريعة للقيام بثورة يمتد لهيبها الى جهات مختلفة »[٣] • وتقول المس بيل بخصوص هذه الجمعية انه عندما « استولت الفرقة الخامسة عشر على هيت وغزت عانة ، وقع في ايدينا ضابط الارتباط الالماني ومعه جميع أوراقه • وقد دلت هذه المستندات على

---

(١) كان من بين الروحانيين الذين أسهموا بأعمال هذه الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري • واشترك فيها لفيف من رؤساء النجف أمثال كاظم صبي وعباس علي الرماحي • ومن الشباب الذين اشتركوا فيها عباس الخليلي وعبدالرزاق عدوه وغيرهما •

(٢) زعيم الثورة العراقية ، ص ٤١ •

(٣) الحسني ، عبدالرزاق ، العراق في دوري••• ، ج١ ، ص ٣٦•

وجود « لجنة للثورة الاسلامية » في النجف ، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزا لخلق الاضطرابات بين العشائر • و كان مائـــة من رجال الدين أو أكثر متورطين فيها ، لكنها لم تكن تضم اناسا ذوي أهمية من الدرجة الاولى • وكان الرئيس شخصا من أسرة بحر العلوم العلوية • وكان نشطا في الدعوة الى الجهاد حتى سقوط بغداد »[١] •

وقد ورد ذكر لجمعية سـرية أخرى باسـم « الجمعيـة الوطنيـة الاسلامية » • وقد تألفت عقيب الهدنة في كربلاء ، تحت اشراف آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي وتحت رئاسة ابنه المرزا محمد رضا • وكان هدفها العمل ضد حكومة الاحتلال • ومن أهم العاملين فيها السيد هبـة الدين الحسيني الشهرستاني ، والسيد حسن القزويني ، والسيد عبدالوهاب وعبدالكريم العواد وعمر الحاج علوان وشقيقه عثمان وطليفح الحسون من رؤساء الناصريـــة وعبدالمهـــدي آل قنبر ومحمـــد علي أبو الحب وغـــيرهم[٢] •]

جمعية العهد العراقي : أشرنا في فصل سابق الى تأسيس جمعيـــة العهد قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى • وكانت هذه الجمعية عند تأسيسها تعمل للقضية العربية[٣] بمعناها الشامل دون تخصيص قطر معين من الاقطار العربية • و قد انقسمت هذه الجمعية خلال الحرب العالميـــة الاولى الى جمعيتين ، اطلق على احدهما اسم « جمعية العهد العراقي » والثانيـــة « جمعية العهد السوري » • وقد وردت تفصيلات عن الوقت الذي انقسمت

---

(١) فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ٥٠ •

(٢) العمري ، طاهر ، ن•م ، ج٣ ، ص ٣٣٣ •

(٣) البصير ، ن•م ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ •

فيه جمعية العهد الى شطرين وعن دوافع هذا الانقسام في مظانها[١] • وقد جاء في المادة الاولى من برنامج جمعية العهد العراقي ما نصه : « ان غايات الجمعية الاساسية هي ما يأتي : (أ) استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية ••• (ب) طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانية العظمى على أن تكون هذه المساعدة بالثمن وأن لا تمس استقلال العراق التام • (ج) انهاض الشعب العراقي ليباري أرقى الامم الغربية • (د) السعي لخير الامة العربية عامة[٢] •

وكان الاتجاه العام الذي يسيطر على رجال العهد هو أن التعاون مع بريطانية أمر ضروري لنجاح القضية العربية عامة والعراقية خاصة • ويظهر أن هذا الرأي لم يعتنقه منتسبو العهد حسب ، بل اعتنقه آخرون من الساسة العراقيين • ويؤيد ذلك ما رواه الحسني من أن « المشتغلين في السياسة من العراقيين والمنضمين الى حزب العهد العراقي والى الاحزاب والجمعيات السياسية الاخرى في العراق كانوا على قسمين : يدين أحدهما بالقومية العربية ويرى أن التعاون مع الانكليز انما هو انتصار للقضية العربية • ويقول الآخر بضرورة الاستغناء عن معاونة هؤلاء الانكليز ما داموا يعملون على تقويض الخلافة الاسلامية في تركية • وكان القائلون في الرأي الاول أكثرية في حزب العهد العراقي فانتصروا على مخالفيهم »[٣] •

ويمكن تلخيص الاعمال التي قام بها حزب العهد العراقي في الشام خدمة للقضية العراقية :

---

(١) بيل كرترود ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٣٣ ؛ الحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٤٤ ؛ البصير ، ن٠م ، ج١ ، ص ١٠٠ •

(٢) سعيد ، أمين ، ن٠م ، ج٢ ، ص ٢١ •

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ٤٥ •

(١) قدم الحزب احتجاجات على سياسة الحكومة المحتلة في العراق •

(٢) قام حزب العهد بدعاوة واسعة ومنظمة لحركة الكفاح في العراق ولانشاء دولة عراقية مستقلة فيه[١] •

(٣) اغتنم حزب العهد فرصة وجود لجنـــة الاستفتاء الامريكية[٢] فأظهر لها رغبته في استقلال العراق ورفع الحواجز السياسية والاقتصادية بينه وبين ســورية المستقلة • ولكي يطلع الحزب اللجنة المذكورة عـــلى وجهة نظره كاملة ، قدم لها بيانا[٣] مفصلا •

---

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٤٥ ،

(٢) قرر مجلس الاربعة المكون من انكلترا وأمريكا وفرنســـا وايطاليا في ٢٠ آذار ١٩١٩ ارسال لجنة مختلطة لاستفتاء سكان فلسطين وسورية بما فيها لبنان واستجلاء رغابتهم في اختيار الدولة أو الدول التي ينتدبونها على بلادهم وفقا للمادة (٢٢) من عهد عصبة الامم • وقد جـــاء هذا القرار ضربة على اتفاقية سايكس ـ بيكو التي جعلت سورية من حصة فرنسا • ولما كانت فرنســـا وانكلترة يعلمان ان الاستفتاء لن يكـــون بصالحيهما امتنعا عن ارسال ممثليهما في لجنة الاستفتاء ، فاضطر الرئيس ويلسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية الى ارسال لجنة أمريكيـــة فقط طالما كان القصد منها الوقوف على ر غائب الشعب • وقد تجولت اللجنــة في ربوع سورية ولبنان واستمعت للاهلين • وكان المستر كراين رئيســ اللجنة قد طلب بالحاح من السلطات البريطانية أن يزور العراق ولكــن طلبه قوبل بالرفض • وظهر الى اللجنة أنه «لا معنى للقول بأن هذه الشعوب [شعبا سورية بما فيها فلسطين ولبنان] لا تصلح لحكم نفسها بنفسها » •

(٣) يتكون البيان المشار اليه من عدة نقاط أهمها : (١) نطلــب الاستقلال التام للقطر العراقي ••• (٢) أن يكون لنا في العراق حكومــة مدنية دستورية ملكية ويكون ملكها أحد أنجال الملكحسين ••• (٣) نحتج على فقرة الانتداب من المادة (٢٢) من قرار عصبة الامم ونرفضها رفضـــا باتا • (٤) ما نحتاجه من المعونة في الامور الفنية والاقتصادية نستعين به من أمريكا على ان لا تمس باستقلالنا التام • (٥) نرفض مهاجرة كل عنصر غريب عن العنصر العربي الى البلاد العربية المحررة كالهنود واليهـود • (٦) نطلب الاستقلال التام للقطر السوري •

(٤) كان رجال حزب العهد في الشـــام ممن عملوا عـــلى اثـــارة الاضطرابات في شمال العراق ضد السلطات البريطانية[١] •

(٥) اتصل حزب العهد العراقي في الشـــام بالاحزاب والجمعيات الاخرى في داخل سورية وخارجها لغرض توحيد المساعي من أجـــل القضية العربية والعراقية •

(٦) ارسل رجال العهد كميات من المال لتصرف على الحركة الوطنية في العراق[٢] •

ان قضية المال الذي ورد من سورية للعراق على يد العهديين من أكثر القضايا التي ورد عنها تناقض كبير • فناجي السويدي يدحض رواية المس بيل القائلة بأن أباه استلم (١٦٫٠٠٠) ليرة ويقول : « لم أسمع بورود شيء من الاموال والذخائر ، من سورية الى العراق ، سوى ما قد بلغني من اعطاء مبلغ ، أظنه لا يتجاوز الاربعمائة جنيه ، دفع في أوائل سنة **١٩١٩** ، أي قبل نشوب الثورة بسنة ، لكي يصرف على بعض الجمعيات العراقية »[٣]• وعندما سئل ناجي شوكت عن الاموال التي وردت من العهديين في سورية الى العراق قال : « لم أسمع ولا أظن »[٤] • وعلي البازركان هو الآخر

---

(١) بيل ، المس كر ترود ، فصول ، ص ١٣٤ •

(٢) تقول المس بيل على الص ١٣٤ من كتابها السابق « لقد أخبر يوسف أفندي السويدي السيد طالب باشا بأن مجموع ما قد تسلمه هو (١٦٫٠٠٠) ليرة وشكا من عدم كفاية المبلغ ••• وعلم أن (٣) آلاف لـيرة أخرى كان تسلمها الشيخ سعيد النقشبندي » • ويقول جعفر خياط مترجم كتاب بيل سالف الذكر ان الشيخ سعيد تسلم (١٠٠٠) ليرة أخرى مـن عضوين من أعضاء جمعية العهد جاءا من الشام لاصلاح الخلاف الواقع بين أعضاء الجمعية المذكورة •

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ٢٠٤ •

(٤) الحسني ، ن•م ، ٢٠٤ •

ينفي ورود أموال من سورية لاعانة الثوار في العراق ويقول : « ان الثورة العراقية لم تستعن بأموال من الخارج ، عدا (١٥٠) باونا سلمها جميل المدفعي الى جلال بابان »[١] • وكان لجمعية العهد العراقية في الشام فرع في الموصل وهو الاسم الذي أخذته جمعية « العلم » الموصلية التي أشرنا اليها سابقا ، وآخر ببغداد • ويظهر أن فرع جمعية العهد بالموصل ، بحكم الظروف الجغرافية وسهولة الاتصال بين الموصل والشام ، كان أكثر نشاطا من فرعها ببغداد • وقد نشرت[٢] جريدة « صدى الاحرار » الموصلية لصاحبها محمد رؤف الغلامي جملة من الرسائل المتبادلة بين فرع الجمعية بالموصل ومركزها في الشام • وقد وردت في رسالة مؤرخة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ عدة من القضايا الهامة نورد لك ملخصا لها • (١) أشارت الرسالة الى انها جواب لرسالة مؤرخة في (٨) تشرين الثاني سنة ١٩١٩ • (٢) قال مرسلو الرسالة « بامكاننا أن نرسل تحاريركم الى بغداد بصورة دائمية ••• » • (٣) أخبر المرسلون مركز الجمعية بالشام بأنه « لم تترك الحكومة الاحتلالية شيئا من أنواع الشدة والقسوة الا استعملته مع الاهلين ••• أما الجزاء النقدي الذي قد شكل أعظم منبع لواردات حكومة الاحتلال فان المحكومين يعدونه نعمة كبرى ازاء العذاب الجسماني والحقارة ••• وأما الضغط على الافكار العامة فقد بلغ أقصى شدته وقد منعت السلطة المحتلة اصدار الجرائد الوطنية السياسية منعا باتا فلا يوجد الان في جميع العراق سوى الجرائد الرسمية الانكليزية وهي جريدة الموصل وجريدة نجمة الكركوكية التي تصدر نصفها باللغة التركية والنصف الآخر بالعربية وجريدة العرب البغدادية وجريدة الاوقات البصرية وتصدر الى جنبها في البصرة جريدة بصرة تايمس باللغة الانكليزية

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ •

(٢) كانت هذه الرسائل تنشر في « صدى الاحرار » تحت عنوان صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية بتوقيع « مؤرخ » •

ولا يوجد في العراق سوى مجلة واحدة وطنية هي مجلة اللسان الادبية • وقد منعت أيضا حرية الكلام والاجتماع وبث الجواسيس بين جميع طبقات الناس • وشددت النكير والمراقبة على مدرسة النجاح الاهلية • وكان في الموصل على زمن الاتراك مدرسة للمعلمين وأخرى ثانوية وعدة مدارس ابتدائية فألغت حكومة الاحتلال المدرستين المذكورتين وقفلت كثيرا من المدارس الابتدائية • ثم أن حكومة الاحتلال منعت بيع الاراضي وشراءها(١) وتصحيح حدودها وايجارها أكثر من ثلاث سنين وعمدت الى تأجيل الدعاوى العائدة للتصرفات غير المنقولة وقد أعلنت عن هذا المنع مرارا عديدة • وربما [كان] قصدها من ذلك ضبط الاراضي الصالحة لتعطيها الى الشركات الانكليزية أو تمليكها لملايين الهنود الذين تنوي جلبهم من الهند للاستيطان في العراق ••• » • (٤) « ذكرتم لنا عن الوفد الامريكي وملاقاته مع وفود العراقيين وبينتم أن الوفد قد أفرد فصلا خاصا بالعراق ••• نعم اننا لا نشك في مساعيكم ولكننا لم نجد في أعمال الوفد موفقية تستحق أن تسمى موفقية لا في مسألة سورية ولا في قضية العراق ••• ويجب أن لا ننسى أن معظم أهالي الولايات المتحدة هم من جنس الانكليز فكلاهما (انكلو ساكسون) ومع ذلك فاننا نرى ان أمريكا بمثابة ذنب لانكلترا وآلة صماء في يدها ••• وان مطاليب ولسن الاربعة عشر الخلابة لم يتحقق منها أي مطلب كان ••• أما الانكليز فغدرهم وخداعهم كنار على علم ولقد غدروا بالعرب ••• ونحن نعلم أن الانكليز سيقومون باحباط كل مساعي العرب الاستقلالية وانهم سيقوضون كل بنيان عربي كما قوضوا دعائم تركية ••• ثم أن فرنسا ستعمل بكل ما في وسعها للاستيلاء على جميع سورية وأعالي الجزيرة • فهل يمكن الاعتماد على

---

(١) تظهر الغرابة في هذا الاجراء ، والعهدة في صحته أو عدمها على الجهة التي بعثت الرسالة وهي جمعية العهد بالموصل •

هذه الدول أو على احداها ؟ اننا لا نعتقد بذلك ••• والذي نتصوره أن لا خلاص للعرب خاصة ولا للاسلام عامة بعـــد ان كشف الحلفـــاء عن مكنوناتهم ••• الا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك والمانيا والنمسا ••• هذا وان الامارات العربية التي توقفت عن معاضدة الحكومة الحجازية حتى الان فانها تبادر الى مؤآخاتها عند أدنى اشـــارة من سلطان استانبول ••• [و] عند وقوع حرب عامة في المستقبل فتتشكل حينذاك من اتحاد العرب والترك قوة اسلامية لا يستهان بها تحيي الامل في قلوب كافة المسلمين ••• ثم أن الكثير من العراقيين الذين يميلون الى الاتراك في هذا الوقت أكثـر من ميلهم لحكومة الحجاز ويثقون بحكومة الترك المتشكلة أكثر من ثقتهم بحكومة عربية في بدء تشكيلها ••• ولا يخطر على بالنا ••• واسطة أخرى لحياة العرب والاسلام الا ما نتصوره من الاتحاد الاسلامي ـ البلشفي ـ الجرمني • ولا نقصد بالاتحاد مع البلشفيك قبول اصولهم وتطبيقهـــا في محيطنا فاننا نعده مضرا ببلادنا ولكننا نقصد بذلك الاستمداد من قوة الروس والاستفادة من هذا الاسم الجديد وتهديد الناكثين للعهود ••• لقد سـئم النـــاس من التحريض الادبي في طلب الاستقلال ••• باســـم الجنسية والوطن فعلينا أن نترك أمثال هذه الامور وأن نكون عمليين بانتهاز الفرص والتكتل باسم الجامعة الاسلامية ••• » • **(٥)** تقولون انكم مواظبون على الالحاح في تشكيل حكومة العراق الوطنية فمـــا هو سلاحكم في هـــذا الخصوص ؟ أتظنون ان انكلترا تذعن لذلك بمجرد الطلب والالحاح ؟ • **(٦)** ••• ونقول لكم بكل صراحة انه ان كان في الموصل نوع من الامل في الخلاص من الانكليز عند الكثير من الناس فانما يتوقعونه من (مصطفى كمال)[1] حيث ان لهذا القائد اسما كبيرا في هذا البلد ••• **(٧)** **(٨)** **(٩)** **(١٠)** نشرنا بعض مواد تحريركم بين طبقات الاشراف غير ان اليأس الذي

---

(١) يقصد كاتب الرسالة ، معتمد جمعية العهد بالموصل ، مصطفى كمال أتاتورك باعث تركيا الحديثة •

قد استولى على العامة كان نصيب بعض المؤازرين لحركتنا من الاشـراف منه أكثر وعليه فان النشرات أصبحت لا تجدي نفعـا اذا لم تعضدهـا الافعال • (١١) (١٢) [يطلب الفرع من المركز أن تكون الصراحة رائد الجميع في أعمالهم السياسية] • (١٣) (١٤)[١] الانكليز لا يتركـون العراق الا اذا اضطروا بقوة السلاح ، أما سكان البلاد[٢] فلا تنتظر منهـم فائدة لانهم مشتغلون بتحصيل رزقهم ابان هذا الغلاء المستولي على العراق وقد استخنث [أصبح ذليلا] الكثير منهم فلم يبق الاعتماد بطرفنا الا على أعضاء جمعيتنا وهم قوة لا يستهان بها وكذلك على سكان البوادي والجبال فالكرد عصيانهم متوال على الحكومة الاحتلالية وفي كل يوم لهم وقائـع وأخبار وقد قتلوا سابقا حاكم زاخو ثم حاكم العمادية وفي أوائل الشـهر قتلوا حاكم ولاية الموصل المستر (بل) وحاكم عقرة امام (بيرة كيرة) ثم استولوا على عقرة نفسها فأثارتهم ممكنة أيضا ••• لقـد سمعنا من بعض مشايخهم بعض التذمرات كقولهم ماذا نصنع فقد راجعناكم وراجعنا دمشق واتصلنا بالقسطنطينية بخصوص القيام بحركة ضد الانكليز فلم نأخذ جوابا شافيا ••• ان ارسال الضبـاط الى العشـائر والتغلغل بينهم وتشـكيل العصابات الفنية منهم يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار قبل القيام بالثورة مـع علمنا بأن الثورة التي لا تستمد معينها من دولة قوية أو دول تمد وتساعد بعضها بعضا لا ينتج عنها الا اراقة الدماء التي قد تذهب دون الحصول على المقاصد المطلوبة ••• »[٣] •

التوقيع : معتمد جمعية العهد العراقي في الموصل • المنصور (رؤف الغلامي) •

---

(١) يقول ناشر الرسالة « مؤرخ » كتبت المادة الرابعة عشـر بحروف الشفرة كما وجدتها في أصل الكتاب •

(٢) يظهر انه يقصد سكان مدينة الموصل •

(٣) جريدة « صدى الاحرار » السنة الخامسة ، العدد (٢٠٤) ١٩ رجب ، ١٣٧٢ ، ٣ نيسان ، ١٩٥٣ •

ومن الملاحظ أن محتويات هذه الرسالة تلقي أضواء على اتجاهات فرع جمعية العهد بالموصل وتبين الى أي مدى كانت سياسة الفرع منسجمة مع سياسة المركز في الشام أو مختلفة عنه •

أولا ـ التعاون مع الترك وعلاقته بالقضية العربية عامة والعراقية خاصة : كان المركز في الشام ينتهج سياسة تختلف عن سياسة الفرع في هذه الناحية • فالمركز في الشام كان يرى أن التعاون مع الاتراك ، وخاصة مع جماعة الاتحاديين منهم ، لا يخدم القضية العربية عامة ولا العراقية خاصة • وما عملهم ضد الاتحاديين في فترة ما قبل الحرب ، وانضمامهم الى ثورة الشريف حسين ضد الترك ، الا أدلة على ذلك الاتجاه • أما فرع العهد في الموصل فيرى ، كما جاء في الفقرة السادسة من رسالته سالفة الذكر ، ان التعاون مع تركيا الحديثة بقيادة مصطفى كمال هو الحل الوحيد للقضية العربية عامة والعراقية خاصة • ثانيا ـ يرى العهديون في الشام أن التعاون مع الانكليز أمر ضروري لنجاح القضية العربية والعراقية ، بينما رجال العهد في الموصل ، كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالتهم السابقة ، لا يأملون خيرا للعرب أو للعراقيين من التعاون مع الانكليز ويقترحون جهات أجنبية أخرى مثل الالمان والبلاشفة بدلا من الانكليز وحلفائهم • ثالثا ـ كان العهديون في الشام لا يعلقون أهمية كبرى على فكرة الجامعة الاسلامية بدليل تأييدهم لثورة الشريف حسين على الترك وعدم تأييدهم لفكرة الجهاد ضد الكفار ، بينما العهديون في الموصل ، كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالتهم السابقة ، يعلقون اهتماما كبيرا على الجامعة الاسلامية كوسيلة لحصول العرب والعراقيين على استقلالهم •

ويمكن أن يستنتج الباحث ، اضافة الى ما سبق ، أن سياسة رجال العهد في الموصل متأثرة الى حد كبير بالعواطف الدينية ، وان الجامعة

الاسلامية التي يؤكدون عليها كوسيلة لانقاذ العرب عامة والعراقيين خاصة من الاستعمار الغربي ما هي الا فكرة أقرب الى الوهم منهـا للواقـع ، خاصة في الوقت الذي صدرت فيه تلك الرسالة ، أي في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ • يضاف الى ذلك ان الوعي القومي ، كما يظهر من الرسالة عامـة ، لم يكن واضحـا في نفوس من تمثل الرسالة آراءهم • فتراهم يعتمدون على الترك والجرمن والبلاشفة والنمساويين لانقـاذ العراق من الاستعمار و لايرون خيرا في الاعتماد على سورية أو الحجاز • واذا علم القارىء ان معظم هذه الدول كانت منهزمة في الحرب العظمى الاولى وانها منشغلة بمشكلاتها الداخلية والخارجية المعقدة ، يقدر مدى المساعدة المرجوة منها تجاه جيوش الحلفاء التي كانت تحتل معظم البلاد العربية تقريبا • ثم انهم قد سأموا من الدعوة للاستقلال باسم الجنسية والوطن وعدوا هـذه الوسائل عقيمة لا نفع فيها •

وكان لحزب العهد العراقي فرع في بغداد برئاسة الشيخ سـعيد النقشبندي • ويظهر أن هذا الفرع كان قليل النشاط ، اذ عندما قـدم بغداد من سورية عارف حكمة ، أحد أعضاء حزب العهد في الشام ، رأى دولاب العمل واقفا والحركة الوطنية ساكنة فلم يكن منه الا أن قابـل الشيخ سعيد وتحادث معه بشأن الحالة السياسية السائدة في بغداد فأعلمه الاخير ان الادارة العسكرية مع الانشقاق المستحكم في صفوف الوطنيين ، يمنعان من المواظبة على السعي والاستمرار في العمل ، وبعد أخذ ورد داما أياما ، تألفت هيئة ادارية لفرع العهد ببغداد • وما لبث حزب العهـد أن اصطدم بجمعية سياسية أخرى وهي جمعية « حرس الاستقلال » • وكان محور الخلاف بينهما هو أن جمعية العهد تفضل ، بعد انشاء الدولـة العراقية ، الاعتماد على مساعدة بريطانية الفنيـة ، بينما جمعيـة الحرس لا ترى ضرورة لهذا التقييد وتعتقد ان باستطاعة الدولة العراقية المقبلة أن

تطلب المساعدة الفنية من أية دولة كانت • ويوضح الحسني أسباب الخلاف بين الجمعيتين بقوله ان الحرسيين كانوا « يأبون ربط القضية العراقية بحزب العهد في الشام لبعد العراق عن الشام من جهة ، ولانشغال العهديين في مكافحة الفرنسيين ، بمساعدة البريطانيين من جهة أخرى ، في حين أن الحرسيين يكافحون الانكليز في العراق ، فالاستعانة بالعهديين في الشام ، أو ربط الحركة العراقية بهم يفقدها قوتها ، ولا يبعد أن يقربها الى الخطر ، وعلى هذا أخذ « حزب الحرس العراقي » الشروع في العمل المثمر دون الاستعانة بأحد من الخارج »[١] • وقد أرسل حزب العهد في الشام وفدا برئاسة جميل المدفعي للتوفيق بين الحزبين • وعند وصوله وجد ان أعضاء حزب العهد في بغداد « غير متوحدين ولا متحدين [وانه لم يجد] منهم عملا بتاتا وان حزب حرس الاستقلال قد قام بخدمات كبيرة للقضية العربية عامة والعراقية خاصة [وانه يقترح] أن توحد أعمال الحزبين (حزب العهد وحزب حرس الاستقلال) وان يستبدل منطوق المادة السابعة من منهاج حزب حرس الاستقلال والتي تقول : (على العراقيين ان يستعينوا بالخبراء الفنيين الاجانب من أي حكومة كانت مشتهرة في ذلك الفن للاستفادة من خبرتهم في انهاض الحياة الاقتصادية والفنية) بالمادة الثالثة من منهاج حزب العهد والتي تنص على ان (تقتصر الاستعانة بالخبراء الفنيين البريطانيين وحدهم) • وقد رفض حزب الاستقلال اقتراحات المدفعي هذه[٢] •

ويعتقد العمري ان هذا النزاع والتشاحن قد أضرا « ضررا بليغا بكلتا الجمعيتين اذ أن ذلك لم يمكنهما من القيام بعمل ما وأوجب اليأس والحزن في قلوب الجمهور وأصبحت الجمعيتان المذكورتان معدومتي

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٥٤ •

(٢) البازركان ، علي ، الوقائع ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ •

الوجود وساد السكون في بغداد خلال بضعة شهور من جراء عدم نشاط الحزبين وخلافهما ... »[1] . وقد وضح الاستاذ أحمد سامي الدبوني أسباب الخلاف بين الحزبين برسالة بعثها الى فرع جمعية العهد بالموصل بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٠ . وأشار في رسالته الى أن أسباب الخلاف كانت شخصية بالدرجة الاولى . ويقول ان الخطأ كان من الجهتين وهو تهور الحرسيين وشكوك العهديين »[2] .

حزب حرس الاستقلال : تشكل حزب الحرس في أواخر جمادي الثانية ، ١٣٣٧هـ ونهاية شباط سنة ١٩١٩ . وكان مركزه ببغداد . وقد أورد الحسني أسماء الهيئة المؤسسة وأسماء الهيئة الادارية لهذا الحزب . ويقول ان الجمعية كانت « تعقد جلساتها ، في أكثر الاحايين ، برئاسة السيد محمد الصدر وتسترشد بآرائه وتوجيهاته الثمينة »[3] .

واليك أهم مواد منهج جمعية الحرس : المادة الثانية : تسعى الجمعية المذكورة وراء استقلال البلاد العراقية استقلالا مطلقا . المادة الثالثة ـ تعترف الجمعية باسناد منصب الملوكية في هذه البلاد الى أحد انجال جلالة الملك حسين ، على أن يكون ملكا دستوريا ديمقراطيا . المادة الخامسة ـ يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية .

وكان لانضمام جمعية سياسية سرية عرفت « بجمعية الشبيبة » لحزب حرس الاستقلال أثر في تقوية مركزه من جهة وفي توحيد مساعي الوطنيين من جهة أخرى[4] .

---

(١) مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) مؤرخ ، صدى الاحرار ، العدد ٢١٢ ، ١٥ رمضان ، ١٣٧٢ ، ٢٩ ايار ، ١٩٥٣ .

(٣) الثورة العراقية الكبرى ، ص ٥١ .

(٤) الحسني ، الثورة ، ص ٣٠ .

وكان تأسيس مدرسة أهلية باسم (المدرسة الاهلية)[١] في ايلول سنة **١٩١٩** من الاعمال المهمــــة التي انبثقت عن فعاليـــات حزب حرس الاستقلال • ويورد لنا الاستاذ علي البازركان تفصيلات وافية عن أسباب تأسيس هذه المدرسة وعن الخدمات التي قدمتها للقضية الوطنية[٢] •

وعندما تحدثنا المس بيل عن هذه المدرسة تقول : « قام جماعة من شبان بغداد ، كان قسم منهم قد تعلم في استانبول وأوربه ، بحركـــــة تستهدف نشر التعليم على أساس ان الادارة البريطانية لم تعر هذه الناحية من الخدمة العامة اهتماما كافيا • وكان هدفهم هذا لا يمكن أن يؤاخذوا عليه فجمعوا مبلغا محدودا من المال ••• وأسسوا مدرسة ثانوية أهليـــة في كانون الثاني ، **١٩٢٠**[٣] ••• لكن أهميتها السياسية سرعان ما أصبحت أكثر من أهميتها التعليمية • وما ان حل الربيع حتى كانت مقرا للوطنيين المتطرفين »[٤] •

وانشأ حزب حرس الاستقلال فروعا له في الكاظمية والحلة والنجف الانسرف والشامية وغير ذلك من المدن العراقية[٥] • وسنعود للـكلام عن فعاليات حزب حرس الاستقلال في الاشهر التي سبقت اعـلان الثورة في الـ **٣٠** من حزيران **١٩٢٠** •

---

(١) لقد غير اسم المدرسة الاهلية بعد غلقها في ١٢ آب ١٩٢٠ ، وسميت مدرسة « التفيض الاهلية » •

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ٩١ •

(٣) أجيزت المدرسة في ١٤ ايلول ١٩١٩ ويظهر أن الفرق بـين هذا التاريخ والتاريخ الذي أوردته المس بيل قد أمضي في الاستعداد لفتح المدرســـة •

(٤) فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٤٦ •

(٥) العمري ، مقدرات ، ج٣ ، ص ٦٠ •

الاستفتاء العام سنة ١٩١٨ :

وصلت تعليمات من الحكومة لبريطانية الى وكيل الحاكم الملكي العام ، الكولونيل ولسن ، يطلب فيها اليه أن يقوم بالتأكد من معرفة آراء العراقيين حول النقاط التالية :

(١) هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشادها بريطانية وتمتد من حدود ولاية لموصل الشمالية الى الخليج الفارسى (العربي) ؟

(٢) وفي هذه الحالة ، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب أن يكون على رأسها أمير عربي ؟

(٣) واذا كان الامر كذلك ، من هو الذي يرشحونه ؟[١]

ويقول الحسني حول هذا الاستفتاء أن وكيل الحاكم الملكي العام استدعى الحكام السياسيين في الالوية و « بعد أن زودهم بالاسئلة الثلاثة ، وطلب منهم الحصول على مضابط بالاجوبة المؤيدة لسياسته ، عاد الحكام الى مناطقهم ... »[٢] . أما المس بيل فقد أظهرت شكوكها في فائدة استجواب كهذا بقولها : « يمكننا أن نشك فيما اذا كان مثل هذا الاستجواب الذي يجري باشراف الحكومة أو أية جهة أخرى ، سوف يمكن بواسطته استخراج أجوبة قد تكون مفيدة لتدل المستجوب على شيء ... »[٣] .

وقد حاول الحكام المحليون تحقيق رغبة الحكومة المركزية « فكان بعضهم يستدعي معارفه ويكلفه توقيع مضابط يطلبون فيها استمرار الحالة الراهنة ، والبعض الاخر يوعز بأن تتضمن هذه المضابط طلب الحماية البريطانية المطلقة ، ويسعى غيرهم لجعل هؤلاء المعارف أكثرية تطلب أميرا

---

(١) بيل ، المس ، ن.م ، ص ١٢٢ .

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٥٢ .

(٣) بيل ، ن.م ، ص ١٢٢ .

عربيا تحت الهيمنة البريطانية ... »[1] .

وكانت نتائج الاستجواب متباينة ففي كربلاء مثلا عجزت الحكومة عن الحصول على الجواب المطلوب . وكان لفتوى المجتهد الاكبر الشيخ محمد تقي الشيرازي أثر كبير في فشل السلطات الانكليزية في الحصول على جواب يطمن رغباتهم . وقد استفتى أحدهم الشيخ المذكور « في جواز انتخاب غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين ... » فأجاب سماحته : « ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين »[2] . ويظهر أن فتوى شبيهة بهذه قد أصدرها المجتهدون في الكاظمية ولكننا لم نعثر على نصها . وتقول المس بيل « قد حرم المجتهدون في كربلاء والكاظمية على المسلمين أن يصوتوا لغير تشكيل حكومة اسلامية ، فبلغ الاختلاف حدا أوقف سير الاستجواب ... »[3] . وقد نجح الانكليز في الحصول على مضابط تؤيد وجهة نظرهم من الموصل ونواحيها . فذكر العمري أن مسيحيي « الموصل وطوائفها الاخرى وسكان اقضيتها [أعطوا] مضابط على حدة مضمونها كمضمون المضبطة المحررة اعلاه [يشير الى مضبطة الموصل المؤرخة في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٩] . ويقول أن ضجة عظيمة حصلت « حول تلك المضابط استوجبت القيل والقال فأخذ الجمهور يلوم الذوات الذين وقعوا عليها من دون أن يأخذوا رأي الشعب في القضية ... »[4] . ويذكر الحسني أن مضبطة الموصل بقيت «موضع سخط المخلصين الغيارى عامة وأبناء الموصل خاصة...»[5] .

---

(١) الحسني ، ن٠م ، ص ٣٠ .

(٢) لقد أورد الحسني على الص ٣١ ــ ٣٢ من كتابه الموسوم بـ « الثورة العراقية الكبرى » نص الاستفتاء . كما أورد نص المضبطة التي حررها أهل كربلاء جوابا للاستفتاء .

(٣) فصول ، ص ١٢٣ .

(٤) مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٠ .

(٥) الثورة ، ص ٣٣ .

أما أهل الحلة فانهم أعطوا مضبطة «صرح فيها السكان الذين كان يرشدهم على الاغلب السيد محمد علي القزويني ... تصريحا قلبيا بأنهم يحبذون استمرار الادارة البريطانية رافضين الاذعان للدعاية الوطنية وغيرها »[١]. ويظهر أن السلطات الانكليزية حصلت على مضبطة الحلة بصورة غير مشروعة فيحدثنا الدكتور مهدي البصير ، الذي كان حاضرا في الحلة عند اجراء الاستفتاء الذي نتجت عنه المضبطة سالفة الذكر ، عن ذلك بقوله: « أحب الحاكم السياسي أن يستشير السيد محمد علي القزويني بشأن استطلاع رأي الاهلين في الاجابة على الاسئلة الثلاثة فأشار عليه بأن توجه الاسئلة الى سبعة رجال فقط ، على أن يختارهم هو ويرأسهم ، فوافق الحاكم ، ولكن صدر ذلك الوجيه ضاق عن سره فأفشاه . ولما تحقق الوطنيون صحة الخبر اجتمعوا في بيت أحدهم للمداولة بالامر واحباط الدسيسة فاتفقوا على توجيه عريضة للحاكم وقعها جمع كبير من أرباب الثراء والجاه وبينهم رئيس البلدية الحاضر ، وقدمها الاخير الى الحاكم فرفض أن يستلمها منه وطلب اليه أن يقابل السيد محمد علي القزويني فأبى هذا اجابة طلب الحاكم . ونفذ في النهاية رأي الوجيه الناصح الامين للسلطة فاجتمع سبعة رجال ورأسهم حضرته وقرروا طلب تعيين السير برسي كوكس ملكا على العراق ... فلهج الصغير والكبير بذم هذه الفعلة السيئة »[٢] .

ويقول العمري ان السلطات الانكليزية استحصلت ، المضبطة سالفة الذكر ، من الحلة بطريقة غير مشروعة ، وما علم الاهلون بقصتها حتى وقعوا مضبطة قالوا فيها : « نريد تأسيس حكومة عربية مستقلة »[٣] . وقد اهتم

---

(١) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٢٢ .

(٢) القضية العراقية ، ج١ ، ص ٦٩ — ٧٠ ؛ وعلي ، عباس ، ن٠م ، ص ٣٨ ؛ والحسني ، الثورة ، ص ٣٣ .

(٣) مقدرات ، ج٣ ، ص ٢٣ .

وكيل الحاكم الملكي العام بأمر النجف الاشرف لمكانتها الدينية ، فسافر اليها وعند وصوله عقد اجتماعا ضم لفيفا من العلماء والوجهاء ورؤساء القبائل التابعة للنجف والشامية وقد اورد الحسني(*) تفصيلات عما دار في هذا الاجتماع وعن النتائج التي أسفر عنها . وكانت المضبطة التي قدمت من منطقتي النجف الاشرف والشامية مخيبة لآمال السلطات البريطانية لانها أعربت عن رغبة الاهلين في تأسيس حكومة عربية مستقلة . وقد قدمت مثل هذه المضبطة من بغداد . وعندما يتحدث العمري عن المضابط التي قدمت جوابا للاستفتاء الذي أجراه الانكليز في العراق يقول : « أما في بغداد والنجف والكاظمية وكربلاء فان الاعيان والوجوه كانوا قد درسوا القضية وقر رأيهم أن يطلبوا تأسيس حكومة عربية مستقلة تحت رئاسة أحد أنجال الملك حسين فنظموا مضابطا بهذا المعنى ووقعوا عليها وقدموها اجابة على الاسئلة الثلاث المبحوث عنها ، ما عدا زمرة من المقربين »[1] .

وقبل الانتهاء من الكلام عن جواب الاستفتاء الذي صدر من النجف الاشرف أود أن أشير الى نقاط ثار حولها جدل بين كاتبين كتبا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وهما الشيخ فريق الفرعون والاستاذ علي البازركان . فالشيخ فريق يقول : ان المجتمعين بحضرة وكيل الحاكم العام في النجف أرجأوا اجتماعهم بغية استشارة العلماء . وان أحد المجتمعين وهو السيد هادي النقيب[2] قال في الاجتماع « لا نريد غير الانكليز » . وان الشيخ

(*) الثورة العراقية ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(١) ن.م ، ج٣ ، ص ٢٤ .

(٢) يقول حاكم النجف السياسى على الص ١٠٨ من الجزء الاول من مجموعة تقارير الحكام السياسيين التي رمزنا لها سابقا ب Reports « ان السيد هادي نقيب الاشراف ... كان من أعظم مؤيدي الحكومة ، ولكنه رجل مذبذب وضعيف ولذا فهو عديم الفائدة عند الحاجة . وانه قليل الذكاء ... وعلى الحكومة أن تسنده وتسند ابن أخيه الكليدار [يقصد سادن حضرة الامام علي (ع) السيد عباس] لتستفيد منهما عند الحاجة » . ويقول الاستاذ عباس علي على الص ٣٨ من كتابه الموسوم =

عبدالواحد الحاج سكر قال للسيد هادي ان هذا رأيه الشخصي وان أكثر الحاضرين لا يؤيدونه • وان الشيخ محمد رضا الشبيبي قال : « ان العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالا تاما ، وليس فينا من يفكر باختيار حاكم أجنبي »[١] • ويستنتج البازركان من الوضع الذي ساد الاجتماع أن رجال الفرات تنقصهم الجرأة الادبية والشجاعة في ابداء الرأي في حضرة الحاكم « وتملصوا تملص الخائف المترقب بحجة امهالهم لمراجعة رجال الدين ، فليت شعري [على حد قوله] ما حاجتهم الى مراجعة شيوخ الدين وهم قد حددوا أهدافهم الوطنية وعينوا أمانيهم القومية وعرفوا رأي زعمائهم الروحيين بذلك قبل الاجتماع ، بل ما حاجتهم الى مراجعة رجال الدين وفيهم فطاحل العلماء وكبارهم أمثال الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر ؟ » • ويختم البازركان حديثه عن هذا الموضوع بقوله : « واذا كان نقيب النجف لا يمثل الا نفسه فمن الذي يمثل النجف اذن ؟ »[٢] •

ان الذي أود أن أشير اليه هنا هو ان رغبة المجتمعين في استشارة العلماء ليس عليها اعتراض • اذ بالرغم من وجود الشيخ عبدالكريم الجزائري بينهم وهو ممن كان يرجع الى رأيه حينئذ في الامور الدينية والسياسية والشيخ محمد جواد الجواهري وهو من المشتغلين في السياسة ، فان الكلمة النهائية والواجبة الاتباع في هذا الموضوع وغيره يومئذ ، كانت

= ب « زعيم الثورة العراقية » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٠ ، أن السيد هادي كان ثريا وقحا وان الشيخ محمد رضا الشبيبي تحامل عليه ونجح في اسكاته • ومن هذا يظهر أن السيد هادي لم يكن من الرجال الذين يحسب حسابا لرأيهم • ان استعمال اللغة السمجة أمر لا يقره العرف التاريخي لذا أرجو أن يأخذ القارىء ما قيل عن السيد هادي النقيب وابن أخيه السيد عباس بشيء من الحذر •

(١) الحقائق الناصعة ، ج١ ، ص ٧٤ ــ ٧٨ •

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ٧٢ ــ ٧٥ •

المجتهد الاكبر وهو السيد كاظم اليزدي حينذاك • ومما يؤيد هذا الرأي هو أن المجتمعين ذهبوا لمشاورة السيد اليزدي في اليوم التالي وبعد تردد[١] قال لهم : « اختـــاروا ما هو أصلح للمسلمين »[٢] • والذي اعتقده أن الاستاذ علي البازركان غير مصيب حين يعتقد أن رجال الفرات لا حاجـة لهم بمراجعة رجال الدين لانهم عينوا أمانيهم القومية وحددوا أهدافهـم الوطنية ، لان الدعوة باسم القوميـــة أو الوطنيـــة لا يمكن أن تؤثر في الجمهور ، ومن الصعب عليه أن يفهمها حينذاك • وسبق أن وضحنا فـي أماكن متعددة من هذا الكتاب أن الكلمة النهائيـــة في الامـــور السياسية بالعراق خلال هذه الفترة كانت لرجال الدين • يضاف الى ذلك ان السيد هادي النقيب الذي عده الاستاذ البازركان ممثلا المنجف لم تكن له صفـة دينية مطلقا فهو ليس من صنف المجتهدين ولا من صنف الفضلاء الذين دونهم وحتى لم يكن من الطلبة الذين هم في القاعدة من الهرم الديني • وكل ما في الامر انه ورث لقب النقابة عن أجداده • ومن الجدير بالذكر ان ليس للنقابة أهمية دينية بين أوساط الشيعة كما هي الحال عند السنة ،

(١) كان المجتهد الاكبر السيد كاظم اليزدي غير ميال للتدخل في الامور السياسية • وقد اتخذ موقفا فاترا تجاه حركة الدستور في ايران بالرغم من أن معظم علماء العصر ، كما أسلفنا ، أيدوا هذه الحركة • وعندما يستفتيه الناس في الامور السياسية يقول اني أعرف الحلال والحرام ولكني لا أعرف السياسة • وكان لابتعاده عن السياسة أثر في اعتقاد حاكـــم النجف السياسي في سنة ١٩١٨ ، كما دونه على الص ١٠٦ في مجموعـــة التقارير ، انه يميل الى الانكليز • وقد توفي السيد اليزدي في ٣٠ نيسان ، ١٩١٩ ، فانفرد الشيخ محمد تقي الشيرازي بالزعامة الدينيـــة • وكان لفتاواه ومواقفه الايجابية من الحركة الوطنية أثر فعال في انضمام جماعات غفيرة من العراقيين تحت لواء الثورة ضد الانكليز في سنة ١٩٢٠ • وكان الشيخ الشيرازي من رجال الدين الافذاذ الذين واكبوا سير الحركـــات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا •

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٣٨ •

والمرجع الديني الاعلى عند الشيعة هم المجتهدون فقط •

ويستطيع الباحث أن يستنتج من الطريقة التي أجري فيها استفتاء سنة ١٩١٨ ومن الحوادث التي رافقته ما يأتي : أولا ـ يظهر أن الحكومة البريطانية تدخلت في الاستفتاء بصورة مباشرة ، كما حصل في الحلة ، أو بصورة غير مباشرة ، كما حصل في بعض المناطق العراقية الاخرى ، لذا لا يمكن الركون الى نتائج الاستفتاء التي جاء بعضها مؤيدا لرغبة السلطات البريطانية في العراق وهي ادعاؤها بأن العراقيين يفضلون استمرار الحكم البريطاني في العراق • ثانيا ـ لقد رأت السلطات البريطانية ، لاسباب عملية ، أن تقصر الاستفتاء على رؤساء الناس ووجوههم ولم تحاول أن تستمزج رأي الجمهور حول موضوع خطير كهذا • وكتبت المس بيل رغبة منها في توضيح وجهة نظر حكومتها قائلة : « ان سواد الناس الذين وجهت اليهم الاسئلة لم يكن لهم رأي خاص ، وهم في وضع لا يمكن أن يكونوا فيه مثل هذا الرأي • ولذا فقد كان غير عملي بصورة واضحة أن نقوم باستجواب عامة الناس من أفراد القبائل والرعاة ••• والمأمول فيهم في أية حالة كانت أن يرددوا بالايعاز ما يقول لهم رؤساؤهم ، وبهذا يكون من الانفع ان تحال الاسئلة على رؤسائهم فقط • وعلى هذا الاساس كان الشيوخ والرجال المهمون في المناطق الريفية ومراكز الاقضية والولايات هم الذين سئلوا عن آرائهم في هذا الشأن »[١] • وقد اتضح هذا النقص القانوني في طريقة الاستفتاء للكثيرين ممن وجهت اليهم الاسئلة السابقة • ففي الاجتماع الذي عقد لهذا الغرض بكربلاء قال السيد عبدالوهاب آل الوهاب : « ان هذه الجمعية لا تمثل مدينة كربلاء تمثيلا صحيحا ، وان هنالك طبقات مختلفة يجب ان تستشار في هذا الموضوع ••• »[٢] • وندد

---

(١) فصول ، ص ١٢٢ •

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٣١ •

العمري بالموقعين على عريضة الاستفتاء بالموصل لانهم لم يستمزجوا رأي الجمهور حول الموضوع[١] .

وكان باستطاعة السلطات البريطانية في العراق ، لو أرادت الوصول الى نتائج تعبر عن رغبات العراقيين ، أن تتبع طرق الاستفتاء التي اتبعتها لجنة الاستفتاء الامريكية في سورية سنة ١٩١٩ حين أتاحت فرصا[٢] كافية للسوريين بأن يعبروا عن آرائهم بحرية فقبلت العرائض من الافراد والمؤسسات وصنفتها واستخرجت منها نتائج صحيحة . ونستطيع القول أن الاحوال الاجتماعية والسياسية في العراق تقارب ما هي عليه في سورية حينذاك ، وما تم في سورية على يد لجنة الاستفتاء الامريكية يمكن أن يتم بالعراق على يد السلطات البريطانية في هذه البلاد .

الحركات المحلية :

لقد قامت في مناطق مختلفة من العراق حركات ذات صبغة محلية نشأ بعضها عن التذمر من الاجراءآت الادارية الصارمة التي فرضتها السلطات البريطانية ، بما فيها فرض الضرائب الثقيلة التي لم يعتد على دفعها أهل البلاد وخاصة سكان المناطق الريفية . وكانت الدوافع الوطنية واضحة في بعض هذه الانتفاضات لا سيما تلك التي حصلت تحت توجيه وارشاد جمعيات سياسية أمثال بعض حركات الشمال التي قامت بمعونة وارشاد جمعية العهد في الشام وفرعها في الموصل وحركة النجف التي كان لجمعية « النهضة الاسلامية » صلة بها . وكان بعض هذه الحركات ذات هدف استقلالي محلي وهو التخلص من السيطرة الانكليزية أمثال حركة الشيخ محمود في السليمانية . وقد وردت تفصيلات وافية عن

---

(١) مقدرات ، ج٣ ، ص ١٠ .

(٢) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصرالدين الاسد واحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٦١١ .

الحركات العسكرية في مظانها[١] لذا لا أرى ضرورة لبحث هذه الناحية ، وسأقتصر على ذكر الخطوط العامة فقط .

أولا ـ حركة الشيخ محمود : لقد اتفق الشيخ محمود ، أحد زعماء الاكراد البارزين في السليمانية مع الانكليز على اقامة حكومة محلية في منطقته . وقد نشأت هذه الحكومة فعلا ولكنها ما لبثت ان اصطدمت مع سلطات الاحتلال فكان ذلك سببا للقضاء عليها . ويقول أمين زكي ان حكومة الشيخ محمود : « تأسست بعد الحرب العامة في احدى زوايا كردستان الجنوبي (السليمانية) ... بتعضيد من الحكومة الانكليزية ومساعدتها . فبدل أن تقوم هذه الحكومة بوظيفتها بهدوء ، اذا بها تضطر للاشتباك مع الانكليز ... »[٢] . وقد حصل التصادم بين قوات الاحتلال والشيخ محمود لانه أظهر ميولا استقلالية من جهة ، ولوجود مصاعب ادارية واقتصادية تحول دون تحقيق فكرة وجود دولة كردية من جهة أخرى . ومن هذه الصعوبات ، كما رآها ولسن ، تأخر البلاد ورداءة المواصلات واضطراب حبل الامن بين القبائل . يضاف الى ذلك أن بلاد كردستان لا تستطيع أن تعيش من الناحية الاقتصادية والجغرافية الا كجزء من العراق لان المدينتين اللتين تستوردان منتجات هذه المنطقة هما الموصل وبغداد . ويضيف ولسن قائلا : ان هذه الحقائق كانت معروفة لدى الجميع ، لهذا أظهر عدد من مثقفي الاكراد رغبتهم في ادارة لامركزية لمنطقتهم ضمن اطار دولة عراقية ، على أن تكون هذه الدولة تحت

---

(١) العمري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية (ثلاثة أجزاء) بغداد ، ١٩٢٥ ؛ والحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية ، صيدا ، ١٩٥٢ ؛ بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق الحديث (تعريب جعفر خياط) بيروت ، ١٩٤٩ ؛ وشاكر ، صابر ، موجز تاريخ التركمان ، ج١ ، بغداد ، ١٩٦٠ .

(٢) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٢٦٥ .

ارشاد بريطانية » • وقد تمكن الشيخ محمود من الصمود في وجه القوات البريطانية حينا ولكن الانكليز قضوا على حركته وحكموا عليه بالاعدام ثم أبدلوا حكمه بالسجن المؤبد[1] وأخيرا عفي عنه •

وقد حصلت حوادث في منطقة العماذيـــة والعقر والكويان ضـــد السلطات البريطانية قتل فيها عـدد من ضباطهم وجنودهم • وقـــد أورد العمري تفصيلات عن هذه الحوادث[2] • وتعزو المس بيل حركة الكويان خاصة ومعظم حركات الاكراد في كردستان الشمالية الى تحريض الاتراك من جهة ، والى العداء المستحكم بين السكان المسيحيين المحليين والاكراد في هذه المناطق[3] •

ثانيا ـ الحركات الثورية في دير الزور والموصل :

لقد كان معظم الحركات التي حصلت في جهات دير الزور والموصل ضد الانكليز يجري بتأييد ومعونة جمعية العهد العراقي بسورية وفرعها بالموصل[4] • وكان لواء دير الزور ، بعد انسحاب الاتراك منه ، قد انضم الى الحكومة القيصلية في سورية[5] ، ولكن سوء ادارة الحكومة السورية وفقدان سيطرتها التامة على موظفيها حملت الاهالي في دير الزور عـــلى طلب الانضواء تحت الادارة البريطانية • وقد اهتبلت السلطات البريطانية هذه الفرصة فاحتلت دير الزور وأسست فيه حكمهـــا الذي دام ســـنة كاملة • وقد نال أهل الدير من عنت السلطات البريطانية ما جعلهم يندمون على انضوائهم تحت حكمها ويطلبون العودة الى سورية • وكان من نتيجة ذلك ان استفاد رجال جمعية العهد العراقي من نفوذهم في الحكومـــــة

---

(1) Op. cit, 2, p. 138.

(2) مقدرات العراق ، ج٣ ، ص‌ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ •

(3) فصول من تاريخ العراق ، ص ٩٧ •

(4) البصير ، ن•م ، ج١ ، ص ١١٤ •

(5) العمري ، ن•م ، ج٣ ، ص ٢٨٤ •

الفيصلية في الشام وعملوا على تخليص دير الزور من حكم البريطانيين . ومن الذين ساعدوهم في تحقيق هذا الغرض رمضان الشلاش الذي كان ضابطا في الجيش التركي سابقا ثم انخرط في جيش الشريف حسين . وتمكن رمضان الشلاش بمعونة قبيلته البو سراي التي هي فرع من العكيدات أن يحتل دير الزور في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٩ . وقد ضم الدير الى الدولة العربية في سورية بعد مفاوضات جرت بينها وبين السلطات البريطانية في العراق[١] . وكانت الاهمية السياسية لاحتلال الدير تفوق أهميته العسكرية . وعندما يتحدث هالدن عن الحركات في دير الزور والمناطق المجاورة يقول : « كانت الدعاوة الموجهة من سورية في الفترة التي تبدأ بشهر نيسان أو مايس سنة ١٩١٩ تعمل على تسميم أفكار السكان في العراق وخاصة القبائل الساكنة في الجهات السفلى من نهر الفرات ... وقد اختار العاملون ضدنا منطقة دير الزور ... نقطة انطلاق لعملهم . وتمكن هؤلاء أن يسيروا وفق خطة محكمة جيدا ، فاتخذوا من رمضان الشلاش أداة لتنفيذ هذه الخطة . وكانت المهمة التي أناطتها الحكومة الشريفية برمضان هذا تتلخص في اثارة قبيلته لاحتلال دير الزور ، وحينئذ تتنصل هذه الحكومة من المسؤولية بحجة انها لا تملك القوة الكافية لتأديبه ، ولكنها في الوقت نفسه تجني ثمار هذه العملية وتضم منطقة دير الزور اليها » .

وكان سؤال الساعة الذي تردد على الالسن هو ماذا يكون رجع الحكومة البريطانية تجاه هذه الحركة ؟ ويجيب هالدن على هذا السؤال بقوله : « ان بريطانية لم تستطع أن تعمل شيئا تجاه القائمين باحتلال دير الزور . وانها قبلت الاهانة التي وجهت اليها وأصبح واضحا ، في ذهن البعض ، منذ ذلك الحين ، أن قيام حركة في العرق أصبح قضية مسلما

(١) البصير ، ن.م ، ج١ ، ص ١٢١ ـ ١٢٣ .

بها » • وأصبح واضحا في طول البلاد وعرضها انــه اذا كان بمقدور قبيلة العكيدات ، التي هي من أصل غير شريف Base-borne ، على حـد قول الجنرال هالدن ، والتي لا تتمتع بشهرة كبيرة كقبيلة محاربـة ، أن تطرد البريطانيين من دير الزور بمحض ارادتها ، فكم يكون عندئذ سهلا على قبائل الفرات الاسفل التي اشتهرت بقوة الشكيمة أن تقوم في الدور نفسه • ويستمر الجنرال هالدن بكلامه فيقول : « أصبح وضعنا ، في نظر قبائل الفرات الاسفل بعد ما أصابنا من الانتكاسات السابقة ، سيئا • وأعتقد ، حتى الجبناء منهم ، انهم يستطيعون دحر قواتنا » • ولم يرد هالــدن أن يبحث مسألة اعادة احتلال دير الزور وهل انها عملية أو غير عملية ولكنه يقول : « لو كان بمقدورنا أن نعيد احتلال دير الزور ، بعد أن ســلمت المحكومة العربية السورية ، بســرعة وبصورة فعالــة ، لكان بامكاننا أن نتجنب المضايقات التي جابهناها في منطقة البو كمال وعانة • وقد أجازف وأقول انا لو قمنا بذلك لما قامت الحركات التالية ضدنا في العراق » • وقد اتضحت ، كما يقول هالدن ، نتائج ضعف الانكليز لاصدقائهم من العرب فتنبأ فهد بك بن هذال ، رئيس فخذ العمارات من قبيلة عنزة ، الذي حافظ على ولائه للانكليز أثناء الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ، أمام أحد الضباط الانكليز في شباط ١٩٢٠ وقال : « اذا لم تعيدوا احتلال ديــر الزور ، صدقتموني في ذلك أم لم تصدقوني ، فانكم ستواجهون ثورة في الفرات الاسفل ، خلال ستة أشهر »(١) •

ولا أريد أن أناقش هنا صحة تنبؤآت الجنرال هالدن وصديقــه الشيخ فهد بن هذال عن أسباب قيام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ولكنــي أقول انهما يبسطان هذه الاسباب تبسيطا لا يقره الواقع ، كمـا يظهر لك من الفصول السابقة واللاحقة من هذا الكتاب •

---

(١) Op. cit, p. 32 — 34.

أما الحركات الثورية التي قامت في شمال العراق والتي حظت بتأييد ومعونة فرع جمعية العهد بالموصل ، فيلخصها الاستاذ عبدالمنعم الغلامي بما يأتي : أ ـ واقعة حرق القطار في عين الدبس جنوب الشرقاط في الغارة التي شنت بتاريخ ٢٤ مايس ١٩٢٠ برئاسة فهد بن بطيخ من لواء الكوت وعبدالعزيز الفتيان من أهل عانة • ب ـ واقعة تلعرف المشهورة في يوم ٤ حزيران ١٩٢٠ • ج ـ واقعة الجرناف بالقرب من (القيارة) في أول تموز ١٩٢٠ • وكلا الواقعتين كانتا بقيادة جميل محمد آل خليل أفندي• د ـ واقعة الخميرة (موضع بين قرية شيخ ابرهيم وقرية المحلبية بقضاء تلعفر) وكانت قد جرت بين جماعة من عشيرة العفاريت من عبدة برئاسة مبرد بن مناور السوكي وبين قوة انكليزية يقودها دنتن حاكم تلعفر في ايلول ١٩٢٠ • هـ ـ واقعة البوير (قرية من قرى ناحية حميدات) • وممن اشترك فيها سليمان أغا الكركري ويونس ابن الثائر المشهور بلبيل[١] • يضاف الى ذلك أن قوة نظامية يقدرها هالدن بألف رجل وردت من سورية في ٢٦ مايس ١٩٢٠ وعسكرت في الفدغمي على نهر الخابور ويصحبها مثل هذا العدد أو أكثر من القبائل غير النظاميين • وكانت خطة قائدها ، الذي قيل انه جميل باشا[٢] والذي كان يوقع رسائل لغرض الدعاوة باسم « قائد القوات العراقية الشمالية » ، تنطوي على التقدم نحو الموصل بغية الاتصال بحركة القبائل القادمة من الشمال وتلك التي قدمت من الشرقاط على الفرات[٣] • ويظهر ان المصادر صامتة عن مصير هذه القوة وعن

(١) « المعرفة » السنة الثانية ، ج٣٩ ، ١٥ اب ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠•

(٢) يقصد جميل المدفعي أحد رؤساء مجلس الاعيان خلال العهد الملكي في العراق •

(٣) Haldane, Op. cit, p. 39.

الانجازات التي تمت على يدها • ويلوح لي أن بعض المؤرخين العرب[١] قد نسبوا ما أنجزه جميل محمد آل خليل أفندي في تلعفر الى جميل المدفعي قائد القوة المعسكرة في الفدغمي في ٢٦ من مايس ١٩٢٠ • والادلة على ذلك كثيرة منها :

أولا ـ يظهر من رواية الجنرال هالدن عن حادثة تلعفر ان جميل المدفعي وقواته لم تكن موجودة في تلعفر عند وقوع الحادثة فيها•والجنرال المذكور يقول : « لقد عقد الوجهاء المحليون اجتماعا في ليلة ٣/٢ حزيران خطب فيه ضابط سابق[٢] في الجيش التركي قائلا ان قوات كبيرة تعود لحكومة الشرفاء في سورية قادمة نحونا ، وانتم مدعوون للتعاون في هذا المضمار ، أما في الانضمام الى القوات القادمة أو احتلال تلعفر وضمه الى الدولة الشريفية في سورية » •

وقد ذهب بعد ذلك جميع الاغوات أو الوجهاء المحليون على أمل أن ينضموا الى القوات القادمة لكنهم ما لبثوا أن غيروا رأيهم وعادوا • وفي صباح الرابع من حزيران هاجمت مدينة تلعفر جماعة من رجال القبائل وانضم اليها سكان المدينة وحينئذ قتل أحد أفراد الجندرمة ضابطهم الكابتن ستورات Staurt حينما كان يتجول هناك[٣] • ويظهر من هذه الرواية ان قوات جميل المدفعي المعسكرة في الفدغمي لم تكن موجودة في تلعفر[٤] عند وقوع الحادثة •

---

(١) الحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ؛ البصير ، ن•م ، ج١ ، ص ١٣١ •

(٢) أعتقد أن الجنرال هالدن يشير الى جميل محمد قائد حركة تلعفر الذي كان ضابطا سابقا في الجيش العثماني •

(٣) Haldane, Op. cit, p. 41 — 2.

(٤) لقد أورد شاكر صابر على الص ١٣٨ ـ ٣٩ من الجزء الاول من كتابه « موجز تاريخ التركمان » معلومات عن حركة تلعفر وأسماء بعض الاغوات الذين اشتركوا فيها •

ثانيا ــ ان رواية الأستاذ عبدالمنعم الغلامي ، وهو من المعاصريـــن والمشتغلين في القضايا الوطنية ، التي أوردناها سابقا تبين ان قائد الحركة في تلعفر هو جميل محمد آل خليل وليس جميل المدفعي •

ثالثا ــ لقد قابل الاستاذ علي البازركان جميل محمد الخيال(١) في استانبول سنة **١٩٣١** وسأله عن قصة تلعفر فقال له : « كنت قائد الدرك عند القوة الانكليزية في تلعفر ••• وكانت القـوة التي أنا أقودها من الدرك الموصليين فقتل احدهم الضابطين البريطانيين ومن معهم ولما كنت موظفا لدى الانكليز (أي قائد الدرك) وقمت بهذا العمل ضدهم حكموا علي بالاعدام ••• فقلت له ولكن المشهور أن الذي هجم على قلعة تلعفر وقتل قائـــد الحامية هو جميل المدفعي ، فأجابني ليس الامر كذلك لاني أنا الذي متهم بالقتل وأنا المحكوم علي بالاعدام » • ويستطرد الاستاذ البازركان فيقول : ان شخصا اسمه الحاج زكي الذي كان موظفا عدليا بديار بكر حينذاك ، أيد أقوال جميل محمد السابقة(٢) •

رابعا ــ الحركات الثورية في النجف : لحركة النجف ضد سلطات الاحتلال البريطانية أسباب يمكن أن نجملها بما يأتي :

أ ــ تذمر شيوخ المحلات النجفية من حكم البريطانيين • سبق أن أشرنا الى أن النجفيين طردوا الحامية التركية في نيسان سنة **١٩١٥** • وبقيت النجف منذ ذلك التاريخ حتى آب **١٩١٧** مستقلة استقلالا ذاتيا تاما يحكمها شيوخ الاطراف الاربعة التي كانت تنقسم لها المدينة(٣) • ويظهـــر أن سلطتهم على المدينة كانت وسعة ، حتى ان أحدهم وهو عطية أبو كلل ،

---

(١) هو جميل محمد آل خليل نفسه •

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ١٨٤ ــ ١٨٥ •

(٣) Reports, I, p. 68.

زعيم الزقرت، استطاع ان يؤسس له حكومة موقتة Interim-government في النجف بين ١٩١٥ – ١٩١٦[١] • وعندما قدم الانكليز النجف في آب ١٩١٧ وجدوا سلطة زعماء الأطراف النجفية قوية ، لذا فانه ليس من السهل عليهم أن ينشروا نفوذهم هناك دون معارضة[٢] • ففكروا بالاستعانة بالشيوخ أولا في حكم النجف ولكنهم ما لبثوا ان عينوا الكابتن بلفور F.C.C. Balfour أول حاكم للشامية والنجف • ولم تمضى مدة طويلة على تعيينه حتى أظهر الشيوخ تمردهم ضد الحكومة ، على أثر اجراءآت اتخذتها لحفظ الامن ، كما تدعي ، في النجف • وكان من أشهر القائمين بهذا التمرد عطية أبو كلل الذي قاد مظاهرات نجم عنها الحاق ضرر بممتلكات الحكومة وبعض ممتلكات الاهلين في أبي صخير والنجف• وقد مرت هذه الحادثة دون تأثير كبير ، ولكن الحكومة اتخذت منها دليلا على أن حوادث مماثلة ، من شأنها القضاء على سلطة الحكومة ، ستتبعها حتما • وكان تنبوء الحكومة في محله ، اذ استمر عطية أبو كلل وكريم الحاج سعد بعد الحادثة سالفة الذكر ، على تحريض الناس علنا للقيام بالثورة ضد الحكومة • وكان من نتيجة تحريضهم أن تعرضت احدى طائرات الحكومة لرصاص الاهلين المنبعث من جوانب النجف الاربعة • وقد انزعجت السلطة من ذلك فوضعت غرامة على النجف قدرها (٥٠) ألف روبية و (٥٠٠) بندقية[٣] •

ب – تذمر النجفيين من تعنت الاداريين البريطانيين : تعاقب على حكم النجف قبل قيام الحركة الرئيسة في سنة ١٩١٨ ثلاث حكام وهم الكابتن كرين هاوس Greenhouse والكابتن وينكت Wingate

(١) Longrigg, Op. cit, p. 95.

(٢) Reports, I, p. 69.

(٣) Ibid, p. 69.

والكابتن مارشال W. Marshall • وكان الاولان « على جانب عظيم من سوء السيرة والصلف والمس بكرامة النجفيين ، وكانا ان أرادا التجول في البلدة أرسلا في مقدمتهما ثلاثة من الشرطة الأكراد الشرسى الاخلاق فيسيرون وهم حاملوا السياط فيزعجون الناس ويطلبون منهم الوقوف اجلالا واعظاما لحضرة الحاكم الذي يتهادى خلفهم بعبارات قارصة لا تتحملها ـ بالطبع ـ نفوس الاهالي الابية »[١] • واذا علمنا أن قبضة الاتراك على النجف ، في كثير من أدوار حكمهم كانت ضعيفة ، وان النجف لسنتين خلتا كانت مستقلة تقريبا ، نقدر مبلغ التذمر من سلوك رجال الادارة البريطانية • يضاف الى ذلك ان البريطانيين شددوا قبضتهم على النجف فكتب أحد حكامهم السياسيين يقول : « ان أي تراخ يظهر منا في النجف يضعف سيطرتنا على الفرات بأكمله »[٢] •

ج ـ ثقل الضرائب وتنوعها : كانت النجف ترزح ، شأنها في ذلك شأن مدن العراق الاخرى ، تحت ثقل الضرائب البريطانية • وقد أشرنا فيما سبق الى بعض هذه الضرائب كضريبة الدفنية التي كانت حصيلتها في عام١٩١٨ (٤٨) ألف روبية وتخميناتها للسنة المقبلة(١٫٢٠٠٫٠٠٠)روبية• وضريبةالكرتينة وحصيلتها للسنة نفسها (٥٣٫٠٠٠)روبية وتخميناتها لسنة ١٩١٩ (١٫٢٠٠٫٠٠٠) روبية[٣] • وضريبة الكودة وحصيلتها لسنة ١٩١٨ (٨٠) ألف روبية• وضريبة السمك وحصيلتها (١٤٠١٨٦) روبية وضريبة الخشب والقصب وحصيلتهما (٤٠)ألف روبية•وهناك ضرائب متفرقةأهمها:

---

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، صيدا ، ١٣٥٣ ، ص ٢٤٩ •

(٢) Reports, I, p. 85.

(٣) لم يتحمل النجفيون جميع هذه الضريبة ، بل يساهم بها ذوو الموتى الذين يجلبون أمواتهم للدفن في النجف •

أ ـ ضريبة ماء الشرب وقدرها نصف آنة على كل قربة • ب ـ ضريبة البناء • ج ـ الذبحية • د ـ ضريبة النفط وتخميناتها لسنة **١٩١٩** تساوي **(١٢)** ألف روبية • هـ ـ ضريبة الوردية وتؤخذ من حيوانات الاجرة وكانت حصيلتها **(٥٢٠)** روبية ، **(١٥٠٠)** روبية في الشهر في الكوفة والنجف على التناظر • و ـ ضريبة الميدانية وقدرها **٢٫٥٪** من أثمان الحيوانات التي تباع في السوق عدا الغنم • وبلغت حصيلتها **(١٠٠٠)** روبية و **(٣٠٠)** روبية في الشهر في النجف والكوفة على التناظر • ز ـ ضريبة الدلالية ـ وتؤخذ على جميع المواد التي تباع بالمزاد • ح ـ الحراسة وبلغت حصيلتها **(١٠٫٠٠٠)** روبية و **(٧٥٠٠)** روبية في النجف والكوفة على التناظر • يضاف الى ذلك التبرعات الاختيارية اذ عندما بنت الحكومة دارا لها في النجف تبرع الاهلون بـ **(٤٠٠٠)** روبية[١]

ويختم الحاكم السياسي تقريره عن الضرائب في النجف بقوله : « لقد حصلت زيادة في حصيلة الضرائب هذه السنة في النجف والكوفة عن السنة الماضية • وان ما جمعناه في الربع الاول من سنة **١٩١٨** يزيد على مثيله في السنة الماضية • أما في الكوفة فيزيد على **(٣)** أضعافه »[٢] •

ثالثا ـ يظهر أن الميول الاستقلالية والوطنية كانت قوية في النجف • وكان النجفيون يضيقون ذرعا بحكم الانكليز • وقد وردت تفصيلات عن هذه الناحية في كتاب الشيخ محبوبة وغيره[٣] • ويلوح لي أن العامل الوطني والديني لعبا دورهما في حركة النجف الرئيسة سنة **١٩١٨** ومن الادلة على ذلك : أ ـ اشتراك « جمعية النهضة الاسلامية » في النجف في

---

(١) Reports, I, pp. 76, 77, 89.

(٢) Reports, I, p. 89.

(٣) ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٥ ؛ **الحسني ، عبدالرزاق ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج١ ، ص ٣٨ ، وفرعون، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١ ـ ٤٢ •**

تدبيرها • وتقول المس بيل ان المستندات التي عثرنا عليها عند ضابط الارتباط الالماني في عانة « دلت ••• على وجود لجنة للثورة الاسلامية في النجف ، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزا لخلق الاضطرابات بين العشائر • وكان مائة أو أكثر من رجال الدين متورطين بها ، لكنها لم تكن تضم اناسا ذوي أهمية من الدرجة الاولى ، وكان الرئيس شخص من أسرة بحر العلوم العلوية كان نشطا في الدعوة الى الجهاد حتى وقت سقوط بغداد »(١) •

ويقول الشيخ محبوبة ان جماعة من النجفيين ألفوا « جمعية سرية قوامها ثلة من الاعلام كالعلامتين السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري وغيرهما وكانت عليهما تدور رحى الجمعية ومن أفكارهما تستمد وقد مرت على الجمعية أشهر عديدة وهي تسعى من وراء الستار للانتقام من السلطة المحتلة والوصول الى غايتها الشريفة وقبل ان تعم طبقات النجفيين وتصل الى غيرهم من قبائل العراق دفع الحماس المتزايد فريقا من أفراد الجمعية الى اضرام نار الثورة قبل أن يحصلوا على آراء الجمعية ••• »(٢) •

ب ـ كانت للقائمين بالحركة صلات مع العشائر خارج النجف • ويذكر الاستاذ جعفر الخليلي أن منظمي الثورة « دبروا الامر تدبيرا أعوزه الكثير من الاحتياط والعمل اذ اكتفوا بالاتصال ببعض القبائل على الاخص (العوابد) و (آل علي) و (الحواتم) وادخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد ووادي العلي وسلمان الفاضل ومشكوف من شيوخ بني حسن وعددا كبيرا من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبو كلل وكاظم صبي وكريم الحاج راضي وعباس علي الرماحي والحاج نجم ،

(١) فصول ، ص ٥٠ •
(٢) ماضي النجف ، ج١ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ •

الذي كان له شأن يذكر ، وأقسم الجميع على أن يحملوا السلاح في وجه الانكليز ساعة تنطلق أول رصاصة من النجف ... »[١] . وكتب الحاكم السياسي لمنطقة النجف يقول : « لقد بينت المحاكمات بأن حركة النجف Riot التي نجم عنها مقتل مارشال لم تكن الا جزء من حركة كانت ترمي الى اغتيال جميع الحكام السياسيين في المنطقة ، وكان بالامكان أن تنجح هذه الحركة لو لم يتسرع النجفيون بالقيام بها »[٢] .

وقد نتج عن حركة النجف الرئيسة مقتل الكابتن مارشال في **١٩** آذار **١٩١٨** . وما كان من الحكومة الانكليزية ببغداد الا ان تضع الحصار على مدينة النجف ، ذلك الحصار الذي دام أربعين يوما ذاقت المدينة خلاله أنواع المشقات . وما رفع الحصار الا بعد أن خضع الاهلون لشروط الحكومة القاسية التي كان من بينها دفع غرامة قدرها **(٥٠)** ألف روبية وتسليم **(١٠٠٠)** بندقية وارسال **(١٠٠)** شخص للهند كأسرى حرب .

الوسائل السلمية للحركة الوطنية :

قد يكون من المفيد ، قبل البحث في الوسائل السلمية للحركة الوطنية ، أن أشير الى أن بحث الوسائل السلمية بصورة منفصلة عن الحركات العسكرية السابقة ، لا يعني انفصال الحركتين ، السلمية والعسكرية ، عن بعضهما ، بل كانت الواحدة منهما في الواقع متممة للاخرى من جهة وانهما كانا يحصلان ، أحيانا ، في وقت واحد أو في أوقات يتلو بعضها بعضا . ولكن تنوع الحوادث العسكرية ، واختلاف الوسائل السلمية ، وحدوثهما في أمكنة وأزمنة مختلفة ، جعلني أبحث

---

(١) « كيف عرفت الشيخ عبدالكريم الجزائري » جريدة « الايام » السنة الاولى ، العدد (١٠٠) ، ١١ ربيع الاول ، ١٣٨٢هـ ، ١٢ آب ، ١٩٦٢م .

(٢) Reports, I, p. 69 — 70.

كل حركة منهما على حدة ليسهل على القارىء تتبع حوادثهما ويقـدر أهميتهما ثم يخرج من كل ذلك بنتيجة •

وكان من بين الوسائل التي اتبعت لمقاومة السياسة البريطانيـة في العراق : أ ـ نشر الدعاوة الواسعه ضد حكمهم في العراق • وكان لهـذه الدعاوة[1] مراكز متعددة من أهمها المركز الذي انشاءه العراقيون في سورية • وكان معظم هؤلاء من ضباط الجيش العثمـاني الذين التحقـوا بجيش شرفاء مكة في سورية والحجاز خلال الحرب العالمية الاولى • وقد اسندت لهؤلاء بعد الحرب مراكز ادارية وعسكرية مهمة في سورية خاصـة • فأثار وجودهم في سورية واشغالهم مراكز خطيرة فيهـا ، تذمـر بعض السوريين حتى نادى بعضهم ان « سورية يجب أن تكون للسوريين »[2] • وكان من نتيجة تذمر السوريين من الجالية العراقية ولدوافع وطنية ، أن انبرى معظم العراقيين في سورية لشن حملة دعاوة واسعة ضـد الادارة البريطانية في العراق ، كان هدفها الدعوة لاستقلال العراق ، والا فاشراك العراقيين الموجودين بسورية في ادارة البلاد العراقية على الاقل[3] •

ومن أهم الاعمال التي قام بها العراقيون في سورية : (١) اتصالهـم بلجنة الاستفتاء الامريكية التي أشرت اليها سابقا ، وتوضيحهم قضية العراق لهذه اللجنة • وكان من نتيجة هذه الجهود ان أشارت اللجنة المذكورة الى قضية العراق في تقريرها الذي قدمته للرئيس ولسن ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية • ومن الاخطار التي رأتها اللجنة في سياسة البريطانيين في العراق ،

---

(١) يقول هالدن على الص ٢٨ من كتابه السابق : « ان الدعاوة ذات التأثير القوي التي استعملت ضدنا لم تتخذ شكلا واحـدا من الاشكال • وكان مثيرو القلاقل Agitators مستعدين أن يثيروا كل شيء مهمـا قلة أهميته ، من شأنه أن يخدم غرضهم » •

(٢) Haldane, Op. cit, p. 26.

(٣) Ibid, p. 26.

هي تشجيع هجرة الهنود[1] الى هذه البلاد • وقالت اللجنة حول هذه الناحية :
« وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالامكانات الزراعية والبترول وغيره من المصادر سيلوح حتميا ، رغم توفر كل النوايا الطيبة ، خطر الاستثمار والسيطرة الاحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق • فهذا الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية ، حتى ولو اقتصرت الهجرة على المسلمين الهنود • فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين كلية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية »[2] •
(٢) أرسل العراقيون في سورية ، بعض الشبان العراقيين الى أوربا بوسائل شتى وبوظائف ظاهرية متنوعة ، كالاشتراك بالسباق الدولى العام مثلا ، وزودوهم بالتعليمات والوسائل المقتضية لنجاح القضية العراقية ولافهام الرأي العام الاوربي حقيقة قضية العراق • وقد توفق هؤلاء بنشر مقالات ضافية عن القضية العراقية في بعض الصحف الاوربية كجريدة (لاومانتيه) الافرنسية وغيرها من الجرائد • وقد بذل مركز جمعية العهد العراقي في الشام جهودا أسفرت عن جعل جريدة « لازي آراب » التي كانت تصدر اذ ذاك في باريس كناطقة بلسان العاملين للقضية العربية عامة وللقضيتين السورية والعراقية خاصة • وقد أفادت هذه الجريدة فائدة تذكر في افهام الرأي العام الاوربي حقائق كثيرة عن قضية العراق • (٣) أصدرت جمعية العهد العراقي جريدة (العقاب) في دمشق وجعلتها لسان حالها • وكانت أعدادها ترسل الى العراق فتوزع على الشعب بواسطة شعبات الجمعية

---

(١) يقول العمري على الص ٥٠ من الجزء الثالث من كتابه الموسوم ب « مقدرات ••• » ان جريدة التايمز اللندنية اقترحت تهجير ثلاثة ملايين هندي الى العراق •

(٢) انطونيوس ، جورج ، المصدر السابق ، ص ٦٢١ •

وفروعها . وكان لهذه الجريدة تأثير مهم في بث الدعوة الوطنية بين أهل المدن والعشائر بالرغم من أن سلطات الاحتلال منعت دخولها للعراق[١] . وكان لفرع جمعية العهد في الموصل أثر كبير في تنفيذ برامج مركز الجمعية في الشام ونشر وسائل دعاوتها في العراق . وقد زود الفرع في الموصل مركز العهد في الشام بمضابط احتجاجية وتوكيلية . كما زودت أربعين شخصا من أهل الموصل بمضابط توكيلية عامة لمطالبة السلطة البريطانية بمطاليب شبيهة بتلك التي طلبها مندوبو الشعب في بغداد[٢] .

وكانت النجف من المراكز المهمة لبث الدعاوة والتحريض ضد الادارة البريطانية في العراق . وقد كان النجفيون على صلة وثيقة لا بمعظم أنحاء العراق حسب ، بل في العالم الخارجي أيضا . وكتب حاكم النجف السياسى في سنة **١٩١٨** يقول : « وبالرغم من انعزال النجفيين فانهم يستلمون ويوزعون جميع أخبار العالم التي يسمعونها من سيل الزائرين المتدفقين على بلدهم المقدس ولذا يستطيعون أن يتمتعوا بتأثير ضار يتعدى حدود بلدتهم وحتى حدود العراق نفسها »[٣] . ويقول الاستاذ جعفر الخليلي[٤] : اشتهرت النجف في وجود عدد من المجالس[٥] (الدواوين)

---

(١) العمري ، ن.م ، ج٣ ، ص ٥٠ ـ ٥٣ .

(٢) العمري ، ن.م ، ج٣ ، ص ٤٦ ـ ٤٩ .

(٣) Reports, I, p. 67.

(٤) « كيف عرفت الشيخ عبدالكريم الجزائري » (الايام) العدد ، ١٠٠ ، السنة الاولى ، ١١ ربيع الاول ، ١٣٨٢ ـ ٢ آب ، ١٩٦٢ .

(٥) يقول فراتي ، على الص ٢٠ من كتابه « على هامش الثورة العراقية الكبرى » المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٢ : ان ندوات للحركة الوطنية قد تألفت في النجف ، منها ندوة الشيخ [جواد] الجواهري والشيخ [عبدالكريم] الجزائري ، وندوة آل شبيب (الشيخين محمد رضا وباقر الشبيبيان) وآل كمال الدين [محمد سعيد ومحمد علي] . ومن هذه الندوات ندوة آل الصافي ومن مشاهيرهم حينذاك السيد محمد رضا والسيد أحمد الصافي النجفي الشاعر الشهير . ويرى فراتي ان في تلك الندوات =

التي كانت واسطة لنشر الاخبار السياسية وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلي والخارجي البعيد والقريب • وكان المنبع الذي تستمد منه المجالس الاخبار الخارجية يومذاك (حوالى ١٩١٨-١٩٢٠) هو بعض الصحف التي تصل الى النجف من حواضر الشرق الاوسط • أما المنبع الاخر الذي تستقي منه هذه المجالس أخبارها وترسل عن طريقه ما يدور فيها من مباحثات عن الامور السياسية وغيرها ، فهم (الجنازون)[١] • وهناك عامل آخر ذو شأن في اتصال النجف بالعالم الخارجي وهو كثرة من يخرج من رجال الدين والمشايخ ومن يرد اليها منهم وكثرة الزوار الذين يؤمون النجف من مختلف الاطراف وخاصة في أوقات معينة من السنة مثل اليوم العاشر من المحرم حين يجتمع الآلاف من الشيعة في كربلاء ثم يقصدون النجف ، وزيارة العشرين من صفر حين يجتمع في كربلاء والنجف قرابة الربع مليون من الزائرين لان معظم المدن العراقية ، بما فيها بغداد اعتادت أن ترسل وفودا كبيرة العدد لحضور هذه المناسبة ، وزيارة النوروز أي الانقلاب الربيعي ، الذي يصادف بداية السنة الايرانية ، وغير ذلك من المناسبات • وكانت كثرة المشايخ الذين يخرجون

= جرت مشاورات ومباحثات أسفرت عن العمل لحصر الزعامة الروحية في الامام محمد تقي الشيرازي واستقدامه من سامراء الى كربلاء دون النجف اذ كان في النجف من يزاحمه وهو المجتهد السيد كاظم اليزدي غير المؤيد للثورة • كما أسفرت هذه المباحثات عن تقوية الصلة بين النجف وبين مراكز الحركة الوطنية الاخرى ببغداد وغيرها من أنحاء العراق •

(١) الجنازون هم حملة الجنائز الذين يأتون بالجنائز من مختلف الاصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفنوها في النجف • وكان هؤلاء ينقلون ما يعرفون من أخبار اصقاعهم ومواطنهم الى مضيفهم ومعارفهم وينقلها هؤلاء الى المجالس التي أشرنا اليها سابقا فيطلع عليها رواد المجالس وتشيع في البلد • وينقلون بدورهم ما يسمعونه في النجف أو في غيرها من المناطق التي يمرون بها الى أصقاعهم •

من النجف وكثرة الجنائز التي تردها ، موضع تفكه الشاعر المعروف السيد أحمد الصافي النجفي حين يقول عن بلدته النجف :

فصادرات بلدتي مشايخ   وواردات بلدتي جنائز

وكان هؤلاء المشايخ ، الذين يؤلفون صادرات النجف الرئيسة في نظر الشاعر الصافي ، من أنشط ، وربما كانوا أكثر تأثير ، من جميع العناصر العاملة ضد البريطانيين في تلك الفترة • ونستطيع أن نقدر الدور الذي لعبه هؤلاء المشايخ حينذاك اذ علمنا أن زمام أغلبية الجمهور العراقي كان بيد هؤلاء وانهم هم الذين سيروا سياسة العراق بالدرجة الاولى في تلك الفترة من تاريخ البلاد •

ويظهر أن السلطات البريطانية ومن والاها من العراقيين غير عالمين تماما بما كان لهؤلاء المشايخ من تأثير في الجمهور • فيروي الجنرال هالدن أن وكيل الحاكم السياسى في ٣ حزيران ١٩٢٠ كتب له يقول : « انه من المحتمل أن تحدث اضطرابات خطيرة في البلاد خلال الشهرين القادمين ، وان المناطق التي يخشى قيام الخطر فيها هي الناصرية والنجف وربما كانت الديوانية أيضا» • ويقول الجنرال أن وكيل الحاكم الملكي العام زار الحلة بعد هذا التاريخ فأخبره الحكام السياسيون والشيوخ هناك ان المنطقة التي يخشى منها الخطر ، كما يعتقدون ، هي بغداد ولذا طلبوا منه أن يلقي القبض على مثيري الفتن فيها • وقد أعطوا الحاكم تأكيدات مفادها انهم يضمنون له هدوء منطقة الفرات الاسفل ، وان سكان تلك المنطقة لن يتأثروا بدعاوة الملائية Mullahs أي المشايخ ، الذين يعملون هناك لتحريض القبائل على القيام بالثورة[1] • وقد أثبتت الحودث التالية

(١) Op. cit, p. 36.

ان المشايخ[1] ، خلافا لما تنبأ الحكام السياسيون وبعض الشيوخ في الحلة ، استطاعوا أن ينجحوا في مسعاهم ويسهموا في اشعال نيران الثورة بعد ثلاثة أسابيع من ذلك التاريخ أي في ٣٠ حزيران وفي المنطقة نفسها التي ضمن هدوءها حكام الانكليز ومؤيدوهم في الحلة وهي منطقة الفرات الاوسط .

ويحدثنا الشيخ علي الشرقي عن عامل آخر من عوامل اثارة التذمر وبث الدعاوة ضد السلطات البريطانية في النجف ومنها الى بقية الجهات المتصلة بها والتي كانت تحت تأثيرها خاصة المناطق القبلية على ضفاف الفرات الاسفل والاوسط والغراف وغيرها ، فيقول : « وقد عاد المائتان[2] نجفي المبعدون الى بلاد الهند وهم مشاعل للنضهة والقصاص فكان هذا وكان منشور الهدنة وكان النزع من النظام العسكري الى الملكي ، وقد اختلفت حالة الفراتيين في الدور العسكري الانكليزي والدور الملكي الذي أحسوا فيه بثقل الوطئة ، فجأ النزع من هذا الى ذاك ثقيلا جد الثقل وكانت السياسية المالية فيه ثقيلة والجباية مجحفة ... »[3] .

ب ـ مقاومة مشاريع الانكليز التي كان هدفها تثبيت سلطتهم في العراق : كان من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية في العراق اشغال العراقيين فيها عن المطالبة بالاستقلال ، بيان الجنرال مارشال المؤرخ

---

(١) تقول المس بيل على الص ٢٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها "Letters of Bell" : « ان المشكلة عندنا هي كيف نستطيع أن نتفاهم مع الشيعة ، واني لا أقصد سكان الريف حيث ان صلتنا بهم جيدة ، بل أقصد سكان العتبات المقدسة المتدينين وخاصة زعماء الدين ، أي المجتهدين الذين بيدهم الحل والعقد ... وبالرغم من ان لنا مع القليل منهم علاقات طيبة ، فان أغلبيتهم تعادينا عداء شديدا » .

(٢) كان عدد المبعدين في حركة النجف سنة ١٩١٨ مائة على بعض الروايات ومنها رواية المس بيل في كتابها « فصول من تاريخ العراق » ، ص ٥٢ .

(٣) « النوادي العراقية » « النهضة العراقية » العدد (٢٣) السنة الاولى ، ٣٠ ايلول ، ١٩٢٧ ـ ٣ ربيع الثاني ١٣٤٦ .

في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ الذي عده عربونا على حسن نوايا حكومته ، بينما وصفه أحد[١] الكتاب العراقيين بأنه سخيف لانه يرى في تسريح أسرى الحرب والسماح بنقل الجنائز نوعا من الحكم الذاتي •

ومن مشاريعهم تأسيس المجالس البلدية • وبالرغم من أن رؤساءها ونواب رؤسائها وسكرتيريها من البريطانيين ، يقول فلبي ان ولسن كتب الى حكومته يقول : « ان الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه وانه يقترح أن يبادر الى تدريبه في اصول الحكم عن طريق التشكيلات البلدية »[٢] • ويعد الحسني تأسيس المجالس البلدية هذه في العراق خلال كانون الثاني ١٩١٩ اسطورة الحكم الوطني[٣] • وكان مشروع الاستفتاء في عام ١٩١٨ من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية اشغال العراقيين فيها عن المطالبة بالاستقلال • وكان نصيب هذه المشاريع الفشل[٤] ، في الغالب ، وذلك لان الجهات الواعية في العراق أظهرت عدم جدية البريطانيين في تقديمها وفي العمل على تنفيذها • وبينت هذه الجهات للجمهور ان هذه المشاريع على هامش القضية العراقية الكبرى ، وهي الحصول على استقلال البلاد ، وليست من صميمها في شيء • وقد سبق ان ذكرنا تفصيلات عن جهود المشتغلين في الحركة الوطنية في احباط هذه المشاريع وخاصة الاستفتاء بالطرق السلمية التي كانت متوفرة لديهم حينذاك •

ج ـ المظاهرات والاحتجاجات ومضابط التوكيل : لقد اتخذ المعنيون بالحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة من القيام بالمظاهرات ومن

---

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٢٢ •

(٢) أيام فلبي في العراق ، ص ١٨ •

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ٢٣ •

(٤) العمري ، مقدرات ، ج٣ ، ص ٤٩ •

ارسال مضابط التوكيل لحكومتي الشرفاء في سورية والحجاز وسائل لمقاومة السلطة البريطانية في داخل العراق وخارجه . فيقول الشيخ علي الشرقي ان السلطة البريطانية في العراق كانت تغالط الشعب فتمنيه بتشكيل مجالس بلدية ولكن هذه التدابير فشلت « فقامت مدن العراق بالمظاهرات والاحتجاجات فتململت كربلاء وتموجت بغداد وصرخت النجف وتحمس الفرات فانفلتت الثورة وكانت نارا وسلاحا »[١] . وكانت مضبطة توكيل الموصل من مضابط التوكيل التي أرسلت من العراقيين الى الحكومة الشريفية في سورية بغية تمثيل العراق في المؤتمرات الدولية وخاصة مؤتمر الصلح بباريس . وقد كتب معتمد فرع جمعية العهد بالموصل الى مركز الجمعية بالشام بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ يقول : « أرسلنا التفويض الذي طلبتموه كما تجدونه مربوطا بهذا الكتاب ...[٢] .

وكانت المضابط التوكيلية التي أرسلها الشيخ محمد رضا الشبيبي في أواخر حزيران ١٩١٩ من العراق الى الشريف حسين في الحجاز أكثر المضابط التي نضمت في هذا الخصوص أهمية لكثرة الموقعين عليها ولاهميتهم الدينية والسياسية . وعندما يتحدث أمين سعيد عن هذه المضابط يقول ان الفراتيين وضعوا « ثلاث مضابط يطلبون فيها ملكا للعراق من أبناء الحسين ، وحمل هذه المضابط الى مكة الشيخ محمد رضا الشبيبي وسلمها للحسين ... »[٣] . وفي صدد أهمية الموقعين على هذه المضابط يقول العمري ان المضابط التي حملها الشيخ محمد رضا الشبيبي للحجاز كان

---

(١) « النوادي العراقية » « النهضة العراقية » السنة الاولى ، العدد ، ٢٣ ، ٣٠ ايلول ١٩٢٧ ــ ٣ ربيع الثاني ، ١٩٤٦ .

(٢) مؤرخ ، « صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية » « صدى الاحرار » السنة الخامسة ، العدد ، ٢٠٤ ، ١٩ رجب ، ١٣٧٢هـ ــ ٣ نيسان ، ١٩٥٣ .

(٣) الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٣٠ .

موقعا « عليها من قبل أعيان وعلماء وسادات الجعفرية وكلها تنطق بالاحتجاج على أعمال السلطة المحتلة ... »[١] . وقد أورد الحسني نص احدى هذه المضابط كما أشار الى الصعوبات التي جابهت الشيخ الشبيبي في طريقه ومحاولة سلطة الاحتلال للقبض عليه في البصرة[٢] .

دور بغداد في الحركة الوطنية السلمية :

كانت بغداد ، بما فيها منطقة الكاظمية[٣] الواقعة على بعد (٨) أميال منها ، تكون أعظم المركز المدنية في العراق حينذاك . وكانت نسبة المثقفين في هذه المدينة كبيرة بالقياس الى المدن العراقية الاخرى ، لذا كان المشتغلون منهم بالسياسة أكثر من غيرهم في مدن العراق الاخرى ، وذلك قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . وقد كثر عدد المشتغلين بالسياسة من العراقيين في مراكز الحركة الوطنية الرئيسة في البلاد بعد اعلان الهدنة وتقرير الانتداب البريطاني في العراق . ولكن نصيب بغداد من هؤلاء كان أكثر من غيرها من مدن العراق .

وقد نتج عن اعلان الهدنة ان رجع الكثيرون من المنفيين لاسباب سياسية الى أوطانهم ، كما ان الموظفين السابقين في الادارة والجيش التركي ، وأكثرية هؤلاء من بغداد ، عادوا الى بلدتهم بعد أن أصبحوا عاطلين عن العمل . فانضم بعضهم لقافلة السياسة رغبة في الحصول على عمل ، وانضم آخرون لها بدافع وطنية ، كما اندفع الاخرون لمقاومة

(١) مقدرات ، ج٣ ، ص ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) الثورة ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣) تقول المس بيل على الص ٣٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها ، في معرض كلامها عن مجتهدي الشيعة : « ويعيش بعض هؤلاء في الكاظمين [الكاظمية] ، المدينة المقدسة الواقعة على (٨) أميال من بغداد ، وهي مدينة متعصبة لفكرة الجامعة الاسلامية Pan-Islamic ، وفي الوقت نفسه كانت تكره البريطانيين ، كرها شديدا Anti-British ... » .

البريطانيين بدافع الاخلاص للعهد العثماني المندثر لا سيما ان الرابطة الاسلامية ، رغم ان الاتراك لم يكونوا جادين في الدعاوة لها ، كانت قوية في نفوسهم •

أما تأثير تقرير الانتداب على العراق في زيادة عدد المشتغلين في السياسة من العراقيين ، فهو ان الكثيرين كانوا يأملون خلال أيام الحرب ان الحلفاء سيبرون بوعودهم وانهم سيقيمون دولة عراقية تحقق آمالهم الوطنية من جهة ، وييسر لهم الاشتراك بادارتها فرصا للعمل من جهة أخرى • وبعد أن تقرر الانتداب ، ذهب الامل في انشاء دولة عراقية مستقلة أدراج الرياح ، لا سيما وان السلطات البريطانية في العراق ، وعلى رأسها وكيل الحاكم السياسى العام ولسن ، فسرت الانتداب تفسيرا خاطئا وجعلته قريبا من الاستعمار غير المباشر • وعندما تتحدث المس بيل عن الحركة الوطنية ببغداد ، قبيل نشوب الثورة في ٣٠ حزيران تقول : « لكن مركز الدعاوة قد انتقل قبل هذا من سورية والفرات الى بغداد • حيث أن العنصر الناقم الذي يتألف من موظفي العهد التركي البائد قد ازداد عدده خلال الثمانية عشر شهرا التي مرت على بداية عهد الهدنة • وكان بينهم موظفون كانوا قد أسهموا في أعمال الجيش العربي وشهدوا مجرى الحوادث في سورية • وسواء كانوا ميالين للاتراك أو للعرب فانهم كانوا ضد السيطرة الاجنبية ••• حيث انهم كانوا يصرخون عند المناقشة بأن تأسيس الدولة السورية كان سببه نجاح الثورة العربية وان الحصول على الشيء نفسه في العراق ، لا يمكن أن يتم الا بالتجاء الى السلاح أيضا »[١] • وكان تأسيس المدارس الاهلية[٢] كمدرسة التفيض ، واتخاذها

---

(١) فصول ، ص ١٤٥ •

(٢) كان ببغداد في هذا العهد مدرستان أهليتان هما المدرسة الجعفرية والمدرسة الاهلية التي سميت التفيض فيما بعد • وقد أقيمت في هاتين المدرستين عدة حفلات ثقافية في الظاهر ولكنها سياسية بالدرجة =

مركزا للحركة الوطنية ، من بين الوسائل السلمية التي اتبعت في بغـــداد لمقاومة سلطات الاحتلال البريطانية في العراق • وقد سبق ان أشرنا الى الدور الذي لعبته هذه المدرسة في الحركة الوطنية فلا ضرورة للتكرار • ويعد تأسيس الاحزاب السياسية الســـرية ، كحزب حرس الاســـتقلال وغيره ، من وسائل العمل السياسى الرئيسة التي اتخذها البغداديون وغيرهم من العراقيين لمناهضة السلطات البريطانية في العراق •

ومن الجدير بالذكر انه رغم ما كسبته الحركة الوطنية في العراق من تقدم خلال فترة الحرب وما تلاها ، خاصة بعد أن أظهرت بريطانيـــة نياتها حول بقائها في هذه البلاد ، فان المشتغلين بالسياسة من المثقفين ببغداد وغيرها من مراكز الحركة الوطنية في العراق ، رأوا أن الوسائل الاعتيادية للعمل السياسى ، كالانخراط في الاحزاب وغيرها ، لا تزل غير كافيـــة لايصال أهدافهم الى الجمهور ، وبالتالى فان وسائل الدعوة للحركة الوطنية رغم ما أحرزته من تقدم واضح في بعض الاوساط الشعبية ، غير كفيلـــة بكسب تأييد الجمهور لهذه الحركة • وفي ضوء ما تقدم رأى العاملون في الحركة الوطنية أن يوثقوا صلتهم برجال الدين أكثر فأكثر فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور • وليس غريبا بعد هذا أن نرى الحاج محمـــد جعفر أبو التمن ، الزعيم الوطني المعروف ، يقول ، في الاجتماع[1] الذي

= الاولى • وكان الدكتور محمد مهدي البصير من أدباء العصر الذين أسهموا في الحركة الوطنية • وقد القى قصائد عديدة في المناسبات التي أقيمت في المدرسة الجعفرية • والمدرسة الجعفرية ، رغم أهميتها ، لم تبلغ الاهمية التي بلغتها مدرسة التفيض في هذا المضمار • وكان الاستاذ علي البازركان من بين الذين عملوا على فتح مدرسة التفيض والعناية بها • وكانت بعض اجتماعات حزب الحرس ، برئاسة السيد محمد الصدر ، تعقد في مدرسة التفيض •

(١) حضر هذا الاجتماع كل من السيد محمد الصدر ، ويوســف أفندي السويدي ، وجلال بابان ، وفؤاد أفندي الدفتري ، وعبدالوهاب =

عقد بدار حمدي باشا آل بابان في الثالث من شهر شعبان ، ١٣٣٨هـ ، والذي حضره موفدو[١] النجف السيد هادي زوين والحاج محسن شلاش ، ردا على ما بسطه السيد هادي حول استعداد النجف وقبائل الفرات للثورة ، : « ان قادة الرأي العام في بغداد مستعدون للعمل بنسبة استعداد العلماء الاعلام ورؤساء القبائل الكرام له ... »[٢] . كما ليس غريبا أن نرى قادة الحركة الوطنية ببغداد يلجأون لتنظيم اقامة حفلات « الموالد النبوية » ليجعلوا هذه المناسبات وسائل لتحريض الجمهور على مقاومة السلطات البريطانية في العراق .

وفي معرض كلامها عن الحركة الوطنية ببغداد ، تقول المس بيل : « ولاجل تقريب دعوة المطالبة بالاستقلال التام الناجز الى افهام الرأي العام الجاهل ، وجد من الضروري الالتجاء الى التعصب الديني . وقد وضحت للوطنيين ، خلال مدة من الزمن ، الحاجة الى تكوين جبهة متحدة من الطائفتين الاسلاميتين لتغلبت المساعي بصورة موقتة على التعصب الشديد الذي يفرق بين الطائفتين السنية والشيعية ، ووقعت أول أعراض هذا التقارب في صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة اجتماعين دينيين عقدا لتأبين

أفندي النائب ، والشيخ سعيد النقشبندي ، والسيد محمد مصطفى الخليل ، ومحمد جعفر أبو التمن ، ورفعت أفندي الجادرجي وغيرهم من أعضاء جمعية « الحرس » وبعض منتسبي رجال جمعية « العهد » .

(١) يقول الحسني ، على الص ٥٥ ـ ٥٦ من كتابه الموسوم ب « الثورة العراقية » كان الشيخ محمد باقر الشبيبي ، العضو البارز في جمعية حرس الاستقلال ، وهمزة الوصل بين مقر الجمعية في بغداد وفروعها في الفرات الاوسط ، كما كان السيد هادي آل زوين همزة الوصل بين العلماء الاعلام في كربلاء والنجف والزعماء في أبي صخير والشامية ، وبين الوطنيين في بغداد .

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٥٦ .

المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي[1] • لكن الاهمية السياسية لهـــذا التقارب لم تظهر بصورة جلية الا في شهر رمضان الذي بدأ في ١٩ مايس ١٩٢٠ • حيث أخذت حفلات « المولد » التي تقام احتفاءا بولادة النبي[ص] تقام في الجوامع السنية والشيعية بالتناوب ، وأخذ أبناء الطائفة يحضرونها بدعوة من المكلفين بالاشراف على هذه الجوامع أو من رؤساء « المحلات » التي تقع فيها • وكانت في بعض الاحيان تعقب قراءة المولد ، التي هي من المراسيم السنية البحتة ، قراءة « التعزية » وهي من المراسيم الشيعية التـي تقرأ في تأبين الحسين [ع] وتقديس استشهاده • لكن الطابع البارز عـلى هذه الحفلات الدينية كان في جميع الاوقات القاء الخطب السياسية وانشاد الشعر الوطني متلوا بالمراسيم الدينية المعتادة ••• وقد حدث في احـدى حفلات المولد أن ألقى موظف[2] شاب من موظفي دائرة الاوقاف خطابـا حماسيا اعتبرته السلطات خطرا على الامن العام • فكان توقيفه سببا في عقد اجتماع كانت الغاية منه اجراء الترتيبات اللازمة لاطلاق سراحه عنوة » • وتبين المس بيل أن الحكومة أرسلت سيارتين مصفحة لتفريق المتظاهرين

(١) يقول الحسني ، على الص ٥٤ من كتابه الموســوم ب « الثورة العراقية » ان الشيعيين أكبروا وفاة اليزدي ، ورأى السنيون أن يشاطروا اخوانهم في مصابهم ، فأقاموا للفقيد العظيم الحفـــلات التأبينية الكبرى ، فكانت هذه الوفاة سببا مباشرا لتقارب المسلمين في العراق ، وعاملا كبيرا من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم ، وقـــد استغل المفكـــرون السياسيون هذه القوة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبـــرى •

(٢) كان اسم هذا الشاب عيسى عبدالقادر ولم يلق خطابا ، بـل قصيدة مطلعها :

بني النهرين نســل الطيبينـا أفيقوا واسمعوا حقــا يقينـا

والقى السيد عيسى هذه القصيدة في ٦ رمضان ، ١٣٣٨هـ ، بجامع الحيدر خانه ، ولم تكن هذه القصيدة من الشعر الممتاز ، ولكن تأثيرها كان كبيرا •

فقتل رجل أعمى[١] سقط عرضا فدهس • وتستمر المس بيل بروايتها فتقول : « كان قادة الحركة ومنظمو حفلات المولد رجال تختلف منزلتهم الاجتماعية وقابليتهم وكان أكفأهم وأكثرهم قدرة رجلان شيعيان هما السيد محمد الصدر ••• وجعفر أبو التمن ••• كما كان أبرز السنة في هذا الشأن يوسف أفندي السويدي والشيخ أحمد الداود وعلي أفندي البازركان »[٢] •

ويظهر ان حفلات المولد والمظاهرات التي صحبتها كانت ذات تأثير كبير في نفوس الجمهور • فيقول العمري : « كانت المظاهرات السلمية والاحتفالات التي تنعقد في الجوامع ••• تمردا علنيا يدل على قرب انفجار بركان الثورة في العراق ••• »[٣] •

وكتبت المس بيل في ١٤ حزيران ١٩٢٠ تقول : لقد مر علينا اسبوع مليء بالحوادث ، ازدادت فيه دعاوة الوطنيين ، وكانوا يقيمون اجتماعات مستمرة في المساجد وقد ارتفعت درجة الشعور الوطني الى أعلى من الدرجة ١١٣ • وكان المتطرفون يدعون الى الاستقلال ولا يريدون الانتداب • وقد سيطر الوطنيون على الغوغاء Mob بدعوتهم الى وحدة المسلمين وحقوق الجنس العربي • وقد أنشأوا حالة ملؤها الخوف • ولو أن شخصا قام بحركة تهييج بسيطة في السوق لاغلق الناس حوانيتهم • والواقع ان الناس في الاسبوعين الفائتين لم يزاولوا أعمالهم »[٤] •

وقد حاولت الحكومة دون جدوى أن تحول دون اقامة هذه

---

(١) المعروف ان هذا الرجل كان أخرسا واسمه محمد أو عبد الكريم بن رشيد هجم على سيارة الحكومة المصفحة فدهسته وقد أكبر الناس تضحيته وخرجت جموع كبيرة لتشييع جنازته •

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٤٧ •

(٣) مقدرات ، ج٣ ، ص ٣٣٥ •

(٤) The Letters, II, P. 397.

الحفلات • ومن الوسائل التي اتخذتها هي دعوة عدد كبير من الشبان الى حفلات تقيمها المس بيل في بيتها لتصرفهم عن الاشتراك في هذه المناسبات الوطنية[١] • كما أن الحكومة كانت ترسل السيارات المصفحة لتجوب الشوارع لتفريق المتظاهرين[٢] •

ويظهر أن مظاهرات شبيهة بالتي جرت في بغداد حصلت بكربلاء ، لاسيما ان الامام محمد تقي الشيرازي أصدر منشورا يدعو الناس فيه الى التظاهر •فخرجت في كربلاء مظاهرة سلمية صاخبة فاهتمت الحكومة بالامر ونفت قادة الحركة الى هنجام • وقد تأثرت النجف وجميع الفرات الاوسط بمنشور الامام الشيرازي فعقدت عدة اجتماعات اشتركت بها وفود رؤساء القبائل في الشامية تمخضت عن تفويض الذوات الاتية أسماؤهم لمفاوضة الحكومة باسم الشامية والنجف : الشيخ جواد الجواهري ، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي ، الحاج عبدالمحسن شلاش ، السيد علوان الياسري ، السيد نور السيد عزيز • ودون هذا الوفد مطاليبه في كتاب قدمه بواسطة حاكم النجف والشامية الى نائب الحاكم الملكي العام ببغداد • وظل هذا الوفد مثابرا على عمله • وكان آخر ما فعله ارساله الى السلطات البريطانية ببغداد انذارا بالثورة ما لم تسرع هي بمنح العراقيين حقوقهم المقدسة[٣] • وقامت الموصل بمظاهرات صاخبة فأسمعت الحكومة صوتها الداعي للحرية[٤] •

وتتلخص مطاليب وفد الموصل التي قدمت المسلطات المسؤلة بما يأتي : أولا ـ انشاء المجلس التأسيسى ليقوم بمهمة تشكيل الحكومة العراقية • ثانيا ـ اطلاق الحرية للمطبوعات • ثالثا ـ رفع الحواجز الموضوعة في طريق المراسلات داخلا وخارجا •

---

(١) علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية ، ص ٥٤ •

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٤٧ •

(٣) البصير ، ن٠م ، ج١ ، ص ١٥٧ •

(٤) البصير ، ج١ ، ص ١٥٨ •

وقد كثر عدد المظاهرات فتجاوز الخمسين مظاهرة • وقد استاءت السلطات البريطانية من هذه المظاهرات فأذاعت المنشور التالى المؤرخ في ١٣ آب ١٩٢٠ : اعتاد بعض المفسدين[١] ••• أن يعقدوا المواليد في ليـــالي الجمعة ظاهرا لمقاصد دينية ولكن في الحقيقة لتهييج أفكار الناس ضـــد الحكومة ••• فلهذا وجب علينا أن نعلن ان انعقـــاد المواليد ممنوع وان انعقاد الاجتماعات لمقاصد سياسية تعرض القائمين بها لاشد العقاب •••

التوقيـــــع

ساندرز أمير لواء القائد المنوط به الدفاع عن بغداد[٢]

ويقول ولسن ، في تعليق له على هذه الاحتفالات ، : « لقد كان من رأي حاكم بغداد ورئيس الشرطة أن تتخذ اجراءآت شديدة تجـــــــاه القائمين بهذه المواليد ولكني كنت معارضا لهما ، ولكن ظهر لي فيما بعـد انني غير مصيب ، وانني أسأت تقدير أهمية الوطنيين وشدة تأثير دعاوتهم ، كما اني لم أعرف تأثير العلماء على الجمهور في الفرات الاوسط ، وانـي أشعر الان اننا على وشك خلقحكومة وطنية »[٣] •

المفاوضة بين مندوبي بغداد ونائب الحاكم الملكي العام :

لقد أقر المتظاهرون في « جامع الحيدرخانة » انتخاب خمسة عشـر مندوبا لمفاوضة نائب الحاكم الملكي العام حول مستقبل البلاد[٤] • وكـان

---

(١) ان ما قلناه سابقا عن منظمي حفلات المولد النبوي الشريف واشـــتراك الآلاف من الجمهور فيهـــا **يبين ان لهجة مصدر البيـــان** تنقصها سلامة الذوق •

(٢) البصير ، ج١ ، ص ١٥٩ •

(٣) Wilson, Op. cit, II, P. 254.

(٤) أورد الحسين ، على الص ٥٨ من كتابه الموسوم ب « الثورة العراقية » أسماء المندوبين وهم : ١ ـ فؤاد الدفتري ٢ ـ محمد جعفـر أبو التمن ٣ـ **الشيخ أحمد الظاهر ٤ـ الشيخ أحمد الداود ٥ـ السيد** =

السبب المباشر لعقد اجتماع « جامع الحيدرخانة » هو نشر قرارات سان ريمو في العراق • وكان من بين هذه القرارات قرار يقضي بسلخ العراق من تركية ومنحه الاستقلال تحت وصاية البريطانيين • وقدم مندوبو بغداد والكاظمية عريضة لنائب الحاكم الملكي العام في ٩ رمضان ، ١٣٣٨هـ ، الموافق ٢٨ مايس ١٩٢٠ • وكانت الحكومة قد ارتأت أن تدعو واحدا وعشرين شخصا « من المشهورين بموالاة السلطة »[١] • وقد اجتمع مندوبو الشعب وأصدقاء الحكومة بنائب الحاكم العام فخطب فيهم خطبة[٢] ملخصها : (١) أشار الى التصريح الفرنسي ـ الانكليزي الصادر في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨ والى المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم• تناولت نظام الانتداب • (٢) قال : « أصرح لكم أن حكومة جلالة الملك ترغب في تأسيس حكومة[٣] وطنية في العراق » • ثم أشار الى الاسباب التي أدت الى تأخير انشاء هذه الدولة • وكان من بين هذه الاسباب الصعوبات الخارجية الناشئة من اضطراب الحالة في ايران وتركية وسورية•

= أبو القاسم الكاشاني ٦ـ علي البازركان ٧ـ السيد عبدالكريم الحيدري ٨ ـ الحاج ياسين الخضيري ٩ ـ عبدالرحمن الحيدري ١٠ ـ رفعت الجادرجي ١١ـ الشيخ سعيد النقشبندي ١٢ـ عبدالوهاب النائب ١٣ـ محمد مصطفى الخليل ١٤ ـ السيد محمد الصدر ١٥ ـ يوسف السويدي •

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٥٩ •

(٢) نشر النص الكامل لخطاب ولسن في العدد (٣) من جريدة «العراق» البغدادية المؤرخ في ١٥ رمضان ، ١٣٣٨هـ ـ ٣ حزيران ١٩٢٠ •

(٣) وردت كلمة « حكومة » في النص ولا نعلم هل أن الحاكم يقصد منها دولة وحينئذ تكون السيادة للعراقيين فيها أم أن النص يطابق مقصدوه وحينئذ تكون المؤسسة المنوى تأسيسها مجرد أداة تنفيذية وتحتفظ بريطانية بالسيادة • ومثل هذا النظام موجود حينذاك اذ أن حكومة الهند كانت قائمة ولكن السيادة على الهند كانت بيد بريطانية •

(٣) أشار الى استعمال الشدة ضد الذين يستعملون العنف فقال : « لـــن أتردد في الاستعانة بالسلطة العسكرية لاستخدام القوة الكافيـــة لاستتباب النظام في البلاد » • (٤) أشار الى الغاية من هذا الاجتماع فقال : « ان ما ننويه هو تشكيل مجلس للامة يرأسه رئيس عربي يتولى الرئاسة الى أن يرفـــع دستور العـــراق الاساسى الى المجلس التشريعي المنوى أيضـــا تشكيله ••• » • وفي نهايـــة الخطاب طلب من الحاضرين أن يبـــدوا مطاليبهم • فقام السيد محمد الصدر وقال : « ان الحركة في البلاد هـــي حركة سلمية لا يقصد منها اثارة القلاقل • وجل مطاليبنا هو تأليف حكومة وطنية تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانية وفرنسة في تصريحيهما الذي اذاعتاه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعملا بقرارات سان ريمو ••• » • وقال أيضا : « ان ما قلته وافق عليه الاعضاء وهـــو مكتوب » • فقام يوسف السويدي وسلم الحاكم نص القرار[1] للحاكم •

وجرت مفاوضات ومباحثات طويلة بين الطرفين كان المعبر عن الوفد فيها يوسف السويدي • وقد ألح السويدي على نائب الحاكم الملكي العام بوجوب تأسيس حكومة عراقية في الحال عملا بقرارات مؤتمر «سان ريمو» • فرد عليه نائب الحاكم ولسن بقوله : « ان القرار الذي تصدق في مؤتمر « سان ريمو » قضى باستقلال سورية والعراق بوصاية فرنسة على سورية ووصاية بريطانية على العراق ••• » • ثم قال نائب الحاكم : « انه لا يمكن البت في هذه المسألة والمباشرة فيها ، بل انه سيرفع هذه المطالب الى الحكومة البريطانية ••• على ان الحكومة البريطانية نفسها ليست مطلقـة الارادة ،

---

(١) أورد الحسني ، على الص ٦٤ من كتابه الموسوم ب « **الثورة** » نص القرار المذكور • وأهم ما جاء به **المطالبة بتأليف مؤتمر يمثل الامـــة** العراقية ليعين مصيرها فيقرر شكل ادارتها في الداخل ، ونوع علاقتها في الخـــارج •

بل انها مقيدة بقرارات عصبة الامم ... »[١] .

وقد انحى الناس باللائمة على السويدي اذ انه بهذا التصريح كان قد اعترف بشرعية اتفاقية « سان ريمو » التي شجبها العرب لانها لا تحقق أهدافهم الوطنية . كما احتج الصدر على صاحب « جريدة العراق »[٢] لانه أثبت في خطابه الاشارة الى مؤتمر « سان ريمو » مع انه لم يذكر هذه الكلمة في الخطاب .

ويستطيع الباحث أن يستنتج من خطاب نائب الحاكم الملكي العام ومن سير المفاوضات التي حصلت بين مندوبي بغداد والسلطات البريطانية في العراق ان وجهات النظر متباعدة بين الفريقين . فالحكومة تعمل على استحصال اعتراف العراقيين بالانتداب مستفيدة من القرارات الدولية التي اتخذت بشأن العراق وخاصة المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم ومقررات « سان ريمو » وكلاهما يؤيد فرض الانتداب على العراق . بينما أظهرت الجهات العاملة في حقل الحركة الوطنية من العراقيين ، ومنها ممثلو بغداد ، في المفاوضات سالفة الذكر وغيرها ، انها لا تقر الانتداب ، وانها تطالب بانشاء دولة عراقية ذات سيادة في الحال . ويظهر ان اشارة بعض المندوبين الى قرارات مؤتمر سان ريمو ، ان صحت هذه الاشارة ، ناتجة عن قلة المامهم بما تعني هذه القرارات ، والدليل على ذلك انهم استندوا ، في معرض مطالبتهم بتأسيس دولة عراقية ذات سيادة ، على قرارات مؤتمر سان ريمو وعلى التصريح الفرنسي الانكليزي المشترك مع ان منطوق احدهما يختلف عن الاخر ، وان التصريح يخدم قضيتهم ، بينما مقررات سان ريمو تنص بصراحة على فرض الانتداب على العراق .

---

(١) « العراق » السنة الاولى ، العدد (٣) ٣ حزيران ، ١٩٢٠ — ١٥ رمضان ، ١٣٣٨هـ .

(٢) العدد ، ٤ ، ٤ حزيران ، ١٩٢٠ .

يضاف الى ذلك ان حسن النية ، كما يظهر ، لم يكن متوفرا لدى الفريقين المتفاوضين اذ كان كلاهما يحاول أن يدحض حجج خصمه باللجوء للمنطق والتلاعب بالالفاظ • وعلى هذا يمكن أن توصف مفاوضة المندوبين البغداديين مع السلطات البريطانية بأنها شبيهة بالمناظرة التي يعقدها الفرقاء لا ليتوصلوا الى حل ينال موافقة الطرفين ، بل ليكسبوا الجولة ويدحروا خصمهم بدلا من أن يتفقوا معه حول القضية موضوع المناقشة •

وبعد ان أخفقت مفاوضات البغداديين مع السلطات البريطانية ، كما أخفقت الوسائل السلمية الاخرى التي لجأ اليها العاملون في الحركة الوطنية في المناطق الاخرى من العراق ، أصبح مفهوما للحكومة وللعراقيين معا أن الوسائل السلمية لا تحل المشكلة • وظهر للفريق العراقي خاصة أن قضيته لا تحلها الا الثورة المسلحة وهكذا كان فاعلنت الثورة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ ، كما سنرى في الفصول القادمة •

الفصل الرابع
أسباب الثورة ومقدماتها

تتبعت في الفصول السابقة سير الحركة التحررية في العراق وأشرت الى المراحل التي مرت بها ، سواء كان ذلك في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى أو في أثنائها • وبعد ان أسفرت التسويات السياسية بعد الحرب عن فرض الانتداب على العراق ، كان ذلك مخيبا لآمال القائمين في الحركة الوطنية من العراقيين من جهة ، وبرهانا على حنث الحلفاء ، بما فيهم بريطانية ، بعهودهم من جهة أخرى • وكان لانتهاء الحرب ، وتوضيح موقف بريطانية حول آمال العراقيين بالاستقلال ، وقيام الحركات التحررية في الشرق الادني والهند ، تأثير مهم في تخفيز القائمين في الحركة الوطنية العراقية على الاستمرار في تهيئة الوسائل وبذل الجهود الرامية لنجاح القضية العراقية ، لا سيما وان الحركة الوطنية في السنتين التين تلتا عقد الهدنة ، كسبت تأييد جماعات كبيرة من الجمهور • وكان تأييد جماعات كبيرة من سكان المدن للاحزاب والهيئات العاملة في الحقل الوطني ، وانضمام عدد من رؤساء القبائل لهذه الاحزاب ، وتشجيع أكثرية رجال الدين للحركة الوطنية واسهامهم فيها ، يقوم دليلا على انتشار وقوة الحركة الوطنية في هذا الدور من تاريخ العراق • وبعد ان اخفقت الوسائل السلمية والانتفاضات المحلية ، كما أسلفنا ، رأى العاملون في حقل الحركة الوطنية ، أنه لا مناص من استعمال القوة كمحاولة أخيرة لحمل البريطانيين على تغيير موقفهم تجاه آمال أهل العراق في الحصول على الاستقلال • ويمكن أن نجمل أسباب الثورة بما يأتي :

أ ـ الاسباب الخارجية وهي :

أولا ـ اصرار بريطانية على حكم العراق حكما مباشرا أو عن طريق الانتداب : اتضح من أقوال المسؤلين البريطانيين ان بريطانية لا تنوي التخلي عن حكم العراق مباشرة أو فرض الانتداب عليه على الاقل ، فقال الكولونيل ولسن ، قبيل قيام الثورة في **٣٠** حزيران **١٩٢٠** : « لقد زرت البصرة فأظهر لي جماعة[١] من البصريين عدم تأييدهم للحركة الوطنية ببغداد • ثم زرت الحلة وكربلاء بعد ذلك فرأيت الهدوء مخيما فيهما ، كما اتصل بعلمي أن المجتهدين حاولوا مقاومة الانتداب البريطاني على العراق ، ولكن حظ جهودهم من النجاح كان قليلا »[٢] • وفي اليوم الذي أطلقت فيه أول شرارة لاعلان الثورة ، أي في **٣٠** حزيران **١٩٢٠** ، نشرت السلطات البريطانية ببغداد الخبر التالي : « وصل دائرة الحاكم الملكي مضبطتان موقعتان من **(٥٠)** زعيما من ممثلي ناحيتي الديوانية والعفك وعشائرهما تؤيدان المضابط التي عرضت السنة الماضية وتعربان عن قبول الحكومة البريطانية وصية على العراق وتشيران الى عدم اشتراك الموقعين عليها في الآراء التي عسى أن يكون قد أبداها غيرهم وهي مباينة لآرائهم »[٣] • ولا نعلق على أهمية وجود مضابط كهذه خاصة ، وصحة معلومات الحكومة عن الحالة في الديوانية عامة ، بأكثر من أن نقول ان معظم مناطق الديوانية بتاريخ نشر الخبر سالف الذكر ، كانت مشتبكة مع قوات الحكومة بحرب

---

(١) تقول المس بيل على الص ١٥٣ من كتابها الموسوم ب « فصول من تاريخ العراق » ان السيد طالب النقيب منذ عودته لبلاده من الهند « لم يفوت فرصة يثبت فيها اقتناعه بأن مصلحة العراق متوقفة على قبول الانتداب البريطاني » •

(٢)

(٣) « العراق » السنة الاولى ، العدد ٢٥ ، ٣٠ حزيران ، ١٩٢٠ ـ ١٣ شوال ١٣٣٨هـ •

فعلية • وأن موقعوها ، ان صح وجودهم ، لا يمثلون الاتجاه العــــام في منطقتهم • وعندما انتقدت سياسة الحكومة البريطانية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٩ من قبل الصحافة والمعارضة بمجلس العموم البريطاني ، على أساس انها تكون عبئا ثقيلا على موارد بريطانية المالية[١] وقواتها العسكرية ، وطالب المعارضون بالانسحاب من العراق ، رد رئيس الوزراء ، المستـــر لويد جورج "Lloyd George" ، على المعارضة بقوله : « ان ولايـــة الموصل العراقية غنية بالنفط ،وحالما تنسحب بريطانية من العراق تحــل محلها دولة أخرى »[٢] • وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢٠ تقدم المستر اسكويث باقتراح يرمي الى الانسحاب من العراق وقال : « اذا نظرنا الى أحوال البلاد وما نحن عليه من الضيق المالي ، حكمنا دون تردد انـنا ساعون في تكليف أنفسنا فوق طاقتها ، اذا أخذنا على عهدتنا صرف ٣٠ أو ٤٠ مليون ليرة على قطر ليس فيه من السكان سوى مليوني نسمة » • فرد عليه المستر لويد جورج بقوله : « أمن المعقول اننا بعد كل هذه الجهــود التي قمنا بها نغادر العراق تاركين كل شيء خوفا وسأما من ثقل حملها ؟ » • وقد أجابت أكثرية المجلس رئيس الوزراء بالنفي وقالوا : « كلا كلا »[٣] •

ومن هذا يظهر أن السياسة البريطانية في العراق كانت تستهدف البقاء في هذه البلاد وان ثورة العشرين كانت من العوامل الرئيسة في تغيير هذه

(١) كانت نفقات الاحتلال البريطانيـــة في العراق في سنة ١٩١٩ تساوي (٣٦) مليون باون •

(٢) House of Commons Debates, 5th Series, 127 (1920), 662, 663, Cited by Robert E. Debrodt, "The British Attempt at Colonial Rule in Iraq, 1918—21" Typed Copy, May 19, 1959, p. 3.

(٣) العراق ، السنة الاولى ، العدد ٦٢ ، ١٢ آب ، ١٩٢٠ — ٢٧ ذي القعدة ، ١٣٣٨هـ •

السياسة أو اكسابها مرونة أكثر من ذي قبل على الاقل •

ويبدو أن المس بيل كانت أكثر تفهما من نائب الحاكم الملكي العام ، ولسن ، لقوة الشعور الوطني في العراق • وبالرغم من انها تنبأت بحدوث ثورة في العراق ، اذا لم تغير بريطانية سياستها في العراق ، لم يأخذ المسؤلون البريطانيون برأيها • فكتبت في الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٠ تقول : « أبتهل الى الله أن يهدي قادة الرأي في وطننا ويجعلهم يفهمون ان الافضل أن نعترف بطموح العراقيين السياسى منذ البداية وألا نحاول أن نضغط على السكان • ومن يعلمنا بأننا قد نفقد سيطرتنا على العراق خلال سنة واحدة أو أقل • وذلك لان عوامل الاضطراب من الشمال والشرق آخذة مجراها وربما يكون لهذه العوامل تأثيرها في أهل العراق • ليتني أتمتع بتأثير أكثر مما أتمتع به الان حتى أقنع الاخرين بوجهة نظري • وقد كتبت حول هذا الموضوع الى أدون "Edwin" هذا الاسبوع ، وسأكتب الى السير هرتزل "A. Hirtzel" »[١] •

ثانيا ـ تأثير الثورة العربية في سورية والحجاز : أعلن الشريف حسين ثورته على الترك في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ الموافق للعاشر من حزيران سنة ١٩١٦ بعد مفاوضات طويلة جرت بينه وبين السلطات البريطانية في مصر[٢] • وكان لثورة الحسين صداها في العراق ، بالرغم من ان السلطات البريطانية في الهند قد عمدت « الى اخفاء أو تصغير أخبار نجاح ثورة الحسين في العراق • وكان هدفها من ذلك اخماد روح الاستقلال بين السكان العرب المحليين »[٣] •

---

(١) The Letters of G. Bell, Vol II, p. 388.

(٢) أورد جورج أنطونيوس على الصفحات ٢٥١ـ٢٧٥ من كتابه الموسوم ب « يقظة العرب » المطبوع ببيروت ١٩٦٢ تفصيلات وافية عن المفاوضات التي درات بين الشريف حسين والسير مكماهون •

(٣) Lawrence, T. E, Seven Pillars of Wisdom, N.Y, 1938, p. 60.

ويظهر ان الكثيرين من المشتغلين بالحركة الوطنية في العراق كانوا يعدون شرفاء مكة أبطالا قوميين يصلحون لقيادة البلاد العربية نحو الاستقلال • وقد وصلت ثقة معظم العراقيين ، خاصة في بغداد والفرات الاوسط ، بهؤلاء الشرفاء درجة أصبح معها ترشيح أحد أبناء الشريف حسين لعرش العراق مقبولا • ومن الادلة على ذلك : أولا ـ أن شيوخ القبائل في منطقة الشامية كانوا عند نشوب الحرب العالمية الاولى « على اتصال مع الشريف حسين بغية الحصول على مملكة عربية مستقلة »[١] • ثانيا ـ عندما أجري الاستفتاء في العراق سنة ١٩١٨ ، عقد اجتماع كبير في بغداد لهذا الغرض وقع فيه « المسلمون المجتمعون على عريضة يفضلون فيها تأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم يجب أن يكون من أنجال الشريف »[٢] • ثالثا ـ وبعد أن نودي بملوكية « الامير عبدالله في دمشق في اليوم التاسع من مارت سنة ١٩٢٠ طلب الى شيوخ جميع القبائل الفراتية أن يوقعوا على وثيقة يطلبون فيها منه أن يتوجه لتسلم زمام مملكته ، والمعتقد ان عريضة بهذا المعنى بعثت اليه من الشامية »[٣] • يضاف الى ذلك ان انخراط عدد من الضباط العراقيين الهاربين من الجيش العثماني أو من الذين وقعوا أسرى بيد الانكليز ، في ثورة الحسين ، كون منهم حلقة اتصال بين العاملين في ثورة الحسين وبين بعض المعنيين في الحركة الوطنية بالعراق •

ثالثا ـ تأثير الثورة المصرية سنة ١٩١٩ : قامت هذه الثورة نتيجة لاستمرار الاحتلال البريطاني لمصر ، ولفرض الحماية عليها ، ولاشغال البريطانيين مناصب ادارية كبيرة في البلاد • ويظهر ان التذمر من السياسة

---

(١) Reports, I, p. 66—7.

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٢٤ •

(٣) ن•م ، ص ١٥٦ •

البريطانية لم يكن مقتصرا على معظم سكان المدن المصرية ، بل امتد الى الفلاحين الذين تضرروا كثيرا بسبب ظروف الحرب العالمية الاولى نتيجة تشغيلهم واستخدام حيواناتهم بأعمال أملتها ضرورات الحركات العسكرية الانكليزية • وكان تذمر المصريين من الادارة البريطانية في تلك الفترة حقيقيا وشاملا لجماعات كبيرة من المصريين(١) • وما لبث هذا التذمر أن تحول الى ثورة • وقد أظهر المصريون في ثورتهم هذه ، رغبة أكيدة في الحصول على الاستقلال • ويقول بارلو انه لم يكن باستطاعة أي زعيم ، بما في ذلك سعد زغلول نفسه ، أن يتساهل في هذا المطلب الشعبي لان تساهله قد يؤدي الى فقدان زعامته(٢) • ويقول العمري ان للثورة المصرية أثرا كبيرا في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين ، وان اطلاع العراقيين على انتصارات المصريين ، على البريطانيين ، قوى عزائمهم « فأخذوا يستخفون بالانكليز وبمقدرتهم الحربية ، وانتعشت الروح الوطنية انتعاشا هائلا ••• »(٣) •

رابعا ــ تأثير قيام الحكومة الفيصلية في سورية : تأسست الادارة الفيصلية في سورية قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى بعد اندحار الاتراك أمام جيوش الحلفاء • وقد أسهم جماعة من العراقيين في ادارة حكومة فيصل هذه ، كما بينا في فصل سابق • ويظهر ان العراقيين الموظفين في حكومة سورية استفادوا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على ادارة الحركات الوطنية الرامية لانقاذ أجزاء من وطنهم من أيدي السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك • وقد

(١) Barlow. E, The Egyptian Crisis 1918—1922 Typed Copy, p. 3.

(٢) Ibid, p. 5.

(٣) مقدرات ، ج٣ ، ص ٩٩ •

نجحت مساعي رمضان الشلاش ، التي نالت تأييد ومعونة جمعية العهد العراقية في سورية ، في انقاذ دير الزور من الاحتلال البريطاني • يضاف الى ذلك ان جمعية العهد في الشام كانت على صلة ببعض العاملين في الحركة الوطنية بالعراق خاصة في الموصل وبغداد ، ومع هذا فان دورها ، كما بينا في فصل سابق ، كان قليل الاهمية • ويظهر أن دور الحكومة الفيصلية في سورية وتأثيرها بحركة العراق الوطنية كان مبالغا فيه • فعندما يتكلم العمري عن أثر الحكومة الفيصلية في حركة العراق الوطنية يقول ان كثيرا من أهل العراق اعتقدوا « بأن الدولة العربية المؤسسة في سورية على أثر مبادىء ولسن الشهيرة ، قد أصبحت قوية[١] يستند رجالها الى أحزاب سياسية وطنية ، وان هؤلاء ، وفي مقدمتهم سمو الامير فيصل ، قد عزموا على تحرير العراق من الاستعباد البريطاني »[٢] • ولو بحثنا عن المساعدات الفعلية التي قدمتها سورية للعراق ، أثناء كفاحه مع الانكليز ، لوجدناها ضئيلة ، ان لم تكن معدومة • وقد بينا في فصل سابق انه لم تصل مساعدات مالية[٣] من سورية للعراق ذات أهمية ومع هذا فقد أشار الشيخ فريق

---

(١) يقول أمين سعيد على الص ٢٨٢ من الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ « الثورة العربية الكبرى » : « ان الجيش الفيصلي كان ضعيفا • وكان يوسف العظمة يخفي الامر عن الملك فيصل ولكن ياسين الهاشمي أباح بكل شيء • فقال يوسف : لقد كشفنا ياسين وانتهى كل شيء ولم يعد بامكاننا أن نعمل شيئا » •

(٢) مقدرات ، ج١ : ص ٩٨ •

(٣) يقول علي البازركان ، على الص ١٦٠ من كتابه الموسوم بـ « الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية » : « ان الثورة بدأت وانتهت ولم تصل الى القائمين فيها أية مساعدة مالية أو عسكرية » • بل بالعكس ان أحد القائمين بالحركة في دير الزور ، وهو علي جودت الايوبي ، أرسل رسالة يطلب فيها من الثوار عشرة آلاف ليرة لينفق منها على نقل أتباعه ليشتركوا بالثورة ضد الانكليز فرفض طلبه •

الفرعون الى أن الملك فيصل قد أرسل ستة وعشرين ألف ليرة ذهبية مع شخص لم يذكر اسمه وطلب منه أن يسلمها أما الى الشيخ محمد تقـي الشيرازي أو الى عبدالواحد الحاج سكر أو الى السيد علوان الياسري ، ولكن الشخص الموما اليه لم يوصل المبلغ الى أي واحد من هؤلاء[١] •

ومما يجدر ذكره هو أن الحسني[٢] استجوب جماعة من السياسيين ورجل الدين الذين اشتركوا بالثورة والزعماء وغيرهم عن مواضيع عديدة ومن بينها المساعدات السورية للعراق • وقد وجه لهم الأسئلة التاليـة : (١) ما العوامل التي أدت في نظركم الى اعلان الثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠ ؟ • (٢) هل تلقى الثوار مساعدات عسكرية أو مالية من بغداد أو من خارج العراق ؟ • (٣) هل استفاد العراق من ثورته ؟ • ولا يهمنا هنا أن نبحث في الاجوبة التي وردت عن السؤالين الاول والثالث ، بل ما يهمنا الاشارة اليه هو موضوع المساعدات المالية والعسكرية التي وردت من خارج العراق للثوار وخاصة سورية • وقد أجاب فخامة ناجي شوكت بالنفي • كما أجاب فخامة ناجي السويدي ان مبالغ مهمة لم ترد ، سوى اربعمائة جنيه أرسلت في سنة ١٩١٩ لبعض الجمعيات السياسية العراقية • ومع هذا فلا نعلق أهمية تاريخية على جواب فخامتي السويدي[٣] وشوكت ،

---

(١) الحقائق الناصعة ، ج١ ، ص ٢٨٢ •

(٢) الثورة ، ص ٢٠١ـ٢٢١ •

(٣) أخبرني من أثق بروايته ان صاحبا الفخامة ناجي السويدي وتوفيق السويدي لم يكونا مؤيدين لابيهما يوسف السويدي في اشتغاله بالحركة الوطنية في العراق سنة ١٩٢٠ • وقد حررا رسالة بهذا الخصوص وطلبا من ناقل الرواية الذي كان معهما بدمشق أن يوصلها لابيهما • وأباحا له فتح الرسالة ان خشي الخطر على أن يبلغ مضمونها شفهيا لابيهما • وعندما فتحها وجد ان الولدين يحذران أبيهما مغبة عمله في الحركة الوطنية ضد الانكليز وان عمله في هذا الحقل يهدد مصالحهما الخاصة •

لان أحدهما ، وهو ناجي شوكت ، كانت صلته بالثوار قليلة أو معدومة تقريبا ، قبل الثورة وفي خلالها ، لذا تعد معلوماته غير مباشرة • أما فخامة ناجي السويدي فان المس بيل[١] تتهم أباه ، يوسف السويدي خاصة ، والشيخ سعيد النقشبندي ، بتسلم مبالغ كبيرة من المال لانفاقها على الثورة لذلك نأخذ روايته بنوع من الحذر • وبالرغم من كل ذلك فاني لا أميل الى اتهام يوسف السويدي بتبديد الاموال التي استلمها بطرق غير مشروعة ، لانه كان من العاملين في الحركة الوطنية ، وربما يكون قد صرف هذه الاموال بطرق مشروعة ، ومع هذا كان عليه أن يقدم بها مستندات الى الهيئة الادارية لحزب الحرس الذي هو عضو فيه • أما جواب معالي جلال بابان الذي كان من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك فكان : « لم يحصل العراقيون في ثورتهم هذه أي شيء من خارج العراق سواء كانت هذه الذخائر الحربية أو الاسلحة أو النقود ••• » •

وقال العلامة الشيخ عبدالكريم الجزائري ، الذي كان من أكثر رجال الثورة اطلاعا على خبايا الامور ، : « لم تأت أية مساعدة من الخارج لا مال ولا عتاد ••• » •

أما جواب الشيخ محمد جواد الجواهري ، وهو من المشتغلين بالقضايا العامة حينذك ، فكان : « اني من المباشرين والمطلعين الى ساعة القاء القبض علي ، فما رأيت وما سمعت ، ان الثوار استعانوا برجال بغداد أو غير بغداد ، لا بامدادات حربية ولا بأموال نقدية » •

وعندما وجهت الاسئلة سالفة الذكر للعلامة السيد هبة الدين الحسيني أجاب عليها بقوله : « أما من خارج العرا قفلم يرد أي شيء قط لمساعدة الثائرين ، لا أسلحة ولا ذخائر ولا أموال » • أما جواب الحاج

(١) فصول ، ص ١٣٤ •

عبدالمحسن شلاش ، وهو من المشتغلين بالشؤون العامـة حينذاك فكان : « لم أر ، ولم أسمع ، بوصول مدد أو مال أو غيره الى الفرات الثائر لا من داخل العراق ولا من خارجه » • أما الزعيم المشهور الحاج عبدالواحـد الحاج سكر، فقد جوابا على الاسئلة سالفة الذكر : « فاني أطمنك ، وتأكد من قولي ، بأنه لم يردنا أي شيء من المساعدات المالية أو المعنوية(١) لا من العراق ولا من خرجه » • أما جواب السيد علوان الياسري(٢) ، وهـو الزعيم الفعلي للثورة المسلحة ، فهو : « أما الامدادات التي تطرقتم اليها ، فلم يصل منها شيء لا من بغداد ولا من خارج العراق » •

خامسا ــ تأثير الحركة الكمالية في تركيا : كان للاتراك ، بحـكم الجامعة الاسلامية ، وصلاتهم القديمة في العراق ، وبحكم العامل الجغرافي أيضا ، نفوذ معنوي كبير في الاقسام الشمالية من العراق ، خاصة في المنطقة الكردية من العراق وفي الموصل • وقد دأب الاتراك منذ اعلان الهدنة على تأييد الحركات الرامية لاضعاف النفوذ البريطاني في العراق • وتقول المس بيل إن الدعاية التركية في منطقة البارزانيين والزيباريين كانت تدار بحذق

---

(١) ان في كلام الشيخ عبدالواحد مبالغة لا تخفى على القارىء •

(٢) جاء على الص ١١٠ من الجزء الاول من مجموعة تقارير الحكام السياسيين في العراق سـنة ١٩١٨ المرموز لهـا بـ "Reports"

« ان السيد علوان السيد عباس كان ممثل الشامية في مجلس الولايـة العثماني • وهو رجل ماهر وذو نفوذ واسع • ويمكن أن يكون أكثر الناس نفوذا في منطقة الشامية ، وله تأثير على السيد نور [السيد عزيز الياسري] ويجب ألا نثق به وان نراقب فعالياته » • أما عن الشيخ عبدالواحد فيقول كاتب التقرير على الصفحة وفي الجزء نفسه : « كان رجلا ثريا من زعمـاء آل فتله ، وهو رجل قدير وذو نظرة بعيدة تفوق نظرة الناس الاعتياديين • ومن الصعب على المرء أن يحلل أخلاقه • وهو بكل تأكيد أقوى رجـال آل فتله ، وقد يكون أقوى رجل في منطقـة المشخاب بعـد السيد علوان الياسري » •

من وان على يد حاكم سابق يدعى حيدر بك ، وقد شاعت الاخبار في أوائل الشتاء عن وصول أنور باشا الى وان مع عدد يتألف من الاتراك والروس الهاربين ، وعن تراسله مع سيتو آغا في أورامار الواقعة في شمال العمادية ، ومع البرواري والمسيئين الاخرين » • وقد توسط الترك فسووا النزاع بين فارس آغا الزيباري وشيخ أحمد البارزاني • وكان الوكلاء الاتراك « منشغلين في الوقت نفسه في بث المبادىء التي كان الاغوات يعيرونها آذانا صاغية لانها تقدم لهم مشروعا يؤدي الى سيطرة إسلامية بعيدة غير فعالة ، يصبح تحتها الاغوات هم أصحاب السلطة الحقيقية ، لكن الفلاحين العشائريين الذين سيجبرون على الخضوع التام لرؤسائهم لا يبدو انهم ينظرون الى الامر على الضوء نفسه »[١] •

ويذكر الاستاذ علي البازركان أن ضباطا من الجيش الفيصلي في سورية راجعوا والي ديار بكر فجهزهم بالاسلحة والعتاد على أن يهاجموا الانكليز[٢] •

وقد سبق ان أشرنا في الفصل السابق الى الرسالة التي أرسلها فرع جمعية العهد بالموصل الى مركز الجمعية في الشام والتي أظهر فيها معتمد الفرع بأن الموصل ترى في مصطفى كمال أتاتورك منقذا للعراق من الانكليز •

ومع هذا يظهر ان دعاوة الاتراك ومعونتهم كانت مقتصرة على الاقسام الشمالية من العراق • وقد ساهمت هذه الجهات في الحركات السابقة لقيام ثورة العشرين التي قررت مصير العراق ، ولكن دورها في تلك الثورة كان ضئيلا أو معدوما • يضاف الى ذلك ان الاتراك كانوا يساعدون

---

(١) فصول ، ص ١١٦ •

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ١٨٥ •

العراقيين لا رغبة في معونتهم على نيل الاستقلال ، بل ليعود العراق ، أو ولاية الموصل على الاقل ، تحت حكمهم كما أثبتت ذلك الحوادث اللاحقة، وخاصة مطالبتهم بولاية الموصل التي عدوها أراضى تركية واغتصبها منهم الانكليز دون مسوغ • وبالرغم من كل ذلك فان التأثير المعنوي لنجاح الحركة الكمالية في تركية كان كبيرا لا في العراق حسب ، بل في الشرق كله •

ب ـ الاسباب الداخلية للثورة :

أولا ـ سوء تصرف الادارة المحلية : حكمت بريطانية العراق بين سنة (١٩١٨ـ١٩٢٠) حكما مباشرا • وكانت السلطة البريطانية في العراق موزعة بين وزير الخارجية ووزير الشؤون الهندية في الحكومة البريطانية • وقد أناطت حكومة الهند الى ضابط من ضباطها وظيفة الحاكم الملكي العام"Civil Comissioner" وجعلته مسؤلا عن الادارة المدنية ، ولكنها جعلته خاضعا لسلطة القائد العام للقوات المسلحة • ويختار الحاكم الملكي العام بدوره الموظفين الاداريين وهم مسؤلون أمامه • وقد قسم العراق الى مناطق ادارية ، كما أسلفنا ، يحكمها الموظفون الاداريون تحت اسم حكام سياسيين يعاونهم في كل منطقة ادارية عدد من المعاونين حسب الحاجة وأهمية المنطقة • وكان معظم هؤلاء الحكام السياسيين من ضباط الجيش الذين لم يألفوا الادارة المدنية التي تختلف أساليب الحكم فيها عن الاساليب العسكرية •

وعندما يتكلم الشيخ علي الشرقي عن الادارة البريطانية في تلك الفترة يقول : « وكان التغيير من الحكم العسكري الى الملكي قد تم بسرعة وعلى يد ضباط عسكريين ذوي شراسة ولوثة انتقلوا من الخنادق الى الكراسى الادارية فساروا في الناس سيرة خشنة وساقوهم سوقا عنيفا وصبوا

التكاليف الثقيلة دفعة واحدة ... فكانت الترتيبات الادارية كأوامر عسكرية جبرية لا تقبل التحويل والتبديل فجفل الجمهور العراقي واستقبلته الاحزاب المعارضة فنفخت فيه روح الثورة »[1] . أما العمري فيقول : « وكان الناس يستاؤن جدا من النظامات الشديدة التي طبقها الحكام السياسيون من دون أن يفكروا في ان أهل العراق غير الهنود . ومن ذلك ... جلد البعض من أرباب المصالح ... لعدم قيامهم وأدائهم التحية للحاكم أثناء مروره »[2] . ويظهر ان النظرة التي تتصف بالغلظة وسوء الفهم لاخلاق الشعب العراقي لم تقتصر على بعض صغار الموظفين البريطانيين في العراق ، بل تعدتها الى أكبر شخص مسؤل عن البلاد حينذاك وهو الجنرال هالدن الذي كتب يقول : « لقد فات البعض من الحكام السياسيين أن يفهموا بأن رجال القبائل كانوا على مستوى لا يشبهه الا ما كان موجودا عند سكنة الحدود الشمالية الغربية من الهند وان حالتهم العقلية لا تبعد كثيرا عن عقلية المتوحشين »[3] . يضاف الى ذلك ان سلطات الاحتلال البريطاني في العراق فضلت احتياجات الجيش على سواها مما أدى الى اصدار عدد كبير من البيانات والاعلانات والاوامر المعقدة هيمنت على العلاقات بين الجيش والاهلين ، فكانت شديدة الوطأة صعبة التنفيذ بحيث انتقدها العسكريون فضلا عن السياسيين ، فالسخرة وجمع الطعام ، واشغال العقارات ببدلات ضئيلة واستخدام وسائل النقل ، وتقييد التجول والاسفار ، وعدم السماح بنقل الجنائز الى العتبات المقدسة كل هذه كانت حالات لم يألفها الناس . وقد أوردت تفصيلات عن بعض هذه القضايا في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

---

(١) « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، السنة الاولى ، العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول ١٩٢٧ ـ ٨ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ .

(٢) مقدرات ، ج٣ ، ص ٦ .

(٣) Haldane, Op. cit, p. 29.

وقد لجأت السلطة المحتلة أحيانا الى الاستفادة من الاساليب التركية وذلك باثارة الخلاف بين رؤساء القبائل لاسباب ادارية غالبا • عندما غضبت على الشيخ سالم الخيون استبدلته بالشيخ مجيد الخيون ونفت الشيخ الاول الهند[١] • ولم يقتصر ضرر هذه السياسة على خلق المشاحنات بين أفراد القبيلة الواحدة ، بل أدى الى انتشار الشقاق والنفاق بين رؤساء القبائل الامر الذي أدى الى خلق نوع من السخط والتذمر[٢] • ويوضح تقرير رسمي سياسة السلطات المحتلة تجاه الرؤساء المناوئين فجاء فيه : « لم يرضنا سلوك الشيخ عبدالعباس وقبيلته هي القبيلة الوحيدة التي لم تعاقب عند قيام الاضطرابات في العام الماضي ••• ومن الممكن أن نعاقبه الان ولكن خدماته للحكومة في الرميثة لن تنسى • يضاف الى ذلك ان قبيلته هي القبيلة الوحيدة المناوئة لقبيلة بني حچيم ••• ان طريقة التفرقة التي نسير عليها تعني القضاء على نظام القبيلة ، وهذه الوسيلة هي الوحيدة التي تساعدنا على السيطرة في الوقت الحاضر ••• »[٣] • وكانت قبيلة بني حچيم سالفة الذكر في الرميثة من أكثر القبائل مناوءة للانكليز وقد قامت بقسط وافر من النزاع العسكري المسلح عند قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ •

ثانيا ــ تأييد القبائل للثورة : تتكون الغالبية العظمى من سكان العراق ابان الاحتلال البريطاني للعراق من القبائل[٤] • وقد بينت في الفصل

(١) Arab Bureau, The Muntafik Confideracy, p. 5.

(٢) العمري ، مقدرات ، ج٣ ، ص ٣٠٧ •

(٣) Political Officer's Reports, August, 1912, p. 25.

(٤) لا تزال القبائل تؤلف الغالبية العظمى من سكان العراق ويؤلفون في الوقت الحاضر حوالى ٧٨٪ من السكان ، ٧٠٪ منهم متوطنون يزرعون الارض و ٨٪ بدو رحل وقد أخذ عددهم بالتناقص لكثرة الهجرة من الريف للمدن •

الاول كيف ان الضرورات السياسية والاجتماعية في العهد العثماني أملت على السكان ، بما في ذلك بعض سكان المدن ، ان ينتموا الى قبيلة من القبائل لكي يحافظوا على أرواحهم وأموالهم • وتخضع كل قبيلة الى رئيس تحكّمه في شؤونها وقت السلم وتسير تحت قيادته وقت الحرب • وقد يكون للقبيلة أو الاتحاد القبلي رئيس عام يسمي شيخ المشايخ أو شيخ العموم • وكانت معظم القبائل في العهد العثماني تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مكنها من ادارة شؤونها حسب العرف والتقاليد القبلية • فهي والحالة هذه لا تخضع الا نادرا لقوانين الحكومة وقلما تدفع الضرائب المفروضة بصورة كاملة لها • كما تتقاعس في كثير من الاحيان عن دفع ايجار الارض للمالك خاصة اذا كان ضعيفا أو من سكان المدن • ومن الجدير بالذكر ان ضرورات الدفاع عن النفس وطبيعة النظام القبلي وضعف الحكومة العثمانية جعلت هذه القبائل تهتم بتسليح أفرادها •

وكانت حروب القبائل فيما بينها وحروبها مع الحكومة تقوم بمثابة تدريب عملي على أساليب القتال • وعندما احتل الانكليز العراق لم يستطيعوا تجريد القبائل من السلاح بالرغم من الجهود التي بذلوها في هذا الشأن • كما انهم لم يقضوا على نظام المشيخة ، بل ركزوه على أسس أقوى من ذي قبل • ويقول الجنرال هالدن بهذا الصدد : « لا أستطيع أن أقول ان خطتنا الرامية الى تقوية سلطة الشيخ ناجحة أم لا ، ولا شك ان اختيار الشيخ يتطلب عناية فائقة ، وبعض هؤلاء يميلون الى تقديم مصالحهم الشخصية على حساب مصالح أتباعهم ، وعندما تحصل الاضطرابات يصعب عليهم أن يسيطروا على هؤلاء الاتباع • وليس عجيبا أن نرى الشيوخ الكبار في العراق لن يترفعوا عن سلب المبالغ التي تدفع لهم ليوزعوها على الافراد مقابل قيامهم بالاشغال العامة • وهذه الحالة التي وصفناها جعلت هؤلاء الافراد حانقين على الوضع الامر الذي جعلهم

يؤيدون الاضطرابات التي حصلت في سنة ١٩٢٠ »[١] ٠

أما الحسني فيعلل تنبه القبائل وتأييدهم للثورة بقوله : « لقد بعثت الحرب وسوء الادارة وعنف الموظفين البريطانيين ، في رجال القبائل روح التكتل وتناسى الضغائن والعصبيات القبلية ••• »[٢] ٠

ويلوح لي ان العامل الديني هو الاول في اثارة القبائل ضد الانكليز وقد ظهر أثر هذا العامل واضحا في الشعر الشعبي الذي كان يترنم بـــه أفراد القبائل أثناء القتال مع الانكليز ٠ فقال أحدهم يعاتب الشيخ خيـــون العبيد رئيس العبودة في قضاء الشطرة لتقاعسه عن قتال الانكليز ، بالرغم من ان الواجب الديني ، وهو الجهاد ، يفرض قتالهم عليه :

يا خيون شنهو المانعك لليوم
تندله[٣] فرض مثل الصلاه واالصوم
أظن ابليس غشك بالطمع وانوم
سوجنة عاد اسكن بيهـــا[٤]
ظل خيون جاعد[٥] شنهو المعطله
يكنز للدنيا اودينه[٦] امبطله
اگصور ايريد فضه يو ذهب حطله
ايكنزه وبيـــه ايچونـــه

---

(١) Op. cit, p. 31.
(٢) الثورة العراقية ، ص ٧٩ ٠
(٣) تعلم انه ، أي الجهاد ضد الانكليز ، فرض كالصوم والصلاة ٠
(٤) لقد روى لي هذا الشعر السيد خلف السيد غانم من أهالي الرفـــاعي ٠
(٥) أي متقاعس أو قاعد عن الجهاد ٠
(٦) أي أنه منشغل بالدنيا وتارك لدينه لانه لم يقم بالجهـــــاد المفروض ٠

وقال أحدهم يخاطب الذوات الواردة أسماؤهم في الشعر الشعبي التالي :

گالولي ثلاثة صايرين ايهود[1]
ابن ازويد مع منشد وابن شدود
گلت ما ظنتي ايكفرون[2] بيت الجود
يالشايل باصه ابزند ايده

وعندما هجم الشيخ شعلان أبو الجون رئيس الظوالم على القوات الانكليزية في الرميثة قالت احدى النسوة « هوسة » أي انشودة التحريض على الحرب رغبة في تحريض قومها على قتال الانكليز :

حل فرض الخامس[3] گوموله

وسنبحث عن أثر فتوى العلماء بالجهاد في القبائل وغيرهم من العراقيين فيما بعد ٠

وقد ظهرت بوادر روح وطنية تضيق عنها روح القبيلة الضيقة ، فذكر الشعراء « العراق » و « الوطن » في شعرهم الشعبي كما ذكروا فكرة التعصب « للعروبة » في شعرهم هذا ووصفوا الخائنين بانهم يشبهون أبا رغال الذي خان بلاده فدل الاحباش على مكة ورجم الناس قبره كما هو معروف ٠ وسنورد نماذج من شعرهم الشعبي تؤيد ذلك :

وعندما حصلت مراسلة بين عزاره المعجون والحاج عجه الدلي ، وكلاهما من رؤساء عشائر بني احچيم والبو جياش في الرميثة ، حول

---

(١) ان تقاعس هؤلاء الثلاثة عن الجهاد جعلهم بحكم اليهود ٠

(٢) ان هؤلاء في نظر الشاعر كفرة لانهم تقاعسوا عن الجهاد ٠ وهؤلاء الثلاثة هم من زعماء العشائر في الناصرية ، وكان أحدهم وهو الشيخ منشد الحبيب من أعضاء البرلمان العراقي في العهد الملكي المباد ٠

(٣) أي الجهاد ٠

الثورة على الإنكليز فارسله الحاج عجه رسالة الى عزاره قال فيها :

هذا العلم هذا عالحرب منشور
اودمنه اعلى الملاگه ابكل مسيه ايفور
دوك[1] اسرع يطارش گل[2] لابن مذكور
يتلگه السوجر[3] وحنـه[4] اويـاه[5]

وعندما وصلت الرسالة الى عزاره أجابت عليها امرأة من أتباعه شعرا فقالت :

عدوجهك بعجه العلم خله ايرف
اوعلى روس النشامه[6] ابهالوطن يشرف
عزاره ايگول حاضر والصبح يچشف
الخوش ازلام اتبين بيـه

وفي مرة صمدت قبائل آل ازيرج والغزي لقوة انكليزية قادمة الى السماوة من البصرة فتمكنت من منعها من وصول السماوة وأرجعتها الناصرية • فقال الشاعر الشعبي بهذه المناسبة :

لناله[7] المتخم سبع مه ينرد
ويريد اعراگ[8] ياخذ بارد امبرد

---

(١) هيا أسرع أيها الرسول •
(٢) قل لـه •
(٣) الجنـد •
(٤) نحـن
(٥) يستعمل المهوسون هذه الهوسة على طريقة رد الصدر على العجز ، فتكون « وحنه اوياه نتلگه السوجر » فيستقيم حينئذ وزنها • (كما أخبرني الاستاذ ابراهيم وفي ، وهو من المطلعين على الشعر الشعبي) •
(٦) المشهورون في الحروب •
(٧) يعتقد الانكليز انهم كالاسود في القوة ولا يمكن التغلب عليهم•
(٨) العراق • أي يعتقدون أنهم يستولون على العراق بسهولة •

اطبگوا بالناصرية گاطع[1] اومنشد[2]
كسروه المغتر باطوابـــه[3]

وعندما اشتبك الحاج صلال الفاضل ، من رؤساء عشيرة الاگرع في لواء الديوانية مع القوات البريطانية هناك ، تغلب عليها وطاردها الى منطقة تقرب من الصويرة في لواء الكوت حيث يسكن الشيخ عمران الزنبـــور رئيس بني عجيل من قبيلة زبيد • وكان عمران هذا مخلصا للعدو فـآوى جماعة من قوادهم في حصن له أي (جلعه أو قلعة أو طنبيه) كما يطلق على الحصن في تلك المناطق • وقد تمكن الشيخ صلال من مهاجمة القلعة واحراقها • فقال أحد أفراد قوات الشيخ صلال :

هظيمه اعالعرب يالعرب ما تنشال
مثل عمران يجني اعالعروبة افعال
احيا اسم البواهل بالحرب صلال
احرگها[4] الچان ايضم بيهـــا

وكانت عشيرة البدير برئاسة الشيخ شعلان الشهد تساعد الانكليز فهجاهم شاعر شعبي ، من قبيلة مجاورة ساكنة في عفك حيث يسكن البدير أيضا ، بقوله :

ليش ابن العرب تفزع اويا العدوان
آل ابدير من دور النبي غبران

---

(١) گاطع البطي شيخ الزيرج أو آل ازيرج •
(٢) ورد اسمه سابقا مقرونا بجماعة تقاعسوا عن حرب الانكليز ويظهر أن الرجل لم يثبت على اتجاه واحد •
(٣) مدافعـــه •
(٤) يقصد أن صلال الفاضل أحرق قلعة عمران التي كان يختبأ بها الانكليز •

ايخدم جفرز[١] الخاين للعرب شعلان
مثل برغال[٢] مكة اعالوطن صگبان[٣]
خل چلبة[٤] ويب[٥] اتلگ[٦] شيبه

وقد أيدت رواية المس بيل ما جاء عن الشيخ صگبان في هذه القصيدة الشعبية حين تقول : ان شيوخ عفك وآل بدير « وقفوا بجانب معاون الحاكم السياسي الى حين انسحاب القوات البريطانية من الديوانية حتى ان أبرز شيوخ آل بدير [صگبان أبو جاسم] رافق الرتل الانكليزي الى الحلة ... »[٧] .

ولم يكن الشيخ صگبان أبو جاسم الوحيد الذي عاون الانكليز ، بل كان شيوخ البو سلطان المعروفين بأولاد جريان في الحلة من مؤيديهم . وقد ورد ذكرهم في الشعر الشعبي حين يقول الشاعر الشعبي :

يا طارشي تسري امن الوذان[٨]
اولجل الركض تركبلك احصان
لسعدون[٩] روح اولعد شعلان

---

(١) أحد رجال الانكليز .
(٢) أبو رغال الذي دل الاحباش على طريق مكة .
(٣) يسميه جعفر خياط مترجم كتاب « فصول من تاريخ العراق الحديث » للمس بيل على الص ١٦١ ، الشيخ صگبان « أبو جاسم » .
(٤) كلبـــة .
(٥) يقصد المستر Webb موظف بريطاني في الديوانية .
(٦) تلحس الكلبة شيب الشيخ لانها ألفته لكثرة تردده على بيت صاحبها .
(٧) فصول ، ص ١٦١ .
(٨) أي عند آذان الفجر .
(٩) الشيخ سعدون الرسن رئيس عشيرة الگرع في عفك الذي كان من أشد المناوئين للانكليز . ويقول الحسني على الص ١٤٩ من كتابه =

اومظهر[1] اتگله وگله الشمران[2]

اوالموح[3] راعي الشرف والشان

اوبالك تمر باولاد جريان[4]

بس رد لسلمان[5] ابن عبطان

اولجبورها العدهم العنوان

ها لا تروح العرب جريان

= الموسوم بـ « الثورة العراقية » ان حاكم الديوانية الماجور ديلي Daly أرسل على الشيخ سعدون ووضع أمامه قطعتين من الورق ، احداهما سوداء والثانية بيضاء ، وقال له : ان سلوكك مع الحكومة يشبه كثيرا هذه الورقة ، وأشار الى القطعة السوداء ، في حين أن سياسة الحكومة معك تشبه هذه القطعة من الورق ، وأشار الى البيضاء . فأجابه الشيخ سعدون « ليس هذا لباسنا ، يا حضرة الحاكم » فقال له ديلي : بلى انك تسعى لتقع في الحفرة التي يحفرها لانفسهم بعض الرؤساء ، وأنا أريد أن أريك شيئا من بطش السلطة البريطانية . فخشي الشيخ سعدون من بطشه فصانعه وقال ما معناه لو كنا نريد أن نجرب بطش السلطة فينا لما هدمنا الـ (٣٥٠) قلعة من قلاعنا في أطراف الدغارة ، ولما سلمنا الحكومة زهاء (٣٠٫٠٠٠) بندقية ، ولما أعطينا الاموال الاميرية عن طيبة خاطر . وقد رأى الحاكم أن يؤجل اعتقاله لاسباب سياسية . وما كاد الشيخ سعدون يفلت من الفخ الذي نصبه له الانكليز ، حتى ذهب لتحريض الشيوخ الاخرين على الثورة فما كان من الحكومة الا أن هاجمته وأحرقت بيته ونهبت اثاثه وأخذت مخشلات زوجاته . وقدر قدر ثمنها للحسني بمبلغ (٥٠٠٠) آلاف ليرة .

(١) (٢) أسماء شيوخ من الديوانية .

(٣) يقصد صلال الموح الذي اشتهر بقتال الانكليز .

(٤) يقصد الشيخ نايف وعداي واخوتهما الذين عرفوا بتأييد الانكليز . ويسكنون في لواء الحلة .

(٥) من رؤساء الخزاعل في لواء الديوانية .

العوجه[١] اهتزت عينوها

ومن القبائل التي اشتهرت لا بتأييدها للانكليز حسب ، بل كانت تقاتل الثائرين ضدهم ، هي قبيلة عنزة ورئيسها فهد بن هذال • وتروي المس بيل أن قبيلة عنزة الموالية للانكليز هجمت على الحاج عطية أبو گلل قرب السماوة فاضطر لتسليم نفسه للسلطات البريطانية قبل نهاية نيسان سنة ١٩١٨[٢] • وكانت قبيلة البو عيسى برئاسة الشيخ علي الحسين الكريم من أكثر القبائل تأييدا للانكليز في منطقة سامراء • وقد أهدت السلطات البريطانية للشيخ علي هذا ساعة ذهبية في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٨ ، تقديرا لخدماته[٣] • أما تأييد قبائل الدليم للحكومة الانكليزية فانه مشهور • وتقول المس بيل بعد مقتل لچمن « لكن عشائر الدليم برئاسة الشيخ علي السليمان وعنزة برئاسة فهد بك وابنه محروث ، الذي تمكن الكولونيل لچمن بواسطتهم من السيطرة على منطقة الفرات من الفلوجة الى عانة ، ظلوا موالين للحكومة ••• »[٤] •

ولم يظهر أفراد العشائر تحسسهم لاهداف الثورة بشعرهم الشعبي ، الذي أعده أحسن معبر عن شعورهم الحقيقي حسب ، بل ظهر هذا الشعور في المضابط التي نظمها رؤساؤهم كوسيلة لاظهار اسهامهم في الحركة الوطنية ، وفي المؤتمرات التي عقدوها للغرض نفسه سواء كان ذلك قبل الثورة أو في أثناء الدور العسكري منها • وسنورد نماذج من المضابط والمؤتمرات التي اقتصرت على العشائر دون غيرهم • ومن هذه المضابط والمؤتمرات : أ ـ العريضة التي وقعها رؤساء الشامية ودعوا بها

---

(١) منطقة في الديوانية •

(٢) فصول ، ص ٥١ •

(٣) Reports, I, p. 4.

(٤) فصول ، ص ١٦٥ •

الامير عبدالله بن الشريف حسين أن يقدم للعراق لتسلم زمام مملكتـــه وذلك بعد أن بايعه المؤتمر العراقي المنعقد بالشام في التاسع من آذار سنة ١٩٢٠ بعرش العراق[١] • ب ـ الاجتماع الذي عقده الرؤساء التاليـــة أسماؤهم في العشرين من شوال ١٣٣٨ الموافق الى السابع من تموز ١٩٢٠ في دار الحاج مرزوك العواد رئيس عشيرة العوابد : السيد علوان الياسري، وسلمان العبطان ، وعبدالواحد الحاج سكر ، ومحمد العبطان والســـيد نور السيد عزيز ، والسيد محسن أبو طبيخ ، وعبادي الحسين وشقيقـــه عبدالسادة ، ومهدي آل عسل ، وعبد آل صفوك ، وعلوان الحاج سعدون ، وهنين الحنون ، ومجبل الفرعون • وحضر المؤتمر عن الحكومة الكابتن مـــان "Mann" حاكم الشامية • وقدم له المجتمعون الشروط التالية مقابل محافظتهم على النظام : ١ ـ أن يمنح العراق استقلالا تاما • ٢ ، ٣ ، ٤ شروط تفصيلية[٢] •

ج ـ مؤتمر المصيفي في لواء الناصرية المعقود في منتصف ذي الحجة ١٣٣٨ • وعقده الثوار بعد أن احتلوا قلعة سكر ومن شروط هذا الميثاق :

١ ـ المطالبة باستقلال العراق ، استقلالا تاما ناجزا ، وانتخاب الامير عبدالله ملكا عليه • ٢ ، ٤ ، ٥ ، ـ شروط تفصيلية • ٣ ـ اتباع ما يأمـــر به العلماء المجتهدون • ومن أهم الموقعين عليه : موحان الخيرالله ، محمــد الحاج شلال ، السيد دخيل[٣] السيد فياض ، السيد عبدالمهدي ، ابراهيم اليوسف ، خيون العبيد ، صكبان العلي ، سلمان الشريف ، مزعل الحميدة وغيرهـــم[٤] •

ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق أن نوعا من الاحساس بقضية

---

(١) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٥٦ •
(٢) الحسني ، الثورة ، ص ١٠٩ •
(٣) المرحوم الوالد •
(٤) الحسني ، ن٠م ، ص ١٧٠ (هـ) •

العراق العامة ، ذلك الاحساس الذي تعدى حدود الاهتمـــام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية الى الاهتمام بمصلحة الوطن عامة ، أخذ خلال فترة ثورة العشرين يجد طريقه الى نفوس الكثيرين من أفراد القبائل ، وخاصة طبقة الزعماء منهم . وقد أحس المسؤلون الانكليز بهذا الوعـي الوطني وشهدوا آثاره الفعلية ، فالجنرال هالدن يقول : « شهدت أشـهر صيف سنة ١٩٢٠ نوعا من اليقظة في الشعور الوطني الذي كان راقـدا ، فيما سبق ، في نفوس أبناء القبائل العراقية . وقد وجدت الدعاوة الدينيـة ودعاوة شرفاء مكة آذانا صاغية من تلك القبائل ، فاسفرت جهود الدعاة عن قيام عدد ضخم من الثوار المسلحين ضد قواتنا »(١) .

وهناك نقطة أثارها الشيخ فريق الفرعون(٢) ، مفادها أن الثورة قامت على أكتاف أبناء العشائر ، وهذه فكرة ينقصها التدقيق العلمي اذ أن الثورة ظاهرة اجتماعية معقدة تمتد جذورها الى ما وراء صيف سنة ١٩٢٠ ، وان أدوارا تمهيدية سبقت الثورة المسلحة التي قامت في ذلك الصيف ، فحركة الوعي الفكري التي بذرت بذورها في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وتأسيس الجمعيات والاحزاب قبل الحرب المذكورة وبعدها ، والوسائل السلمية التي استعملها المعنيون بالحركة الوطنية ، والحركات العسكريـة التي قامت ضد الانكليز في الشمال ، وحركة النجف لسنة ١٩١٨ ، كلها عوامل ممهدة لثورة سنة ١٩٢٠ . ولم يسهم أفراد القبائل في هذا الدور اسهاما فعالة لتخلفهم الثقافي وضعف الوعي السياسى بينهم بالقياس لابنـاء المدن وهما أمران لا بد منهما للعمل الحزبي . وبالرغم من كل ذلك فان أفرادا قلائل من الزعماء البارزين كالسيد علوان الياسري والحاج عبدالواحد الحاج سكر والسيد گاطع العوادي ومبدر الفرعون ورمضـان الشلاش

---

(١) Op. cit, p. 28.

(٢) الحقائق الناصعة ، ج١ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

وغيرهم كانوا وثيقي الصلة بالمنظمات السياسية في النجف وبغداد والموصل وغيرهن من مراكز الحركة الوطنية • ولعل ما أورده فراتي يؤيد هـذا الرأي ، حين يقول : « ان الثورة العراقية أعظم وأنبل من أن تكون حركة قبلية ••• وانها ليست مبتسرة فللثورة العراقية عناصر تاريخية وقوميـة ووطنية ، فلم تدبر بليل ولم تفاجىء العالم على حين غرة وانها لم تخنق في مهدها ، كما يشير الى ذلك فريق المزهر ، بل تلتها نتائج خطيرة وأعقبتها حوادث كبرى خرجت عن نطاقها الضيق الى مؤتمرات دولية ••• لـم تحتضنها مدينة واحدة من المدن العراقية ولا قبيلة واحدة في أريافه ، بل أسهمت فيهـا سائر مدن العـراق وأريافـه كل حسب امكانياتهـا وظروفها ••• »[1] •

ثالثا ــ تأثير الجمعيات والاحزاب السرية: لم تسمح السلطات الانكليزية في العراق بقيام أحزاب سياسية علنية في البلاد ، لذلك لجأ المعنيون فـي الحركة الوطنية الى تأسيس جمعيات وأحزاب سرية ، أهمها فروع حزب العهد العراقي في بغداد والموصل ، وحزب حرس الاستقلال • وكـان الحزب الاخير في الفترة التي سبقت الدور المسلح للثورة ، من أنشـط الاحزاب وأكثرها فعالية ، نظرا لما ضم من شخصيات ذات الشأن ، ونظرا لمثابرة مؤيديه على العمل السياسي • وتظهر أهمية هذا الحزب في انـه استطاع أن يضم اليه كثيرا من أعضاء الجمعيات الاخرى كجمعية الشبيبة ببغداد وأعضاء من فرع حزب العهد في المدينة نفسها • يضاف الى ذلك ان لحزب الحرس صلات في المناطق العراقية الاخرى خاصة النجف وكربلاء اللتين كانتا من أهم ، ان لم يكونا أهم مراكز الحركة الوطنية في العراق نظرا لوجود علماء الدين ذوي النفوذ الاكبر في نفوس الجمهور في تلك الفترة فيهما من جهة ، ولانهما كانا ملتقى للعاملين في الحركة الوطنية ،

---

(١) فراتي ، على هامش الثورة العراقية الكبرى ، ص ١٥ــ١٦ •

خاصة في المواسم الدينية التي يجتمع فيها مئات الالوف من الناس لاداء زيارة المراقد الشيعية المقدسة • وقد سبق ان فصلنا دور الجمعيات والاحـزاب السياسية في الحركة الوطنية في الفصل الثالث من هذا الكتاب فلا ضرورة للتكـرار •

رابعا ـ العامل الوطني : لقد حصل تقدم واضح في حركة الوعـي الوطني في العراق خلال الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالميـة الاولى وقيام ثورة سنة **١٩٢٠** • ويظهر تقدم الوعي الوطني فيما ألف من أحزاب وجمعيات سياسية • كما يظهر هذا الوعي فيما قدمه الوطنيون من احتجاجات للسلطات البريطانية ومضابط توكيلية للشريف حسين وأبنائـه ليقوموا بالدفاع عن قضية العراق بالمؤتمرات الدولية • وبالرغم من كل ذلك لـم يبلغ العاملون بالحركة الوطنية قوة تمكنهم من تولي قيادة الثورة • ومرد ذلك الى أن الجمهور لم يبلغ درجة من الوعي السياسى يستطيع معها تفهم المرامي العميقة للحركة الوطنية وهي الحصول على استقلال العراق • وكان من نتيجة ذلك أن لجأ المثقفون للاستعانة برجال الدين لكسب تأييـد الجمهور للحركة الوطنية • يضاف الى ذلك ان الكثيرين من العاملين في الحقل السياسى حينذاك لم يفهموا القواعد الخلقية الصارمة والالتزامـات الادبية التي يعتمد عليها نجاح العمل السياسى المنضم ، فبددوا كثيرا مـن جهودهم في المنازعات الشخصية • ومن أشهر أمثلـة ذلك المنـازعات الشخصية التي حصلت بين أعضاء فرع جمعية العهد ببغداد تشلت أعمـال هذا الفرع تقريبا في الحقل السياسى خلال الفترة التي سبقت قيام الثورة • وقد بلغت هذه المنازعات درجة من الخطورة أصبح معها تدخل مركـز الحزب في الشام ضروريا • فأوفد المركز وفدا لهذا الغرض برئاسة جميل المدفعي الى بغداد • وبالرغم من الجهود التي بذلها هذا الوفد لم يقض على الفوضى التي كانت تسيطر على أعمال فرع الجمعية ببغداد فعادت المنازعات

من جديد بعد عودة الوفد الى الشام[١] •

ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق ان العامل الوطني في ثورة سنة ١٩٢٠ لم يكن من الخطورة بمكان ، وانه كان ثانويا بالقياس الى العامل الديني الذي سنبحثه بعد قليل •

خامسا ـ كثرة الضرائب وثقلها : لقد عنيت الادارة البريطانية في العراق خلال الاحتلال بفرض ضرائب ثقيلة على السكان والتدقيق جمعها • وقد كتب حاكم الديوانية في سنة ١٩١٨ لدائرة الحاكم الملكي ببغداد يقول : « يجب أن نقرر هنا بأن جزءً كبيرا من وقت الحاكم السياسي يخصص للقضايا المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورةٍ غير مباشرة »[٢] • ويقول ديبروه "Debrodt" ان «المانجستر كارديان» هاجمت الادارة البريطانية في العراق في سنة ١٩٢٠ لا لانها لم تحقق آمال العرب في الحرية والاستقلال حسب ، لانها رفعت ضرائبهم الى ثلاثة أضعاف عما كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني »[٣] • وعندما يقارن حاكم سامراء بين حصيلة ضريبة الارض في سامراء في سنة ١٩١٧–١٩١٨ وبينها في ١٩١٨–١٩١٩ يقول انها رتفعت من (٢٩٫٧٤٥) روبية في سنة ١٩١٨ الى (١٦٥٫٤٤٩) روبية في السنة التي تليها[٤] • وكانت حصيلة ضريبة أشجار النخيل في سنة ١٩١٨ بمنطقة الشامية (٩٥٫٠٠٠) روبية ، ولكن حاكم الشامية يقول : « اننا نأمل أن تكون حصيلة ضريبة النخيل في السنة القادمة بعد ان ننظم تعداد النخيل ونرفع الضريبة على النخلة الواحدة الى (٨) آنات

---

(١) البازركان ، علي ، ن٠م ، ص ١٨١ •

(٢) Reports, I, p. 201.

(٣) Guardian (Manchester), July 24, 1920, p. 8. Cited by Robert E. Debrodt, "The British Attempt at Colonial Rul in Iraq, 1918 — 21. Typed copy, p. 5.

(٤) Reports, I, p. 45.

[كانت ٥ر٥ آنات ونصف في ١٩١٨] مائتين وخمسين ألف روبية »[١] •
وان حصيلة ضريبة الدفنية ، التي تؤخذ على كل متوفى تجاوز عمره الثلاث سنوات وجلب للدفن في مقبرة وادي السلام في النجف أو في حضرة الامام علي (ع) ، كانت (٠٠٠ر٤٨) روبية في سنة ١٩١٨ بينما يأمل الحاكم السياسي أن تكون حصيلتها في العام القادم (٠٠٠ر٢٠٠ر١) روبية[٢] • وان الادارة البريطانية في النجف شعرت في تحسن بجمع الضرائب بمنطقتها فكان ما جمعته من الضرائب في الربع الاول من سنة ١٩١٨ يزيد على مثيله في السنة الماضية بمدينة النجف ويزيد على ثلاثة أمثاله في مدينة الكوفة[٣] •

ولم يتضايق العراقيون من ثقل الضرائب حسب ، بل ان تطبيق بعض القوانين الانكليزية في تقديرها وجبايتها كان من عوامل التذمر أيضا لا سيما ان الناس لم يألفوا التدقيق في قضايا الضرائب في العهد العثماني • وكتب حاكم الحلة الى دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد يقول : « ان أهم معضلة تجابه الحكام السياسيين هي جمع أكبر كمية ممكنة من الشعير والقمح لسد حاجات الجيش من اناس اعتادوا الا يدفعوا أو يدفعوا كميات ضئيلة الى الحكومة السابقة »[٤] • وكانت الضرائب في العهد العثماني على الارض الزراعية في منطقة الشامية مثلا تدفع عينا من المحصول غالبا ولكن السلطات الانكليزية عملت على استبدالها بالنقد • وكتب حاكم الشامية في سنة ١٩١٨ يقول : « لقد دفعت ضريبة المحصول الشتوي بدقة في نهاية شهر آب ، وان حصيلتها كانت (٤١٨) طنا من الحنطة و (٩٧٥ر٢) طنا من الشعير • ولو لم يحصل فيضان أغرق المزارع لازدادت ضريبةالمحصول

(١) Ibid, p. 74.
(٢) Ibid, p. 76.
(٣) Ibid, p. 89.
(٤) Reports, I, p. 121.

الشتوي (٥٠٠) طن أخرى • ونأمل أن تكون حصة الحكومة (٤٠٠٠) طن في السنة القادمة على أن نأخذها نقدا لا عينا »[١] •

وكانت الضرائب في ولاية الموصل في العهد العثماني تجبى بطرق عديدة أهمها طريقة الالتزام حيث تجبى حصة الحكومة بالمزاد الذي يقطع على أعلى المزايدين • وكان كبار الملاكين بصورة عامة يشترون من المزاد حصص قراهم بأسعار تساعدهم على ربح لا يستهان به • وتقول المس بيل: « وكانت الاساليب التي يجب أن نطبقها نحن موضع بحث وتأمل عميقين • فقد كان المقصود في بادىء الامر أن يجري التخمين بالنظر ثم تجبى الضرائب مباشرة »[٢] •

ويقول ديبروه : « ان المشتغلين بالحركة الوطنية كانوا يعارضون الحكم البريطاني لا لانه لم يكن عربيا ولا اسلاميا حسب ، بل لان الادارة البريطانية كانت صارمة وممعنة في التدقيق خاصة في جمع الضرائب »[٣] •

سادسا ـ العامل الديني : يعد العامل الديني أهم العوامل وأبعدها أثرا في تحريض العراقيين على الثورة ضد سلطات الاحتلال البريطاني في سنة ١٩٢٠ • وقد قام المجتهدون من علماء الشيعة الامامية الساكنون في العتبات المقدسة في العراق بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على قتال الانكليز اذا امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعة بالاستقلال • وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذ كبير على الشيعة في جميع أنحاء العالم الاسلامي • ويعتقد الشيعة ان علماءهم نواب أئمتهم فلا يخالفون لهم أمرا ولا فتوى ولا حكما من الاحكام الشرعية • « وللمجتهد صلاحية اصدار الفتاوى ، سواء كان ذلك من أجل الدعوة الى الجهاد أو التجويز للمريض

---

(١) Ibid, p. 74.

(٢) فصول ، ص ٨١ •

(٣) Op. cit, p. 9.

باستعمال الكحول بمقام الدواء اذا لم يكن هناك دواء شاف آخر • كما انه يستطيع ، وقد صنع ذلك بالفعل ، ان يجبر الحكومة الايرانية الشيعية على الغاء القوانين وابطالها »[1] • وقد اختلفت اجتهادات العلماء في كيفية كفاح الغزاة ، فكان بعضهم يرى المسالمة في حالة الضعف ، وحينئذ تكون مهمة العلماء منحصرة في القيام بالوظائف الدينية • وكان المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي من أنصار هذه المدرسة ، لذا كان موقفه فاترا من الحركة الوطنية التي كانت تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في العراق خلال السنوات التي سبقت ثورة العشرين • وكان موقفا السيد اليزدي وعبد الرحمن النقيب المؤيدان للانكليز من الامور التي فتت في عضد العاملين في الحقل الوطني ، بالرغم من أن النقيب لا يتمتع بنفوذ ديني مهم في أوساط الجماهير العراقية • وتقول المس بيل ، بهذا الصدد : « ان الذين اشتركوا منا في الدراما سوف لا ينسون العضد والمؤآزرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب والسيد محمد كاظم اليزدي »[2] •

وكان الامام محمد تقي الشيرازي على رأس المدرسة الثانية التي ترى وجوب محاربة الانكليز ، لذا أخذ نفوذه ينمو شيئا فشيئا حتى تمت له الزعامة المطلقة بعد وفاة اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩[3] • ويقول البصير ان الامام الشيرازي رضي « أن يشد أزر الحركة القومية[4] ليتقوى بها مركز الاسلام وعلى هذا أمكن أن تجتمع الايدي العاملة فتقوم بعمل سياسي مشترك »[5] • وفي محادثة بين علي البازركان والسيد محمد علي

(١) بيل ، المس ، فصول ، ص ٢٧ •
(٢) ن•م ، ص ١٧٥ •
(٣) الحسني ، الثورة ، ص ٥٤ •
(٤) لا يخلو كلام الدكتور البصير من خلط بين القومية والاسلام ، رغم وجود تعارض بينهما أحيانا •
(٥) ن•م ، ج١ ص ٥٣ •

بحر العلوم قال الاخير : « ان المرزا الشيرازي له مكانة كبيرة وربما تودع اليه زعامة الثورة الروحية في الفرات وهو ذو جرأة وحزم واقدام لا تصده عن قصده اذا ندفع أية قوة ... »[1] . ويظهر ان الامام الشيرازي كان يعتقد ان مساندة الحركة الوطنية أمر يمليه عليه الواجب الديني ، وان نجاح هذه الحركة يعني زوال حكم غير اسلامي واحلال حكم اسلامي محله . وعندما طلب جماعة من العاملين في حقل الحركة الوطنية من آية الله الشيرازي أن يكتب كتابا للعراقيين كافة يطلب منهم القيام بالمظاهرات تأييدا للعاملين بالحركة الوطنية ببغداد كتب في ١٠ رمضان ١٣٣٨هـ كتابا جاء فيه : « الى اخواني العراقيين ... أما بعد فان اخوانكم في بغداد والكاظمية قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية ... طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية ... »[2] . وقد استعمل الامام الشيرازي نفوذه الديني للتوفيق بين طائفتي السنة والشيعة من المسلمين فنجحت جهوده نجاحا ظاهرا وتضافر جهود منتسبي الطائفتين للعمل من أجل مصلحة الوطن[3] . ولم ينسى أن يوصي بغير المسلمين فقال برسالته سالفة الذكر : « وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحدا منهم بسوء أبدا ... » .

وبعد أن فشلت الوسائل السلمية في اقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطاليب العراقيين المشروعة ، استفتى جماعة من الزعماء والرؤساء الامام الشيرازي في جواز القيام بالثورة ضد السلطات البريطانية فكتب في الجواب العبارة الاتية : « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل

---

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ٧٨ .
(٢) البازركان ، علي ، ن.م ، ص ١١١ .
(٣) البصير ، ن.م ، ج١ ، ص ١٩٠ .

بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم » •

وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين ووجدوا أنفسهم في قيد وثيق تجاه الحكم الشرعي[1] •

ومن رجال الدين الذين تولوا زعامة الثورة بعد وفاة الشيرازي في الثالث من شهر ذي الحجة سنة **١٣٣٨**هـ الموافق للثالث عشر من آب سنة **١٩٢٠** ، شيخ الشريعة الاصفهاني وقد خطب خطبة طويلة بعد اسناد الزعامة الدينية اليه حث فيها الناس على مواصلة الجهاد • وكانت الثورة حينذاك قد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الاوسط ، وامتدت جنوبا حتى الناصرية وشمالا حتى المحمودية ، ثم قامت ادارات موقتة في أهم المدن التي احتلها الثوار[2] • وقد رأت الحكومة أن تفتح مفاوضات مع الثوار فوجهت الى شيخ الشريعة كتابا سنورد تفصيلات عنه وعن النتائج التي آلت اليها المفاوضات فيما بعد •

وكان الشيخ مهدي الخالصي من المجتهدين الذين آزروا الثورة وعملوا على نجاحها • وكان الخالصي الساعد الاقوى والمفوض المعتمد لآية الله الشيرازي الذي كان يتكل عليه ويستشيره في القضايا الدينية والسياسية[3] • وكان السيد أبو القاسم الكاشاني ، الزعيم الايراني المعروف ، من بين رجال الدين الذين أسهموا بالثورة « ولما شبت الثورة في الفرات لحق [الكاشاني] بكربلاء فكان من مستشاري الامام الشيرازي ، ولا بد من الاعتراف بسهره الشديد على الامن وراحة الاهلين

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، ص ٢٦٣ •

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ١١٥ •

(٣) هيئة مدرسة الخالصي ، زعيم الاسلام الخالد المجتهد الاكبر الامام الخالصي ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص ٢١-٢٢ •

بكربلاء ... »[١] .

وكان العلامة الشيخ عبدالكريم الجزائري « من الاقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، وكان عضدا اعتضد به الثوار كما كان عونا لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الاحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها وحقوقها المشروعة »[٢] .

وفي معرض كلامه عن تأثير رجال الدين في الجمهور يقول ولسن : « لقد لزم السيد كاظم اليزدي ، كبير المجتهدين ، الصمت ، ولكن المجتهدين الذين هم دونه منزلة قد اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فأثروا في الجماهير مستعملين حججا دينية وجنسية . وتمكنوا بهذه الوسائل أن يخفوا معالم الاحتلال الانكليزي العسكري للبلاد . وكانت الحجج التي استعملت ضدنا متشابهة على الاغلب ، مادة واسلوبا ، مع تلك التي استعملت لغرض انقاذ الاراضى المقدسة من الصليبيين في القرن الحادي عشر . وقد امتنع الناس عن القيام بمراسيم الدفن الاسلامية لاولئك الذين بقوا مخلصين لنا ، وقد اضطروا في بعض الحالات للعودة الى خيام آبائهم ، وقد عوملوا بشراسة في حالة أخرى وضرب أطفالهم في الشوارع »[٣] .

ويعد ولسن « عداء المجتهدين ، الذين قاوموا كل الحكومات من

---

(١) البصير ، ج١ ، ص ٥٠ـ٥١ .

(٢) الشبيبي ، الشيخ محمد رضا ، « فقيدنا الكبير » **الايام** ، السنة الاولى ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ ـ ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

(٣) Op. cit, I, p. 297 — 8.

بعد الخلفاء الراشدين[1] من أسباب الثورة الرئيسة[2] .

مقدمات الثورة المسلحة :

سبق أن بحثنا في أسباب الثورة ورأينا ان أهمها العامل الديني أولا ، وتأييد القبائل ثانيا . وقد عمل القائمون بالحركة الوطنية في الفترة التي سبقت قيام الثورة المسلحة في **٣٠** حزيران **١٩٢٠** على تهيأة الظروف التي تساعدهم على المقاومة المسلحة . ومن أهم الوسائل التي لجأوا اليها تقوية الصلة برجال الدين ليتم عن طريقهم الاتصال بالجمهور العراقي لكسب تأييده للحركة الوطنية . ومن العوامل التي ساعدت الوطنيين على ذلك الاتصال ، انتقال الامام الشيرازي من سامراء الى كربلاء التي كانت وسطا بين النجف وبغداد ، وهما رأس الحركة الوطنية المفكر في ذلك الحين . يضاف الى ذلك ان أكثر المناسبات الدينية التي يجتمع بها مئات الالوف من الناس كانت تعقد في كربلاء وحينئذ يسهل على قادة الحركة الاتصال بأكبر عدد ممكن من أفراد الجمهور ، لا سيما أفراد القبائل الذين يكونون الغالبية العظمى من الزائرين .

وقد لعب المرزا محمد رضا ، نجل الامام الشيرازي ، دورا رئيسا في العمل للحركة الوطنية ، وفي توثيق الصلة بين أبيه الامام الشيرازي وبين قادة الحركة من السياسيين . وتقول المس بيل ان المرزا محمد رضا كان « سياسيا فعالا لا يستقر على حال ومعارضا للاتفاقية الايرانية البريطانية معارضة مرة ، وعلى هذا فقد كرس جهوده ومساعيه لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق . وكذلك كان يقبض المال من الاتراك . ومع انه لم يكن يعترف به كعالم ، فانه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به

---

(١) لا نرى ضرورة للتعليق على صحة هذا الرأي من الناحية التاريخية اذ من المعلوم ان أتباع المجتهدين وهم الشيعة ، لا يعترفون الا بامامة أئمتهم ويرفضون ما عداهم ، سواء كانوا من الخلفاء الراشدين أو من غيرهم .

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٢٢٠ .

أسرة المجتهد الاكبر ، كما ان تأثيره على أبيه جعله مرجعا أعلى للرأي»[1] .
وفي عام ١٩٥٤ زرت طهران وقابلت المرزا محمد رضا في داره وسألته عن امور كثيرة تخص دوره في الثورة ومنها قضية المـال الذي قبضه من الاتراك ، كما جاء في رواية المس بيل ، فنفى الشيخ هذه التهمة . ويلوح لي ان الشيخ محمد رضا كان صادقا فيما يقول لان الاتراك في سنة ١٩٢٠ كانوا منهمكين في مشكلاتهم الخاصة ولم يكونوا بوضع يساعدون غيرهم بالمال للثورة على الانكليز ، لا سيما في منطقة مثل مدينة كربلاء ، حيث لا يتمتع الاتراك بنفوذ معنوي ذي قيمة . يضاف الى ذلك ان مؤتمر « سان ريمو » كان قد قرر ، قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، انسلاخ العراق من الامبراطورية العثمانية وفرض الانتداب البريطاني عليه ولذا لم يعد للاتراك أمل بالعودة الى هذه البلاد حتى ينفقوا أموالهم في تمويل الثوار . ثم ان الامام الشيرازي ، والد المرزا محمد رضا ، كان قد رفض بضعة آلاف من الروبيات الهندية أرسلها له نائب الحاكم الملكي العام بواسطة النواب محمد حسين خان بتاريخ ٩-٨-١٩١٩[2] .

وقد أمعنت السلطات الانكليزية في الفترة التي سبقت الثورة بالتنكيل بالوطنيين فنفت عددا كبيرا منهم الى خارج العراق . ومن هؤلاء المنفيين اثنا عشر شخصية من المشتغلين بالحركة الوطنية بكربلاء وكان من بينهم المرزا محمد رضا الشيرازي ، نجل الامام الشيرازي . كما نفي عدد من الوطنيين في الحلة وغيرها من المناطق[3] . وقد أرسلت للحكومة احتجاجات من الرؤساء والعلماء أظهر فيها المحتجون سخطهم على اجراءآتها التعسفية ولكنها لم تقلع عن رأيها . وقد ظهر اصرار الحكومة في اجتماع عقده الماجور نوربري حاكم الشامية والنجف ودعا اليه جماعة من العلماء . وكان

---

(١) فصول ، ص ١٥٦ .
(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٨١ ـ ٨٣ .
(٣) الحسني ، ن.م ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

ذلك على أثر ابعاد فريق من أحرار العراق الى بعض جزر الخليج العربي وذلك قبيل اعلان الثورة بأيام ومنهم المرزا محمد رضا ، نجل الامـــام الشيرازي سالف الذكر • وقال الحاكم في هذا الاجتماع : « طلبت الاجتماع بكم راجيا أن تهونوا على حضرة الشيخ الشيرازي مصيبته بنفي ولده » • فرد عليه الشيخ عبدالكريم الجزائري قائلا : « أي ولـــد تعني من أولاد الشيخ ، فأحرار العراق المنفيون وغيرهم كلهم أولاده ، واعلم ان منزلـة الشيخ ومكانته لم ترتفع الى هذه الدرجة الا انه كان ينظر الى العراقيـين جميعا بهذه النظرة الابوية »[١] •

ويظهر ان التذمر بلغ درجة أصبح معهـــا النزاع المسلح وشـــيك الوقوع • وقد حصل ان اجتمع عدد كبير من الزائرين بكربلاء في الخامس عشر من شعبان سنة **١٣٣٨**هـ • وكان من بين هؤلاء الزائرين عـــدد من الزعماء والمشتغلين بالحركة الوطنية حضروا لبسط حالة البلاد العامـــة للامام الشيرازي والمداولة في التدابير التي يجب اتخاذها لمعالجة الوضع • وقد عقد اجتماع لهذا الغرض في دار الامام الشيرازي وبرئاسته في **١٥** شعبان **١٣٣٨**هـ • وكان من بين الحاضرين الشيخ عبدالكريم الجزائري ومحمد جعفر أبو التمن والسيد نور السيد عزيز والسيد علوان الياسري والسيد هادي زوين ، والشيخ شعلان أبو الجون ، والشيخ غثيث الحرجان والشيخ عبدالواحد الحاج سكر ، والشيخ شعلان الجبر • وبعد أن أدلى محمد جعفر أبو التمن بايضاحات عن الحركة الوطنية ببغدادا ، تكلم عدد من الحاضرين فتعرضوا الى موضوع الثورة • فقـــال الامام الشيرازي : « ان الحمل لثقيل ، وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة مـــع الجيوش المحتلة » • فأجابه زعماء العشائر ان فيهم الكفاءة التامة لهـــذا

---

(١) الشبيبي ، الشيخ محمد رضا ، « فقيدنا الكبير » الايـــام ، السنة الاولى ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثـــاني ، ١٣٨٢ ــ ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ •

العمل الخطير . وقد أثار الامام ضرورة حفظ الامن الذي عده أهم من الثورة ، بل أوجب منها . فطمنه الحاضرون وأظهروا استعدادهم لحفظ الامن . وبعد أن ظهر له تصميمهم على الثورة قال : « اذا كانت هذه نواياكم ، وهذه تعهداتكم ، فالله في عونكم » .

وفي الليلة التالية ، اي في السادس عشر من شعبان ، اجتمع الزعماء سالفي الذكر في حضرة الحسين (ع) فعاهدوا الله ورسوله على انهم لا يدخرون وسعا في تحقيق آمال البلاد الوطنية ، وقرروا الشروع بالثورة في مواضع مختلفة وبيوم واحد ليشغلوا قوات العدو في ميادين مختلفة . وكلفوا الشيخين شعلان أبو الچون وغثيث الحرجان أن يستعدا للقاء في السماوة وان يحرضا بقية الرؤساء على الانضمام للثورة[١] .

وكان استحصال الفتاوى والرسائل من العلماء ، من الوسائل التي اتبعها المشتغلون بالحركة الوطنية لكسب تأييد الجمهور . ويقول الشيخ رضا الشبيبي ان الطبقة الواعية من طلبة العلم ومن شباب النجف كانوا « يهجمون على بيوت القادة لتوقيع بعض الرسائل أو لاصدار بعض البيانات أو لتحرير بعض المذكرات أو لرسم الخطط ، وطالما فاجأنا أولئك القادة في الظهيرة أو في أوان القيلولة فلا يردون لنا طلبا ... »[٢] . وفي مرة أوفد المشتغلون بالحركة الوطنية ببغداد محمد جعفر أبو التمن الى كربلاء لاطلاع الامام الشيرازي على سير الحركة الوطنية ببغداد ، وبعد ان اطلع الامام الشيرازي على ما كان يجري ببغداد رأى بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٣٨هـ أن يصدر كتابا يحرض فيه العراقيين كافة على القيام بالمظاهرات ومطالبة السلطة بالتسليم بحقوق العراقيين المشروعة في الاستقلال . وعند وصول

---

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) « فقيدنا الكبير » الايام ، العدد ، ١٢٤ ، السنة الاولى ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ ـ ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

الكتاب لبغداد طبعت منه آلاف النسخ ووزع في أنحاء العراق كافة هـذا فضلا عن توزيعه ببغداد[1] .

وقد ازداد توتر الحالة في النجف والمناطق المجاورة على أثر اجتماع الخامس عشر من شعبان الذي وردت الاشارة اليه سابقا ، « فاغتنم قـادة الحركة الفرصة وطبعوا المناشير بالدعوة الى القيام بالثورة ووزعت في أنحاء الفرات »[2] . وفي النجف كانت « تخاط الاعلام العربية ومنها تنشر في أنحاء الفرات وبها كانت تطبع المنشورات اليومية الحاوية لاخبار المناطـق والمقالات الشديدة اللهجة والنصايح القيمة وكان يتولى اصدارها الشـيخ محمد باقر الشبيبي »[3] . وكانت اقامة حفلات المولد النبوي والمآتـم الحسينية من الوسائل الفعالة التي أثرت في الجمهور . ومن أشهر خطباء المآتم والمولد السيد صالح الحلي . وتقول المس بيل ان المحاولة التي قصد منها تحريك « بعقوبة بنفس الاساليب التي اتبعت في بغداد قضي عليها في مهدها بتوقيف السيد صالح الحلي الذي كان قد أرسل الى بعقوبة لاقامة حفلات المولد »[4] . ومن خطباء الثورة المشهورين الشيخ محمد علـي الجسام والشيخ محسن أبو الحب والشيخ باقر الحلي[5] . ولعل الشيخ محمد مهدي البصير أشهر هؤلاء الخطباء جميعا اذ انه فضلا عن كونه من خطباء المآتم الحسينية البارعين ، كان من ساسة ذلك العصر النشطين ولـه قصائد كثيرة في تحريض العراقيين على الثورة ضد الانكليز ، منها قصيدته التي ألقاها في جامع الاحمدية يوم ١٤ رمضان سنة ١٣٣٨هـ :

---

(١) البازركان ، علي ، نم. ، ص ١١١ .

(٢) محبوبة ، ماضى النجف ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) محبوبة ، ن.م ، ج١ ، ص ٢٦٧ .

(٤) فصول ، ص ١٥٧ .

(٥) الحسني ، الثورة ، ص ٨٨ .

ان ضاق يا وطني علي فضاكا فلتتسع بي للامام خطاكا
الك قد خلقت ومنك فيك فنسبتي تقضي علي بأنني أرعاكا

وكذلك قصيدته التي مطلعها :

أعاد لنا السيف مجد العرب ففازت دمشق وعزت حلب[1]

وبعد أن أتينا على ذكر أسباب قيام الحركة الوطنية في العراق ، والاساليب التي اتبعها الوطنيون لكسب الجمهور العراقي الى جانب الحركة، نورد رأي المس بيل في هذه الحركة أو بالاحرى تفسيرها لها • تقول المس بيل : « كان هدف الحركة تأسيس دولة اسلامية ، الا ان هذا الهدف ، نضلا عن الشعور الوطني الذي انتشر في العالم بعد الحرب والذي لا يمكن التقليل من شأنه ، كان يعني مختلف المعاني بالنسبة لمختلف طبقات السكان• فانه كان بنظر المجتهدين الشيعة تأسيس دولة دينية تسير بموجب الشرع الشيعي ، ولذا لم يترددوا في اعلان الجهاد من أجله • كما كان بنظر السنة والمفكرين الاحرار في بغداد دولة عربية مستقلة برئاسة الامير عبدالله • أما بالنسبة للقبائل ، فان الهدف كا نيعني عدم وجود حكومة بالمرة ••• وهناك أدلة تثبت بأنه كانت هناك جمعية متآمرة ، أسسها البولشفيك بالتعاون مع الوطنيين الاتراك ، كانت منذ مدة طويلة على اتصال بالجمعيات العربية السياسية المتطرفة لغرض استغلال الرابطة الدينية المشتركة بين الاتراك والعرب واحراج وضع البريطانيين في الشرق الاوسط »[2] • وتذكر بيل ، على سبيل التخصيص ، اسم المرزا محمد رضا ، نجل الامام الشيرازي ، كأحد المشتغلين للبلاشفة فتقول : ان المرزا محمد [رضا] ورد اسمه مذكورا في برقية صدرت من البولشفيك في رشت

(١) البازركان ، علي ، ص ٩٧ •

(٢) فصول ، ص ١٥٥ •

بانه « يشتغل للدعوة البلشفية في كربلاء »[1] .

أما الجنرال هالدن فيقول عن تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية في سنة ١٩٢٠ : « ويستحيل على المرء أن يقدر مدى تأثير البلاشفة على مبعوثي الفرس الذين كانوا يؤمون كربلاء والنجف والكاظمية لاداء فريضة الزيارة ، ولكن احتلال البلاشفة لمدينة انزلي "Enzeli" قبيل الانتفاضة في العراق أثر في انجاح دسائسهم ضدنا »[2] .

وهناك قضيتان وردتا في آراء المسؤلين الانكليز سالفة الذكر ، تجدر مناقشتهما وهما : أولا ـ رأي المس بيل القائل بأن مجتهدي الشيعة نظروا الحركة الوطنية على انها تعني تأسيس دولة دينية تسير بموجب الشرع الشيعي ، وان هؤلاء المجتهدين أعلنوا الجهاد لتحقيق هذا الغرض . ثانيا ـ قضية تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية . أما فيما يخص النقطة الاولى فأقول : أولا ـ ان مجتهدي الشيعة لم يعلنوا الجهاد لغرض تأسيس دولة تسير بموجب الشرع الشيعي ، وانما أعلنوه لدفع امارة غير المسلمين وهم الانكليز عن بلاد اسلامية وهي العراق . وهذا الموقف الذي اتخذه المجتهدون يحتمه الدين الاسلامي لا العقيدة المذهبية ، لان دفع غير المسلم عن الثغور الاسلامية واجب اسلامي مقدس يستوي فيه الشيعة والسنة على السواء . والدليل على ذلك ان مجتهدي الشيعة أفتوا بالجهاد لدفع غير المسلم عن أرض المسلمين في ظل دولة سنية وهي الدولة العثمانية وذلك في بداية الحرب العالمية الاولى . وقد أوردت تفصيلات عن ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب . ثانيا ـ ان مجتهدي الشيعة كانوا في طليعة المنادين بتأمير أمير مسلم مهما كان مذهبه وقد أيدوا ترشيح الامير عبدالله للملوكية العراق . وقد ظهر هذا الترشيح في المضابط التي أرسلت للشريف حسين وللامير عبدالله بعد أن نودي به ملكا على العراق في المؤتمر العراقي في

---

(1) ن. م ، ص ١٥٨ .

(2) Op. cit, p. 27.

الشام وذلك في ٨ آذار ١٩٢٠ • ثالثا ـ ان فتوى الامام الشيرازي التي صدرت على أثر اجراء الاستفتاء في العراق سنة ١٩١٨ كانت تنص على ان « ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين » • ولم نعثر على اية فتوى أو رأي شخص ذي أهمية من الشيعة يخصص أو يشير الى ضرورة تأمير رجل شيعي على الدولة العراقية المنتظـــرة •

أما تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية واتصال المرزا محمد رضـــا بهم ، فهو أمر يكتنفه الغموض ، فضلا عن ضعف سنده التاريخي • لقـد وردت اشارات عامة عن اهتمام الدولة السوفيتية بشؤون الشرق الاوسط بما فيه العراق قبيل قيام الثورة • وفي مرة جرت محادثات بين أحد موظفي وزارة الخارجية البريطانية ووزير خارجية السوفيت حينذاك « چيچرين » ظهر للجانب البريطاني منها أن الروس يعملون على ابرام « اتفاقات خفيـــة لتكوين اتحاد عظيم يضم اليه ثوار الاناضول والايرانيين والمسلمين القاطنين بين بحر الخزر وبحيرة آرال والتركمان ، وبعبارة أشمل جميـــع أقوام آسية للحركة ضد أوربا عموما وضد الانكليز خصوصا • ولـــم يكتف چيچرين بهذا القدر ، بل نشر دعوته في الصين واليابان وأوفد الوفـود الى مصر وممالك أفريقية الشمالية يدعوها الى عين الغاية »[١] •

ووردت اشارة الى وجود دعاوة للبلاشفة في سورية في ذلك العهـد فنشرت جريدة « الاستقلال » عن جريدة « رعد » السورية « ان الافـكار البلشفية أخذت تتوسع في سورية وان الرسائل التي كتبها لنين وتروتسكي التي تبين اعترافهما باستقلال البلاد العربية قد انتشرت في جميع أنحـــاء سورية »[٢] • ويقتبس الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم جريـــدة « الازفستا »

(١) العراق ، العدد (١٠٨) ٧ تشرين الاول ، ١٩٢٠ •
(٢) الاستقلال ، العدد ، ٣ ، ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ •

التي كتب محررها يقول : « اننا لا نستطيع أن نتخذ موقف الحياد تجاه الحركات الوطنية التي انضوى تحت لوائها مئات الملايين من الشرق لان معنى ذلك انحياز السوفيت الى معسكر الاستعمار الغربي وتمكين الدول الغربية ولا سيما انكلترا ... »[١] .

ان النصوص سالفة الذكر تشير الى الاتجاه العام في روسية وهو تشجيع الحركات المناوئة للاستعمار الغربي وخاصة البريطاني ومع هذا فقد وجد بينها من يشير الى وجود دعاوة سوفيتية في سورية ومن المحتمل انها تسربت للعراق ، ولكن المصادر الانكليزية سالفة الذكر تشير الى أن التأثير حصل عن طريق ايران لا عن طريق سورية .

وقد وردت اشارة محدودة لنوع من النشاط البلشفي اكتشف في خانقين من لواء ديالى في سنة ١٩٢١ أي بعد انتهاء الثورة بسنة . وجاء في تقرير رسمي ان آثارا لدعاوة البلاشفة وجدت في خانقين لفترة ما . وقد ظهرت اضطرابات ضئيلة في خانقين في مايس وحزيران قام بها جماعة من أهل المدن واثنان من الشيوخ أحدهما شخص اسمه محمود بك الديلو Dilo . ولم تستمر هذه الحركة طويلا كما انها لم تكن قوية »[٢] . وبالرغم من ان خانقين من أقضية لواء ديالى الذي أسهم أهله في ثورة العشرين ولكننا لا نستطيع الجزم فيما اذا كانت الحركة التي أشار اليها التقرير كانت موجودة في سنة العشرين وهل تأثر الثوار بها ؟ ومع هذا فان المصادر الانكليزية وخاصة كتابات المس بيل تؤكد على وجود اتصال للبلاشفة مع قادة الحركة بكربلاء وأهمهم المرزا محمد رضا نجل الامام الشيرازي .

ويظهر لي ان اتصال البلاشفة بالشيخ محمد رضا خاصة و بتأييد

---

(١) على طريق الهند ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩ .

(٢) Political Officer's Reports, 1921, p. 2.

الحركة الوطنية في العراق عامة أمر مشكوك فيه للاسباب التالية :

أولا – ان تعميم المصادر الانكليزية وغموضها تجعل الباحث يميل الى عدم الاهتمام بما روته عن هذا الموضوع • فالمس بيل مثلا تشير الى وجود جمعية سرية تعمل للبلاشفة ولكنها لا تعطينا اسم هذه الجمعية ومكان نشاطها بالضبط كما لا تشير الى المنتمين اليها وكل ما في الامر انها تتهم الشيخ محمد رضا بالعمل للبلاشفة • ثم ان لونكريك وهالدن كانا أكثر غموضا ، اذ لم يزيدا على احتمال تعاون بين العرب والاتراك والبلاشفة ضد الاحتلال البريطاني للعراق •

ثانيا – ان جريدة الثورة وهي جريدة الفرات النجفية أظهرت شكها في نوايا البلاشفة فعندما تكتب عنهم تقول : « لا تزال تخامرنا الشبه والشكوك في حقيقة أمر البولشفيك وفي مبلغ اخلاص نياتهم وذلك قبل الاطلاع على مقاصدهم الحقيقية ، والوقوف على المظهر الذي سيظهرون به في ايران ، ومن جملة ما يحملنا على الشك فيهم استبدادهم الظاهر وعدم سماحهم لكل من حكومات اذربيجان وأرمينية بالتمثيل »[١] •

ثالثا – ان الاستجواب الذي أجراه الحسني عن المساعدات التي وردت للثوار من الخارج بما في ذلك الروس ، أثبت ان الثوار لم ينالوا مساعدة من الخارج من اية جهة كانت •

رابعا – لقد استفسرت من جماعة من المعاصرين ومنهم الاستاذ أحمد حامد الصراف الذي كان بكربلاء حين قيام الثورة عن وجود أثر للبلاشفة وعن اتصال المرزا محمد رضا نجل الامام الشيرازي بهم فنفوا ذلك نفيا تاما •

خامسا – لقد زرت المرزا محمد رضا بطهران سنة ١٩٥٤ ووجهت له عدة أسئلة وكان أحدها يتصل بصلته مع الشيوعيين فأجاب على هذه الاسئلة

---

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة ، ١٣٣٨هـ •

واليك جوابه : قال المرزا محمد رضا : (١) لم أتصل بالشيوعيين مطلقا ولم أعرف شيئا عن البرقية التي أشارت اليها المس بيل • وأواكد لك ان كلام المس بيل مفتعل محقق • (٢) لم أسمع ان أحدا من الشرطة أو غيرهم ممن تعاون مع الانكليز ولم يسمح العلماء في الصلاة عليه ، كما يدعي ولسن ، ولكن التعامل مع الانكليز ومعاونتهم عده العلماء أمرا محـرما • (٣) ان السبب الذي من أجله قبض علينا هو صدور الفتوى من المرحوم والـدي بوجوب قتال الانكليز • وبعد صدور الفتوى انكمش الناس الذين سبق لهم ان أظهروا تأييدهم للانكليز • (٤) كتب المرحوم والدي الى أهالـي بغداد كتابا يدعوهم فيه للقيام بالمظاهرات والمطالبة بحقوقهم بصورة سلمية • (٥) عندما صدر أمر القاء القبض علي كان عدد من الرؤساء في بيتنـا وحرضوني على عدم اجابة طلب الحكومة ولكنني ذهبت خوفا من أن يقول الانكليز اننا اناس لا نهدف المطالبة بحقوق العراق واننـا ننوي النهب والسلب من حركتنا • ولما علم الشيوخ بذهابي مع مأموري الحكومة ، لاني ذهبت خلسة من باب غير البـاب الذي يفضي الى مجلس والدي حيث يجتمع الناس ، جاؤا خلفي لدائرة الحكومة ولاموني على الذهاب معهم وقد بعثوني الى هنجام وكانوا ينوون ارسالي الى الهند ، ولكن توسط الشاه أحمد جعلهم يسمحون لي بالذهاب الى ايران • (٦) لم تحدث حوادث سلب أو نهب ، كما ادعى الانكليز ، أثناء هياج الناس للمطالبة بحقوقهم • (٧) ان الانكليز تأثروا من دعوة والدي الى قيام المآتم الحسينية في رمضان• وكانت هذه المآتم عامة وحتى شيوخ العشائر اشتركوا بها •

وبعد ان فندنا فكرة وجود الاتصال المباشر بين الثورة العراقية وثورة الشيوعيين العالمية نقرر ان للشيوعية ، كحركة عالمية ، تأثيرا غير مباشر • ويظهر ان الطبقة المثقفة من الثوار كانت على علم بمرامي الشيوعية وأهدافها ولذا لم يشبهوا ثورتهم بثورة الشيوعيين • وقد كتبت جريدة « الفرات »

النجفية وهي لسان الثوار الرسمي تقول : « ويختلف تأثير الثورة باختلاف مقاصد الثوار فقد تكون لقلب نظام خاص وابداله بآخر كثورة الامم على حكوماتها وقد تكون لتغيير نظام العالم كله كالثورة البلشفية التي اصبح تأثيرها عاما هاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون ... ان الثورة العراقية تشبه أختها الايرلندية والمصرية من كل الوجوه فقد فجر بركانها الضغط وأضرم نارها الاستبداد ووسعها القضاء على الحرية والتجاوز على الحقوق ... »[1] . ومن هذا يظهر أن الثوار يدركون ان الثورة الشيوعية هيجت الشعوب للمطالبة بحريتها ولكنهم لا يشبهون ثورتهم بها ويشبهونها بثورات قومية أخرى كثورة المصريين والايرلنديين . ونشرت الجريدة نفسها خبرا عن الحالة في ايران جاء فيه : « استاء الشعب الايراني من الاتفاقية المشهورة [الاتفاق الانكليزي الايراني المعقود في آب ١٩١٩] بين الحكومتين الايرانية والانكليزية ، وتهدد هاتين الحكومتين بالثورة الداخلية فانتهز البولشفيك هذه الفرصة وأخرجوا جيوشا كبيرة في أنزلي واحتلوها ... وقد تقهقرت القوة الانكليزية المرابطة في شمال ايران أمامهم بدون محاربة ، فعلى هذا أصبح القطر العراقي مهددا بغزوات البلشفيك من شرقه وشماله ، أما القوات الانكليزية الموجودة في العراق فانها ستنسحب أمام تقدم البولشفيك وتترك حبل البلاد على غاربها فيلزمنا الان لتقرير خطتنا النهائية وتأمين مستقبلنا تجاه هذا الموقف الحرج وذلك أما بان نحارب البولشفيك مع الانكليز ، بعد أخذ الضمانات الكافية من هؤلاء للاستقلال ، أو بان نحارب الانكليز مع البولشفيك ... »[2] . ويظهر من هذا النص انه لا توجد صلات سابقة للثوار مع البلاشفة وانهم يعدون أنفسهم طرفا مستقلا كان مستعدا للتعاون مع اية جهة تقتضيها مصالحه الخاصة .

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة ، ١٣٣٨هـ .
(٢) العدد (٣) ٥ ذي الحجة ، ١٣٣٨هـ .

الفصل الخامس

ميـــادين القتـــال

قد يكون من الضروري ، قبل التحدث عن ميادين القتال ، ان أشير الى ما يأتي : أولا – ان الجانب العراقي المقاتل لا يتكون من جيش نظامي ، لذا لا توجد لديه سجلات تبين عدد المقاتلين وعـــدد من اشـترك منهم في المعارك الهامة ، كما لا توجد احصاءات عن الاسلحة والعتاد المتوفر لـدى القوات العراقية . وفي ضوء ما سبق لا يمكن أن نأخذ الارقام التي قدمها الثوار أحيانا عن خسائرهم أو خسائر العدو على انها تمثل الحقيقة ، بـل يجب أخذها بنوع من الحذر . وبالرغم من أن الثوار أحيـــانا يصدرون بلاغات مطبوعة عن العمليات العسكرية المهمة ، ولكن هذه البلاغات ، هي الاخرى ، بعيدة عن التدقيق في بعض الاحيان ، لانها لا تصدر عن جهـــة نظامية مسؤلة ، بل تصدرها جماعــة من العاملين في الحقل الوطني فـــي النجف الاشرف . وكان هؤلاء ، وعلى رأسهم الشيخ محمد باقر الشبيبي[1] رغم بعدهم عن ميادين القتال الفعلية ، يعتمدون على الرواية الشفهية التي يتسرب الشك اليها أحيانا . وسنورد نماذج من هذه البلاغات في حينها . ويظهر أن معظم من كتبوا عن الثورة ، أمثال الحسني والبصير وغيرهما ، اعتمدوا ، في الاحصاءات التي أوردوها عن العمليات العسكرية ، عـــلى المصادر الانكليزية في الغالب الاعم . وشذ عن ذلك الشيخ فريق الفرعون فاعتمد كثيرا على المصادر العراقية فيما قدمه من معلومات عن العمليـــات العسكرية . وبالرغم من أن الشيخ فريق كان بوضع يمكنه من الاتصال بالثوار ، وان قبيلته اسهمت اسهاما فعالا بالعمليات العسكرية للثورة ، فـان

---

(١) سعيد ، أمين ، ن٠م ، ج٢ ، ص ٧٢ .

كثيرا من معلوماته بعيد عن التدقيق ،لذا يصعب الركون اليها في كثير من الاحيـــــان •

ثانيا ـ ان عدد القوات الانكليزية العاملة في العراق عند نشوب الثورة كان ٧٢٠٠ بريطاني و ٥٣٠٠٠ هندي ، والى جانب هؤلاء كان في العراق ما يقارب هذا العدد من التابعين الهنود[١] • وكان لدى هذه القـــوات خمس بطاريات من السيارات المسلحة ، واحدة منها مرابطـة في ايران • ويشكو الجنرال هالدن من أن السيارات التي ببغداد ابان الثورة كانت من الطراز الثقيل ويصعب استعمالها بسبب رداءة الطرق • يضاف الى ذلك ان الخبرة علمت العراقيين بأن ثقب اطار عجلة السيارة يؤدي الى تعطيلها عن العمل ، لذا كانوا يصوبون رصاص بنادقهم الى هذه البقعة وحينئذ تصبـح السيارة وركابها تحت رحمتهم[٢] • وأما القوة الجوية البريطانية فقـــد كان منها في العراق ، عند بدء الثورة سربان : السرب السادس والســرب الثلاثون ، ولم يكن في بغداد من هذين السربين سوي ثلاث قطع ، وفي ذلك الحين انفصل ثلاثة أرباع السرب الثلاثين الى ايران•وكان البريطانيون يعتمدون على خطين رئيسيين من المواصلات توصلهما بالبحر عن طريــق البصرة • أحدهما سكة الحديد الرئيسة وفروعها الممتدة من البصرة الــى بغداد ومنها الى سامراء شمالا • أما الثاني فهو طريق دجلة النهري • وقد اعتمد الانكليز أثناء الثورة على هذا الطريق كثيرا لان معظم قبائل دجلـة التي يمر هذا الخط من أراضيها كانت غير مشتركة اشتراكا ذا قيمة فــي الثورة • وكان بالامكان نقل وتسليم أكثر من ألف طن يوميا من البضائع في الكوت بواسطة طريق دجلة المائي[٣] • وكان السبب الرئيسى لاعتمـاد الانكليز على المواصلات المائية هو أن سكة الحديد التي توصل بغـــــداد

---

(١) Haldane, Op. cit, p. 64 — 5.

(٢) Ibid, p. 69.

(٣) Ibid, p. 67.

بالبصرة ، كانت تمر بمنطقة الفرا تالاوسط وهي أهم المناطق الثائـــرة وأكثرها خطرا ، لذا كانت هذه السكة عرضة لهجمات الثوار وتخريبهم •

وقد بلغ طول سكك الحديد في العراق قبيل قيـام الثورة (٨٦٧) ميلا ولكن قسما منها تعطل عن العمل أثناء الثورة ، وبعضها كان العمل فيه محفوفا بالمخاطر ما عدا مسافة (١٠٠) ميل تقريبا تقع بين الكوت وبغداد • وهذا الخط هو الوحيد الذي لم ينقطع طيلة مدة الثورة • ومن الجديـر بالذكر ان الثوار تمكنوا من الاستيلاء على (٣٢٤) ميلا من ممجوع السكك الحديد العاملة بالعراق • وبعد أن أخذ الوضع العسكري يتطور لمصلحـة البريطانيين في بداية تشرين الاول استردوا قسما من سكك الحديد ولـم يبق بيد الثوار الا (١٨٤) ميلا[١] •

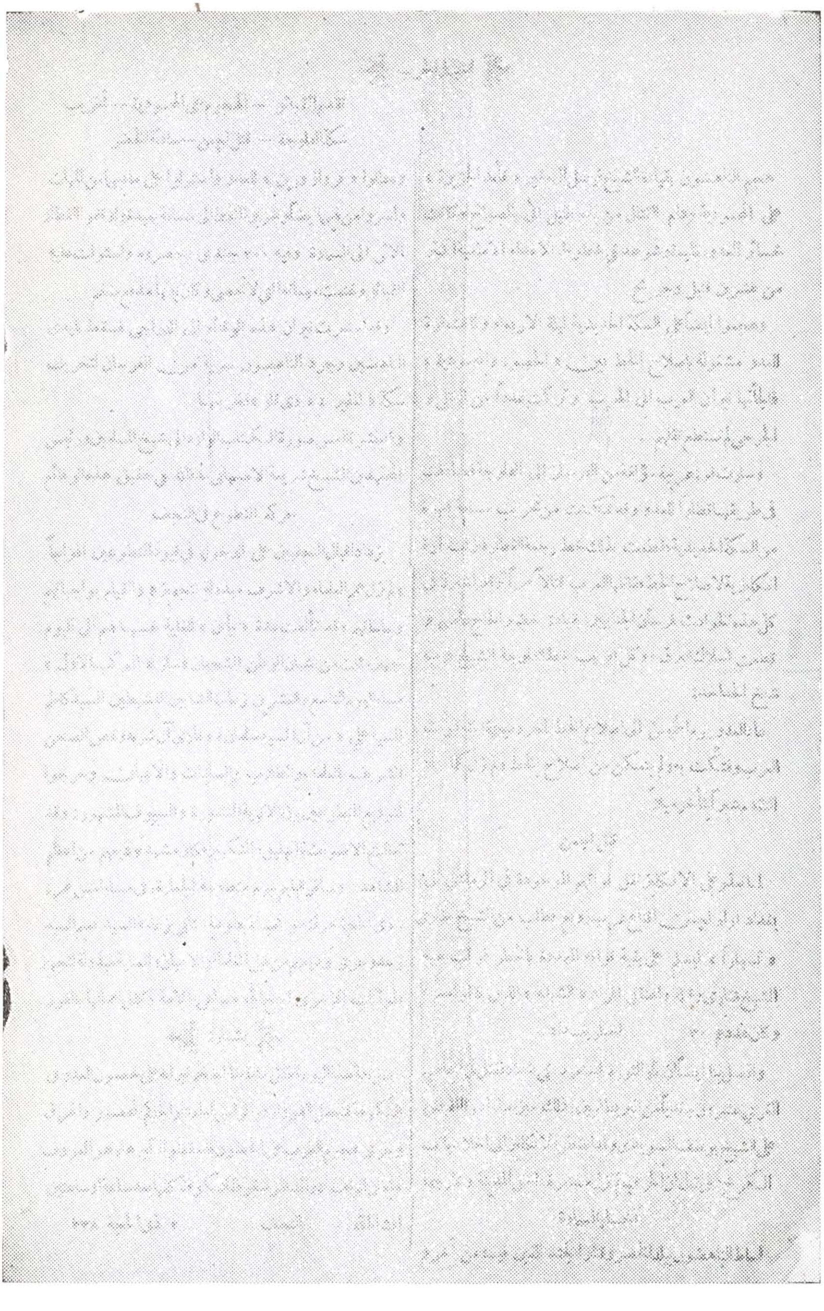
ويظهر أن الثوار كانوا يدركون ما لسكك الحديد من قيمــــة في مجهود الانكليز العسكري ، لذا صرفوا جهودا كبيرة في تعطيلها • وقــد كتب لي احد الثوار في الرميثة جوابا على رسالة وجهتها اليه يقول[٢] : « ان الشيخ شعلان ، رئيس قبائل الظوالم في الرميثة ، عندما بدأ بالثـورة جمع عشيرته وقال لهم هل انكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغض العرب والاسلام ؟ فقالوا الله أكبر أبدا لا نرض • فقال الشيخ شـــعلان اذا استعدوا لما اطلبه منكم • وعندما أصبح الصباح جاؤا اليه وقالوا أطلب منا ما تريد ، فقال الشيخ اني مستعد لشراء كل خشبة من سكة القطار بقيمة ليرة ذهبية • فنهضت عشيرة الظوالم رجالا ونساء الى السكة الحديـــد فقلعوها من السماوة حتى الرميثة فحملوا بعض الاخشـــاب ولاين[٣]

---

(١) Ibid, p. 303 — 4.

(٢) أثبت جزء من الرسالة هنا بعد صلاح بعض أغلاطها النحوية والاملائية •

(٣) لاين هي Line الانكليزية •



نموذج من البلاغات التي كان يصدرها الثوار .

[القضبان الحديد] السكة وجاؤا بها الى المضيف • وعندما جاء القطار من البصرة وفيه القوة العظيمة والعمال مع القوة فأخذوا يصلحون السكة والقطار يسير رويدا رويدا حتى وصل (أبو الواوية)[1] • فرأت القوة المعادية امرأة من عشيرة البو حسين من الظوالم فقالت يا عمامي • قالوا نعم• فهوست هوسة عربية : حل فرض الخامس[2] گوموله • فنهضوا على القوة المعادية وأبادوها حتى النهاية ••• » •

ومن المؤسف ان كاتب الرسالة لم يعطنا تاريخ وقوع هذه الحادثة حتى نستطيع مقارنة ذلك مع المصادر الانكليزية ، ومع ذلك فالذي يهمني من ذكرها هنا هو اهتمام الثوار بتخريب مواصلات الانكليز وخاصة سكة الحديد •

وجاء في بلاغ أصدره الثوار بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ ، وكان مركز اصداره النجف ، ما يأتي : « هجم الناهضون بقيادة الشيخ فيصل آل مغير « قائد الجزيرة » على المحمودية ودام القتال من بدء الليل الى الصباح ، وكانت خسائر العدو عظيمة وشوهد في خطوط الاعداء الامامية أكثر من عشرين قتيل وجريح • وهجموا أيضا على السكة الحديد ليلة الاربعاء وكانت قوة العدو مشغولة باصلاح الخط بين «الحصوة والمحمودية» فألجأتها نيران العرب الى الهرب وتركت عددا من القتلى والجرحى لم تستطع نقلهم •

وسارت قوة عربية مؤلفة من الفرسان الى الفلوجة فصادفت في طريقها قطارا للعدو وقد تمكنت من تخريب مسافة بعيدة من السكة الحديد فقطعت بذلك خط رجعة القطار فنزلت قوة انكليزية لاصلاح الخط فقاتلها العرب

(١) أبو الواوية ـ محطة من محطات القطار في الوقت الحاضر تقع قرب الرميثة •

(٢) تشير الى الجهاد المقدس •

مرارا • واشترك في كل هذه الحوادث فرسان الجنابيين بقيادة خضير الحاج عاصى وقطعت أسلاك البرق ووكل تخريب خط الفلوجة للشيخ ذرب شيخ الحداحدة •

عاد العدو يوم الخميس الى اصلاح الخط المخروب فقابلته قوات العرب وفتكت به ولم يتمكن من اصلاح الخط ولم يزل كلما أراد التقدم شبرا ليتأخر ميلا » •

هذا ما جاء في البلاغ الصادر عن الثوار وسنشير الى التخريبات التي أحدثوها في سكك الحديد في حينها •

ثالثا ـ ان أي تقدير للقوات الوطنية التي اشتركت في قتال الانكليز أثناء ثورة العشرين يعتبر من قبيل التخمين ، لان نفوس العراق لم تحصى يومئذ احصاء دقيقا • وقد أظهرت الاحصاءآت التيأجرتها سلطات الاحتلال في أوائل سنة الثورة ، ١٩٢٠ ، ان نفوس العراق كانت **(٢٨٢ر٨٤٩ر٢)** نسمة • ومن المعلوم ان الالوية العراقية التي اشتركت[١] في الثورة كانت كربلاء والحلة والديوانية[٢] • وان الوية المنتفق[٣] وديالى وبعض أجزاء لواء بغداد والدليم[٤] أسهمت اسهاما محدودا • ويقـول الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي بصدد من أسهم بالثورة من العرافيين :

---

(١) كان عدد نفوس لواء الديوانية ، والحلة ، والشامية يبلغ في سنة ١٩٢٠ ٥٠٠ر٢٠٤ ، ـــر١٧٣ ، ـــر١٩٠ على التناظر • ويقدر هالدن على الص ٣٢٨ من كتابه السابق عدد الثوار الذين اشتركوا بثورة العشرين ب (٠٢٠ر١٣١) رجـلا لديهم (٦٣٠ر١٦) بندقيـة حديثـة و (١٧٥ر٤٣) بندقية قديمة ولكنها صالحة للاستعمال •

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ١٢٥ •

(٣) يسمى لواء الناصرية في الوقت الحاضر •

(٤) يسمى لواء الرمادي حاليا •

لا تظن يعراگي اعراگ نهض　　عشر منه اوبگت جرثومة مرض
غير هالصفوة العليها الله افترض　　طاعتـــه واتمثلت مـا راده[1]

أما الضباط العراقيون الذين ساعدوا بعض القبائل في تنظيم شـــؤون القتال في بعض الميادين والجبهات ، وساعدوهم عـــلى استعمال الرشاشات والمدفع الذي دمروا به الباخرة « فاير فلاي » في شط الكوفة فهم ، عـــلى رواية الحسني :

١ ـ اسماعيل حقي الاغا ٢ ـ شاكر الملا حمادي ٣ ـ الحاج شـاكر القرهغولي ٤ ـ الحاج محمود رامز ٥ ـ حسين علوان ٦ ـ محمود سامي ٧ ـ سعيد حقي ٨ ـ فؤاد المدفعي ٩ ـ الحاج طالب ١٠ ـ ابراهيم مهدي ١١ ـ سامي النقشلي ١٢ ـ داود الميكانيكي •

ويروي علي البازركان ان رسالة وردت في ٢٠ آب ١٩٢٠ بصحبـة الضابط سلمان الجنابي من علي جودت الايوبي الذي كان حينذاك مرابطا في دير الزور يطلب فيها ارسال عشرة آلاف ليرة ليأتي لمساعدة الثـــــوار بجنده المزودين بالرشاشات والمدافع والعتاد • فسلمت الرسالة للمجتهـد شيخ الشريعة ، فشاور جماعة من الزعماء بالامر « فاجمع الحاضرون على استحالة جمع المبلغ المذكور ، ثم انهم أردفوا وقالوا : اذا كان مرسل هذا الكتاب على جانب من الوطنية فانه سيأتي مع جنوده للاشتراك في ثورتنا من غير أن نرسل له نقودا ، نحن أحوج ما نكون اليها ••• ولكنه اذا جـــاء مع قوته نكفل اعاشتهم فقط ••• » • وقد أخبر البازركان الضابط الجنابي بما دار في مجلس شيخ الشريعة وأفهمه ان مصاريف الثورة كبيرة وجمة وان أكثر المخلصين من رؤسائها قد رهنوا وباعـــوا أراضيهم في سبـــيل

(١) الخاقاني ، علي (الناشر) فنون الادب الشعبي ، بغـــداد ، ١٩٦٢ ، ص ٨ •

الحصول على المال لضمان استمرار الثورة[١] •

ويظهر ان قائد القوات المزعومة ، علي جودت ، غير جاد في رسالته لانه ، على فرض حصول هذا المبلغ الجسيم وارساله اليه ، كيف يستطيع ارسال قواته لمنطقة الثورة في الفرات مع مدافعها ورشاشاتها ، كما يقول برسالته ، مع ان القوات الانكليزية مسيطرة على جميع المناطق التي تقع بينه وبين الثوار ؟ يضاف الى ذلك أن قبيلة عنزة بقيادة فهد بن هذال كانت تسيطر على الجزيرة وتحميها لمصلحة الانكليز ، فكيف تستطيع قوات الايوبي اختراق هذه المنطقة ؟ ثم كيف تستطيع أن تفلت من الطائرات الانكليزية وهي تسير في منطقة مكشوفة على ساحل الفرات ، وقبيلة الدليم هي الاخرى كانت موالية للانكليز ، فكيف يتجنب قائد هذه القوات الاصطدام بها وهي تسكن على ضفة الفرات من عانة تقريبا الى الفلوجة قرب بغداد ؟

وقد أجريت مقابلات شخصية مع عبدالرحمن خضر[٢] وسامي النقشلي[٣] حول دور الضباط الذين اشتركوا بالثورة • فقال لي

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ١٦١ •

(٢) كان الاستاذ عبدالرحمن خضر المحامي من المشتغلين بالشؤون العامة أيام الاحتلال البريطاني للعراق • وعند اعلان الثورة التحق بالثوار في منطقة النجف والشامية • وكان متصلا بزعماء الثورة • وقد حضر أحد مؤتمرات الثورة الذي عقد في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ •

(٣) كان السيد سامي النقشلي ضابط رشاش في جنقلعة بتركية، واشترك بحرب الانكليز هناك وعاد الى بغداد بعد الهدنة فانتسب الى جمعية العهد • وكانت هذه الجمعية سرية ولم يسمح لكل عضو أن يطلع على أسماء جميع الاعضاء • وبعد ان اعلنت الثورة في ٣٠ حزيران التحق بها مع آخرين من أعضاء الجمعية • وكانت الجمعية تمدهم بمصاريف السفر• وقد التحق سامي النقشلي بمنطقة السماوة • وانتحل لنفسه اسم « محمود التركي » وعرف بهذا الاسم هناك خوفا من أن تنتقم الحكومة الانكليزية من أهله ببغداد •

عبدالرحمن خضر : « ان الضباط الذين اشتركوا في الثورة كانوا في أربع مناطق : الاولى منطقة دير الزور ، وكانوا تحت اشراف الحكومة الفيصلية ، وجمعية العهد وخاصة عضوها جعفر العسكري • ثانيا ــ الضباط الذين عملوا في منطقة تلعفر • ثالثا ــ الضباط الذين عملوا بالكوفة • رابعا ــ الضباط الذين اشتركوا مع الثوار في منطقة السماوة • وكان هؤلاء الضباط من العراقيين الذين سرحوا من الجيش العثماني ، واشتركوا متطوعين بلا أجر ، ما عدا ما زودتهم به جمعية الحرس الوطني ببغداد من مصاريف نقل • كما ان جمعية العهد أرسلت واحدا على نفقتها » • وعدد المرحوم عبدالرحمن أسماء الضباط ، كما أوردتها فيما سبق ، ولكنه أثنى بصورة خاصة على خدمات سامي النقشلي في السماوة • وقد أخبرني سامي النقشلي انه كان ملتحقا بمنطقة السماوة ويعمل مع جموع السيد هادي مگوطر • وقد ذكر لي أسماء الضباط الذين اشتركوا بالثورة • وقد أضاف الى قائمة الحسني ، اسمي زكي الكردي وطالب الجدة (ولعله الحاج طالب) الذي ورد اسمه بقائمة الحسني • ومن هذا يظهر ان عدد الضباط كان يتراوح بين (١٣-١٤) ضابطا • وهذا العدد لا يمكن أن يشرف على العلميات العسكرية للعراقيين فيجعلها تسير حسب الاصول العلمية المطبقة في الحروب • وبالرغم من ذلك كان هالدن يعتقد ان ضباطا نظاميين كانوا يقودون القوات العراقية التي وقفت ضد الانكليز في ثورة العشرين • وسنشير الى الوقائع التي أثار فيها هالدن هذه النقطة في حينها •

ويقدر الجنرال هالدن البنادق التي استعملتها القبائل الثائرة بـ (٥٩ر٨٠٥) بندقية[١] • ويورد هالدن في الملحق التاسع من كتابه سالف الذكر ملاحظات عن أساليب الحرب الحديثة عند الثوار • وقد بنى الجنرال ملاحظاته هذه على خبرته عن الحرب التي وقعت حول الرميثة

(١) Op. cit, p. 298.

والديوانية خلال شهري تموز وآب من سنة ١٩٢٠ . ويقول الجنرال هالدن : « ان العربي رجل غدار . وباستطاعته أن يتغلب على فصيل صغير Detachment عن طريق الغدر . ويتظاهر العربي عادة برغبته في السلم ويرفع الاعلام البيض وينهمك في أعماله المعتادة في الحقل ، اذا مرت به قوة كثيرة العدد . وبالرغم من تظاهره بالسلم ، يخبىء بندقيته في مكان يسهل عليه تناولها منه عند الضرورة ... » .

وقد قدرت قوات العرب الثائرين في هذه المنطقة بما يقارب العشرة آلاف ، ولكن الحد الاعلى للثوار الذين اشتركوا في النزال الذي حصل حديثا بين الحلة والرميثة لا يزيد على خمسة آلاف شخص . ويبلغ عدد الفرسان ربع هذا العدد ، بينما لا يتجاوز عدد المسلحين منهم ببنادق حديثة الثلث . ويقوم ما بقي من هذا العدد بما تقوم به الوحدات الصحية ، ووحدات التموين في الجيش النظامي . إذ يقوم هؤلاء بجلب المعدات والماء والطعام ، كما ينقلون الموتى والجرحى ، ويقوم بعضهم مقام المدد حينما يستعملون بندقيات الموتى والجرحى .

ويتجمع العرب حالما يرفع علم شيخهم ، كما يجمعهم أزيز الرصاص . وتتم حركتهم وتجمعهم بصورة مدهشة . ويتكون منهم حينئذ تحشد كبير يرتفع من بين ثناياه عدد من الاعلام ينضوي تحت كل واحد منها عدد من المقاتلين . وعندما يريدون الهجوم يبلغ الهياج منهم مبلغا يقرب الى الجنون ، فيعلو حينئذ صراخهم ويكثرون من تحريك أعلامهم .

وتقودهم في حركتهم الحاضرة أدمغة مدربة ماهرة تعرف جيدا قيمة البندقية الحديثة التي يحملها أتباعهم ، كما يعرفون نقاط الضعف في الجيش الحديث ويعلمون حدود امكانياته . وتدل تنظيمات العرب الدفاعية على مقدرتهم الفائقة . ولهم حذق كبير في اختيار الزمان والمكان الذي فيه يعترضون تجهيزاتنا من المياه ، أو يعرقلون سير قطرنا أو خط سيرنا .

ومن الملاحظ ان قلة تنظيمهم وعدم ارتباطهم بالنظام تحدد قدرتهم على تبديل الخطط التي وضعوها ليحلوا محلها خططا جديدة اقتضتها ظروف جديدة ، اللهم الا اذا كانت هذه الظروف ظاهـــرة للجميع ، كانسحاب قواتنا مثلا ، وحينئذ يتبع القوات المنسحبة كل شخص على انفراد .

كانت معداتهم الحربية محدودة ، حيث كانت الطلقة الواحدة تكلفهم ثماني آنات . ولهذا كانوا كثيري العناية في استعمال طلقاتهم ، ولا يطلقون الطلقة ما لم يحتملوا احتمالا أكيدا انها ستصيب الهدف ، وانهم سيربحون شيئا من وراء اطلاقهم للنار . ومن المؤسف اننا لم نقم بتحضير مشـــروع قابل للتطبيق نلزم جندنا بموجبه ان يدفعوا ثمن المعدات التي يستعملونها ، أو يدفعوا جزء من ثمنها على الاقل ، وسيؤدي ذلك حتما الى تحسن نظام الاطلاق عند بعض وحداتنا . ويظهر العرب شجاعة فائقـــة ويخاطرون بحياتهم ليهجموا على موتانا ليجردوهم من السلاح أو العتاد في وقت لايزال فيه القتال مستمرا ... »[١] . وسنوافيك بوصف مختصر لاهم العمليات العسكرية التي دارت في ميادين القتـــال الرئيسة للثورة . أما التفصيلات فتجدها في مظانها[٢] . أما أهم جبهات القتال فهي : ١ ـ جبهة الرميثة : لقد أطلقت أول رصاصة للثورة في الرميثة[٣] في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على

(١) Op. cit, p. 332 — 3.

(٢) البصير ، مهدي ، القضية العراقية ، ج١ و ج٢ ، بغـــداد ، ١٩٢٤ ؛ الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ، ١٩٥٣ ؛ الفرعون ، فريق المزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغـداد ، ١٩٥٢ .

(٣) الرميثة ناحية تابعة للواء الديوانية وتقع على فرع الحلة من نهر الفرات على بعد ٢٨ ميلا شمالى السماوة . ويقول هالدن على الص ٧٣ من كتابه السابق ان نفوسها تقدر ب ٢٥٠٠ نسمة . وتسمى أحيانا الابيض (بالتصغير وتشديد الياء) كما يسميها البعض « العوجه » .

أثر القاء الحكومة القبض على شيخ الظوالم الشيخ شعلان أبو الجون[١] واطلاقه عنوة على يد جماعة من عشيرته • ويقول الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي بهذه المناسبة :

اگصد السجن(الرميثة)واستعد   اخذ الاخبار اوعليه زيد النشد
اتعرف ما گام اسم وتشيد مجد   اله من ذاك السجن مصعاده[٢]

وكانت الجماعة التي تولت اطلاق الشيخ شعلان من السجن مكونة من سبعة أشخاص هجمت عند الفجر على سراي الحكومة وقتلت الحراس وأطلقت الشيخ المذكور • ويقول الشاعر الشعبي بهذه المناسبة :

الدوله اتعرف عدهم خوش[٣] رسـميات
مـا يدري العراگ اشبيه زلـم آفات
من راحن فجر يمشن سـبع تفـگات
فكـوه[٤] وتمـدد ناطـوره[٥]

وتقول المس بيل ، في معرض كلامها عن بدايـة الثورة بالرميثة : « كان السبب المباشر للثورة هناك ، شيئا طفيفا • حيث ان معاون الحـاكم السياسى [هيات [illegible]] في الرميثة استدعى ••• شيخ الظوالم الذي تأخر عن دفع دين زراعي للحكومة ••• فأبدى كثيرا من الشراسة

---

(١) كان الشيخ شعلان أبو الجون ، فضلا عن كونه شجاعا ، يعد من شعراء الحرب الشعبيين • فقال مخاطبا الانكليز :

بيه خير اويچثر عسكر اوريلات
اسواريه وبياده اوفوگ طيارات
بعزم الله اوعزم حيدر أبو الحملات
يتوزع واطروح انشيله

(٢) الخاقاني ، علي (الناشر) ، ن•م ، ص ٩ •

(٣) كلمة فارسية معناها « جيد •• حسن » •

(٤) أطلقوه من السجن •

(٥) الحارس •

بحيث اضطر معاون الحاكم السياسى الى حجزه وتوقيفه»[١] • وقد أجرى الدكتور البصير مقابلة شخصية مع الشيخ شعلان ، وسأله عن قضية الدين الذي بذمته للحكومة ، فأكد الشيخ له كل التأكيد بأنه لم يكن آنئذ مدينا للحكومة بأي شيء • ويضيف البصير الى ما سبق قوله بأن سبب القبض على الشيخ المذكور كان سياسيا ، وان الميجر دالي Daly الحاكم السياسى الديوانية أمر بالقاء القبض على الشيخ عندما ظهر له ان عشيرته (الظوالم) كانت قد أعلنت الحرب على الحكومة قبيل بدء الثورة ، أي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ ، وان الحكومة رأت بالقاء القبض على الشيخ شعلان زعيم الظوالم قضاء على الحركة[٢] • يضاف الى ذلك ان اهتمام الشيخ شعلان بالسياسة ، وحضوره المؤتمر المنعقد في كربلاء برئاسة الامام الشيرازي في ١٥ شعبان ١٣٣٨هـ ، يقوم دليلا على ان حركته غير طارئة ، وان الحكومة بالقائها القبض عليه عجلت بقيام الثورة ، ولهذا يكون من المستبعد ان نعد الدين المزعوم سببا في مقاومته للحكومة • وفضلا عن ذلك فان بوادر الثورة قد ظهرت قبل قيام الشيخ شعلان بوجه الحكومة وان الامام الشيرازي قد بعث رسولا[٣] خاصا من رجال الدين لمنطقة الرميثة لتحريض الناس

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٢) البصير ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٠٢ •

(٣) كان رسول الشيرازي هو الشيخ رحمة أو رحوم الظالمي • وكان الشيخ رحوم من أقارب البطل الشيخ شعلان أبو الجون ، وسبق له أن تتلمذ على يد جماعة من العلماء في النجف وأصبح في عداد رجال الدين المشهورين • ويقول الحسني على الص ١٠٧ من كتابه الموسم ب «الثورة» ان الشيخ رحمة كان من بين أعضاء مؤتمر الثورة المنعقد في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٢٠ في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر • وعند سفره للرميثة زوده الامام الشيرازي برسالة جاء فيها : « شيخ رحوم ينوب عني فاعملوا بما يأمركم به » •

على الجهاد[١] • ولعل فيما أورده الجنرال هالدن عن بداية الحركات في الرميثة تدحظ رواية المس بيل التي تجعل سبب القاء القبض على الشيخ شعلان هو تراكم دين للحكومة بذمته • يقول هالدن : « لقد سمع الميجر دالي في الخامس والعشرين من شهر حزيران بأن قبيلة الظوالم قد تظاهرت بالحرب ضد الحكومة ، فرأى أن خير وسيلة هي أن يقبض على الشيخ الجاني • ويظهر ان الاضطراب لم يكن محليا حيث ان القطار قد قطع في أماكن عديدة جنوب الرميثة وان أحد الجسور قد خرب • وان قطار الاستطلاع الذي توجه من السماوة في التاريخ نفسه ••• اضطر الى الانسحاب بعد قتال عنيف مع الثوار ، ولم ينج من الاسر الا بصعوبة •

أما في شمال الرميثة فقد تعرضت سكة الحديد للقطع في أماكن عديدة ، ولكن الثورة لا تزال ذات صبغة موضعية »[٢] • وفي الوقت الذي كان القتال فيه مستمرا في الرميثة وغيرها من المناطق ، رأى جماعة من المعنيين بالحركة الوطنية أن يعملوا على توحيد الجهود ، وتوسيع الحركة الثورية ضد قوات الاحتلال التي أصبح الثوار وجها لوجه معها بعد أن شبت نيران الثورة في منطقة الرميثة • وكانت تسوية النزاعات المحلية من الوسائل التي تذرعوا بها لتحقيق هذا الغرض • ومن الامثلة على ذلك ان السيد هادي مكوطر توجه في بداية الثورة الى الخضر فوجد الشيخ معجون الحمادي ، أحد رؤساء بني حچيم ، متريثا في القيام بوجه السلطات المحتلة بالرغم من أن العشائر المجاورة ، كما أسلفنا ، قد اشتبكت معها بقتال فعلي • و كان سبب تريثه أن فخذا من عشيرته سبق أن قتلوا أبنه ، ولذا كان العداء مستفحلا بين الفريقين • فتوجه السيد هادي الى دار الشيخ معجون وأقنعه بأن العمل على مقاومة المحتلين الذين تنكروا لآمال العراقيين

---

(١) فرعون ، فريق ، ج٢ ، ص ٤٥٠-٤٥١ •

(٢) Op. cit, p. 74.

بالاستقلال أكثر أهمية من مقتل ابنه ، وان فتوى الامام الشيرازي تلزمه بقتال العدو العام قبل كل شيء • فما كان من معجون الا أن اقتنع بكلام الوسيط وذهب الجميع للقتلة ، واصطلح الطرفان واستعدا لمهاجمة مركز الخضر[1] • ونشرت جريدة « الفرات » النجفية في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ الخبر التالي عن « مؤتمر الشامية » : « عقد العشائر مؤتمرهم وكان مؤتمرا سيارا تألف من أبطال النهضة وهم السيد نور والسيد علوان الياسريان ، والسيد محسن أبو طبيخ وعبدالواحد الحاج سكر والسيد هادي زوين ، وأخذوا على عهدتهم اصلاح جيرانهم من قبائل «بني حسن» والخزاعل « خزاعة » فقضوا نحو اسبوع في عمل الاصلاح لاستمالة رؤساء خزاعة « الشامية » وبني حسن « الكوفة » • فحضر رؤساء هاتين القبيلتين في « ندوة عبدالواحد »[2] واتحدت كلمتهم ومن عرف أحوال القبائل يعرف أن مؤتمر الشامية أظهر من ضروب السياسة ما ندر أن يكون له مثيل في تاريخ الفرات ، وان التاريخ سيحفظ له هذا الجهاد السياسى الذي عرقل مساعي الانكليز ، وقضى بالفشل على سياستهم في العراق فلم تجدهم حيلهم ودسائسهم ولم تنفعهم دراهمهم • ومن حسن الحظ أن القبائل التي أغراها الانكليز بملايين « الروبيات » أصبحت في طليعة الثائرين[3] •

هذا ما كان من أمر الثوار ، أما الحكومة فانها أخذت ترسل المدد الى المناطق الثائرة بناء على معلومات تلقتها من اللفتننت هيات ، توقع فيها حصول ثورة عامة في منطقة الرميثة والمناطق المجاورة لها • وكانت النجدات التي ترسلها الحكومة تلاقي صعوبات جمة لان الثوار أخذوا يخربون

---

(١) فرعون ، ن٠م ، ج١ ، ص ١٨٥ــ١٨٧ •

(٢) عبدالواحد الحاج سكر •

(٣) العدد (٢) السنة الاولى •

سكة الحديد ، ويصلون الجند نارا حامية من القرى المجاورة • يضاف الى ذلك أن تموين جيوش الانكليز التي تجمعت في الرميثة أصبح من الامور الشاقة •

وفي اليوم الرابع من تموز ظهرت علامات استنتج منها قائد حامية الرميثة أن الثوار شرعوا في عمل خندق شمال غرب المدينة ، وان النجدات كانت تصلهم باستمرار • وقد حمل ما أظهره الثوار من بوادر الحرب المنظمة ، الجنرال هالدن على الاعتقاد بأن ضباطا من ضباط الجيش التركي السابق كانوا يقودون حركاتهم[١] • ورأت القوات الانكليزية أن تقوم بحملة تأديبية على قرية البو حسن فتصدى الثوار للسريتين اللتين تكونت منهما الحملة ، وكلفوهما (٤٣) مفقودا ، يعتقد أنهم قتلوا ، وجرح ضابط بريطاني وآخر هندي وأربعة عشر شخصا من ذوي المراتب المختلفة • ويقدر هالدن قوات الثوار بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مقاتل •

وفي اليوم السابع بدأت القوات الانكليزية تتجه نحو الرميثة ، ولكن قوة من الثوار تقدر بين ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ مقاتل وقفت في طريقها وأصلتها نارا حامية من داخل قناة جافة كان الثوار قد تحصنوا فيها • وبالرغم مما بذلته القوات الانكليزية من جهود بغية مواصلة السير الى الرميثة فانها فشلت ، لان التفوق العددي للثوار حال دون ذلك • وكانت خسائر الانكليز ، على رواية هالدن ، تقدر بضابط بريطاني واحد و (٤٧) هنديا من مختلف المراتب ، كما جرح ضابط بريطاني و (١٦٦) شخصا من مختلف المراتب[٣] • أما خسائر الثوار فكانت طفيفة[٤] •

---

(١) Haldane, p. 75.

(٢) Ibid, p. 76.

(٣) Ibid, p. 77.

(٤) الحسني ، الثورة ، ص ١٣١ •

وكانت الحامية المحاصرة في الرميثة تهجم على السكان المدنيين في السوق بين آونة وأخرى لتجمع ما تحتاجه من مواد غذائية ، واستطاع المهاجمون أن يقتلوا عشرين شخصا من السكان دون أن يصابوا بخسائر[١] • ويظهر أن الاهلين لم يقاوموا القوات المهاجمة ، بدليل انها لم تصب بأذى ، لذا فان قتلها للسكان المدنيين المسالمين كان دون مبرر •

وقد قلق الجنرال هالدن لبقاء حامية الرميثة محاصرة ، وكان يقول : « لقد أدركت ان أية خيبة أو فشل يبدو منا تستغله القبائل وتبالغ فيه ، فأبرقت الى وزارة الحربية ، كما سبق أن أبرقت الى قيادة الجيش في الهند طالبا ارسال المدد • وكان الجواب مخيبا للامال لانهم أبلغوني بأن القوات التي طلبتها لا تسافر قبل نهاية تموز »[٢] • وأعد الجنرال هالدن في الوقت نفسه ، حملة جديدة لانقاذ حامية الرميثة أوكل قيادتها للبريغادير جنرال كوننكهام F. E. Coningham • وكان هالدن يشعر بأن خط مواصلاته محفوف بالمخاطر ، وان الحملة التي أعدها لانقاذ حامية الرميثة غير مؤكدة النجاح • وفي السادس عشر من تموز وصلت القوات الانكليزية الى المكان الذي فشلت في اجتيازه الحملة الاولى • وكان الثوار متحصنين في قنوات جافة يوازي بعضها البعض ، ويعتقد هالدن ان لهذا الموقع قيمة عسكرية كبرى ، وان الثوار قد وفقوا لاخفاء تحصيناتهم تماما ، الامر الذي يحمل على الاعتقاد بأنهم كانوا يعملون تحت قيادة ضباط من ضباط الجيش التركي السابق[٣] • ومن الجدير بالذكر ان الجنرال هالدن أثار قضية قيادة ضباط نظاميين لقوات الثوار للمرة الثانية ، وقد سبق أن بينا خطأ هذا الاعتقاد مؤكدين أن الثوار كانوا يعملون تحت قيادة رؤساء العشائر •

---

(١) Ibid, p. 77.

(٢) Ibid, p. 80.

(٣) Ibid, p. 85.

وبالرغم من محاولات الجيش البريطاني الرامية للتقدم فان الثوار رابطوا بأمكنتهم ولم يغادروها وقد قلق القائد الانكليزي بسبب الوضع العسكري لقواته . ويقول الجنرال هالدن : « ولماذا لا يقلق قائد قواتنا وهو منقطع عن الماء وأمامه قوات صمدت في مواقعها ، رغم نيران المدافع ، ورغم الهجمات المتكررة ؟ يضاف الى ذلك ان معداته كانت لا تكفي ليوم آخر ، أما الجرحى في جيشه فلا يعرف عددهم ... »[١] . وبعد فترة وصلت امدادات جديدة للجيش البريطاني فاحتلوا الموقع الذي فشلوا في احتلاله في اليوم الماضي لان الثوار تركوه في الليل .

وفي الايام التالية تقدم الجيش البريطاني فوصل الرميثة بعد أن خسر (٣٥) قتيلا و (١٥٧) جريحا على رواية الجنرال هالدن[٢] . أما الدكتور البصير فيبالغ في عدد القتلى فيجعله (٣٢٦) قتيلا[٣] . أما خسارة القوات الانكليزية في الرميثة فقد بلغت (١٤٨) شخصا بين قتيل وجريح .

وكان لنجاح الانكليز في الوصول الى الرميثة أثر حسن في نفس الجنرال هالدن الذي قال : « لقد سررت بنجاحنا في الوصول الى الرميثة ، لان الاوضاع كانت تهدد بالخطر في أماكن أخرى ، وان ما يقارب (٣٥) ألف رجل من القبائل كانوا يحملون السلاح ضد قواتنا ولعل هزيمة الثوار في الرميثة ستساعدنا على تنفس الصعداء ... »[٤] .

ويظهر أن تفاؤل الجنرال هالدن لم يكن في محله ، اذ أن الثوار في الرميثة لم ينهزموا واضطروه على سحب قواته من الرميثة في الحادي والعشرين من تموز . وقد كابدت القوات البريطانية مشقات كبيرة خلال انسحابها . فهاجمت جماعة من الثوار مؤخرة الجيش تحت ستار زوبعة

---

(١) Ibid, p. 86.

(٢) Op. cit, p. 88 — 8.

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٠٩ .

(٤) Op. cit, p. 88.

رملية فأحدثت فيها اضطرابا شديدا لفترة ، ولكن الموقف ما لبث أن تحسن ولم تتعرض القوات البريطانية لاخطار مهمـــة بعـــد ذلـك حتى وصلت الديوانية في (٢٥) تموز ١٩٢٠ •

وقد أصدر الثوار بلاغا حربيا عن حرب الرميثة (الابيض) رأينـا أن نذكره هنا لاهمية هذه الجبهة أولا ، ولاختلاف الرواة عن المعـارك التي دارت فيها ثانيا •

القتال في الابيض (الرميثة)

ان أول عمل حربي قامت به عشائر السماوة والابيض قطع مواصلات الانكليز البرقية وقلع السكة الحديد • فقد نسفت ثلاثـــة جسور كانت ضرورية لمرور القطار وردمت جملة قناطر ، وقد قضى الانكليز في بنـاء جسر واحد من تلك الجسور وهو المعروف « بجسر العمية » ثلاثة شهور كاملة فانقطع سفر القطر بين البصرة وبغداد وقاتل الناهضون الجند الذي كان يحرس السكة الحديد في عدة مواطن على طرفي الخط واستولوا على مواقعهم فطلب حاكم الابيض نجدة من الديوانية فأنجد • ولمـــا وصلت أحرقت أحياء الغزاة من (الظوالم والبو حسان) وكانت خاليـــة الا من النساء والاطفال فهجم الناهضون على جند النجدة واستمر القتال ثـــلاث ساعات خسر الانكليز فيها خمسين جنديا وغنم الثوار خمسين بندقية و(٥) رشاشات وانسحبوا [الانكليز] الى بلـــدة الابيض وتحصنـوا في الدور وجعلوا يقتلون الابرياء الذين لا علاقة لهم بالحرب فقتلوا سبعين بريئـا بين نساء وأطفال ••• » •

ثم يشير البلاغ الى محاولات اجريت لعقد الهدنة ويقول ان العرب تمسكوا بشروطها ولكن الانكليز لم يتمسكوا بها • «وخرقها [الهدنة] الانكليز على عادتهم في كل العهود فجهزوا حملة كبيرة الى الابيض فلاقتها جموع العرب

وكبدتها خسائر عظيمة فقتلوا ثلاثمائة جندي وأصابوا غنائم كثيرة منهـــا ١٠٠ بندقية و ٧ رشاشات » .

المعركة الفاصلة وفوز العرب

« لما وصلت فلول الجيش المنكسر الى الديوانية جهز قائد الحركات العسكريـــة « فلكنهايم » [كوننغهام] جيشـــا مؤلفا من ســـتة آلاف جندي فرسانا ومشاة مجهزا ببطارية و ٩ طائرات وعسكر في « الحمزة » . ثم يشير البيان الى مفاوضات بين الزعماء والقائد الذي طالبهم بالطاعة فأجابوه بأن لا طاعة دون الحصول على استقلال العراق .

ثم يستطرد البيان « فلم يتريث « فلكنهايم » عن اجـــراء الحركات العسكرية فزحف بجنده الى الابيض وأحرق منازل بعض العرب وديـــار السادات الطالقانية واحياء بني عارض . فاستعرت نار الحرب بين الناهضين وبين جنود أمير اللواء « فلكنهايم » ودامت مستمرة يومين وقد انتهت بفوز العرب وانكسار أعدائهم انكسارا فاحشا فولوا مسافة (٥) ساعات فاريـــن على أعقابهم وأحاط المجاهدون بهم وحصروهم في [مدين] وقطعوا خط رجعتهم وتؤكد الاخبـــار بأن عرب الابيض استولت عليهم ولـــم يفلت منهم[١] أحد .

أما الغنائم فقد كانت (٣٠) رشاشا وألفي بندقية عدا الخيل والبغـال والذخيرة التي لم يتمكن الغزاة من نقلها الى الان . أما شهداؤنا فلم يتجاوز عددهم ١٠٠ شهيد » . وكان البلاغ سالف الذكر مؤرخا في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ .

---

(١) يظهر ان هناك مبالغة وقلة تدقيق في البلاغ اذ ان المصـــادر الانكليزية والعربية التي أشرنا اليها سابقا لا تؤيد هذه النقطة .

ثانيا ـ جبهة أبو صخير والشامية والكفل[1] :

كان رؤساء القبائل في الشامية والمناطق المجاورة من أكثر رؤساء القبائل العراقية اهتماما بالامور السياسية ، وذلك لقربهم من النجف التي كانت حينذاك من أشهر مراكز الحركة الوطنية من جهة ، ولصلة بعضهم ببغداد وانخراطهم في الجمعيات السياسية من جهة أخرى • ويقول الشيخ رضا الشبيبي : « كان قادة الرأي في النجف وسقي الفرات القريبة منها لا يعرفون معنى للراحة في مقاومة الاحتلال وسياسة المحتلين ••• »[2] •

---

(١) كانت هذه المنطقة قبيل قيام الثورة من أغنى مناطق العراق • وقد جاء على الص ٦٣ من الجزء الاول من مجموعة التقارير الرسمية لسنة ١٩١٨ Reports ان المناطق الفراتية الواقعة بين الكوفة وقرية الطرمة على فرع المشخاب ، وبين قرية أبو شورة والحزم على فرع غماس تعد حديقة العراق • يضاف الى ذلك أن المنطقة الفراتية الواقعة جنوب الحميدية وأبو صخير تعد أفضل منطقة لزرع الرز في العراق • وكانت منطقة الشامية هذه متكاثفة السكان ويعود ذلك ، فضلا عن خصبها ، الى أن جفاف فرع الحلة في بداية هذا القرن جعل السكان يهاجرون من أعالي فرعي الفرات المعروفين بفرعي الحلة والهندية الى منطقة الشامية • ويقول التقرير سالف الذكر : « ان ثراء الشامية السريع ، وبعدها عن بغداد ، وقربها من النجف حيث تحاك المؤامرات ساعدوا على وجود شعور بالاستقلال والثقة بالنفس لدى شيوخ القبائل في الشامية ، أولئك الشيوخ الذين كانوا مبعث خوف وقنوط للحكومة العثمانية » •

وفي (١٥) نيسان أجبر النجفيون الاتراك على اخلاء النجف وتلتهم قبائل الشامية • ومنذ هذا التاريخ حتى بداية سنة ١٩١٨ ، وهي الفترة التي أعقبت زوال الاتراك وقدوم الانكليز ، استطاع شيوخ القبائل في الشامية أن يوسعوا سلطتهم الى درجة كبيرة • وقد تذوقوا خلال هذه الفترة طعم الاستقلال التام والحرية الكاملة ، كما امتنعوا عن دفع الضرائب • ان الحالة التي وصفناها جعلت منطقة الشامية من أكثر مناطق العراق تذمرا من الحكم البريطاني ، ومن أسرع القبائل تلبية لنداء الوطن عندما شبت نار الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ •

(٢) الايام ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ •

وقد عقد رؤساء الشاميـــة في ٢٩ حـزيران ١٩٢٠ مؤتمـــرا في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر حضره، فضلا عن كبار الرؤساء، جماعة من المشتغلين في السياسة • وكان خطيب المؤتمر السيد محمد باقر الحلي الذي قـــدم لخطابه بأبيات من الشعر :

بني يعرب لا تأمنـــوا للعـــدى مكـرا
خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون فيـــكم بالوعـــود مكيـــدة
ويبغون ان حانت بكم فرصـــة غـدرا
فلا يخدعنـــكم لينهم وتذكـــروا
أضاليلهم في الهند والـكذب في مصـــرا

ثم قال يا معشر خزاعة ان لمحمد عليكم دنيا حين قال، حينما ضرب أحلاف قريش أحد الخزاعيين : « لا نصرني ربي ان لم أنصر خزاعـة » ومحمد اليوم في حاجة الى نصرتكم فهل تفون اليوم دينه • فقام ســـلمان العبطان، رئيس الخزاعل، وجرد سيفه، وهزه في وجه الخطيب، وقام الجميع فهوسوا « بس لا يتعلگ بامريكه » فكانت صرخـة هـــاج لهـــا الحاضرون[1] • وكان من نتائج انعقاد هذا المؤتمر أن نشب القتـــال بين القوات الانكليزية والثوار في هذه المنطقة، خاصة بعد أن فشلت محاولة للصلح قام بها حاكم المنطقة الميجر نور بري P. F. Norbury • وقد سبق أن أشرنا الى المطاليب التي تقدم بها الثوار لنوربري ومنها طلب الاستقلال التام للعراق •

وقد رفعت راية الثورة في هذه المنطقة في ١١ تموز سنة ١٩٢٠ فخرج السيد علوان الياسري بجموعه وانضم اليه الشيخ عبدالواحد الحاج سكر فضربوا نطاق الحصار على حامية أبي صخير، وقد أرسلت الحكومة باخرة

(١) الحسني، الثورة، ص ١٠٧ •

لانقاذ الحامية التي حاصرت بدار الحكومة ولكن الثوار اضطروها على الهرب • ثم أبقى الثوار جماعة من قواتهم حول أبي صخير وتقدموا نحو الكوفة ورابطوا حولها • وكان حاكم الحميدية الكابتن مان Mann يسعى لتشتيت قبائل منطقته بتوزيع الوعود والمال فسافر الحاج عبدالواحد والسيد علوان لتلك المنطقة ووفقا لحمل قبائل الحميدية على نصح الحاكم المذكور بالانسحاب وقد انسحب فعلا فوصل الكوفة بحراسة بعض زعماء القبائل(١) •

هدنة الكوفة :

لقد عرض الميجر نور بري على الرؤساء أن يدخلوا معه في مفاوضات حول فك الحصار عن حامية أبي صخير فقبلوا هذا العرض ، شريطة أن يشترك وفد النجف والشامية في المفاوضات • فقبل نوربري وأحضر الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري من النجف لهذا الغرض •

ويحدثنا الشيخ رضا الشبيبي عن هذا الاجتماع فيقول : انه حصل « بعد اندلاع الثورة في الرميثة وأبي صخير والشامية والكوفة ••• وكان غرض الانكليز منه المداولة مع قادة الرأي العام في النجف وزعماء الثورة في الافراج عن حامية أبي صخير الكبيرة التي تعد أكثر من ثلثمائة جندي وضابط المحصورة هناك ، ثم ايقاف رحى الحرب الى فترة موقتة ، استهل الماجور نوربري هذا المؤتمر بكلمة جاء فيها : (منذ مدة وأنا أود الاجتماع بكم حيث ان حكومتي لا ترغب في سحق الحريات ، وانها عازمة على اعطاء العراق حقه دون حاجة الى اراقة الدماء ، والان أرجوكم أن تعلموني بما تريدون) » • فقال الشيخ عبدالكريم الجزائري مخاطبا الحاكم : « وأما قولك ان حكومتك لا ترغب في سحق الحريات فهذا قد يكون صحيحا ولكن في غير هذه البلاد ، وأما في بلادنا فاننا نراها قد تحاملت على الامة

---

(١) البصير ، ج١ ، ص ٢١٦–٢١٧ •

وخنقت حرياتها في أقوالها وأعمالها ، وحسبك دليلا على ذلك ما فعلته بأحرار الديوانية والحلة وكربلاء وبغداد وبعقوبة من قتل الابرياء وشنقهم لمجرد مطالبتهم بحقوقهم أو نفيهم الى خارج العراق ، فما هو معنى سحق الحريات وامتهان الكرامات أكثر من هذا » ؟! • ويستمر الشبيبي بحديثه فيقول : يظهر « ان الشيخ [الجزائري] ••• كان يقصد شنق من شنق من أحرار بغداد ومقتل من قتل وجرح من جرح في مظاهرات بغداد ••• ونفي أحرار البلاد الى جزيرة هنجام » • وقد أسفر اجتماع الكوفة عن تحرير اتفاقية وقع عليها الطرفان « وقد نصت بعض موادها على الافـراج عن أحرار العراق المنفيين والمعتقلين ، وايقاف رحى القتـال في الرميثة ، واجلاء الحكام السياسيين من البريطانيين عن مناطق الفرات وغيرها ليتسنى اجراء الاستفتاء والمفاوضات مع السلطات البريطانية على أساس منح البلاد حريتها واستقلالها ••• » وتعهد رؤساء القبائل في فك الحصار عن حامية أبي صخير • « ويلاحظ أن الجانب العراقي كان وفيا بعهوده فأخرجوا الحامية وفكوا الحصار عنها حتى اشتركت في مقاتلة الثوار بعد ذلك ، أما الانكليز فانهم نكثوا بعهودهم ولم يفوا بمواثيقهم التي وقعوا عليها في هذه الاتفاقية التي جرى التوقيع عليها في يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨هـ ، وأواخر حزيران[١] سنة ١٩٢٠ »[٢] •

أما رواية هالدن عن هدنة الكوفة فتقول : « شعر الحاكم السياسي [نوربري] بأن عملية الانسحاب من أبي صخير محفوفة بالمخاطر ، لـذا اتفق مع القبائل على أن تنسحب الحامية دون أن يمسوها بأذى ، وبعـد

---

(١) **لا يطابق التاريخ الميلادي التاريخ الهجري ، كما ورد في رواية الشبيبي ويظهر ان التاريخ الميلادي قد ورد خطأ لان الثورة بدأت في منطقة أبي صخير في ١١ تموز ، وجرت المفاوضات بعد قيامها وحينئذ تكون قد جرت حوالى منتصف تموز ، ويطابق هذا التاريخ التاريخ الهجري •**

(٢) الايام ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ايلول ١٩٦٢ •

مرور يومين على تاريخ الانسحاب ، هاجم الثوار عدة زوارق كانت تحمل المعدات الى حامية الكوفة »[1] . ومن هذا يظهر ان الجنرال هالدن لا يعد الترتيبات التي تم الاتفاق عليها بين الثوار ونوربري اتفاقا ملزما ، مع أن المصادر العربية تكاد تجمع على وجود اتفاق نقضه الانكليز بعد أن سبق لهم أن وافقوا عليه[2] . ويظهر ان الثوار بحثوا امورا سياسية مع جهة غير مختصة . أما فيما يتعلق بالثوار بعد نقض الاتفاقية ، فانهم شددوا الحصار على حامية الكوفة وتوجه قسم منهم لمهاجمة الكفل . وقد سبق للحكومة ان انسحبت من النجف في اليوم الثامن من تموز سنة ١٩٢٠[3] .

وبعد أن تحررت النجف تأسست فيها ادارة مدنية . فعين السيد نور الياسري قائممقاما للنجف تعاونه في ادارة المدينة أربعة مجالس : **(١)** المجلس البلدي[4] **(٢)** مجلس الادارة[5] **(٣)** مجلس التنفيذ[6] **(٤)** المجلس العلمي . وكان أعضاؤه : الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ

---

(١) Op. cit, p. 178.

(٢) **الحسني ، الثورة ، ص ١١٠-١١١ ؛ آلبصير ن.م ، ج١ ، ص ٢١٧ ؛ فرعون ، ن.م ، ج١ ، ص ٢١٦ ؛ سعيد ، أمين ، ن.م ، ج٢ ، ص ٦٢ .**

(٣) Haldane, Op. cit, p. 178.

(٤) **كان أعضاء المجلس البلدي : الحاج عبدالرزاق شمسه ، والحاج عباس شمسه ، والسيد سعيد كمال الدين ، وحسين الظاهر ، وكردي أبو كلل .**

(٥) **أما أعضاء مجلس الادارة فهم : السيد مهدي السيد سلمان ، والشيخ جواد صاحب الجواهر ، والحاج محسن شلاش .**

(٦) **وكان أعضاء المجلس التنفيذي : السيد علي جريو ، والسيد مهدي السيد سلمان ، وغيدان عدوه ، والحاج حسون شربه ، والحاج عبدالله الحاج حمادي ، وكردي أبو كلل ، وحسين الظاهر ، والحاج محمد الشرباوي .**

علي مانع ، والشيخ عبدالكريم الجزائري ، والسيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ اسحق الشيخ حبيب الله ، والشيخ موسى تقي زاير ادهام ، والسيد محمد رضا الصافي ، والشيخ علي الحلي ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، والسيد علي السيد حسين ، والشيخ مشكور الحولاوي ، والشيخ أحمد الملا كاظم الاخوند . وكان رئيس المجلس العلمي المجتهد شيخ الشريعة الاصفهاني .

وكانت وظائف المجلس الاول تتعلق بشؤون بلدية النجف بما فيها جمع الرسوم والضرائب وتنظيم شؤون الصحة . أما اختصاصات مجلس الادارة فكانت تتعلق بانتقاء الموظفين والشرطة والنظر في الدعاوى ومراقبة حسابات المجلس البلدي . كما يقوم بتموين الثوار عند الطلب . وكانت اختصاصات مجلس التنفيذ حفظ الامن ، وتجهيز المتطوعين وتسفيرهم لساحات القتال .

أما المجلس العلمي فلم تكن اختصاصاته محلية ، بل كان بمثابة مجلس استشاري تنفيذي أعلى للثورة ، وعليه تعرض أهم لقضايا التي تتعلق بسياسة الثورة العامة سواء في النجف أو في خارجها(١) . وبالاضافة الى ذلك كان للثورة جماعة ارشاد ودعاوة تشرف على اصدر المناشير والبلاغات الحربية كما تشرف على صحافة الثورة . ومن أشهر أعضاء هذه الجماعة الشيخ باقر الشبيبي(٢) المشرف على جريدة « الفرات » . ومن العاملين بها السيد محمد عبدالحسين المحامي صاحب جريدة « الاستقلال »

---

(١) فرعون ، فريق ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٠٩-٢١٠ .

(٢) محبوبة ، جعفر ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٦٧ . لقد وردت في كتاب محبوبة سالف الذكر معلومات عن حكومة النجف المحلية ، وعن أسماء بعض المشتغلين بها لم ترد في بعض المصادر التي استقيت معلوماتي منها . كما انه أشار الى وجود هيئة خاصة بشؤون أسرى الانكليز الذين بلغ عددهم (١٦٠) أسيرا .

والسيد محمد علي كمال الدين وآخرون ٠

معركة الرستمية[١] :

سبق أن أشرنا الى أن قسما من الثوار تركوا الحامية الانكليزية محاصرة في الكوفة وتوجهوا نحو الكفل فاحتلوه في يوم ٢٢ تموز ١٩٢٠٠ وأصبح الكفل من مراكز الثورة المهمة ٠ وكان السيد علوان الياسري والحاج عبدالواحد الحاج سكر أبرز قادة الثوار في هذه المنطقة٠ وقد وردت عليهما أخبار تفيد بأن قوة انكليزية صغيرة قدمت للاستطلاع الى جهات الكفل ، ولم تشر الاخبار الى وجود قوة كبيرة كانت تزحف نحو الكفل[٢]٠ ووصف لنا هالدن كيفية ارسال هذه القوات وبين الغاية التي أرسلت من أجلها فيقول : « كان قطار الكفل عرضة لهجمات الثوار بصورة مستمرة ٠ وفي اليوم الـ ٢٣ من تموز هاجم الثوار محطة الكفل وقبضوا على موظفيها الامر الذي حملنا على اعادة القطار المتوجه نحو الكفل الى مقره في الحلة ، ولكن الثوار ما لبثوا أن خربوا الخط ٠ أما الكوفة فكانت مطوقة لثلاثة أيام خلت ٠ وفي ضوء هذه الاحوال طلبت من قائد الفرقة السابعة عشر أن يعزز قواته ويزحف نحو الكفل »[٣] ٠ وكان الميجر بولي Pulley حاكم الحلة السياسى يلح على القوة الانكليزية بسرعة التقدم لئلا يحتل الثوار سدة الهندية فيكون أمر الفرات ، وانقاص المياه فيه ، وتعطيل الحركات النهرية ، بيدهم فيصعب على القوات الانكليزية الاستفادة من هذا

---

(١) الرستمية اسم مقاطعة زراعية واسعة تقع بين الحلة و «الكفل» فتبعد عن الاولى ١٨ كيلومترا وعن الثانية ١٢ كيلومترا ٠ تبلغ مساحتها زهاء (٤٠٠٠) دونم وتخترقها جداول كثيرة ، تتشعب من نهر « الشاه » الخارج من عمود الفرات ـ فرع الحلة ٠

(٢) البصير ، ج١ ، ص ٢١٨ ٠

(٣) Op. cit, p. 92.

الخط الحيوي[١] •

تحركت القوة الانكليزية التي عرفت بفرقة منجستر نحو الكفل بقيادة هارد كسل R. N. Hard Castle • وقد زود بأوامر حددت المكان الذي سيقف به عند المبيت وحذر من الاسراع نحو الكفل رغبة في تعزيزه بنجدات قادمة من الديوانية • ومع هذا فقد جدد الحاكم السياسى في الحلة ضغطه على القائد ، وطلب منه أن يسرع بالتقدم نحو الكفل للاسباب التي بينها سابقا ، فنجح مسعاه في هذه المرة فصدرت الاوامر الى القائد بالتقدم •

وقد طلبت السلطات البريطانية في الحلة من الشيخ ابراهيم السماوي رئيس خفاجة ان يصحب الجيش الزاحف نحو الكفل • وعندما عسكر الجيش قرب الرستمية ، أذن قائده للشيخ ابراهيم أن يمضي ليلته في بيته الذي أصبح على مقربة من معسكر الجيش • وقد عاد الشيخ في اليوم التالى الى المعسكر ولكنه تركه قبيل هجوم الثوار عليه • وبعد نهاية الثورة حكم على الشيخ السماوي بالاعدام بتهمة اشتراكه مع الثوار بالهجوم على القوات الانكليزية[٢] • وقد بحث الجنرال هالدن[٣] قصة السماوي وأشار الى حكمه بالاعدام ، ولكنه يعتقد ان الدليل ضده ناقص •

وأفادت خيالة الاستكشاف بأن الثوار يزحفون من ناحية الكفل في الساعة الخامسة والربع بعد الظهر ، وكان عددهم لا يزيد على الثلاثة آلاف ، رغم ان بعض التقديرات توصل هذا العدد الى العشرة آلاف مقاتل • وحالما اقترب الثوار أطلقت عليهم مدفعية الجيش نيرانها ، ولكنهم واصلوا تقدمهم ورابطوا على بعد (١٥٠) ياردة من المعسكر[٤] • وقد شرع

(١) الحسني ، الثورة ، ص ١٣٩ •

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ١٤٠ •

(٣) Op. cit, p. 96 — 7.

(٤) Ibid, p. 100.

تبادل اطلاق النار بين الفريقين حوالى الساعة (٧) و (٥٠) دقيقة بعد الظهر • واقترح معاونا الحاكم السياسى اللذين كانا يصحبان الجيش على القائد أن ينسحب الى الحلة ، لان القوة ان أمضت ليلتها في معسكرها يكون من المحتمل أن ينضم العرب بين منطقة الرستمية والحلة الى الثوار وربما هاجموا الحلة واحتلوها • وقد عقد قائد قوة منجستر مجلسا للحرب لمناقشة الوضع فأسفر اجتماعهم عن ضرورة الانسحاب • وأورد الجنرال هالدن تفصيلات عن خطة الانسحاب وحراسة المواصلات[١] • وبعد مدة من الشروع بالانسحاب بدأت طلائع الهزيمة تظهر على القوات المنسحبة • وأخذت عجلات العربات ترتطم بالجنود الذين انقسموا الى جماعات صغيرة ، بينما أخذ الثوار يثيرون الذعر في حيوانات النقل ويهجمون على سائقيها بالخناجر • وقد أثر الظلام ، وسوء التنظيم في فرقة منجستر ، فجعلها تظل الطريق ولم تهتد له الا بعد طلوع الشمس • ووقع الذين ظلوا الطريق بيد الثوار فقتلوا بعضهم وأسروا الاخرين • يضاف الى ذلك ان نيران الثوار قد أدت الى خسائر جسيمة في الخيول الامر الذي أعاق سير الفرسان •

ويقول الجنرال هالدن : « ان خسائرنا قد بلغت عشرين قتيلا وستين جريحا وثلثمائة وثمانية عشر مفقودا ، وكثيرا من الحيوانات والعجلات • وتبين أن من بين المفقودين (٧٩) جنديا وضابطا انكليزيا و (٨١) هنديا وقعوا أسرى بيد العرب • ويظهر من هذا أن عدد القتلى في الرابع والعشرين من تموز ينقص قليلا عن الـ ٢٠٠ قتيل • وفضلا عن ذلك فقد خسرنا مدفعا من عيار (١٨) عقدة »[٢] •

---

(١) Op. cit, p. 101.

(٢) Ibid, p. 102.

هذا ملخص ما أورده هالدن عن موقعة الرستمية التي أطلق عليها فاجعة قوة منجستر .

ويظهر ان هذه المعركة كانت ذات أهمية بالغة في نفوس السلطات البريطانية ، فكتبت المس بيل في ٢ آب ١٩٢٠ ، أي بعد وقوع معركة الرستمية تقول : « لا أستطيع التكهن الان عما سيحدث في المستقبل القريب ، اذ أن حادثة كحادثة أبناء منجستر The Manchesters ستجلب فورا قبائل دجلة الى حدود بغداد . ان الوضع خطر ، ويمكن أن يصبح أكثر خطورة اذا ما حدث أي تمرجح في الميزان »[١] .

هذا أهم ما ورد عن معركة الرستمية في المصادر الانكليزية . أما المصادر العربية فقد أوردت تفصيلات وافية عنها . فيقول الحسني : « ان الحاج مرزوگ العواد رئيس العوابد ، ما كاد يسمع أزيز الرصاص يشنف الاسماع ، ويرى الجيش مشتبكا مع الثوار ، حتى قام بحركة التفاف جد خطيرة . فأصبح « الرتل » بين نارين حاميتين ، وقد أظهر في حركة الالتفاف هذه ، وفي الفنون الحربية ، والتفنن في القتال ما حير عقول الانكليز وقادتهم ، وجعلهم يعتقدون ان الثوار يدارون من قبل ضباط أتراك وهو اعتقاد باطل فندناه في موضع آخر ... وقد بالغ الثوار في تقدير خسارة الانكليز في هذه الموقعة حتى زعموا انها تجاوزت الـ (٨٠٠) بين قتيل وجريح وأسير »[٢] . أما البصير فيقول على لسان الثوار عن هذه المعركة : « ان الفئة التي قدرت لها السلامة من تلك القوة كانت قليلة جدا ، كما انهم يقولون ان خسارتهم لم تتجاوز العشرين رجلا ... »[٣] . وقد أورد الشيخ فريق الفرعون تفصيلات وافية عن

(١) The Letters, II, p. 401.

(٢) الثورة ، ص ١٤٠ .

(٣) القضية العراقية ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

هذه المعركة ورسم خريطة لساحة المعركة ، ثم قال ان الثوار التحموا « من الجهات الثلاث مع الجيش حتى سكتت المدافع والرشاشات والبنـــادق ، وحل محلها الســـلاح الابيض والمقمع « المگوار » و « الفالـــة » في قلب الجيش فكانت ملحمة سجلها التاريخ بالفخر الشديد للشجاعة التي أبداها الثوار ، أسفرت عن هزيمة الباقي على قيد الحياة من أفراد الجيش بعد أن تركوا خلفهم ما يزيد على الالف قتيل معظمهم من الانكليز ، وغنموا اثنين وسبعين رشاشا ... ان الثوار غنموا كل ما كان بمعية الجيش حتى الخيام لان الذين بقوا على قيد الحياة هربوا للنجاة بأنفسهم ، وأهم ما حصل عليه الثوار مدفع من عيار (١٨) بوند »[١] .

هذا ما أورده الذين كتبوا عن الثورة . ولكني بالاضافة الى ذلـــك عثرت على البلاغ الحربي الذي أصدره الثوار عن هذه المعركة واليـــك هذا البلاغ :

من معسكر الجيش العربي في الكفل ٨ ذي القعدة ١٣٣٨هـ . الظفر في الكفل . (١٦٠٠) قتيل وأسير . اغتنام ٢٦ رشاشا[٢] ومدفع صحري .

زحف الناهضون من الكوفة والشامية بعد تطويق الكوفة الى اسقاط الحلة ، فوصلت طلائع الجيش العربي الباسل الى الكفـــل ... فجـرد الانكليز حملة مؤلفة من ألف وستمائة جندي مشاة وفرسانا لمواقعة الجيش الناهض واذ قاربت الحملة « الرارنجيـــة » [الرستمية] نزلت فحفرت خنادقها ... فاشتبك القتال ... وقد انتهت الحرب بظفر العرب ولـــم ينجو من الحملة الانكليزية أحد فوقعت بين القتل والاســـر ... ومـن الغنائم ٢٦ رشاشا ... ومدفع كبير ...

النجف ٩ ذي القعدة ١٣٣٨هـ

---

(١) حقائق ، ج١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .
(٢) يقصد مدافع رشاشة .

ومن الملاحظ ان المبالغة ظاهرة في هذا البلاغ .

وقد ورد ذكر معركة الرستمية (الرارنجية) في الشعر الشعبي فقال الشيخ علي البازي :

اوعلى الرارنجيه انشــــد من تمر
بيهـــا من راوه العــــده انجوم الظهر
منها غطها[1] اويه العشه اوگبل الفجر
گضت والجيش اوســـرو قـــواده
اوفاتح[2] النهرين منهـــو اليســـره
وبيوم يوم الكوفـــــة كســـر منوره
خــــل يجـــي الكوفــــه يشوفه المادره
اويعرف اشصار وسده اعلى اجناده[3]

وقال أحد أبطال الرارنجية ، الحاج مرزوگ العواد هوسه ، يخاطب بها الجيش البريطاني :

ودّوه[4] يبلعنا اوغص بينـــا

وخاطب أحدهم الحاج عبدالواحد بهوسه مشيرا الى المدفع الـــذي أسره الثوار فقال :

جبنالك مدفـــع يا هيبـــه[5]

ويظهر من كل ما تقدم عن معركة الرستمية ان المصادر العربيـــة

---

(١) هجم عليها .
(٢) يريد به المدفع الذي مهد لجيوش الاحتلال فتح بلاد ما بـين النهرين .
(٣) الخاقاني ، الناشر ، ن.م ، ص ١٢ .
(٤) أي ارسل الانكليز الجيش ليقضي علينا ولكنه فشل .
(٥) فريق ، ن.م ، ج١ ، ص ٢٣٤ .

والانكليزية كانت تختلف اختلافا كبيرا في تقدير الخسائر التي تكبدها الجيش البريطاني • فالكتاب الانكليز الذين كتبوا عن الثورة حاولوا تقليل الخسائر ، كما بالغ الكتاب العرب في تقدير هذه الخسائر ولهذا أصبح من الصعب على الباحث أن يعطي رأيا قاطعا في قضية كهذه • ومع هذا فانني الحظ المبالغة بين سطور البلاغ العسكري الذي أصدره الثوار ، اذ انه يشير الى ان عدد الجيش الانكليزي كان «١٦٠٠» جندي وضابط ، ثم يقول ان جميع أفراد الجيش كانوا بين أسير وقتيل • أما الرواية الانكليزية فميها نظر أيضا ، اذ ان الجنرال هالدن يقول ان الجيش قد ظل الطريق ولم يهتد له الا بعد طلوع الشمس ، وكان الثوار محيطين به ويتعقبونه ، فمن المحتمل انهم أوقعوا به خسائر أكثر بكثير مما دونته المصادر الانكليزية •

حركات الثوار في الحلة :

تقع الحلة على بعد ١٠٤ كيلومترات جنوب بغداد ، وتصلها بها سكة الحديد الممتدة بينها وبين البصرة • وتبلغ نفوس الحلة حوالى ٣٥٠٠٠ر نسمة • ومن أهم العشائر المحيطة بها قبائل الجبور ، والبو سلطان ، وخفاجة ، وطفيل ، وآل يسار ، وبعض أفخاذ قبيلة آل فتلة • وبعد أن ربح الثوار معركة الرستمية (الرارنجية) توجهوا نحو الحلة ، ولما اقتربوا منها أخذت الحكومة تدابير احتياطية[١] صارمة ، قيدت بموجبها حركات السكان ، ومنعت التجوال بعد المساء • ولم يبدأ الثوار هجومهم على الحلة ، رغبة في اكمال استعداداتهم من جهة ، واحتلال المناطق المجاورة من جهة أخرى • وفي ٢٧ تموز ، ١١ ذي القعدة عبرت جماعة من الثوار نهر الفرات بعد ان احتلت قصبة طويريج • كما هاجمت جماعة منهم في ليلة ٢٧ و ٢٨ تموز مدينة الحلة ولكن لقوات الانكليزية صدت هجماتهم•

(١) Haldane, Op. cit, p. 125.

وقد اتجهت جماعة أخرى منهم فاحتلت سدة الهندية دون مقاومة •

وفي اليوم الاول من آب تمكن الثوار ، حوالى الساعة الرابعة صباحا ، من دخول القسم الجنوبي من مدينة الحلة ، وأخذ اطلاق النار ينبعث من جوانب المدينة ، خاصة بعد ان انسحبت القوات الانكليزية التي كانت عرضة للهجوم • وبعد فترة وصلت نجدة للمنطقة التي دخل فيها الثوار فتمكنت من صد المهاجمين • ويظهر أن سكان المدينة كانوا متواطئين مع الثوار[١] • ويقدر هالدن خسارة الثوار بمائة وخمسين قتيلا • ويقول الدكتور البصير ان عددا من الثوار دخلوا مدينة الحلة فصاروا بحيث لا يمكنهم الخروج من البلدة فآواهم السكان في منازلهم ، واستخدموا الحيل في اخراجهم فكتبت السلامة لهم ولم يفقد منهم رجل واحد[٢] •

ويورد الحسني وفرعون تفصيلات عن استعداد الثوار للهجوم على الحلة ، وكيف انهم عقدوا اتفاقا فيما بينهم على أن يهجموا عليها من ثلاث جهات وفق خطة معينة ، ولكن هذه الخطة لم تنفذ ، اذ هجمت جماعة من الثوار وتأخر الاخرون • وكان الاخلال بالاتفاق من قبل بعض الثوار سببا في فشل الهجوم على الحلة[٣] •

ويظهر أن فشل الاتفاق لم يكن السبب الوحيد في فشل الهجوم على الحلة ، بل ان استعداد القوات الانكليزية للدفاع عن الحلة رغبة منها في ازالة أثر نكبة موقعة الرارنجية ، ووصول مدد لها من ما وراء البحار ، وعدم اخلاص بعض القبائل المجاورة للحلة كقبيلة البو سلطان ، كانت كلها عوامل أثرت في فشل الثوار في احتلال الحلة • ويقول هالدن :

---

(١) Ibid, p. 127.

(٢) القضية العراقية ، ج١ ، ص ٢٢٣ •

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ١٤٢ ؛ وفرعون ، ن•م ، ج١ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ •

« لقد زال قلقي حول الحلة عندما علمت ان حاميتها قوية • ورغبة مني في تقوية معنوية الجند التي تسرب لها بعض الوهن بعد ما حصل في اليوم الرابع والعشرين من تموز [يقصد معركة الرستمية] أمرت بتقوية وسائل الدفاع فيها • ومن حسن الحظ ان قطارا يحمل المؤن قد وصل قبل ان يقوم الثوار بهجومهم »[١] • يضاف الى ذلك ان هالدن يحدثنا عن قوة قدرها حوالى (١٧ر٦٧٦) بين جندي وضابط ، كانت قد وصلت اليه من ما وراء البحار قبل نهاية تموز[٢] ، أي قبل الهجوم على الحلة •

أما موقف البو سلطان وتأثيره في فشل الهجوم على الحلة فيظهر من رسالة أرسلها السيد علوان الياسري للامام الشيرازي الذي آلمه تقهقر الثوار في الحلة فأرسل السيد هبة الدين الحسيني للوقوف على جلية الامر • يقول السيد علوان : « أما حالتنا الحاضرة فكما يحب الله وتحبون ، وان مصادمة الجيش العربي مع القوة المعادية في الحلة ليست أخبارها كما بلغتكم ••• وهاك حقيقتها : مولاي ـ وردتنا مكاتيب من البو سلطان تريد الهجوم على الحلة ••• وطبق خطتهم أن يكون هجومهم مما يليهم ويكون هجومنا مما يلينا حتى يكون الهجوم عموميا والظفر من الله ، وبعد هذا الترتيب نحشد جيوشنا للهجوم ، ولكن ويا للاسف ، ان الوضعية من البو سلطان تغيرت من دون اشعارنا ••• »[٣] •

الحالة العسكرية في منطقة سدة الهندية :

توجهت جموع الثوار نحو سدة الهندية برئاسة السيد علوان الياسري والحاج عبدالواحد والحاج مرزوگ العواد والحاج رايح العطية

---

(١) Op. cit, p. 127.

(٢) Ibid, p. 107.

(٣) الفرعون ، فريق ، ج١ ، ص ٢٧٠ •

وعلوان الحاج سعدون نحو سدة الهندية ، ذات المركز العسكري المهم ، فاحتلتها ، وأوكلت أمر المحافظة على السدة وتوزيع المياه فيها الى القبائل المجاورة • ولكن الجيوش الانكليزية هجمت على المسيب واحتلته بعد معارك دامية ، وتقدمت نحو سدة الهندية وأعادت احتلالها • وكان لتقاعس القبائل المجاورة في المحافظة على سدة الهندية من الاغلاط العسكرية المهمة • وبعد أن احتل الانكليز السدة أخذوا يهاجمون كربلاء ، ولكن جموع الثوار تصدت لهم بقيادة عبدالكاظم الحاج سكر فردتهم على أعقابهم بعد أن خسروا (١٢٠) قتيلا وكبدوا الثوار (٨٢) قتيلا[١] • وبقيت الحرب سجالا بين الفريقين حول منطقة السدة طوال مدة الثورة • واتخذ الثوار من الوند مركزا رئيسا لحركاتهم •

الوضع العسكري في الكوفة :

سبق أن أشرنا الى اخلال الجهات البريطانية بهدنة الكوفة التي عقدوها مع الثوار بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨هـ ، وبعد ذلك تحصنت الحامية الانكليزية بمدينة الكوفة وبنت لها استحكامات قوية لتقيها هجمات الثوار • أما الثوار فقد عهدوا الى قبيلة بني حسن حصار هذه الحامية ومنع الطعام عنها حتى تذعن للاستسلام • وقد علق كلا الطرفين المتحاربين أهمية كبيرة على مصير هذه الحامية • وعمدت السلطات الانكليزية الى مختلف الوسائل لفك الحصار عن حامية الكوفة ولكنها فشلت • كما عمل الثوار كل ما بوسعهم لاجبار الحامية على التسليم ولكنهم فشلوا • وذلك لان السلطات البريطانية كانت تمونها من الجو برمي أكياس الدقيق والادوية عليها • وكان الثوار قد غنموا مدفعا من الانكليز في معركة الرستمية من عيار (١٨) عقدة • وقد نقل المدفع مع قذائفه الى منطقة الكوفة وسلم الى الحاج علوان الحاج سعدون ، قائد الثوار في تلك الجبهة •

---

(١) الفرعون ، فريق ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٧٤–٢٧٧ •

وكان هذا المدفع غير صالح للاستعمال ، اذ ينقصه المغلاق (الابرة) حيث انتزعها البريطانيون قبل أن يتركوا المدفع في الميدان • وقد استطاع الثوار أن يحصلوا على ابرة عن طريق أحد الجنود الهنـود من المعسـكرات الانكليزية • ويروي علي البازركان تفصيلات عن كيفيـة حصول الثوار على الابرة وعن استعانتهم بالحدادين المحليين لتثبيتها[1] • وقد تمكنـوا بواسطته من اغراق الباخرة فاير فلاي في ١٧ آب ١٩٢٠ فاستراح الثوار من شرورها لانها كانت مجهزة بمدفعين واثني عشـر رشاشا[2] • وقال الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي[3] بهذه المناسبة :

وفاتـح النهرين[4] منهـو اليسـره

اوبيوم يوم الكوفـه كسـر منوره[5]

وبعد ان حطمت الباخرة فاير فلاي لجأت السلطات البريطانيـة الى سلاحها الجوي لحماية قواتها المحاصرة في الكوفة • وكان تأثير الطائرات بليغا لان الثوار لا يملكون اسلحة لمقاومتها • وكانت هذه الطيارات «تصب حممها على الجموع ، غير مبالية بما يكون تحتها من مساجد او معابد ، او نساك ، او زهاد ، او اطفال ، او ارامل ، ولعل افجع ما قامت به ، القاؤها القنابل على النساك والمتعبدين في مسجد الكوفة في يوم ٨ ذي القعدة سنـة ١٣٣٨ »[6] •

وقد اشارت بلاغات الثوار العسكرية الى قضية اغراق الثوار للباخرة

---

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ١٥٢ـ١٥٣ •
(٢) الحسني ، الثورة ، ص ١٥٥ـ١٥٦ •
(٣) الخاقاني (الناشر) ، ن٠م ، ص ١٢ •
(٤) **يريد المدفع الذي مهد لجيوش الاحتلال فتح بلاد ما بـين** النهرين •
(٥) المنور : الباخرة العسكرية •
(٦) الحسني ، الثورة ، ص ١٥٦ •

فاير فلاي بما يأتي : قال البلاغ الصادر في النجف بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٣٣٨ تحت عنوان « بشارة » : « صبيحة هذا اليوم اطلق مدفعنا الضخم نيرانه على حصون العدو في الكوفة فتعطل القروازور [الباخرة] الراسي امام دار الحاكم المحصور واغرق ... » • وقال بلاغهم تحت عنوان « جنايات الطيارات » : « ظهر لنا من جملة حوادث ان الانكليز اعداء الابرياء والضعفاء فكم ازعجوهم واقلقوهم وكم فتكوا بهم واراقوا دماءهم ظلما وعدوانا فما انتهت فاجعة مسجد الكوفة حتى تجددت اخرى لا يقل تأثيرها عن الاولى فحلقت للعدو في (٢١) ذي القعدة طيارتان على بلدة (طويريج) فرمتا عليها ١٤ قنبلة (من القنابل المتوسطة) فاصابت ٤ منها عشرين عاجزا وبريئا ، نساء واطفالا ٨ جرحى و ١٢ قتيلا ، اما الست الباقية فقد سقط اثنان منها نحو الجسر ولم تصبه ، والاربع الاخرى حول بيوت الشيخ عمران وكاتبه فالى من نرفع هذه الاعمال المخالفة للقوانين الدولية •

ثالثا ــ جبهة الدغارة والديوانية :

كان معظم رؤساء عشائر عفك والدغارة ، وعلى رأسهم الحاج مخيف ، على صلة وثيقة بالعاملين في الحقل السياسي بكربلاء والنجف • وقد وصلت اخبار فتوى الامام الشيرازي لهذه المنطقة • وحدث ان وقعت احدى رسائل الشيخ الشيرازي بيد الحكومة في الديوانية ، كما وصل الى علم الحاكم ان العشائر يقيمون المظاهرات الوطنية ، فرأى الحاكم ان يحث مؤيدي سياسة الحكومة على توقيع مضبطة يؤيدون فيها استمرار الحكم البريطاني• وسبق ان ناقشت قضية هذه المضبطة في مكان اخر من هذا الكتاب • ويرى البصير ان هدف الحكومة من نشرها تخفيف حدة الوطنيين في بغداد ولكن عمل الحكومة لم يثمر لان الوطنيين كانوا على علم من امر المضبطة • وكان سجن الشيخ سعدون الرسن من بين التدابير التي لجأت

اليها السلطات البريطانية في الديوانية ، ولكنها عادت فاطلقته لان بقية الرؤساء امتنعوا عن مراجعة الحكومة • وصادف اطلاق الشيخ سعدون[1] الشروع في الثورة في الرميثة ، فذهب للوقوف على الحالة هناك • اما الحكومة فقبضت في غيابه على الحاج مخيف وابعدته للبصرة ، ثم اخذت بنصح صديقها الشيخ علوان الجحالي الذي تعهد بمعاونتها ، واحرقت بيت سعدون الرسن ونهبت اثاثه ، فما كان من افراد قبيلته الا ان هجموا على الرئيس الخائن فقتلوه ، ثم هاجموا قوات الحكومة وتمكنوا من احتلال مخفر الدغارة بعد ان هرب الحاكم منه[2] • وقد ركز الثوار اهتمامهم في قطع مواصلات الانكليز ، ففي ٢٧ تموز اخرجوا قطارا من الخط في محطة قوجان ولم يستطع الانكليز انقاذه • ويعترف هالدن بأن الثوار سبق لهم ان اخرجوا ستة قطارات عن الخط حاولت ان تقطع المسافة بين الحلة والديوانية[3] •

وقد سأت الحالة ليس في الديوانية فقط ، بل في كل مكان خاصة بعد موقعة الرستمية ، ويقول الجنرال هالدن : ان اخبار هذه الحادثة وصلت بغداد بصورة مكبرة ، وان الاخبار التي وصلته تبين ان جميع القبائل حول الحلة امتشقت الحسام ، وان قبائل اخرى كانت على وشك الثورة حالما تنقطع مواصلات الانكليز مع الديوانية ، وان شيوخ الديوانية اخذوا ينظمون الى قبائل الشامية التي اعلنت عصيانها في الرابع عشر من تموز • وينهي الجنرال

(١) كان الشيخ سعدون الرسن من الشجعان المشهورين وممن يجيدون نظم الهوسات فقال مرة في احدى المعارك : سجيل امطر جيت اعليها [عليها] • وقال أيضا مخاطبا الانكليز : چم قيصر گبله اموشمينه ، أي كم ناجزنا من الطغاة قبل الانكليز وأثخناهم بالجراح •

(٢) القضية العراقية ، ج١ ، ص ٢٢٤ـ٢٢٦ •

(٣) Haldane, Op. cit, p. 129.

هالدن كلامه بقوله انه اصبح مقتنعا بضرورة الانسحاب من الديوانية وتركيز القوات في الحلة [١] .

الانسحاب من الديوانية :

ان تردي الاوضاع العامة بالنسبة لسلطات الاحتلال ، كما بينا فيما سبق ، جعل الجنرال هالدن يقرر الانسحاب من الديوانية الى الحلة . ولنتركه يتحدث عن الانسحاب من الديوانية وعن المصاعب التي لاقاها جيش الاحتلال اثناء هذه الفترة . يقول الجنرال في صدد الاحتياطات العسكرية التي سبقت الانسحاب من الديوانية : « اصدرت اوامري ، كأجراء احتياطي ، الى الجيوش المرابطة في مناطق الفرات الاعلى لتجتمع في الفلوجة وعندئذ تصبح عند متناول يدي عند الحاجة ... ومن الجدير بالذكر ان الوضع العام قد تطور بشكل اصبح معه لزاما علينا اما نقرر الانسحاب الاجباري الى بغداد ، واما ان نعرض قواتنا الى التطويق من قبل الثوار . ومن حسن الحظ ان الشيخ علي السليمان رئيس الدليم قد تعهد لنا بحماية هيت حتى نصبح قادرين على اعادة احتلالها . وقد كان الشيخ علي وفهد بك بن هذال وابنه محروث من المخلصين للحكومة طيلة ايام الثورة . وكانوا يستلمون منا مبالغ من المال تجاه هذه الخدمة ، كما كافئناهم اخيرا على حسن خدماتهم للحكومة . وقد مكنتنا مساعدة هؤلاء الشيوخ على تركيز جيوشنا في الرمادي والفلوجة . يضاف الى ذلك ان المعلومات التي وصلتني حديثا افادت بأن مجموعة المنتفك كانت ترقب الحالة في الدليم باهتمام ، فلو ان قبائل الدليم تذبذبت في ولائها لما تأخرت قبائل المنتفك ، التي كانت بمثابة سيف ديموكليس مصلت على رؤسنا لعدة اسابيع ، عن الثورة . ولو فرضنا ان قبائل المنتفك اشتركت بالثورة لاصبحت بغداد محاصرة بسهولة . وفضلا

(١) Op. cit, p. 104.

عن ذلك فأن ثورة المنتفك قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعة • ومن المعلوم ان هاتين القبيلتين الاخيرتين تسكنان على ضفاف دجلة ، وان اشتراكهما بالثورة ينجم عنه انقطاع خط مواصلاتنا الوحيد الذي لم يعـــرقل سيره الثوار • »(١)

وفي ٣٠ تموز ١٩٢٠ قرر الجنرال هالدن سحب قواته من الديوانية وكانت الطائرات تحمي الجيش المنسحب • وقد مر اليوم الاول من عملية الانسحاب دون ان تتعرض فيه القوة المنسحبة الى الخطر • وما كادت القوة تصل الى محل يعرف بـ « ابن علي » حتى علمت ان سكة الحديد قد خربت على مسافة (٣٥٠) ياردة ، وان الثوار قد خربوا جسرا من الجسور التي يمر عليها القطار • وقد لاقت القوة الانكليزية صعوبات كثيرة • وكلما تقدمت الى الشمال ازدادت هذه الصعوبات الى حد ان القطار لم يستطع ان يقطع اكثر من خمسة اميال في اليوم الواحد • وقد عمدت القوة المنسحبـة الى احراق القرى المجاورة وعدتها مسؤولة عن تخريب سكة القطار ، كما انها قذفت القرى البعيدة بالقنابل • واستطاع قسم من القوات الانكليزية ان يتقدم ، ولكن تجمع الثوار جعله يتراجع الى « قوچان » • وفي اليـــوم الرابع استأنف الجيش حركته للامام وكان طول القطارين اللذين يقلانه حوالى الميلين • وقد ظهر له ان الخط الذي تم اصلاحه في اليوم السابق قد خربه الثوار فكان ذلك سببا لخروج الناقلات الثقيلة وعربات النقل عن الخط • ومن الجدير بالذكر ان الحرارة الشديدة وسرعة اصلاح الخطوط سببا اعوجاج الخط ثم خروج ماكنة القطار عنه وسقوطها • وكان لسقوط

(١) يقول آيرلند على الص ٢١٠ من كتابه الموسوم بـ « **العراق** » « عندما ضغطت الحكومة على أمير ربيعة بدفع ما كان مستحقا عليه مـــن الضرائب في سنة ١٩٢٢ ، أفاد بأنه قد وعد من قبل البريطانيين في سنة ١٩٢٠ بأن يعفى من الضرائب لقاء مساعدتهم في ايقــاف انتشار الثورة في وادي دجلة ، وهو وحده الذي حال دون نشوبها هناك » •

الماكنة آثار بالغة الضرر ، لان الثوار اغتنموا فرصة انشغال القوات الانكليزية باصلاح الخط ، فخربوا جزء جديدا لم يسبق لهم ان خربوه ، الامر الذي ادى الى تأخير سير القوة ليومين • وقد اغتنمت القوات الانكليزية فرصة التأخير فهاجمت القرى المجاورة ، ولم تحدث لجيشهم اصابات في هذا اليوم لاول مرة • وكان السير بطيئا في اليوم الخامس ، نظرا لكثرة الاضرار التي احدثها الثوار في سكة الحديد • وكان قواد الجيش يتوقعون ان يكف الثوار عن هجومهم بعد ان وصلت القوات الانكليزية الى الجربوعية ، ولكن الثوار استمروا في هجومهم •

وحاول الثوار في الرابع والعشرين من تموز ان يحرقوا جسر الجربوعية ولكن محاولتهم هذه كان نصيبها الفشل • وفي صباح هذا اليوم اشتبك الثوار مع القوات الانكليزية وكبدوها (٧٠) قتيلا بينما كانت خسائر الثوار حوالى (٥٠) قتيلا • والتحم الثوار مع الجيش الانكليزي في الحمزة فقتلوا (١٤) جنديا وجرحوا آخرين • وفي الوقت الذي كانت فيه عمليات اصلاح سكة الحديد قائمة على قدم وساق كانت القوات الانكليزية منهكمة في احراق جميع القرى الواقعة في جوار الجربوعية • واستطاعت القوات الانكليزية اخيرا ان تصل الى الحلة[١] •

وقبل ان اختم البحث عن جبهة الديوانية اورد ما قاله الجنرال هالدن في هذا الصدد • يقول الجنرال هالدن : « في الوقت الذي كان فيه تجمع جيوشنا في الحلة يسير بنجاح ، تلك العملية التي يتوقف على نجاحها بقاؤنا في العراق وفي الشمال الغربي من ايران ، صممت على ان اضحي بكل شيء في الديوانية سوى التجهيزات اللازمة لقواتنا اثناء تراجعها ••• ومن الطبيعي ان يكون تأخر الجيش اثناء الانسحاب من الديوانية مدعاة لاثارة القلق في نفسي ، لانني كنت ارغب ان تجتمع جيوشنا في الحلة باسرع وقت

(١) Haldane, Op. cit, p. 131 — 38.

ممكن . يضاف الى ذلك كنت اخشى ان يتعرض جيشنا الى الخطر بسبب تأخر عملية الانسحاب من الديوانية الى الحلة ، لان الثوار اخذوا يتلفون سكة الحديد في كل مكان . وكان من المحتمل ان العرب ينجحون في اتلاف سكة الحديد الامر الذي يؤدي الى انعزال قوات كوننكهام بين الحلة والديوانية . »(١) ويقول الجنرال هالدن عن عملية الانسحاب هذه في مكان آخر : « لم تمر بي فترة مزعجة خلال حياتي العسكرية شبيهة بفترة الاثني عشر يوم التي مرت بين كارثة قوة منجستر ووصول قوة كوننكهام الى الحلة ... لقد باشرت الحرب منذ ١٩١٤ حتى انعقاد الهدنة في الجبهة الغربية ، ولم اترك الجبهة الا لفترات قصيرة . وكانت جيوشنا في اغلب الاوقات تعمل في ظروف خطرة . ورغم كل ذلك ، فأن الايام الاثنا عشر من سنة ١٩٢٠ في بغداد ، والتي هي بمثابة الاثني عشر سنة ، تفوق كل ما حل بي من مضايقات سابقة ... وكان الوضع حرجا ليس لهذه الفترة حسب بل لمدة طويلة . وكانت مناظر حصار الخرطوم وسقوطها ماثلة امامي في كل حين »(٢) .

الحكومة تفاوض الثوار :

سبق ان اشرنا الى انتقال الزعامة الدينية الى شيخ الشريعة بعد وفاة الامام الشيرازي في الثالث من ذي الحجة ١٣٣٨ هـ ـ ١٣ آب ١٩٢٠ م ، فرأت الحكومة ان تبدأ بفتح باب المفاوضة مع الزعيم الديني الجديد . ويقول البصير بصدد المفاوضة : « بينما كانت الثورة بالغة اشدها ... اذ بالحاكم الملكي العام يرسل الى شيخ الشريعة الاصبهاني بمناسبة تقلده الزعامة المذهبية الكبرى للامامية على اثر وفاة الشيرازي ، كتابا يطلب فيه

(١) Op. cit, p. 128 — 9.

(٢) Ibid, p. 139.

الدخول في مفاوضات تمهيدية لحل المشكلة ...»[١] . اما الحسني فيعلل رغبة الحكومة بالمفاوضة بأنها ناتجة عما كان يتوقعه الحاكم «من امتداد الثورة الى مناطق جديدة ، او الى احتمال اشتراك عناصر اخرى من رجال القبائل[٢] فيها ، الامر الذي يجعل اخمادها امرا صعبا ... بالنظر الى ما اظهره الثوار من الشجاعة ... لا سيما وقد اعلنت بريطانيـــة رأيها في مستقبل العراق ، وطريقة الحكم فيه بعد اندلاع لهيب الثورة ...»[٣]

واليك فقرات من كتاب نائب الحاكم الملكي العام المؤرخ في ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠ .

١ - «ان المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسليـــة ، لا التبريك والتهنئة ، في هذه الايام ، نظرا الى المصائب التي انتابت العراق وسائـــر الممالك ، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم العلامة المبرور المرزا محمد تقي الشيرازي ... الذي ... عبر في احدى مفاوضاته الاخيرة انه يريد الصلح بين الحكومة والملة ...» ٢ - اشار الى ان الحكومة الانكليزية اعتمدت «دائما على الاركان الثلاثة وهي : الرحمة ، والعدل ، والتسامح الديني ..» ٣ - يقول ان اهل «العراق قبلوا الدولة الانكليزية وكانوا مسرورين من ابقاء جيوشها في هذه البلاد ... ولكن لما رأى بعض المفسدين (كذا) والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها ، قاموا يشوشون الاذهـــان ...» ٤ - اشار الى قوى الفريقين المتحاربين «وما هي الحالـــة الان ؟ هي ان

(١) البصير ، القضية ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) يقول هالدن على الص ١٢٤ من كتابه سالف الذكر : ان عدد الثوار قبل نهاية تموز قد ارتفع حتى بلغ (٨٥) ألف مقاتل ، وكان أقل من نصف هؤلاء مسلحين ببنادق صالحة للاستعمال ، ولكن عدد الاسلحة الحديثة لم يتجاوز عشر هذا العدد ، ولم يقف عدد الثوار عند هذا الحد ، بل ازداد حتى قدر في ٣٠ آب ب (١٣١ر٠٢٠) مقاتلا .

(٣) الثورة ، ص ١١٥ .

العشائر العراقية في حالة الحرب ، وقوية ، ولكن عددها قليل ، وليس لها من الدراهم الا القليل ، ولا توجد وسائل لاختراع الآلات الحربية •• ولا يمكنها ان تحصل على المعونة من الخارج ، واذا لم ترجع الى زراعتها ، فانها ستتلف وتموت جوعا ••• بعكس الحكومة ، فان قوتها كانت في مبدء الامر قليلة ••• ولكن الان ترد المراكب للبصرة في كل يوم ، حاملة العساكر ، والمدافع ••• وسائر ما يلزم للاعمال العسكرية ••• » •
٥ ـ لقد عين ممثل الحكومة في المفاوضة ، كما طلب من الشيخ الأصفهاني ان يسمى المندوب او المندوبين الذين سينوبون عن الثوار • ٦ ـ اشار الكتاب الى ان الحكومة « ستجازي بعض المشايخ وغيرهم الذين ظللوا بالناس ••• » •

التوقيع

اللفتننت كولونيل السر آرنولد ولسن

الحاكم الملكي العام في العراق

وقد طبعت الحكومة المحتلة آلاف النسخ من هذا الكتاب ، ووزعته بواسطة الطيارات على جموع المحاربين في سائر جبهات القتال ، كما نشر في الجرائد العراقية(١) •

ويقول الحسني ان كتاب الحاكم الملكي العام احدث « ضجة عنيفة في مناطق الثورة وخلق آراء متضاربة لم يكن بالامكان التأليف بينها ، كما لم يكن بأمكان شيخ الشريعة ان ينفرد بالامر ، كأن يجيب طلب الحاكم العام ، او يرد عليه بأي شكل من الاشكال ، ما لم يكن هذا الجواب مستندا الى رأي سديد يؤيده الزعماء ، ويرض به قادة الثورة على السواء • » وقد انقسم الناس الى شطرين : الاول ، وكان يرى ضرورة المفاوضة ، اما الثاني فكان يصر على الاستمرار بالحرب • وقد ايد الفريق الثاني معظم زعماء الثورة الذين اشتبكوا مع الجيوش المحتلة ، يدفعهم في ذلك الخوف

(١) الحسني ، الثورة ، ص ١١٨ •

من عقاب الحكومة التي لمحت حول فرض عقوبات على هؤلاء من جهة ، واملهم بالنصر من جهة اخرى ، لا سيما ان الكثير منهم يجهل قوة بريطانية واصرارها على البقاء في هذه البلاد بشكل سافر او بصورة غير مباشرة ، كما حصل ذلك بعد التسوية التي تمت بعد اخماد الثورة • ويظهر ان هذا الفريق قد لجأ الى اثارة العواطف فأتهم الجماعة التي تؤيد المفاوضة بالمروق، كما صدر بيانا اكد فيه ان « لا مفاوضة قبل الجلاء » • وقد رجحت كفة هذه الجماعة بعد ان قرر الزعماء الذين يتألف منهم « المجلس الحربي الاعلى » رفض الدخول في المفاوضات • وما كاد رأي القائلين بمواصلة الحرب يتغلب حتى اجاب شيخ الشريعة الحاكم الملكي العام بجواب ذي لهجة شديدة لا يتناسب وامكانيات الثوار قال فيه : (١) ان مطالبة العراقيين بالاستقلال معروفة لديكم ولا يمكن تدارك الامر الا « باعطاء العراقيين حقوقهم ، التي طالبوكم بها مطالبة سلمية ، فابيتم الا اغتصابها ••• » • (٢) عاتب الحاكم عتابا مرا حول تعريض الحكومة بسلفه الامام الشيرازي وحول اعتقادها بأن المصائب التي حلت بالعراقيين كانت نتيجة لآرائه • (٣) فند ادعاء الحكومة البريطانية فيما يتعلق باعتمادها على الاركان الثلاثة : « وهي الرحمة ، والعدل ، والتسامح الديني » وقال : « فاما الرحمة فهي مقابلتكم الامة العراقية ، عند مطالبتها باستقلالها ، بسوق الجيوش الجرارة عليها ، وقتل الرؤساء ، ونفي العلماء ••• ورمي النساء والاطفال بأنواع النيران ، وحرق بيوت ، واموال ، ومزارع جميع من امتنع عن الاقرار بوصاية الانكليز ، وطالبكم بتأسيس الحكومة العراقية ، وهتك الاعراض ، ومصادرة الاموال ••• خلافا للقوانين الموضوعة ••• واما العدل فالقتل والاعدام لغير جرم ، وبدون محاكمة ••• واما التسامح الديني فهو رمي الطائرات ، والسيارات المدرعة ، المساجد ، وقتل المتعبدين ، والنساء والاطفال ، وتشكيل الادارة العرفية لمعاقبة من يتصدى الى عقد مجلس

لقراءة منقبة النبي (ص) في المساجد ، او مأتم عزاء الأمام الحسين عليه السلام ... »[1] .

التوقيع

٢ محرم ، ١٣٣٩ هـ شيخ الشريعة الاصفهاني

ويستطيع الباحث ان يستنتج من مناقشة محتويات رسالة الحاكم وجواب شيخ الشريعة لها ان اللهجة السلمية الهادئة لم يستعملها المرسل ولا المجيب . ويقول البصير في صدد رسالة الحاكم : « ان ولسن عاد الى طريقته التي تعود الجري عليها وهي الشدة فشفع ذلك الطلب بالوعيد والتهديد . »[2] اما الحسني فيقول ان لهجة ولسن كانت بعيدة عن القصد السياسي الذي كان يهدف اليه « فلم يكن من الحكمة ان ينعت الثوار بالمفسدين ، ولا الزعماء بالمشوشين ، وان التهديد والوعيد ، الذي تضمنه لبعض الزعماء كان سببا مباشرا لاحباط مشروع المفاوضة » .

اما جواب شيخ الشريعة فهو كما يقول الحسني : « خطيئة كذلك ، إذ كان عليه ان يغتنم الفرص ويعتبر الكتاب طلبا صريحا لمفاوضة الصلح ، وينقذ الثورة من هزيمة كانت مؤكدة »[3] .

ويقوم جواب شيخ الشريعة السلبي على طلب الحكومة بالمفاوضة كدليل على قلة الخبرة السياسية لدى قيادة الثورة التي انيطت بالدرجة الاولى بالروحانيين رغم قلة خبرتهم بأمور السياسة ومراميها البعيدة . يضاف الى ذلك ان صيغة جواب الثوار تدل على عدم تقديرهم لقوة عدوهم وغزارة موارده بالقياس الى مواردهم المحدودة .

(١) الثورة ، ص ١٢١ .
(٢) البصير ، ن.م ، ج١ ، ص ٢٥٤ـ٢٥٥ .
(٣) الحسني ، ن.م ، ص ١٢١ .

رابعا ـ جبهة الرمادي (الدليم) :

لم تقم في هذه المنطقة حركات عسكرية مهمة ، ومرد ذلك الى ان كثيرا من سكانها من البدو الرحل الذين كان تقيدهم بالواجب الوطني والديني ضعيفا . وكان معظم شيوخ العشائر في هذه المنطقة مخلصين للحكومة . ومن اشهر هؤلاء الشيخ علي السليمان رئيس الدليم والشيخ فهد بن هذال رئيس عنزة . وقد سبق ان اشرنا الى بعض خدماتهما للحكومة . ولم يقف الشيخ علي وصحبه موقف الحياد حسب بل ساعدوا الحكومة[1] . وقد شكر الجنرال هالدن جهود هؤلاء الشيوخ ومدح خدمتهم للحكومة[2] . ويعزو الحسني قلة مساهمة هذه المنطقة في الثورة الى عاملين : احدهما موقف الشيوخ المناوىء وثانيهما ، انشغال الراويين والعانيين بمنازعاتهم الداخلية . وقد استغلوا انشغال الحكومة بمكافحة الثورة فأخذوا يشنون الغارات على بعضهم البعض .

وبالرغم من كل ما سبق ذكره من عوامل الانتكاس ، فأن بعض اجزاء لواء الرمادي اسهمت في الثورة اسهاما مهما . وكان الشيخ ضاري[3] المحمود رئيس عشيرة زوبع على رأس الثائرين في هذه المنطقة . وفي مرة دعاه الكولونيل لچمن Leachman حاكم لواء الرمادي (الدليم)

---

(١) أورد الشيخ فريق الفرعون على الص ٣١٦ من الجزء الاول من كتابه الموسوم ب « الحقائق ... » تفصيلات عن موقف الشيخين علي السليمان وفهد بن هذال من الثورة .

(٢) Op. cit, p. 105 — 6.

(٣) ذكر الحسني على الص ١٦٣-١٦٤ من كتابه الموسوم ب « الثورة » ان الشيخ ضاري المحمود كان معروفا بمناوأته للانكليز . وعندما أصدر السير برسي كوكس العفو العام بعد الثورة ، استثنى الشيخ ضاري من ذلك العفو ، فبقي الشيخ ضاري طريدا . وفي ١٩٢٧ قبضت عليه الحكومة وحكم عليه بالاعدام ، ثم ابدلت الحكومة عقوبته الى السجن المؤبد. ولكنه لم يلبث طويلا في السجن حتى توفي فأكبر الناس وفاته .

لمقابلته في « خان النقطة » فحضر الشيخ ومعه ولداه « خميس وسلمان » • وقد جرت في اثناء المقابلة مناقشات بين الحاكم والشيخ • وبينما كان الحاكم يتحدث بلغه ان عصابة مسلحة سلبت سيارة في الطريق فأوكل الحاكم تعقيب الجناة الى الشيخ ضاري • فخرج الشيخ ثم عاد هو وابناء عمه فاطلقوا النار على الحاكم وقتلوه[1] •

وكان لمقتل لچمن اثر سيء في نفس الحكومة ببغداد[2] لانه كان مطلعا على احوال البلاد اطلاعا واسعا • وعلى اثر حادثة مقتل لچمن انقطعت المواصلات بين الفلوجة وبغداد وصار موقف القوات الانكليزية المرابطة بالفلوجة والرمادي حرجا للغاية • ورأت الحكومة ان ترسل ثلاث بواخر لحماية الفلوجة • وكانت واحدة منها حربية تصحبها باخرة للحماية واخرى صحية •

وقد هاجم الثوار في ١٥ آب هذه البواخر على مسافة خمسة اميال من الرمادي ولكن رصاصهم لم يؤثر فيها • ثم هوجمت مرة اخرى قرب الفلوجة فاندفعت واحدة منها نحو الجزيرة واستقرت على رمالها المتراكمة • اما الباخرة الدفاعية فانها واصلت اطلاق النار الى ان قل عتادها عند الظهر ، وعندئذ هاجمها حوالي (٥٠٠) من الثوار واضرموا النار فيها • وبعد هذه الحادثة باتت بغداد مهددة بخطر الحصار ، لان الثورة شملت معظم انحاء لواء ديالى وخيم جماعات من الثوار في الفرات الاوسط على مقربة من المسيب وشرعوا بمهاجمة المحمودية[3] • وتحت ظروف كهذه ، اصدر الجنرال هالدن اوامره بانشاء الحصون حول بغداد[4] • وقد غالت الحكومة في

---

(١) الحسني ، الثورة ، ص ١٦١ •

(٢) وهوس أحد الثوار بهذه المناسبة : **هز لندن ضاري وبچاها [أبكاها]** •

(٣) الفرعون ، فريق ، ن٠م ، ج١ ، ص ٣٠٧ •

(٤) البصير ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٥٣ •

عقاب الشيخ ضاري وعشيرته فهي بعد ان انتصرت عليه احرقت مزارعه ونهبت بيوته وقتلت النساء والاطفال ، ثم سدت المياه عن مزارع الشيخ ضاري وعشيرته[١] .

خامسا ـ جبهة لواء ديالى :

لقد كان لتدابير حاكم ديالى السياسي اثر في التعجيل بالثورة في تلك المنطقة . وقد رأى هذا الحاكم ان يجمع رؤساء العشائر في حاضرة اللواء بحجة البحث في قضية سلب بسيطة . وبعد ان حضروا امرهم الا يتركوا البلدة الا بأذن منه ، ثم ما لبث ان اذن لهم ولكنه استثنى الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة العزة . وبعد فترة استأذن الشيخ المذكور الحاكم بالذهاب الى بغداد فأذن له ، وهناك اتصل الشيخ حبيب ببعض العاملين في الحقل الوطني فاتفقوا معه على ضرورة القيام بالثورة في ديالى ، وحينئذ يصعب على الحكومة نقل الجيوش من بلاد ايران لمنطقة الفرات الاوسط . فما كاد الشيخ حبيب يقتنع بهذه الفكرة حتى سافر الى منطقته واتفق مع رؤساء العشائر المجاورين على مهاجمة بعقوبة . وقد نجم عن هجومهم هذا ، احتلال بعقوبة واخراج الحاكم منها . وكانت افكار الاهلين مهيأة للثورة نتيجة للدعاوة التي تولى نشرها السيدان حبيب العيدروسي ومحمود المتولى والسيد صالح الحلي الذي قبضت الحكومة عليه عندما كان يهيج الناس اثناء حفلات المولد النبوي كما اسلفنا سابقا .

اما حاكم دلتاوة فقبض عليه الشيخ حبيب الخيزران واسره . وقد اخبر الشيخ حبيب الدكتور البصير ان الحاكم المذكور قدم له (٤٠) الف ربية كرشوة ولكن الشيخ رفضها . ويظهر ان معاون الحاكم السياسي في شهربان رفض التسليم ، فالتحم مع الثوار ولكنه غلب على امره بعد ثلاثة

---

(١) الفرعون ، ن٠م ، ج١ ص ٣١٥ ٠ و
Haldane, Op. cit, p. 174.

ايام وقتل مع عدد من اتباعه[1] • وكان للسيد محمد الصدر جهود في تهييج اهالي ديالى على الثورة ، اذ « ان دلتاوة رضخت مدة لنفوذ السيد محمد الصدر الذي جعلها مقرا له بعد ان حاولت الحكومة القاء القبض عليه في بغداد في ١٢ آب ، ومنها اخذ يشجع الثوار وخصوصا في سامراء »[2] • وقد اورد عباس علي والشيخ فريق الفرعون تفصيلات وافية عن جهود الصدر في لواء ديالى ولكنني لا اميل الى تأييد كل ما جاء في روايتيهما[3] •

وكانت معسكرات الآثوريين الذين نزحوا من « اورمية » واقعة بالقرب من جسر ديالى • وقد استخدمهم الانكليز لمحاربة الثوار في هذه المنطقة ، فلبوا نداء الحكومة وسببوا مضايقات كثيرة للثوار • وفي مرة بعثت لهم الحكومة قطارا يحمل العتاد والسلاح فنسفه الثوار ولكن الآثوريين حالوا بين الثوار وبين الغنيمة • وقد تكبد الآثوريون خلال هذه العملية (٤٥) قتيلا ، وتقدر خسارة الثوار بمثل هذا العدد • وبعد فترة تمكنت الحكومة من اعادة احتلال بعقوبة ، ونكلت ببعض الثائرين • وعندما علم احد الضباط ان القاضي كان يحرض الناس على الثورة قصده الى منزله وقتله هناك[4] •

وتقول المس بيل احدثت الثورة « في ديالى انطباعا سيئا في نفوس وجهاء بغداد الذين يملك معظمهم مقاطعات زراعية واسعة على جداول ديالى • حيث ان القبائل لم تتردد في وضع يدها على مخازن حبوبهم وعلى حاصلات بساتينهم ، فأدى عملهم هذا الى انقلاب غريب في شعور اولئك

(١) البصير ، ن٠م ، ج١ ، ص ٢٣٥–٢٣٧ •

(٢) آيرلند ، العراق ، ص ٢٠٨ •

(٣) علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية ، بغداد ، ص ٩٣–٩٤ ؛ الفرعون ، فريق ، ن٠م ، ج١ ، ص ٣٣٠ •

(٤) الحسني ، الثورة ، ص ١٦٧ •

الذين اشتركوا في الحركة الوطنية في مراحلها الاولى • ولم يكن نقيب بغداد بعيدا عن الانصاح عن الرأي العام عندما قال : « لقد رأينا ما لم نره من قبل ، وقد تعلمنا من ذلك اشياء كثيرة • »[١] •

سادسا ـ جبهة الناصرية (المنتفك) :

كانت قبائل المنتفك كثيرة العدة والعدد[٢] • وكان الجنرال هالدن يخشى ان ثورتها قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعة وحينئذ يصبح الخط النهري بين بغداد والبصرة في خطر محقق[٣] • وبالرغم من اهمية هذه المجموعة من القبائل فانها لم تسهم اسهاما فعالا في الثورة العراقية سنة **١٩٢٠** • وتعود هذه الظاهرة لاسباب نجملها بما يأتي : اولا ـ ان بعض هذه القبائل قد انفقت كثيرا من طاقتها وامكانياتها خلال الحرب العالمية الاولى سواء باشتراكها في حركة الجهاد بالشعيبة ، او في صدها الجيوش الانكليزية الزاحفة عن طريق الغراف بغية رفع الحصار عن الكوت • وقد نجحت قبيلة الزيرج وغيرها من القبائل الساكنة بين الشطرة والناصرية في منع جيوش الاحتلال من التقدم من الناصرية الى الكوت • وقد سبق ان اشرنا الى ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب • وقد قال شاعر آل ازيرج الشعبي يخاطب احد قواد الانكليز هاملتن

يهاملتن تيـــدب[٤] لا تزومش دوم
ذوله افروخ الازرك موش اهل لملوم[٥]
بسنكي معاك انريد نصفى اليـــوم
رد لا تتدهـــــده ابحلگك آفـــه

---

(١) فصول ، ص ١٦٥ •

(٢) Haldane, Op. cit, p. 215.

(٣) Ibid, P. Lob.

(٤) أي تأدب ولا تغتر •

(٥) **أي انهم من قبيلة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ولا يوجـــد** غريب بينهم •

وقد يكون السبب في موقف بعض العراقيين هذا خلال فترة الحرب الاولى هو ضعف التوجيه والقيادة عندهم • اذ نراهم يتأثرون بالعواطف الدينية ويبذلون جهودا ، كان الاولى ان يدخروها لوقت الحاجة ، في حركة الجهاد في الشعيبة ، وفي معاونة الترك بحربهم مع الانكليز ، دون ان يتأكدوا من الفائدة التي تعود على قضيتهم من وراء ذلك •

ثانيا ـ لقد عملت الاموال الانكليزية عملها في نفوس بعض رؤساء القبائل فوقفوا من الثورة موقفا فاترا يشوبه التردد وعدم المبالاة •

ثالثا ـ لقد وقف الشيخ خيون العبيد[١] رئيس قبيلة العبودة من الثورة موقف المتفرج • وكان لموقفه هذا اثر كبير في شل حركة الثورة في الغراف لاهمية قبيلته العسكرية من جهة ، ولاهمية الموقع الجغرافي الذي تحتله من جهة اخرى • وكانت قبيلة الشيخ خيون تقطن في موقع يفصل بين عشائر الغراف وعشائر الناصرية لذا كان لاشتراكها بالثورة اثر معنوي وعسكري في توحيد بقية القبائل ضد القوات الانكليزية المحتلة •

وعندما سألت المرحوم الشيخ موحان الخير الله عن الاسباب التي حالت دون اسهام قبائل المنتفك اسهاما فعالا في الثورة قال ما معناه : ان الشيخ خيون العبيد[٢] كان غير مؤيد لفكرة الثورة وعندما طلبنا منه ان يتحد معنا لمهاجمة

---

(١) يقول الجنرال هالدن على الص ٢٢٠ من كتابه سالف الذكر ان الشيخ خيون العبيد لم يصغ لنداء الجهاد الذي أعلنه العلماء ضدنا ، واحتفظ بولائه لنا حتى الاخير • ويرى الجنرال هالدن ، على الص ٢٩٠ ، ان جهود الشيخ المذكور كانت السبب الرئيسى في عدم توسع الثورة وشمولها لمنطقة شط الحي (الغراف) •

(٢) يقول الحسني ، على الص ١٧٠ من كتابه الموسوم بـ « الثورة ••• » ان رسالة وردته من أحد الثقاة في المنتفق جاء فيها : « فلما عادت السلطة البريطانية [يقصد بعد نهاية الثورة] كافأت خيونا بمائة ألف روبية فأبى قبولها فمنحته مقاطعة الصديفة الاميرية » •

قاعدة الانكليز في الناصرية اعتذر عن ذلك • ثم لما سألته عن السبب الذي دعاهم الى عدم تجاهل الشيخ خيون والهجوم على انفراد • قال : اننا تحركنا فعلا من الرفاعي الى الشطرة في طريقنا الى مهاجمة الانكليز في الناصرية ، ولكننا لم نستطع ان نتعدى الشطرة (مركز الشيخ خيون) ونهاجم الانكليز خوفا على مؤخرتنا من جهة ، ومن جهة اخرى فأن مراكز تموننا ستكون بعيدة ولا نعرف بالضبط موقف عشائر العبودة في حالة انكسارنا امام الانكليز • ولقد استفسرت من الشيخ ابراهيم اليوسف ، احد زعماء بني ركاب ، عن اسباب عدم اسهام عشائر المنتفك اسهاما تاما في قتال الانكليز فأيد رواية الشيخ موحان السابقة حول موقف الشيخ خيون من الثورة ولكنه لم يؤيد مخاوفه حول احتمال انقظاظ عشائر الشيخ خيون على جموعه في حالة الانكسار • ويعلل الدكتور البصير تقاعس الشيخ خيون بانشغاله في قضية نزاع محلية نتجت عن قتل الشيخ عبدالله الياسين رئيس قبيلة مياح لاخيه محسن[1] • ويظهر ان تعلل الشيخ خيون بقضية مقتل الشيخ محسن مسألة فيها نظر اذ ان حادثة القتل سالفة الذكر حصلت ، كما اشار البلاغ الرسمي الصادر بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٢٠ ، بعد قيام الثورة بأكثر من شهرين فلا يمكن ان تكون سببا في اشغال الشيخ خيون عن الاسهام في الثورة[2] • ويظهر ان سيادة الشيخ علي الشرقي ، الذي كان من مستشاري الشيخ خيون في ذلك العهد ، كان يشاطر الزعيم المذكور رأيه في عدم الثورة على الانكليز • وقد قال لي من اثق بروايته انه كان حاضرا في المجلس الذي دار فيه الحديث التالي بين الشيخ عبيد الخنفر ، احد رؤساء بني ركاب ، وسيادة الشيخ علي الشرقي في بيت الحاج خيون في الشطرة : قال الشيخ عبيد لسيادة الشرقي اني اتهمك في تعطيل حركة الجهاد ضد

---

(١) ن٠م ، ج١ ، ص ٢٧٠ •

(٢) جريدة « العراق » العدد (٩٧) ، ٢٣ ايلول ، ١٩٢٠ •

الانكليز واني سأشكوك ان شاء الله عند الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي • ومن غريب الصدف ان الشيخ عبيد الخنفر كان من اوائل القتلى بطائرات الانكليز قرب الناصرية بعد ان سافر مع قبيلته لجهادهم بعد ايام من هذه الحادثة •

وبالرغم من العراقيل التي وضعت في وجه الثورة ، اسهمت بعض مناطق لواء الناصرية إسهاما غير منكور في قتال الانكليز اثناء ثورة العشرين • وقد اشار الحسني بصورة خاصة الى جهود ما اسماهم المبشرين الوطنيين امثال الشيخ باقر الشبيبي والسيد عبدالمهدي المنتفكي والشيخ محمد حسن حيدر وعبدالكريم السبتي وغيرهم[1] • وقد اورد الشيخ فريق الفرعون تفاصيل وافية عن جهود سيادة السيد عبدالمهدى المنتفكي في تحريض الناس على الجهاد ضد السلطات المحتلة[2] •

حدثني الشيخ ابراهيم اليوسف ان ما يقارب (**٣٠٠٠**) مجاهد من بني ركاب عسكروا حول الشطرة لمدة اسبوع بانتظار التحاق الشيخ خيــــون وعشائره بحركة الجهاد • ولما ظهر انه لا ينوي السفر توجه المجاهدون نحو الناصرية بينما رجعت عشائر الشيخ موحان الخير الله الى الرفاعي كما اسلفنا • وقد واصل الثوار سيرهم حتى عسكروا بالمناطق المجاورة للناصرية• وبالرغم من ان عشائر الزيرج والحسينات لم تكن جادة في قتال الانكليز فأنها لم تعرقل جهود الثوار • فأباحت لهم الاختباء بمزارعها وسمحت لهم باطعام حيواناتهم من مزارع الذرة التي كانت على وشك النضج حينذاك • ويستمر الشيخ ابراهيم بروايته فيقول ان الحاج مرزوك الرويح ومحمد الصالح وعبيد الخنفر ، الذي كان نصيبه ونصيب زميله محمد الصالح القتل

(١) الثورة ، ص ١٧٠ •

(٢) ن٠م ، ج١ ، ص ٣٤٠ •

برصاص الانكليز ، كانوا اكثر زعماء قبيلة بني ركاب تحمسا للجهاد • ويقول اننا بقينا هناك حوالي ستة اسابيع نهاجم القوات الانكليزية المعسكرة بجوار الناصرية في الليل غالبا اذ ان الطائرات كانت تشل حركتنا في النهار ولم نستطيع الدخول الى مدينة الناصرية لان الشيخ عجيل التويلي وجماعته من رؤساء الحسينات والزيرج حذرونا من ذلك بحجة الخوف على اضطراب الامن في البلد • وكانت جماعة كبيرة من قبيلة بني زيد برئاسة سليمان الشريف معسكرة بالقرب من بني ركاب ويقول الحسني ان جماعات من المسلحين من قبائل خفاجة والزيرج واهل الشنطرة وبني سعيد مكثوا زهاء اربعة اشهر يهاجمون الناصرية بين الفينة والفينة دون نجاح • وكان يصحبهم الشيخ عبدالحسين مطر ذلك العالم الديني الذي ضرب مثلا في رباطة الجأش[١] •

اما حركة الثوار في مدن الغراف نفسها فكانت مقتصرة على مقاطعة العشائر للحكومة مقاطعة تامة فلم يراجعوا دوائر الحكومة ولم ينفذوا لها امرا • ويظهر ان الحكام لما شعروا بتأزم الحالة في المنتفك هربوا من المدن خوفا على انفسهم • ويقول البلاغ الرسمي الصادر في **٢٨** تموز **١٩٢٠** ان الموقف اصلح قليلا في لواء الحلة « وقد ظهرت الاختلافات بين القبائل وبدأوا يدركون انهم آلة صماء في يد الآخرين ••• وقد غادر معاون حاكم كربلاء السياسي تلك المدينة ••• والسكون سائد على دجلة وفي ولاية الموصل والحالة حرجة في لواء المنتفق »[٢] • ويظهر ان الحالة ازدادت حراجة في هذه المنطقة فنصحت الحكومة حاكم قلعة سكر كرافورد Crawford ان يترك المدينةفي منتصف ذي الحجة **١٣٣٨**هـ بعد ان فشل

---

(١) الثورة ، ص ١٧٠ (ز) •

(٢) العراق ، السنة الاولى ، العدد (٥٢) ٣١ تموز ، ١٩٢٠ – ١٥ ذي القعدة ، ١٣٣٨هـ •

الثوار في اغتياله • وبعد ان ترك البلدة عمد الاهلون الى دار الحكومة وانتهبوها ، كما جردوا الحرس المحلي « الشبانة » من السلاح • واجتمع لفيف من الزعماء على اثر ذلك في موضع يسمى « المصيفي » ووقعوا ميثاقا سبقت الاشارة اليه[١] •

اما حاكم الشطرة فقد امنه الشيخ خيون على حياته وقال له : « صاحب ! كنا غالبا تتعارض في الرغبات ، ولكنا اصبحنا الآن صديقين منذ الليلة فلا تخشى شيئا من الغراف »[٢] • وبعد ان ضغط الرؤساء الاخرون على الشيخ خيون بوجوب مقاطعة الحكومة واحتلال القصبة ، نصح الحاكم المذكور بالسفر فترك البلدة وانتهب الاهلون سراي الحكومة وانزلوا العلم البريطاني •

وقد حصل في ١٤ محرم **١٣٣٩** ان خرج من الناصرية جيش انكليزى قوامه **(١٥٠٠)** جندي وما كاد يصل البطحة حتى احاط به الثوار وقطعوا خط رجعته • ثم التحموا معه بمعركة دامت **(٢٤)** ساعة • وكانت غنائم العرب فيها كثيرة والحصار لا يزال يشتد على العدو بتكاثر المجاهدين[٣] •

حركات الثوار في سوق الشيوخ : كانت قبائل بني خيگان القاطنة في منطقة سوق الشيوخ من اشد القبائل عداء للانكليز ، وقد عزت لهم السلطات الانكليزية جميع اعمال القرصنة • وكان افراد هذه القبيلة يشنون هجمات على السفن الانكليزية ، ويقطعون اسلاك التلغراف باستمرار[٤] • وعند نشوب الثورة اشتركت جماعات كبيرة من قبائل بني خيقان فيها ، كما

---

(١) الحسني ، الثورة ، ص ١٧٠هـ •

(٢) الحسني ، ن•م ، ص ١٧٠(و) •

(٣) جريدة « الاستقلال » العدد (١) السنة الاولى ، **١٨ محرم ،** ١٣٣٩ ـ ١ تشرين أول ، ١٩٢٠ •

(٤) The Muntafik Confederacy, Arab Bureau, Branch of Basrah, p. 9.

اشتركت فيها قبائل اخرى • وقالت جريدة " الاستقلال النجفية " : « قد اتفقت عشائر المجرة من حچام والعساچرة والمطيرات والحماحمة والعلّيات وبعض بني خيگان وآل حسن ونهضت في (١٧) ذي الحجة فحاصرت سوق الشيوخ وسقط بايديهم بعد مضي ثلاثة ايام • وقد سافر الحاكم على باخرة الى الناصرية • واستولى المجاهدون على محال الحكومة وهي بما فيها لا تزال تحت مراقبة حضرة الفاضل الشيخ محمد حسن حيدر يحتفظ بها لحين احتياج الامة • وقد انحدرت في (٢١) ذي الحجة باخرتان مدرعتان ذوات سلة نحو سوق الشيوخ فحاربهما الوطنيون ، وقتلوا قائدا برتبة ميجر واربعة جنود • وقد عارضت قبيلة العساجرة بقيادة الحاج اهليل الباخرة الحربية القادمة من البصرة قاصدة الناصرية فصبت عليها رصاص بنادقها حتى عطلتها ، وقتلت قائد الباخرة ونفرا واحدا »[١] •

ويقول الحسني ان الثوار لما تسلموا ادارة القصبة رفعوا العلم العربي على المؤسسات الحكومية على نحو ما فعلوه في الشطرة وقلعة سكر • ثم جردوا قوة وطنية تمثل سوق الشيوخ والقبائل المحيطة بها ، برئاسة الشيخ قاصد رئيس حچام • وعسكرت هذه القوة في جبهة الناصرية الشرقية لتشديد الحصار على الحامية المتجمعة فيها من اطراف اللواء ، واستمرت في المناوشات معها طوال ايام الثورة على شدة القصف الجوي الذى كانت تتعرض اليه[٢] •

سابعا ـ جبهة السماوة ـ كانت السماوة من مدن العراق المهمة ، فيها من النفوس نحو ١٣٫٠٠٠ نسمة • وكانت السماوة من المراكز التجارية التى تمون سكان البادية التي يؤمونها في مناسبات معينة من السنة •

وعندما شبت نيران الثورة في الرميثة سارعت قبائل السماوة لمهاجمة

---

(١) العدد (٢) ٣ تشرين الاول ، ١٩٢٠ •
(٢) الثورة ، ص ١٧٠(ز) •

قوات الاحتلال وتخريب سكك الحديد المارة من اراضيها . وكان السيد هادي المكوطر من اهم الشخصيات التي اسهمت اسهاما فعالا في مقاومة سلطات الاحتلال في السماوة . وقد عمل السيد هادى كل ما بوسعه لدعوة الناس الى الجهاد « من اجل هدف واحد وهو القضاء على الادارة الملكية في الفرات الاسفل »[١] .

وكانت محطة الخضر من المواضع التي اهتم الثوار بالاستيلاء عليها . وقد حاصروها بعد ان خربوا سكة الحديد في مواضع مختلفة بالقرب منها ، ودام حصارهم لها مدة (١٥) ساعة[٢] . وكانت الحكومة قد خصصت قطارين مدرعين لحماية سكة الحديد بين الناصرية والسماوة خشية ان يهاجمها الثوار او يقلعوا قضبانها . فتولى احدهما حراسة القسم الممتد بين الناصرية والخضر ، وتولى الثاني القسم الممتد من الخضر الى السماوة[٣] . وفي (١٢) آب تمكن الثوار من ارغام القطار القادم الى الخضر من السماوة على العودة من حيث اتى ، وبذا تمكنوا من تخريب سكة الحديد . ورأت الحكومة تحت هذه الظروف ، ان تنسحب من الخضر بعد ان منيت حاميتها بخسائر كثيرة . وعندما انسحبت حامية الخضر اصطحبت معها ثلاث قطر ، فضايق الثوار هذه القطر ونجحوا في اخراج بعض مركباتها من الخط . وهكذا فقد الانكليز محطة الخضر ، وتركوا مدفعين من مدافعهم فاستعملهما الثوار في محاربة القوات البريطانية المحصورة في محطة السماوة وجسر البربوتي[٤] .

وقد اصدر الثوار بمناسبة احتلال الخضر بلاغا مؤرخا في ١٦ ذي

---

(١) آيرلند ، العراق ، ص ٢٠٨ .

(٢) البصير ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ١٤٤ .

(٤) البصير ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

القعدة ، ١٣٣٨هـ جاء فيه : « وفي هذا اليوم احتل بلد الخضر شيخ عشيرة الجوابر محمد آل عقيرب واستولى على مراكز الحكومة ، وقتل من فيه من الانكليز، وننتظر بفارغ الصبر نبأ الاستيلاء على الجند المحصور في الشاطيء واغتنام معسكره المملوء من السلاح والكراع وانواع الآلات والادوات » .

وحدثني الضابط سامي النقشلي الذى كان يعمل مع الثوار في منطقة السماوة عن الهجوم الذى شنه احد قطارات قوات الاحتلال على الثوار هناك . فقال ان القطار المذكور كان قادما من الخضر الى السماوة ، وعندما اقترب من المنطقة التي تجمع فيها عدد من الثوار ، رأى ربانه ان قضبان الحديد قد قلعت على مسافة (٤٠٠) متر تقريبا . ولكن ذلك لم يحل دون استمرار القوات التي يقلها القطار باطلاق النار على جموع الثوار . وكانت الطائرات التي تحرس القطار تعاونه في عملية اطلاق النار . وقد هجم الثوار على القطار رغم شدة النيران التي تخرج منه . وساعدهم تحصنهم بالحفر الموازية للسكة على تجنب كثير من الاضرار ، التي كان بأمكان راكبو القطار ان يحدثوها لولا وجود هذه الحفر . وتمكن الثوار من الاقتراب من القطار واحداث اصابات عديدة بالجند الذي يقلهم . ولما استحال على القطار المضي في طريقه اضطر على الرجوع الى الخضر ، وحينئذ تمكن عدد من الثوار ان يركبوا فيه . ودخل القطار في عودته الى ساحة مسيجة قرب المحطة حيث يوجد عدد كبير من قوات العدو التي وجه عليها الثوار نيرانهم . وكانت القوات المرابطة في الساحة لا تعلم بوجود الثوار في القطار لذا لم تكن مستعدة للقائهم الامر الذى مكن الثوار من احداث اضرار كبيرة بهم ولم ينج منهم الا عدد من الجرحى . وقد نجم عن الارتباك الذي حصل في المحطة اصطدام القطار القادم بقطار آخر كان واقفا في المحطة مما سبب خروج اثنين من عرباته عن الخط . وبعد ذلك بقليل استسلمت محطة الخضر بكاملها . وعندما سلم القطار اخذ المدفعي

ابرة مدفعه وهرب نحو باخرة انكليزية كانت راسية على ضفة النهر ، ولكن الثوار وجهوا رصاصهم نحوه فقتلوه واسترجعوا الآلة منه وسلموها للضابط سامي النقشلي فوضعها في مكانها في المدفع وصوبه نحو الباخرتين الانكليزيتين • وبعد طلقات قليلة هربت الباخرتان وابتعدتا عن الساحل ، ونظرا لقلة مياه النهر جنحت احداهما في الجزرة وهربت الثانيـــة • اما الطائرات فأنها هي الاخرى قللت من هجماتها بعد ان وجه اليها المدفع(١) •

واخبرني السيد سامي النقشلي ان الثوار ما كادوا ينتهون من معركة الخضر حتى نقلوا المدفع الذى غنموه في معركة الخضر الى محل قريب من الجيش المحاصر في السماوة • وكانت القوات الموجودة في السماوة مرابطة في عدة مراكز : اهمها مركز محطة السماوة الذي كان من بين قواته قطار مسلح • اما المركز الثاني فكان واقعا على ساحل النهر على مقربة من محل يعرف بـ « البربوتي » • ويشارف القسم الاخير على مضخة الماء التي تمون القوات المحاصرة في المحطة بالماء • وتمكن الثوار من كسر انابيب الماء الخارجة من المضخة ، وبذا قطعوا الماء عن القوات المحاصرة في المحطة • وقد اضطرت القوات المرابطة في المحطة ، نظرا لشدة الحر وقلة الماء ، ان تلتحق بالقوات الموجودة على الساحل • وبينما كانت القوة المذكورة تزحف نحو الساحل قابلها الثوار فحالوا دون مواصلتها للزحف • وقـــد وقعت

---

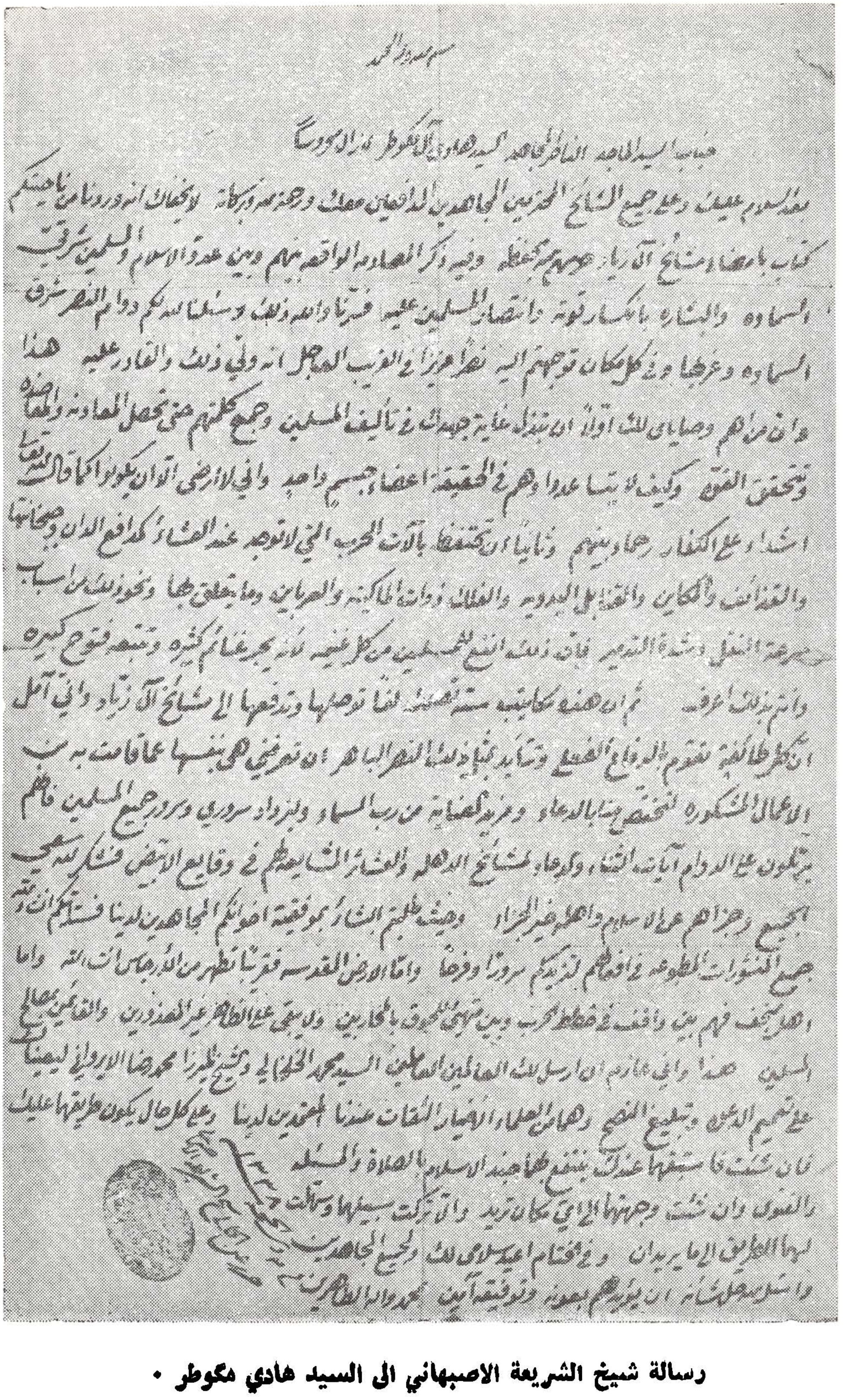
(١) مقابلة شخصية مع الضـــابط سامي النقشلي الذي أوردت شيئا من ترجمته سابقا • وذكر لي الاستاذ النقشلي انه بعد اســـتيلاء الثوار على القطار المذكور توفرت لديهم القنابل اليدوية ، اذ كان في القطار عربة كاملة مملوءة بصناديق القنابل • وقد درب حوالي عشرين شخصا من الثوار على استعمال هذه القنابل • ونجحوا فعـــلا باستعمالها لاغراق باخرة كانت راسية في نهر الفرات ، كما استعملوها في أماكن أخـــرى • وكان اسم الباخرة التي أغرقهـــا الثوار كرين فلاي Greenfly وقال الاستاذ سامي ان الثوار استفادوا من رشاشاتها ومدافعها الصغـيرة والكبيرة وتجهيزاتها الحربية والطبية •

معركة بين الفريقين كانت نتيجتها ابادة القوات البريطانية الزاحفة من المحطة عدا اربعة اشخاص عادوا الى القطار المدرع واعتصموا به • وقال النقشلي اننا طلبنا من الانكليز المعتصمين التسليم ولكنهم ابوا واستمروا على اطلاق النار • وبعد فترة سكتت نيرانهم فاستولى الثوار على القطار وفتحوا العربة فوجدوهم قد انتحروا • وقد انهى النقشلي مقابلته لي بالثناء على ابرز قواد الثورة في منطقة السماوة وهو السيد هادي آل امكوطر ، مؤكدا الجهود التي بذلها لتوحيد كلمة الثوار وحثهم على مناجزة سلطات الاحتلال •

وقد وردت تفصيلات عن حركات الثوار في السماوة في كتابي الحسني والبصير جديرة بالاطلاع عليها[١] ومن الجدير بالذكر ان حادثة الاستيلاء على القطار المدرع من قبل الثوار قد ايدها البلاغ الرسمي التالي : « اشتبكت الفصيلة التي في السماوة مرة اخرى مع العصاة في قتال شديد ، وقد ادى الى خسارة قطار مدرع • »[٢] وقد اورد الجنرال هالدن تفصيلات وافية عن استسلام القطار المدرع[٣] • يضاف الى ذلك ان استيلاء الثوار على المدفع والباخرة « كرين فلاي » تأيد برسالة بعثها زعيمان من زعماء الثوار بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٣٩ هـ وهما الحاج جعفر رئيس الجوابر وعبد علي الشيخ حيدر الى شيخ الشريعة • وقد ورد نص الرسالة في جريدة الاستقلال النجفية[٤] •

وقد عثرت على رسالة موجهة من الامام شيخ الشريعة الاصفهاني الى السيد هادي آل مكوطر زعيم الثوار في السماوة • وتلقي هذه الرسالة ضوء

(١) الثورة ، ص ١٤٣ـ١٤٩ ، القضية العراقية ، ج١ ، ص ٢٦٦ •
(٢) جريدة العراق ، العدد (٨٢) ، ايلول ، ١٩٢٠ •
(٣) Op. cit, pp. 208 — 213.
(٤) العدد (٥) ، ٨ تشرين الثاني ، ١٩٢٠ •



بسم الله وله الحمد

جناب السيد الماجد الفاخر المجاهد السيد هادي آل مكوطر دام مؤيداً

بعد السلام عليك وعلى جميع المشايخ المحترمين المجاهدين الداعين معك ورحمة الله وبركاته لا يخفاك انه ورد منا من ناحيتكم
كتاب بامضاء مشايخ آل زياد حرسهم الله وحفظهم وفيه ذكر المصادمة الواقعة بينهم وبين عدو الاسلام والمسلمين وشرح
الشهادة والبشارة بانكسار قوته وانتصار المسلمين عليه فسرّنا والله ذلك ونسأل الله لكم دوام النصر وشرف
الشهادة وغيرها في كل مكان توجهتم اليه نصراً عزيزاً والفتح العاجل انه ولي ذلك والقادر عليه هذا
وان من اهم وصايانا لك اولاً ان تبذل غاية جهدك في تأليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاضدة والمعاونة
وتحقق الفوز وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة اعضاء جسم واحد واني لا ارضى الا ان يكونوا كما قال الله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم وثانياً ان تكتفوا بآلات الحرب التي لا توجد عند العدو كمدافع [illegible]
والقذائف و[illegible] والقنابل اليدوية والغلات ذوات الماكنة والعربانة وما يتعلق بها ونحو ذلك من اسباب
سرعة القتل وشدة التدمير فان ذلك انفع للمسلمين من كل غنيمة لانه يجر غنائم كثيرة ويتبعه فتوح كثيرة
وانتم بذلك اعرف ثم ان هذه مكاتيب مسمى مفصلة لما توصلها وتدفعها الى مشايخ آل زياد واني آمل
ان كل طائفة تقوم بالدفاع الفعلي وتتأيد بتأييد الله النصر الباهر ان تعرفني كل منها عما قامت به من
الاعمال المشكورة لتختص منا بالدعاء ومزيد الثناء من رب السماء ولتزداد سروري وسرور جميع المسلمين فانهم
يرتلون على الدوام آيات الثناء والدعاء لمشايخ [illegible] والعشائر [illegible] في وقائع الاخيرة فشكر الله سعي
الجميع وجزاهم عن الاسلام واهله خير الجزاء وحيث علمتم الشائع بموفقية اخوانكم المجاهدين لدينا فسلموا ان تقدم
جميع المنشورات المطبوعة في اعمالهم لتزيدكم سروراً وفرحاً واما الارض المقدسة فقريباً تطهر من الارجاس ان شاء الله واما
العراق فهم بين واقف في خط الحرب وبين [illegible] بالمحاربين ولا يخفى على الناظر غير المعذورين والقائمين بمصالح
المسلمين هذا واني عازم ان ارسل لك العالمين الفاضلين السيد محمد الخلخالي والشيخ ميرزا محمد رضا الاردبيلي ليعيناك
على تعميم الدعوة وتبليغ النصح وهما من العلماء الاخيار الثقات عندنا المحمودين لدينا ومع كل حال يكون طريقهما عليك
فان شئت فاستبقهما عندك لينتفع بهما عبيد الاسلام بالصلاة والسلام
[illegible] وان شئت وجهتهما الى اي مكان تريد والا تركت سبيلهما وسألت
لهما الطريق الى ايران وفي الختام ابلغ سلامي لك ولجميع المجاهدين
واسأل الله تعالى ان يؤيدهم بعونه وتوفيقه آمين بمحمد وآله الطاهرين

رسالة شيخ الشريعة الاصبهاني الى السيد هادي مكوطر .

على اهمية حركات الثوار في السماوة كما تبين الاهميـــة التي كانت قيادة الثورة تعلقها على آلات القتال الحديثـة التي يغتنمها الثـوار من قـوات السلطات المحتلة •

وجاء في الرسالة سالفة الذكر عدة وصايا موجهة من شيخ الشريعة الى السيد هادى اهمها :

« اولا ان تبذل غاية جهدك في تأليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاونة والمعاضدة وتتحقق القوة وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة اعضاء جسم واحد واني لا ارض الا ان يكونوا كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم • وثانيا ـ ان تحتفظ بآلات الحرب التي لا توجـــد عند العشائر كمدافع الدان [مدافع القـــذائف] وجبخاناتهـــا [عتادها] والقذائف والمكاين والقنابل اليدوية • والفلك ذوات الماكينة والعربايـن وما يتعلق بها ونحو ذلك من اسباب سرعة النقل وشدة التدمير فان ذلك انفع للمسلمين من كل غنيمة لانه يجر غنائم كثيرة وتتبعه فتوح كبيرة ••• ثم ان هذه مكاتيب ستة تصلك لفا [طيا] توصلها وتدفعها الى مشائخ آل زياد واني آمل ان كل طائفة تقوم بالدفاع الفعلي وتتأيد بمثل ذلك النصر الباهر ان تعرفني هي بنفسها عما قامت به من الاعمال المشكورة لتختص منا بالدعاء ومزيد العناية من رب السماء وليزداد سروري وسرور جميـع المسلمين فانهم يرتلون على الدوام آيات الثناء والدعاء لمشائخ الدهلةوالعشائر المشايعة لهم في وقايع الابيض فشكر الله سعي الجميع وجزاهم عن الاسلام واهله خير الجزاء ••• واما الارض المقدسة فقريبا تطهر من الارجاس ان شاء الله • واما اهل النجف فهم بين واقف في خطط الحرب وبين متهيء للحوق بالمحاربين ولا يبقي على الظاهر غير المعذورين والقائمين بمصالح المسلمين • هذا واني عازم ان ارســل لك العالمـين العاملين السيد محمد

الخلخالي والشيخ المرزا محمد رضا الايرواني ليعنياك على تعميم الدعوة وتبليغ النصح ...

شيخ الشريعة الاصبهاني

التوقيع [ ]

ويظهر ان خسائر القوات البريطانية في حادثة خسارة القطار المدرع كانت كبيرة . فيقول الحسني : « ان القطار المذكور جاء لسحب الحاميات الاربع المذكورة اعلاه ، ولاخلاء السماوة من كل قوة انكليزية ، فكم يجب ان يكون عدد القتلى في هذه الواقعة ؟ وما هي الذخائر التي يجب ان يكون الثوار قد غنموها فيها ؟ اني اترك ذلك الى نظر القارىء الكريم ولا سيما رجال الجيش المحترمين »[(١)] . ثم ان خسائر الثوار في هذه المعركة كانت كبيرة اذ استشهد منهم ما يقارب الاربعمائة شهيد ، ومع هذا كانت غنائمهم كثيرة جدا[(٢)] .

وقد حصلت معارك اخرى في هذه الساحة ذات اهمية بالغة ، منها معركة « الدورة » التي دامت ثماني واربعين ساعة وقتل فيها من الطرفين عدد كبير . وقد استخدم العدو الطائرات فضلا عن البواخر النهرية . وبعد هذه المعارك دخلت قوات الاحتلال السماوة ، فامضت فيها يومين هجمت بعدها على مراكز الثوار فالتحموا معها بمعركة دامت عشر ساعات في مكان يسمى « الزريجية » ولكنها ما لبثت ان انسحبت الى السماوة فتعقبها الثوار . وكانت معركة « السوير » الاولى وغيرها من المعارك الرئيسة التي دارت في هذه المنطقة . وسنشير اليها بعد قليل .

---

(١) الثورة ، ص ١٤٨ .

(٢) الفرعون ، فريق ، ن.م ، ج١ ، ص ٤٧٦ .

الهجوم البريطاني العام :

بينا فيما سبق ان القوات البريطانية عند نشوب الثورة لم تكن كثيرة العدد ، ولكن ما كادت الثورة تشمل مناطق اخرى غير الرميثة ، حيث نشبت لاول مرة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، حتى استنجد الجنرال هالدن بحكومته طالبا منها امداده بجيوش كافية تمكنه من القضاء على الثورة • وما كان من الحكومة البريطانية الا ان تمده بكل ما يحتاج اليه حتى بلغ عدد الجيش البريطاني في العراق حوالي (٨٠) الفا[١] • يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية ، رغم المعارضة القوية التي واجهتها في الصحافة والبرلمان ، قررت القضاء على الثورة مهما كلفها الامر • وفي ٢٦ آب ١٩٢٠ ابرق وزير الحربية المستر ونستون شرشل للجنرال هالدن قائلا : « اغتنم الفرصة لاهنئك على نجاحك في العمل الشاق الذي عهد لك القيام به • واعلمك ان الوزارة قد قررت وجوب القضاء على الثورة وسأعمل جهدي في تلبية جميع طلباتك » • ثم اردف قائلا ان الجيوش والطائرات التي طلبها هالدن هي في طريقها الى العراق ، وانه على استعداد ، بقدر الامكان ، ان يرسل ما يطلبه الجنرال هالدن من جيوش وطائرات غير التي ارسلت فعلا[٢] •

وفي نهاية شهر تموز انتقلت القيادة البريطانية من كرند في ايران الى بغداد وبذا تعزز موقف الحكومة وكثر الاحتياطي لديها[٣] •

اما الثوار فانهم قد صرفوا القسم الاعظم من نشاطهم وجهودهم ، فضلا عن عتادهم الحربي ، خلال شهري تموز وآب • ولما كان امد الثورة قد تجاوز الخمسة اشهر كان لزاما ، والحالة هذه ، ان تقل مواردهم المحدودة

(١) Haldane, Op. cit, p. 66.

(٢) Ibid, p. 215.

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ١٧١ •

لا سيما انهم لم يحصلوا على مساعدات لا من خارج العراق ولا من المناطق العراقية التي لم تشترك بالثورة • وقد بدأت الحكومة في اخماد حركات الشيخ ضاري المحمود جوار خان النقطة في لواء الدليم ، ثم قضت على الثورة في لواء ديالى • وبعد ان تم لها ذلك التفتت الى مناطق الثورة الرئيسة المنبثة في منطقة الفرات الاوسط • وكانت اول حملة ارسلت لذلك الغرض هي الحملة التي ارسلت لاحتلال طويريج (الهندية) بتاريخ ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ • وقد وقعت البلدة المذكورة في قبضة القوات المهاجمة في ذلك اليوم نفسه بعد ان دار بينها وبين الثوار قتال عنيف كلفها خسارة تقدر بعشرين قتيلا • وقد حاول الثوار ان يحرقوا جسر البلدة ولكن القوات الهاجمة احبطت محاولتهم هذه[١] •

وكان لاحتلال مدينة اطويريج اثر سيء على الحالة في كربلاء ، اذ يقول هالدن : « اننا ابلغنا مجلس الاحدى عشر الذى يمثل اعضاؤه حكومة الثوار في كربلاء ان يعلنوا خضوعهم الاسمي وان يتوجه وفد منهم لمقابلة برسي كوكس المندوب السامي الذي حل محل ولسن ، وقد هددناهم بقطع الماء عن كربلاء ، ان لم يذعنوا لطلبنا ، وقد اذعن في ١٦ تشرين الاول عشرة منهم فعلا ، وتلاهم في حركتهم هذه كثير من رؤساء القبائل فسلموا انفسهم »[٢] • ويستمر الجنرال هالدن بروايته السالفة فيقول ان افراد القبائل اصبحوا اهدافا جيدة للجيوش الانكليزية • وان القوات البريطانية المتقدمة من نهر الطهمازية غرب الحلة تمكنت من تدمير جميع القرى العائدة لقبيلة آل فتلة[٣] • وكانت القيادة البريطانية تنوي حينذاك رفع الحصار عن حامية الكوفة • وعندما تحركت في اليوم السادس عشر من

(١) البصير ، ن•م ، ج٢ ، ص ٣٠٦ •

(٢) Haldane, Op. cit, p. 185 — 6.

(٣) Ibid, p. 184.

تشرين الاول من الحلة نحو الكوفة لم تصادف مقاومة في اليوم الاول ، ولكن الثوار تجمعوا في اليوم الثاني باعداد كبيرة ورابطوا في القنوات الجافة على امل ان يمنعوا القوات الزاحفة من الوصول الى الكوفة . وبالرغم من احتفاظ الثوار بمراكزهم لفترة ما لكنهم لم يصمدوا طويلا[١] . وقد اورد البصير تفصيلات عن الحرب التي دارت بين الثوار والحكومة خلال سير جيوشها نحو الكوفة . وقد وصلت جيوش الحكومة الكوفة في ٣ صفر ١٣٣٩ هـ بالرغم من محاولات الثوار اليائسة لايقافها . وبعد ان باتت الكوفة في قبضة الحكومة اضطرت النجف لاعلان تسليمها للحكومة دون قيد او شرط . « ولما سلمت بلدة النجف تشتت شمل رجال الثورة وزعماء القبائل اذ كانت مأوى الشاردين وملجأ الهاربين من بغداد وغيرها من البلدان التي احتلتها الجيوش البريطانية . دخل النجف الجيش البريطاني يوم الثلاثاء ٤ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ بعد ان اخمد نار الثورة في الشامية واستولى على مراكز الثوار هناك وشتت شملهم . دخل النجف وحاصرها وكانت آنئذ مملوءة بالرجال والنساء الذين فروا من الجيش البريطاني الذي دمرهم واحرق منازلهم بنيرانه المتفجرة من طياراته المحلقة فوق رؤوسهم ولكثرة النفوس في البلدة ومنع الحكومة من ادخال الاطعمة والاشربة اليها شحت لوازم الاعاشة واضر بأهلها الجوع والعطش ... » وقد فرضت الحكومة على النجف غرامة[٢] قدرها (٣٠٠٠) بندقية او بدلها (٨١٠٠٠) ليرة ذهبية . وقد سفرت عددا من العلماء من بينهم الشيخ جواد الجواهري والسيد عزيز الله الاسترابادي والشيخ حسن ابن الامام شيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد رضا آل السيد صافي[٣] هذا ما جرى للجيش

---

(١) Ibid, p. 182.

(٢) **محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج١ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .**

(٣) ن.م ، ج٢ ، ص ٣١١ .

البريطاني في جبهة الكفل • اما في جبهة السماوة فأن قوات الحكومة تمكنت من احتلال بلدة السماوة بعد ان خسرت خمسين قتيلا ، ولكن الثوار صمدوا امامها في جسر السوير واشتبكوا معها في معارك اورد البصير تفصيلات عنها(١) •

ولنترك الحركات العسكرية جانبا لنلقي نظرة عجلى على التبدلات السياسية التي كان لها اثر كبير في تهدئة هذه الحركات • وكان تعيين كوكس ممثلا لبريطانيا في العراق بدلا من ولسن من دلائل هذا التبدل •

تعيين كوكس مندوبا ساميا في العراق :

بينما كانت الثورة تسير نحو نهايتها طرأ تحوير على السياسة الانكليزية نحو العراق فاكتسبت نوعا من المرونة ، ورأت بريطانية ان تحل القضية العراقية حلا سياسيا بعد ان ظهر لها تصميم العراقيين على رفض حكمها المباشر او غير المباشر اي عن طريق الانتداب • وكان لهذا التغيير اسباب متعددة سنوردها بعد قليل • واختارت الحكومة البريطانية السير برسي كوكس لخبرته الطويلة وحذقه السياسي ليقوم بتطبيق السياسة الجديدة في العراق • وقد كتبت جريدة الاستقلال النجفية في ١ تشرين اول سنة ١٩٢٠ عن تعيين كوكس وسياسة انكلترة في العراق ما يأتي : « وصل كوكس « لندن » والنزاع قائم بين حزبي اسكويت القائل بتخلية بغداد والانسحاب نحو البصرة ولويد جورج الذي يرى لزوم استعمال القوة لاخماد ثورة العراقيين الاستقلالية والاحتفاظ بالعراق ابديا على الرغم من جميع المعاهدات والتصريحات التي تقضي باستقلاله وتركه لابنائه ، فجاء وصوله هناك بلية كبرى على لويد جورج وانصاره لما اذاعه من انباء العراق وحوادثه الجديدة وقوة الحركة الوطنية فيه مما عزز جانب اسكويت المعارض ••• وها قد

---

(١) يقول هالدن ، على الص ٢٦٢ من كتابه سالف الذكر اننا وضعنا غرامات ثقيلة من العتاد والسلاح على مدينتي النجف وكربلاء •

قفل كوكس راجعا من لندن وسيصل قريبا البصرة (وربما وصلها) فما عساه حاملا للعراقيين ؟ وما هي البضاعة التي انتقاها لاهل العراق فأن كانت مما يستطيع العراقيون ان يصنعوا منها ثوب الاستقلال ورداء الحرية فلا شك انه قد جاء بتجارة رابحة ••• وان كان قد اخطأ فجاء متخذا سياسة وخطة الاستعباد ليرغمهم على اكتساء ثوب الوصاية ، ذلك الثوب المرقع الخلق الذي اعده لهم لويد جورج وانصاره فلا بأس فان الامة العراقية قد اعتمدت في نهضتها على نفسها بعد ان طلبت العون من الله ولا تقابله الا بما قابلت به سلفه ولسن ••• ومن ينعم النظر في التبديلات التى حصلت حديثا في الادارة الملكية في بغداد ، كعزل ولسن [و] استلام كوكس ازمة الحكومة في البصرة ، واستبدال الموظفين الانكليز الملكيين بموظفين عراقيين وجعل اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية ـ يتوسم الخير في سياسة كوكس الجديدة ويرى من خلالها حسن العاقبة • على ان واجب الامة العراقية الناهضة لاخذ حقوقها المغصوبة واسترجاع مجدها السالف ان تبدي نشاطها وتعمل بهمة للاستيلاء على المواقع المعتقل فيها الجند الاحتلالي ••• »[١] •

ويورد الحسني البيان الذى اصدرته الحكومة البريطانية من تعيين السير برسي كوكس وعن مهمته في العراق جاء فيه ان كوكس سيضطلع بمسؤولية « ادارة الحكومة الملكية في البلاد ، الى ان يتمكن من تنفيذ سياسة حكومة جلالة الملك ، لتأسيس حكومة عربية في العراق ••• »[٢] •

وعندما وصل كوكس الى بغداد في (١١) تشرين الاول ١٩٢٠ رحب به الشاعر المعروف جميل صدقي الزهاوي بقصيدة عنوانها « عد للعراق »

---

(١) **العدد (١) ١٨ محرم ، ٣٣٩ ـ ١ تشرين الاول ، ١٩٢٠ •**

(٢) **الثورة ، ص ١٨٤ـ١٨٥ •**

نشرت في ديوانه متفرقــة[1] . اعرب فيها الشاعر عن تأييده لسياســة الانكليز[2] وهجم على الثوار هجوما لا يليق بمكانته رحمه الله .

ومما قاله مخاطبا كوكس :

ان العــراق لمســـــعود برؤيتــه اباله من بلاد العـــــدل قد وردا
ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا اثارة الشــر فيه وهــو ما قصـــدا
ما انسى يوم بدت في القطر حادثة من الحــوادث تنسي الوالد الولدا

وما كاد السير برسي كوكس يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا بتاريخ (٢٦) تشرين الاول ١٩٢٠ موجها « الى جميع طوائف العراق وعشائرها » قال فيه : « ان فخامة نائب الملك ، السر پرسي كوكس يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق ، بأن حكومة بريطانية العظمى ، انتدبته ليعود الى العراق ، لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة ، بمساعدة رؤساء الامة ، ولتشكيل حكومة وطنية في العراق ، بنظارة حكومة بريطانية ، ولقد يصعب جدا على فخامته تنفيذ منويات الحكومة البريطانية ، ما دامت بعض اقسام العشائر ، والطوائف في العراق تعادي الحكومة ... ولا يعلم فخامته غرض العشائر الذين يشغلون انفسهم بالحزب . فأذا كان هناك سوء مفهومية (كذا) يمكن ازالتها . فيسر[3] فخامته ان يبلغ العشائر ذلك اليه بواسطة اقرب حاكم

---

(١) الديوان ، طبعة القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص‌ص ، ١١٠ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ .

(٢) قال الاستاذ علي البازركان ، على الص ٢٠٣ من كتابه الموسوم بـ « الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية » : « ان ولاء واخلاص الشــاعر المذكور [الزهاوي] للانكليز غير خاف عن الجميع ، فقــد كان أحــد الستة الاشخاص الذين استقالوا من عضوية المندوبين الخمس والعشرين والذين رشحهم القاضى الحاج علي الآلوسى لاعطــاء الجواب عن الاسئلة الثلاثة التي طرحها الانكليز بتاريخ ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩١٩ ، ومــا فعل ذلك الا ليفت في عضدنا ... » .

(٣) الحسني ، ص ١٨٤ـ١٨٥ .

سياسي اليهم .»[1] وقد اراد كوكس ان يؤيد بيانه سالف الذكر بالفعل فشرع بالعمل على تأليف الوزارة النقيبية . ويقول البصير ان اكثر زعماء العشائر « سلموا فعلا بعد صدور هذا المنشور لا لانه كان عظيم الاثر على عقولهم وعواطفهم بل لانه لم يكن في طاقتهم ان يقفوا اياما طويلة اخرى في وجه القوات البريطانية التي كانت تتقاطر من الهند بعددها الكثير وعددها الرهيبة مع ما لحق ثورتهم من الانكسارات في المناطق المختلفة »[2] .

وكان تسليم الاكثرية العظمى من الثوار دون قيد او شرط ما عدا من كانوا في منطقة الرميثة والسماوة فأنهم صمدوا لقوات الحكومة واجبروها على الدخول معهم في مفاوضات اسفرت عن توقع الاتفاق التالي في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ :

(١) ان تكون للعراق حكومة عربية مستقلة . **(٢)** ان لا تطالب قبائل بني حجيم بكل شيء خسرته الحكومة اثناء الثورة عدا ما تراه رجال الحكومة باقيا في ايديهم . **(٣)** ان لا تؤدي القبائل المذكورة شيئا من الضرائب الاميرية لسنة الثورة لعدم استطاعتهم على ادائها بسبب ما لحقهم من الضرر من جراء القيام بالثورة . **(٤)** ان يأخذوا على عهدتهم محافظة السكة الحديد التي هي بحدودهم . **(٥)** ان يتعهدوا بتوطيد الامن والسلام في جميع اراضيهم **(٦)** ان يسلموا الى الحكومة الفين واربعمائة بندقية .

وهكذا طويت الصفحة العسكرية للثورة بعد ان كلفت البريطانيين **(٢٢٦٩)** اصابة[3] وكلفت الثوار **(٨٤٥٠)** اصابة تقريبا على رواية هالدن .

---

(١) الحسني ، ن.م. ص ١٨٤ ــ ٥ .

(٢) القضية العراقية ، ج٢ ، ص ٣١٣ــ٣١٤ .

(٣) يقول هالدن ، على الص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر : **ان عدد القتلى من الهنود والبريطانيين ٣١٢ وان الذين ماتوا متأثرين من جروحهم ١١٣ وان معظم المفقودين وعددهم ٤٥١ قتلوا ، وان عدد الجرحى ١٢٢٨ ،** وان اسرى الحرب ١٦٤ وان واحدا من الاسرى توفي في الاسر وبذلك يصبح المجموع ٢٢٦٩ بين قتيل وجريح وأسير .

وكان جل هؤلاء القتلى والجرحى من نصيب الفرات الاوسط ، اذ يقدر عدد قتلى العراقيين وجرحاهم ، فيما عدا الفرات الاوسط والاعلى ، بـ(٥٥٠) شخصا فقط • ويقدر انطونيوس مجموع خسائر الثورة في نهايتها نحـو ١٠٫٠٠٠ اصابة • ويقول ان عدد العرب الذين قتلوا لا يعرف بالتأكيد « وربما قارب ٤٠٠٠ ••• وكلفت الثورة الخزينة البريطانية اربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية ؛ وهو مبلغ يزيد على ثلاثة اضعاف المعونات التي دفعتها بريطانية ـ ذهبا واسلحة ومؤنا ـ لتموين الثورة العربية من بدايتها الى نهايتها ، وكانت الاضرار في الاملاك ومصادر الدخل في البلاد كبيرة فادحة • »[١] •

ويقدر كيرك خسائر بريطانية في الاموال بـ (٢٠) مليون ليرة استرلينية ، وعدد القتلى من البريطانيين والهنود بـ (٤٠٠) • ورواية كيرك بخصوص عدد القتلى لا يعتد بها تجاه رواية الجنرال هالدن لان الاخير هو الذي ادار الحركات العسكرية بالعراق خلال الثورة[٢] • ويظهر ان الخسائر المادية التي حلت بالعراق من جراء الثورة كانت اكثر بكثير مما قدر لان الجيش البريطاني بعد اندحار الثوار وفي خلال الثورة كان يحرق القرى التي يمر بها احيانا • وقد اشرنا الى ذلك في حينه • كما ان غرامات على شكل اسلحة ونقود فرضت على الثوار بعد فشل الثورة • وقد استلمت الحكومة من المنطقة السابعة عشرة فقط ٥٢٫٧٦٩ بندقية في ٣١ كانـون الثاني ١٩٢١[٣] • واذا علمنا ان الحكومة قدرت البندقية بعشرين ليرة تركية والطلقة بليرة واحدة[٤] نقدر المبالغ التي تكبدها الاهلون لدفع هذه الغرامات•

---

(١) يقظة العرب ، ص ٤٣٠ •

(٢) Op.cit, p. 143.

(٣) Haldane, Op. cit, p. 271.

(٤) Iibd, p. 330.

ووضعت الحكومة غرامة على مدينة النجف قدرها ٣٠٠٠ بندقية او بدلها ٨١٠٠٠ ليرة ذهبية • وارتفع ثمن البنادق لكثرة الطلب عليها حتى بلغ ثمن اردأها ١٥ ليرة ذهبية[١] •

ويظهر ان الحكومة كانت تستعمل القسوة في حالة عجز الثوار عن دفع الغرامات • ويقول هالدن : « ان تاريخ تسليم البنادق والعتاد يحدده قائد المنطقة • وتعد المنطقة دار حرب اذا مر التاريخ المضروب دون ان تسلم الغرامة ، وحينئذ يبدأ الجيش بحركاته العسكرية فيدك القرى الى الارض ، ويخلع الاجزاء الخشبية Woodwork من البيوت • ثم يمارس انواع الضغط على السكان ، فيقطع الماء ويخرب آلات رفعه الاعتيادية كما يمنع السكان من مزاولة اعمالهم الاعتيادية للزراعة • ثم يعمل الجيش على جمع المؤن من اي نوع كانت بصورة منتظمة ما عدا احتياجاته الآنية • ويمكن القول ان المنطقة بكاملها تجرد من ضروريات الحياة ••• يضاف الى ذلك ان القوة الجوية الملكية تلقي قنابلها على المنطقة ليلا ونهارا • »[٢]

اما مجموع الغرامات التي استلمتها الحكومة من الثوار فكان كما يلي : (١) استلمت الحكومة ٦٣٫٤٣٥ بندقية صالحة للاستعمال • وكان (٢١٫١٤٥) بندقية من بينها حديثة الصنع • (٢) استلمت الحكومة (٣٫١٨٥٫٠٠٠) طلقة • (٣) استلمت الحكومة (٨٦٧٫٦٥٠) ربية اي حوالي (٥٤٫١١٢) ليرة استرلينية[٣] •

واذا حولنا قيمة البنادق الى نقود حسب السعر السائد اي (١٠) ليرات للبندقية الواحدة وليرة مقابل الطلقة الواحدة فتكون قيمة البنادق

---

(١) محبوبة ، ن٠م ، ص ٢٧٣ •

(٢) Op. cit, p. 330.

(٣) Ibid, p. 298.

(٦٣٤ر٣٥٠) ليرة وقيمة الطلقات (٣ر١٨٥ر٠٠٠) ليرة • واذا اضفنا لهذا المبلغ مقدار الغرامة النقدية اي (٥٤ر١١٢) ليرة يكون المجمـــوع الكلي (٣ر٨٧٣ر٤٦٢) ليرة • واذا قسمنا هذا المبلغ على عدد الرجال الذيـــــن اشتركوا بحرب الانكليز ، وقدرهم على رواية هالدن سالفـــة الذكـــر (١٣١ر٠٢٠) رجلا ، يكون ما يصيب المحارب الواحد من الغرامة (٢٩ر٥) ليرة ونصف تقريبا ويزيد هذا المبلغ كثيرا اذا اتخذنا الثمن الذى قدرته الحكومة للبندقية الواحدة اى عشرين ليرة مقياسا للتقدير • فتأمل ! •

الفصل السادس

نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

صمد البريطانيون للثورة العراقية سنة **١٩٢٠** فاخمدوها بعد حرب شعواء دامت بينهم وبين الثوار مدة تربو على خمسة اشهر • وقدمني الفريقان المتحاربان من جراء هذه الحرب بخسائر كبيرة في الاموال والارواح • ويعزو كوتلوف فشل العراقيين في الوقوف الى النهاية بوجه القوات البريطانية في ثورة العشرين الى فقدان التكافوء بين الفريقين المتحاربين في النواحي الفنية والاقتصادية[١]

---

(١) كانت موارد الثوار الاقتصادية محدودة•وكان الثوار ينفقون على الثورة من اموالهم الخاصة غالبا • ويقول الجنرال هالدن ، على الص ١٢٤ـ١٢٥ من كتابه سالف الذكر : « ان الاثرياء من السادة [الاشخاص الذين ينتسبون الى النبي محمد (ص)] وشيوخ العشائر قدموا مبالغ نقدية وعينية لتموين « حرابي ـ مفردها حربية » أو جيوش الثورة • واستخدمت المبالغ التي قدموها لشراء السلاح والعتاد • ومن الملاحظ ان كل المبالغ التي انفقت على الثورة أو جلها قدمها العراقيون أنفسهم • وقد لجأ الثوار الى مختلف الوسائل لتوفير المال اللازم لنفقات الثورة • وكانت الوسائل التالية من بين هذه الوسائل : أ ـ كان الثوار يجبون ضرائب الحكومة من المناطق التي أخلاها البريطانيون • فجبى الثوار من كربلاء مثلا (٧٠) ألف روبية أو ما يعادل (٨٧٠٠) ليرة استرلينية • ب ـ استمر الثوار على جباية العشور Tolls المقررة بصورة منظمة • ج ـ فرضوا ضريبة ثقيلة على الحبوب التي ترد النجف من أجل الاستهلاك المحلي • وبلغت هذه الضريبة (٣٠) ألف ليرة • د ـ لقد فتح باب التبرع الاختياري في المدن المختلفة وحث علماء كربلاء والنجف الناس على التبرع لهذا الغرض لاسباب دينية ووطنية • وعندما يعمل الثوار في منطقة بعيدة عن بيوتهم ، يعطى كل فرد منهم روبية واحدة لنفقاتهم اليومية • وكان دفع هذا المبلغ لمدة طويلة يثقل كاهل خزينة الثورة ، لذا كان سكان المنطقة التي تجرى =

والعسكرية[١] • وبالرغم من فقدان التكافوء بين الفريقين المتحاربين ، وبالرغم من ان النصر النهائي كان من نصيب البريطانيين فأن الثوار الحقوا بقوات المستعمرين خسائر جسيمة بالارواح والاموال لا تتناسب وامكانياتهم المحدودة في السلاح والعتاد • كما لا تتناسب هذه الخسائر وقلة خبرة الجانب العراقي بالاصول العلمية للحروب النظامية • وقد يكون مرد نجاح العراقيين في الوقوف بوجه جيش اقوى دولة في العالم حينذاك لفترة تزيد على خمسة اشهر الى قوة ايمانهم بحقهم في الحياة الحرة اولا ، والى شدة تذمرهم من الضغط السياسى والاقتصادي[٢] الذي فرضته سلطات الاحتلال على هذه البلاد ، خاصة في الفترة الواقعة بين عقد الهدنة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ بين بريطانية وتركية ونشوب الثورة في سنة ١٩٢٠ ثانيا • وفضلا عن ذلك فأن الدوافع الدينية لعبت دورا رئيسا في حث الثوار على مقاومة المحتلين • ويعد التغيير النسبي الذي طرأ على سياسة بريطانية تجاه العراق من اهم نتائج الثورة العراقية • فكانت السياسة البريطانية قبل نشوب الثورة تقوم على حكم هذه البلاد بصورة مباشرة او غير مباشرة ، اي عن طريق الانتداب ، دون الالتفات الى رأي المحكومين او مشاورتهم • وكانت سياسة نائب الحاكم الملكي العام تقوم دليلا على ذلك • وكان ولسن قد اقترح على حكومته قبيل نشوب

بها العمليات العسكرية يتبرعون باطعام الثوار الذين يعملون بمنطقتهم »•

وقد أفتى العلماء بصرف الحقوق الشرعية من أجل الثورة • وكان السيد نور الياسري من بين الذين انفقوا مبالغ كثيرة على تمويل الثوار • واخبرني سامي النقشلي ان السيد هادي مكوطر أنفق مبالغ كبيرة لتمويل الثورة في السماوة •

(١) Op. cit, p. 186.

(٢) يقول جورج كيرك Kirk على الص ١٤٢ من كتابه سالف لذكر ، ان الضريبة التي جبتها السلطات البريطانية من العراقيين في سنة ١٩٢٠ تساوي ثلاثة أضعاف ونصف مقدار الضريبة التي جباها الترك من هذه البلاد سنة ١٩١١ •

الثورة تعيين مجلس دولة وهيئة تشريعية لادارة حكومة العراق • وبالرغم من ان انشاء هاتين الهيأتين كما اقترحهما ولسن ، لا يمكن ان يعد خطوة اساسية في سبيل استقلال البلاد[(١)] ، فأن ولسن وصف مقترحاته هـذه بانها ثورية ، وان وجهاء العراقيين عدوها سابقة لاوانها • وعندما قدمت هذه المقترحات الى اللورد كرزن علق عليها منتقدا بقوله : « ان الحكومة التي اقترحها ولسن ليست حكومة عربية تعمل بمساعدة وارشاد بريطانية بل انها حكومة بريطانية طعمت بعناصر عربية • »[(٢)] •

ولما ثار العراقيون سنة ١٩٢٠ ، معلنين سخطهم على الانتداب البريطاني في العراق ، غيرت بريطانية سياستها في العراق وزودت مندوبها الجديد السير برسي كوكس بتعليمات من شأنها تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسية • وعندما قدم كوكس للعراق اعلن الخطوط العامة للسياسة الجديدة ، وبين ان العلاقات بين بريطانية والعراق ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لا بصك الانتداب القديم • وشفع كوكس اقواله بخطوة عملية حين عين اول وزارة عراقية برئاسة عبدالرحمن النقيب • ويقول جورج انطونيوس : « ان ثورة العراق حققت هدفها الكبير توا اذا اعتبرناها ثورة ضد املاءات الدول المتحالفة ، ومضت اثنتا عشرة سنة اخرى قبل ان يلغي الانتداب ويتم الاعتراف الرسمي في جنيف بأن البلاد اصبحت في منزلة دولة مستقلة ذات سيادة • غير ان البذرة غرست عام ١٩٢٠ عندما قررت الحكومة البريطانية ازاء الثمن المروع الذي كلفتها اياه الثورة ان

---

(١) خول المندوب السامي البريطاني حسب مسودة دستور ولسن حق اعفاء الهيئة التشريعية من العضوية ، كما خول المندوب حق رفض قرارات هذه الهيئة ، ولكن الدستور أعطى الهيئة حق توجيه الاسئلة للحكومة • أما مجلس الدولة فكان نصف أعضائه من البريطانيين والنصف الاخر من العراقيين •

(٢) Kirk, Op. cit, p. 142.

تغير سياستها او ان تغير خططها العسكرية في اقل تقدير ••• وكان التغيير اساسيا من الناحية العملية لانه احيا المبدأ المهمل ـ مبدأ « موافقة المحكومين »• ونص على ان موافقة العراق ستكون شرطا في اي تدبير ، وان بريطانية العظمى ستحاول ـ في المستقبل ـ ان تبلغ غاياتها بالمفاوضة بدلا من الاملاء ـ كما حدث في سان ريمو ـ »[١] • ويظهر ان الثورة لم تحقق هدفها الكبير ، كما رسمه الثوار ، وان الثمرة التي نتجت عنها كانت مبتسرة لان الحكومة التي تمخضت عنها الثورة كانت واجهة يكمن وراءها الانتداب البريطاني • وفضلا عن ذلك فأن بريطانية حققت بعقدها معاهدة تحالف مع العراق ، وتعاونها مع ملكه الجديد اغراضا عدة ، منها : احتفاظها بالوضع الخاص الذي منحه اياها نظام الانتداب ، واقتصادها في نفقات الاحتلال ، وحفاظها على مصالحها[٢] • ويقول الشيخ محمد رضا الشبيبي عن الدولة الجديدة التي قامت في العراق بعد الثورة انها « مستقلة ذات سيادة في الظاهر ، ولكنها لم تكن كذلك في الواقع فالاستقلال كان استقلالا ملوثا او ناقصا نقصا فاضحا ، بل كان الحكم ثنائيا بين الانكليز وبين فريق من صنايعهم واعوانهم في غالب الاحيان ، وكان الغنم للسلطة البريطانية ، وصنايعها والغرم على الشعب العراقي ، واتضح لهذا الشعب الكريم ان هناك خطة استعمارية مرسومة اعتبرت الثورة العراقية الكبرى بموجبها جريمة منكرة وحركة مضادة لمظاهر التقدم والحضارة ، وصرح بذلك مع بالغ الاسف ـ اكثر من واحد من المحسوبين[٣] على السياسة من ابناء العراق ،

(١) ن•م ، ص ٤٨١ •

(٢) Debrodt, Op. cit, p. 13.

(٣) ذكر عبدالرزاق الحسني ، على الص ٢١٩ من كتابه سالف الذكر ان فخامة مزاحم الباجهجي قال مخاطبا كوكس : « لا تعتبروا الثورة الحالية ، التي قامت بها بعض القبائل الرحالة ثورة وطنية في الواقع تسعى وراء الاستقلال ، فان هذه الحركة لا يمكن ان تعد ممثلة لشعور =

وهكذا عوقبت المنطقة الثائرة كلها بالحرمان • »[١]

ويقول كوتلوف : « ان الثورة الوطنية التحررية العراقية سنة **١٩٢٠** لم تحقق جميع الاهداف التي عمل العراقيـــون على تحقيقها • فمطاليب العراقيين المتمثلة بانسحاب الجيوش الاجنبية ، والاستقلال التام ، وتصفية الحكم البريطاني ما كانت مقبولة لدى الانكليز ففرضوا نظام الوصاية على البلاد • ولم تكتف بريطانية بهذا بل انها ما كادت تقضى على الحـــركة المسلحة حتى اتخذت اجراءات عديدة من شأنها تقوية مركزها المترنح في العراق »[٢] • وكان ترشيح الامير فيصل نجل الشريف حسين ملـــك الحجاز لملوكية العراق من اهم القرارات التي اتخذتها بريطانيـة لتثبيت نفوذها في العراق • ويظهر ان نوعا من التفاهم حصل بين الانكليز والامير فيصل قبل ترشيح الاخير لعرش العراق • ومن الادلة على ذلك أن المستر ونستون شرشـل الـذي كـان وزيـر المستعمـرات حينـذاك قد اجرى محادثات مـع الامـير فيصل ولورنس في اواخـر **١٩٢٠** ، توصل الفريقان خلالها ، كما يظهر ، الى نوع من التفاهم حـول القضايا التي تهم الطرفين وقد تمخضت هذه المحادثات عن الاتفـاق على ترشيح الامير فيصل لعرش العراق على أن يتعهد الاخير بتوقيع معاهـدة تحالف مع الحكومة البريطانية • وقد برت بريطانية بوعدها للامير فيصل فرشحته لعرش العراق في مؤتمر القاهرة المنعقد في **١٢** آذار **١٩٢١** وبعد انتهاء مؤتمر القاهرة عملت السلطات البريطانية في العراق ما بوسعها لخلق الجو الملائم في العراق لتحقيق نجاح الامير فيصل في الحصول على عرش

المجتمع برمته ، فالعائلات المتنفذة ببغداد ، لا تعطف على حركة دمرت بلادهـــا » •

(١) **« فقيدنا الكبير » الايام ، العدد ١٢٤ ، ١٠ ربيـــع الثاني ،** ١٣٨٢ ـ ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ •

(٢) كوتلوف ، Op. cit, p. 188.

العراق[1] • وكان ابعاد السيد طالب النقيب الذى كان يرى نفسه افضل مرشح للعرش العراقي عن العراق ، واخراج المستر سنت جـــون فلبي Philby مستشار وزارة الداخلية الذي كان يدعو للحكم الجمهوري في العراق ، من بين التدابير التي اتخذتها الحكومة البريطانية لازالة العراقيل من طريق مرشحها الامير فيصل •

ويقول كوتلوف ان ترشيح فيصل لعرش العراق كان اكثر قبولا لبريطانية من غيره لان فيصلا برهن منذ زمن طويل على انه زعيم تابـع للجهات الاقطاعية الموالية للانكليز في الشرق العربي اولا • ولان فيصلا لن يستطيع هضم التعقيدات الكبرى داخل العراق اذ كان عليه أن يواجـــه معارضة قوية من جانب الجماعات الموالية للاقطاع وخاصة جماعات نقيب اشراف بغداد [عبدالرحمن النقيب] وطالب باشا • وكانت هذه المعارضة بمثابة ضمان يجعل فيصلا اكثر خضوعا للانكليز ثانيا • كما أن تنصيب رجل من السنة على عرش العراق ، وهم اكثر من نصف عدد الشيعة ، يعطي الانكليز فرصة كبرى لاشعال الفتنة بين السنة والشيعة»[2] •

ويقول محرر جريدة « المستقبل » ان منح الانكليز عرش العراق لفيصل كان لعبة استعمارية • وعرف جعفر ابو التمن هذه اللعبة الاستعمارية وعندما حاول فيصل ان يستميل اليه ابا التمن « طالبا منه ان يصحبه معه الى العراق ، مستعينا بذلك بالسمعة الحسنة التي يتمتع بها ابو التمن لدى ابناء الشعب العراقي ، ابى ابو التمن ورفض ذلك بجرأة قائلا له : « ارجو ان تعفيني من ان اكون من زفافة هذا العرس ، وفي قول ابي التمن هذا الف معنى ومغزى • »[3]

---

(١) Debrodt, Op. cit, p. 13.

(٢) كوتلوف ، Op. cit, p. 188.

(٣) العدد (٦٠٥) السنة الثالثة ، ٢٢ جمادي الاخـر ، ١٣٨٢ ـ ٢١ تشرين الثاني ، ١٩٦٢ •

ويظهر ان جماعات كبيرة من العراقيين لم يرضوا عن التدابير التي حسبتها بريطانية ومؤيدو سياستها من العراقيين مطمنة لآمال العراقيين حول مستقبل العراق • وكانت جماعة توفيق الخالدي التي تؤيد فكرة الحكم الجمهوري في العراق من بين الجماعات التي استمرت في معارضتها للوضع الجديد • وبالرغم من ان مقاومة هذه الجماعة قد ضعفت بعد اندماج جماعة عبدالرحمن النقيب الذي كان يقول « افضل عودة الترك الف مرة على ان ارى الشريف او احد انجاله يحكمون هذه البلاد » في زمـــرة المؤيدين للسياسة الانكليزية ، وتنحية السيد طالب باشا ، فأنها لم تخمد الا بعد ان قتل توفيق الخالدي عام ١٩٢٤[١] • واستمر افراد وجماعات على معارضتهم للوضع الجديد • وكان فهمي المدرس ، رغم قبوله مناصب خطيرة في الدولة الجديدة ، من بين المعارضين للوضع الجديد • وقد ظهرت معارضته فيما كتب من مقالات نشر بعضها في الجرائد والمجلات في حينها • وكان الشيخ عبدالكريم الجزائري « يمثل المثابرة والمحافظة على روح الثورة ومبادئها ويهاجم عملاء الخيانة والفساد وسياسة العنف والاستبداد ويواجههم باقسى اللوم والتوبيخ ، وكان فذا في المثابرة على ذلك ، حتى في المرحلة الاخيرة من شيخوخته المباركة • وقد عبر عن سخطه على النتائج المؤلمة التي اسفرت عنها سياسة الحكام في العراق بعد الثورة الكبرى بكلمات حسنة ، منهـــا قوله في جواب من مسألة عن النتائج المترتبة على الثورة وانتقال الحكم الى ايدي ابناء البلاد : (ان الغاية التي قصدناها بنهضتنا ومجازفاتنا ما حصلت ، فالحالة الدينية والحالة الاجتماعية الى ضعف بل الى اضمحلال ، اسأله جل شأنه ان يغير حالنا الى احسن حال) » •

وبعد ان توج فيصل ملكا على العراق سنة ١٩٢١ انشأ جعفر ابـــو التمن مع عدد من صحبه حزب حرس الاستقلال السري • وتزعم جعفر هذا

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٢٣٩ •

الحزب وبدأ يجمع صفوف ابناء الشعب لمقارعة الانكليز وطردهم وتخليص الوطن من ارجاسهم[1] •

ويقول الشيخ محمد رضا الشبيبي ان الاحرار المجاهدين ثابروا « على التنكر لتلك الخطة الاستعمارية المرسومة بعد الثورة وتعددت الانتفاضات والثورات طوال الحكم الاهلي وندد قادة الرأى باساليب الحكم والحكام ووقفوا منها موقف المعارض من الاول الى الاخير »[2] •

وبالرغم من كل سيئات الحكومة التي تكونت بعد ثورة سنة **١٩٢٠** فأن قيامها يعد نتيجة مهمة من نتائج الثورة وحدثا ذا اهمية في تاريخ العراق • فالبلاد التي خيم عليها الحكم التركي الفاسد طيلة اربعة قرون شعرت بأن جماعة من اهلها اخذوا يشتركون ولو بصورة نسبية بأدارة بلادهم • وشعر سكانها بأنهم نالوا شيئا من صفة المواطنة بعد ان كانوا رعايا • وكانت فكرة انشاء دستور للبلاد وسلطة تشريعية من بين الافكار التي تعد ثورية بالنسبة لتاريخ هذه البلاد • يضاف الى ذلك ان وجود مجلس تأسيسى في البلاد اولا ومجلس امة ثانيا ، رغم تزييف الحكومة السابقة لانتخاباتهما في الغالب ، هيأ لبعض افراد الطبقة الواعية فرصة للتنديد بسياسة الحكومة الخاطئة •

ولم تقتصر نتائج الثورة العراقية سنة **١٩٢٠** على الامور التي لها علاقة بالعراق بل كان لها تأثير في الوضع العام في مناطق متعددة من الشرق الاوسط • فالاتفاق الانكليزي الايراني المعقود في آب **١٩١٩** الذي كان من بين اغراضه المحافظة على النفوذ البريطاني في العراق ، اصبح قليل الاهمية بعد التسوية التي تمت في العراق بعد قيام ثورة العشرين • وكان

(١) المستقبل البغدادية ، العدد (٦٠٥) السنة الثالثة ، ٢٢ جمادي الاخر ، ١٣٨٢ ـ ٢١ تشرين الثاني ، ١٩٦٢ •

(٢) الشبيبي ، الشيخ محمد رضا ، الايام البغدادية ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ ـ ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ •

من نتيجة اضطراب الاوضاع السياسية في روسيا وتركيا ، فضلا عن الثورة في العراق ، ان تخلصت ايران من قيد من قيود الاستعمار الذي ارادت فرضه بريطانية عليها •

اما تأثير الثورة العراقية في البلاد العربية المجاورة فلا يقل عن تأثيرها في الاوضاع العامة في ايران • ويقول انطونيوس « دلت الثـــورة على ان الوعي العربي القومي كان قوة يحسب حسابها ـ وان كانت على السطح علامات من التصدع والتعصب الحزبي ـ وان السياسة المؤسسة على القسر باهظة التكاليف وربما اثبتت انها معدومة الجدوى ، وان المصالح البريطانية قد تنتعش على صعيد الاتفاق والرضى المتبادل ويكون ذلك اجدى عليهـــا ـ وهو درس دلت الدلائل على ان فرنسة تعلمته في سورية وان على انجلترة ان تتعلمه في فلسطين • »[١]

وبعد فهذه الحركة التحررية في العراق ، قصصت عليك قصتها في بداية هذا القرن يوم كانت قليلة الانصار غامضة الاهداف • ورويت لك حوادثها يوم اشتد ساعدها ولمت شعث انصارها في الفترة الكائنة بين نهاية الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة • وشرحت لك اهدافها ومراميها البعيدة يوم اتت اكلها في ثورة العشرين الخالدة •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨١ •

الملاحق

الملحق (أ)

نماذج من الشعر الذي قيل في الثورة باللغتين الفصحى والعامية

روى الشيخ جعفر محبوبة[1] ان الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي نظم قصيدة عنوانها « شكوى وعتاب » على اثر جلاء الاتراك من البلاد الفراتية ضمنها شكواه من هفواتهم وعابتهم فيها عتابا لاذعا نذكر منها الابيات التالية :

لا الجبن ثار فاطغانا ولا البخـل ... الثائر الحقد بالاقوام والدخـل
لو كان ما بهم جبنا لما انتقموا ... وفي طريق بلوغ النقمة الاجـل
السيف قرب منا كل قاصية ... لا المنطق الفصل من قوم ولا الجدل
ماذا نؤمل في ادراك غايتنا ... من السياسة كلا انها حيـل
يا من يعز علينا ان نؤنبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعـذل
تأبى الحوادث الا ان نملكم ... ولا ودين التاخي ما بنا ملـل
كم تنبذون لنا ذنبا فنعذركم ... لقد تقطعت الاعذار والعلـل
اما صفحنا عن الماضى لاعينكم ... اما اديلت لكم ايامنا الاول
اما استجشات كما شئتم كتائبنا ... حتى تفايض منها السهل والجبـل
فيضتم لحفاظ الملك طائفة ... لغيرها الملك والاجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل حظهم ... وحظ قوم سوانا الاري والعسـل
لم يفعلوا ما اردتم من ثباتهم ... وكان في عكس ما يهوون لو عقلوا
خانوا ضمائرهم في بذل طاعتهم ... من قبل فالآن ما خانوا ولا خذلوا
عند المغانم تنسونا ويفدحنا ... من المغارم ثقل ليس يحتمـل
اين الرهين بأموال لنا ذهبت ... ومن يقيد باخوان لنا قتلوا

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

اما شهيد معلى فوق شاهقـــــة او موثق بحبال الاسر معتقـــل
يا من بظل بني عثمان قد نشـأوا اضحيتم ان ظل القوم منتقـــل
وارحمتاه لمن غابوا فما حضـروا من الثغور ومن ساروا فما قفلـوا

روى الاستاذ محمد طاهر العمري[1] قصيدة بعنوان « صيحة السماء » قدم لها بما يأتي : « قد وددنا ان نزين كتابنا بالقصيدة العصماء التي نظمها احد[2] افاضل الحدباء المعروفين بالعلم والفضل والنبل يعبر فيها عن عواطف الشعب العراقي عامة وعن عواطف اخواننا الجعفريين خاصة ازاء القطر المظلوم واستقلاله المنشود بلسان احد عظماء جلدتنا الجعفرية في النجـف الاشرف » •

صيحة السماء

و

صدى الضمير

الصرخة الاولى

ايها الغرب جئت شيئا فريا
ما علمنا غير الوصي وصيا

قسما بالقـرآن والانجيـــل ليس نرض وصاية لقبيـــل
او تسيل الدماء مثـل السيول افبعد الوصي زوج البتـــول
نحن نرض بالانجليز وصيا ؟

---

(١) تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، بغـداد ، ١٩٢٥ ، ص ٤١٨ ـ ٤٢٢ • ونقلت القصيدة كما وردت بكتابه رغم ما في بعض ابياتها من ضعف •

(٢) ذكر الدكتور يوسف عزالدين ، على الص ١٥٠ من كتابـه الموسوم ب « الشعر العراقي الحديث » المطبوع ببغداد سنة ١٩٦٠ ، ان صاحب القصيدة هو الاستاذ محمد حبيب العبيدي •

دون ملك العراق بين الطلول لابي عبدالله ابن البتـــــول
قد اريقت دماء خير قتيـــــل افبعد الحسين سبط الرســـول
نحن نرض بالانجليز وصيا ؟
كم امـــام من آل طه تـــردى دون ملك العراق قد مات وجدا
وشهيدا قضى وما نال قصـــدا افبعد الرضا وموسى المفـــدى
نحن نرض بالانجليز وصيا ؟
قد ظلمنا العراق يا ساكنيـــه ان دمع النســـاء لا يجـــديه
حين نبكي السبطين او نبكيـــه افمن بعد المجتبى واخيـــــه
نحن نرض بالانجليز وصيا ؟
يا محبي آل النبي الكـــرام ايكون العراق ملك اللئـــام
وهو ميراث آل خير الانـــام افبعد الائمـــة الاعـــلام
نحن نرض بالانجليز وصيا ؟
مثل وادي السلام وادي العقيق كم لنا من عهد هناك وثيـــق
وعقوق الاوطان مثل العقـــوق افبعد الصديق والفـــاروق
والذي صاهر النبيا
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

الصرخة الثانية

اشهدوا يا اهل الثرى والثريا
قد ابت شيعة الوصي وصيا
قد نكثنا عهد النبي لدينـــا واحتملنا اثما وعارا وشينـــا
ان قبلنا وصاية وغوينـــا افلا يسخط الوصي علينـــا
ان رضينا بالانجليز وصيا ؟
ما عسى ان نقول يوم الجـزاء لنبي الهدى ابي الزهـــراء

والشهيد المظلوم في كــــربلاء   وامام الهدى بسامــــــراء
ان رضينا بالانجليز وصيا

نحن اهل العراك اسد العراق   لا طيور تصاد في الاشـــــراك
بعد تحريرنا من الاتــــــراك   قد رضينا بالكفر والاشــــراك
ان رضينا بالانجليز وصيا
انت اعمى يا غــــرب ام تتعامى   نحن لسنا اراملا ويتـــــامى
لنعاني وصايـــــة ونظـــــاما   لا فقهنا للكائنات نظـــــاما
ان رضينا بالانجليز وصيا

نحن مثلكم يا رجال رجـــــال   لا نساء تضمهـــــن حجـــــال
بل كماة يوم الوغي ابطـــــال   يا بني العرب خابت الآمـــــال
ان رضينا بالانجليز وصيا

بدماء الآباء والاجــــــداد   قد شربنا تراب هذي البــــلاد
نحن ادنى الاقوام شر العبــــاد   واعق الاولاد والاحفـــــاد
وبنار الجحيم اولى صليا
ان رضينا بالانجليز وصيا

الصرخة الثالثة

لست منا ولم نكن منك شيئا
فلماذا تكون فينا وصيا

لم تكن يا بن لنـــــدن علويا   هاشميا ولم تكن قرشـــــيا
لا ولا مسلمـــا ولا عربيـــــا   من بني قومنا ولا مشرقيــــــا
فلماذا تكون فينا وصيا

ليس ما بيننا وبينك جامـــــع   وطن او قومية او (جامـــع)

فرقت بيننا جميع الجوامـــع حين شأن المتبـــوع التابـــع

فلماذا تكون فينا وصيا

في سبيل استقلالنا قد نكثنـــا عهد اخوان ديننا يوم ثـــرنا
كم دماء منا ومنهم سفكنـــا غير نجم استقلالنا ما رصـــدنا

فلماذا تكون فينا وصيا

ما تركنا اخوانــــا الاتراكا وخذ لنـــا همو وآزرناكا
شغفا يا بن لندن بهـــواكا بل لنيل استقلالنـــا بولاكا

فلماذا تكون فينا وصيا

لا تقل جعفرية حنفيـــة لا تقل شافعية زيديـــة
جمعتنا الشريعة الاحمديـــة وهي تأبى الوصاية الغربيـــة

فلماذا تكون فينا وصيا

قد سئمنا سياســـة التفريق واهتدينا الى سواء الطـــريق
يا عدوا لنا بثـــوب صـــديق انت بين الوصي والصـــديق

لست الا مزورا اجنبيا
فلماذا تكون فينا وصيا

وروى السيد محمد علي كمال الدين ان المرحوم السيد سعد صالح قال عندما فر الى بعض الاقطار العربية المجاورة عقيب الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ بعد ان روعه واصحابه قصف المدفعية الثقيلة ومنظر مئات الالوف من الثوار واللاجئين الى النجف بعيالاتهم واطفالهم ومواشيهم من قبائل المسيب وكربلاء وطويريج والكفل :

سئمت العيش في وطـــن يضـــام يذل يضطهـــد
محته يد القضاء فـــراح لا روح ولا جســـد
عفت تلك الربـــوع فلا قديمـــات ولا جـــدد

رياض صــوحت ومهـــا ذعـــرن ومجمــع بدد
مرابــع في الحمى لم يبــد ق من آســادها اســد
ربوع غير ســـرح الوحــ ش لا يأوي لها احــد[1]

نشرت جريدة « العراق »[2] البغدادية رباعيات للشيخ علي الشرقي نقتبس منها ما يتعلق برأيه في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ :

يا ثورة اعقبتهــا ندامــة الثــوار
كم في ســراري عتب لو تسمعون ســراري
هذا اختيــاري ولكن بالجبر اصل اختيــاري
تدارك الله شعبــا يهــم بالانتحــار

* * *

بالذي املى على الامة صك الانتــداب
والذي عدل في بغداد مجرى الانتخــاب
والذي ابقى له في سورنا سبعـــين باب
علمونا كيف نرجو عمرانا من خــــراب

* * *

ارى بناء ولكن مهددا بالطــواري
ارى وجوها ولكن مخطوفة باصفــــرار
ارى عيونا ولكن تقادحت بشــــرار
فكم يداري عراقي بغــداده ويجـــاري

وقال الدكتور مصطفى جواد قصيدة يصف فيها جانبا من ثــورة

(١) سعد صالح ، بغداد ، ١٩٤٩ . ص ١٣٦ .
(٢) العدد ، ١٨٥٣ ، ٣ حزيران ، ١٩٢٦ ـ ٢٢ ذي القعــدة ، ١٣٤٤ هـ .

الخالص في لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنا في مواقـــف محرجـــات ولاقينا مدافع وانفجـــارا
وذدنا عن حمى وطن مبـــاح ورمنا في معاركنا انتصـــارا

ويستمر بقصيدته فيقول :

شباب اعرسوا بالموت مـــردا وكان رصاص قاتلهم نشـــارا
وتابعهم كهول القـــوم زفـا فوا حزنا لمن تركوا الديارا[(١)]

نماذج من الادب الشعبي الذي قيل بالعامية

قال احدهم يهجو الميجر ديلي Daly [(٢)] لما هرب من الديوانية بعد ان احتلها الثوار :

شارد من اهل الفـــوس[(٣)] مالك يديلي
جربت يوم الكـــون حيلك اوحيلي

وقال احد عشائر بني حچيم يخاطب (نايف العاجل) احد رؤساء عشيرة بني حچيم :

حاربت الحكومة العودي اوجـــدي[(٤)]
وخليت اللشاش امخالفه ابحـــدي[(٥)]

---

(١) عزالدين ، يوسف ، الشـــعر العراقـــي الحديث ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ ٠

(٢) حاكم لواء الديوانية السياسى ٠

(٣) مفردها فأس الآلة المعروفة ٠ ويشير الشاعر هنا الى أن الثوار لا يملكون الاسلحة الحديثة ٠

(٤) يقول الشاعر حاربت بريطانية من أجل تراث أبي وجدي ٠

(٥) ثم يقول انتصرت عليهم وتركت موتاهم مكدسين بعضهم فوق بعـــض ٠

واويكم ينايف جانه ايجدي[1]
هندو حطوله ابكشكوله

وعندما اسقط الثوار طائرة بريطانية قال احدهم بهذه المناسبة :

يلترعد بالجو هز غيري

ولما انهزم الجيش البريطاني في الرارنجية قال احدهم مخاطبا الجيش المنهزم :

رد مالك ملعب ويانه[2]

وقال الحاج مرزوگ العواد بطل الرارنجية مخاطبا الجيش البريطاني :

ودوه يبلعنا اوغص بينه[3]

وعندما استقبل الشيخ شعلان ابو الجون وعشيرته الملك فيصل الاول هوس العشائر رغم ممانعة الملك فيصل :

اهنا گصبنا اخوة ذوله[4]
اهنا علگنا الگنارة

وقالت امرأة من (بني عارض) الساكنين في الرميثة وقد اشترك في الثورة زوجها واولادها الثلاثة ، وحين قتل ولدها الاكبر القت بنفسها عليه

---

(١) ان ابن آوى الذي يسكن بأطرافكم قدم علينا يستجدي لحوم الموتى فأطعمناه من لحوم الهنود القتلى ٠

(٢) أي ارجع أيها الجيش لانك لا تستطيع لقاءنا ٠

(٣) أرسلت الحكومة جيشها لتقضي علينا ولكنه فشل وانكسر ٠

(٤) يقول الشاعر المهوال أي المتمرس في اغنيات الحرب « الهوسات » في هذا المكان قتلنا بني قوم هؤلاء الانكليز الذين يرافقونك يا فيصل ٠ وهنا علقنا آلة القصاب التي يعلق عليها ذبائحه ٠

وتخضبت بدمائه واخذت تحييه بقولها :

عفيــه اولدي شيال راسي ردتك ترد ذولـــــه الجواسي

وبموتتك گويت باسي

وحين استشهد زوجها في معركة اخرى وقفت تحييه بقولها :

عمرك گضيته ابعز يمـــــير[1] اولاواحـــد اليدناك يگـــــدر

وبعزمك اتعـــارچ الصوجـــر ولموطنك معـــرض مگنطـــــر

الفخر الك جاورت حيدر

وحين استشهد ولدها الثاني (جبر) في معركة العارضيات الثانية ، حيته بأبيات رائعة منها :

شلتك ابطني تسعـــــه اصحاح

يلبين گومك گمر وضــــــاح

ردتك لمثل اليــــوم سفـــــاح

اتطارد (الصوجر) اهل الارماح

شيال راسي يـــوم الصـــياح

وعندما وقع احد الابطال شهيدا اقتحمت امه (انجيده) النـــيران وحملت جثته عائدة بها الى جانب الثوار وهي تهوس :

« عربيد اسم امك يا هيبه »

وقد جمع الاديب علي الخاقاني كثيرا من الشعر الشعبي الذي قيل في الثورة ونشره في كتاب خاص اسماه « فنون الادب الشعبي » وهو جدير بالاطلاع عليه لا سيما وانه تضمن روائع من القصائد الشعبية قيلت في الثورة قالها شعراء شعبيون معروفون امثال الشيخ علي البازي وغيره ٠

(١) الميمر البطل ٠ أي أنك قضيت حياتك الغالية بعز ولم يستطع أحد أن يعتدي عليك وقد قابلت جنود بريطانيـــة Soldiers **وقتلت في سبيل عز وطنك ٠ وطوبى لك أيها الشهيد لانك ستجاور حيـــدر الكرار** علي بن أبي طالب (ع) في الجنة كشهيد ٠

الملحق (ب)

توصيات لجنة كنج ـ كراين الخاصة بالعراق

٢٨ آب ١٩١٩

بالنظر للقرارات ، التي اصدرها مؤتمر الصلح في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ـ في عشية الهدنة ـ وكل من هذه الوثائق يصنف سورية والعراق في مقام واحد ليعالج امرهما بطريقة واحدة ، كما يقطع لكل منهما الوعود والتأكيدات ذاتها فان عضوي اللجنة يوصيان مؤتمر الصلح بان يتبع تجاه العراق سياسة توازي بشكل عام تلك التي اوصى باتباعها حيال سورية حتى لا يتحول التصريح الانكليزي ـ الفرنسي الى « قصاصة من الورق » .

١ ـ ووفقا لذلك فاننا نوصي ، انسجاما تاما مع التعليمات الصادرة الينا ، وباعتبار ان ذلك يتقدم على غيره في الاهمية ، بأن اية ادارة (حكومة) اجنبية تدخل الى العراق يجب ان تأتي العراق ليس كدولة مستعمرة بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، بل كدولة منتدبة من عصبة الأمم ، مشفوعة بادراكها الجلي بأن « رفاه الشعب وانماءه » يؤلفان بالنسبة اليها امانة مقدسة . ومن اجل هذه الغاية يجب ان يكون للانتداب اجل محدود ، وان تقرر موعد انتهائه عصبة الامم ، في ضوء جميع الوقائع كما ترد من عام الى آخر ، سواءا في التقارير السنوية للدولة المنتدبة المرفوعة الى العصبة او بطريق اخرى .

ان النص الكامل للتوصية الاولى بشأن سورية مشفوعا بالتوصيات الملحقة بها ، ينطبق نقطة نقطة على العراق بالصحة ذاتها التي ينطبق فيها على سورية .

---

(١) اخذ نص هذه الوثيقة عن كتاب جورج انطونيوس « يقظة العرب » ، ص ٦١٧ .

واذا ما قام مؤتمر الصلح وعصبة الامم والدولة الموكل اليها الانتداب بتنفيذ سياسة الانتدابات المتجسدة في ميثاق عصبة الامم ، تنفيذا مخلصا ، فان اهم مصالح العراق الاساسية تصان بذلك تماما ــ ولا تصان بغير هذا •

٢ ــ ونوصي ، في المقام الثاني ، بأن تصان وحدة العــــراق ، وان تخطط حدوده المضبوطة بواسطة لجنة تخطيط للحدود ، بعد تعيين الانتداب عليه • وعلى وجه الاحتمال يجب ان يشتمل (العراق) على الاقل ، على ولايات البصرة وبغداد والموصل • كما يمكن الحاق المناطق الكرديـــــة والآشورية الجنوبية بالعراق • فالحكمة من ايجاد قطر موحد هي في حالة العراق في غنى عن النقاش •

٣ ــ ونوصي في المقام الثالث ، بأن يوضع العراق تحت اشراف دولة منتدبة واحدة ، باعتبار ذلك السبيل الطبيعي لتأمين وحدة حقيقية وفعالـــة كما ان مهمة انماء الشعب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتعليميا تستدعي مثل هذا الانتداب الموحد • وليس خليقا بأن ينجم عن محاولة تقسيمه وتجزئته الى « مناطق نفوذ » من جانب عديد من الدول ، الا تعريض مصالح الشعب الى الهدر والاضطراب والاحتكاك والاذى • وهذا يتضمن انه ليس للدولة المنتدبة ان تكون دولة مستثمرة انما يجب ان تحافظ حقوق الشعب كاملة مقدسة •

٤ ــ لما كان من المرغوب فيه بوضوح ان يكون ثمة انسجام عــام في المؤسسات السياسية والاقتصادية والتدابير المتعلقة بسورية والعراق ، ولما كان يجب ان يكون للشعب الكلمة الاولى في تقرير شكل الحكومة التي سيعيش في ظلها ، فاننا نوصي بأن تكون حكومة العراق ، انسجاما مـــع الرغبات السافرة لشعبها ، ملكية دستورية ، كالحكم المقترح لسورية ،وبأن يعطى شعب العراق فرصة يعلن فيها ملكه المختار وان تراجع عصبة الامم اختياره هذا وتثبته • ويمكن الافتراض بما يقارب الصواب ان الـ **١٢٧٨**

عريضة الواردة من سوريين بطلب الاستقلال للعراق وتعادل ٦٨ بالمائة من مجموع العرائض الواردة تعكس الشعور في العراق بالذات ، كما ان الاتصالات التي استطعنا تأمين عقدها مع العراقيين تدعم هذا الافتراض وتجر الى الاعتقاد بأن البرنامج الذي رفعه في حلب الممثلون العراقيون ، برئاسة جعفر باشا الحاكم العسكري لمنطقة حلب ، والذي يوازي عمليا البرنامج المرفوع في دمشق ، خليق بأن يؤيده الشعب العراقي بشكل عام • وسواء أكان يشمل تعيين ملك من ابناء ملك الحجاز ، فليس لدينا من المعلومات الكافية للفصل في الامر ، ولهذا اوصينا باجراء استفتاء على هذه النقطة • هذا على الرغم من وجود بينات بريطانية على ان العراقيين قد عبروا عن تحبيذهم لواحد من ابناء عاهل الحجاز كأمير يولى عليهم •

٥ ـ يعلن البرنامج العراقي عن اختياره امريكة كدولة منتدبة من غير بديل ثان • ولا شك انه كان في العراق قسط كبير من الانفعال الساخط ضد بريطانية العظمى ، فالعرائض تتهم على وجه التعيين السلطات البريطانية في العراق بتدخل كبير في حرية الرأي والتعبير (الكلام) والانتقال ـ وقد يبرر الكثير منه في وقت الاحتلال العسكري ، ولكن المشاعر المهيجة بذلك القدر قد تنتج بالطبع عدم استعداد للتعبير عن الرغبة في اختيار بريطانية العظمى دولة منتدبة • ومن جهة اخرى فان مادة الكتيب المسمى : « نسخ وترجمات التصاريح وغيرها من الوثائق المتعلقة بتقرير المصير في العراق » قد استدعتها محاولة من جانب الحكومة البريطانية في العراق لتأمين آراء الزعماء المتقدمين في كل جماعة فيما يتعلق بتقرير المصير • اما هذه المادة ، نظرا لانها مرفوعةمباشرة الىالمسئولينالبريطانيين، فهي بلا ريب اميز لمصلحة البريطانيين مما لو كانت خلاف ذلك ، ولكنها تدلل بما لا يقبل الشك على ان قسطا كبيرا من الرأي (العام) من شأنه ان يختار الانتداب البريطاني ـ وعلى كل حال فان مجال اختيار دولة منتدبة ذات قدرة وتجربة كافيتين

ومتميزة بالعدالة الاساسية هو مجال محدود ولابد • وانه ليس مما لا يقبل الاحتمال ، ان العراقيين اذا جبهوا برفض امريكا قبول الانتداب على العراق خليقون بأن يجعلوا بريطانية موضع خيراهم الثاني على الاقل ، كما فعلت الاغلبية السورية • وهنالك شواهد اضافية كذلك على هذه النقطة •

ولما كان لا يبدو محتملا ان امريكا تستطيع ان ، او خليقة بأن تتقبل انتدابا على العراق ، بالاضافة الى امكان قبول انتداب على سورية وآسية الصغرى ، فان عضوي اللجنة يوصيان بأن ينيط مؤتمر الصلح الانتداب على العراق ببريطانية العظمى للاسباب العامة الانف ذكرها في معرض التوصية بجعلها دولة منتدبة على سورية في حالة عدم قبول امريكا ذلك ، ذلك انها قد تكون انسب الدول للمهمة الخاصة المنطوية في ذلك ، ونظرا لعلاقاتها العريقة مع العرب ، كعرفان لجميل تضحياتها التي بذلتها لانقاذ العراق من الاتراك ، هذا مع عدم الاقرار لها بحق الفتح ، كما تعبر بياناتها هي عن اسقاطها لادعائها بهذا الحق ، ونظرا للمصالح الخاصة التي لها ، طبيعيا ، في العراق بسبب من قربه الى الهند وصلاته الوثقى مع شبه الجزيرة العربية، وبسبب مما سبق ان قامت به من عمل في الاقليم (العراقي) •

وان تلك الاسباب لتجعل انتدابا بريطانيا احسن ما يكون ، على وجه الاحتمال ، لخدمة المصالح الكبرى للشعب العراقي ككل ، على الرغم من انه من الاحسن لبريطانية وللعالم ، من وجهة نظر المصالح العالمية الكامنة في الحيلولة دون اثارة الغيرة والشكوك والمخاوف من سيطرة دولة مفردة ، الا يضاف اي اقليم جديد الى الامبراطورية البريطانية • وعلى كل حال فان انتدابا بريطانيا سيتمتع بميزة مقررة هي النزوع الى دعم الوحدة الاقتصادية والتعليمية في كل من ارجاء سورية والعراق ، سواء اكانت سورية تحت انتداب بريطانية او امريكا ، وهكذا فان (الانتداب) سيعكس بشكل اكثر مما سبق العلائق الوثقى في ميدان اللغة والعادات والتجارة بين هذين

الجزئين من الامبراطورية العثمانية السابقة .

وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالامكانات الزراعية والبترول وغيره من المصادر سيلوح حتميا ، رغم توفر النوايا الطيبة ، خطر الاستثمار والسيطرة الاحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق . فهذا الخطر يتطلب احترازا متزايدا ونزيها . وان العراقيين ليشعرون شعورا قويا بحدة هذا الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية ، حتى ولو اقتصرت الهجرة على المسلمين الهنود . فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين كلية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية .

مع الاحترام

هنري س. كنج
تشارلس ر. كراين

قرار[1] المؤتمر العراقي العام المنعقد بدمشق في ٧ آذار سنة ١٩٢٠[2]

قرر المؤتمر العربي العراقي العام الذي يمثل الشعب العراقي تمثيلا قانونيا في جلسته المنعقدة في دمشق الشام بتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادي الاولى ١٣٣٨ هـ اعلان القرار الآتي :

---

(١) اخذ نص هذه الوثيقة عن كتاب محمد طاهر العمري « تاريخ مقدرات العراق السياسية » ، ج٣ ، ص ٤٠٧ .

(٢) رسم المؤتمر العراقي في صدر هذا المنشور العلم العربي المربع الالوان ، ووضع في اللون الاحمر نجمتين بدلا من نجمة واحدة كما هي الحال في العلم السوري . وقد تقرر رسميا لدى المجلس التأسيسي العراقي المنعقد في صيف سنة ١٩٢٤ قبول ذلك العلم الذي قرره المؤتمر العراقي محافظة على قيمته التاريخية .

باسم الشعب العربي العراقي

خاضت الامة العربية غمار الحرب الماضية في جانب الحلفاء لرفع نير الاجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية في تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام اسوة بغيرها من الشعوب التي نالت استقلالها وهي دونها حضارة ورقيا • وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الاخذ بنصرتها في هذا السبيل واعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم ان لا غاية لهم من الحرب الا استقلال الشعوب وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكوماتها فابرمت بريطانية العظمى مع جلالة الملك حسين تلك المعاهدة المعروفة التي اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالي ولاية الموصل الى خليج فارس [العربي] والاوقيانوس الهندي والبحر الاحمر ، وايد الرئيس ولسون ذلك بما اعلنه من المبادىء السامية التي وافق عليها الحلفاء قاطبة واتخذوها اساسا للصلح الدائم كما جاء في بيان اللورد غراي وزير خارجية انكلترا امام لجنة الامور الخارجية في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٦ وتصريح المسيو بريبان رئيس وزارة فرنسا في ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التي ارسلت على يد السفير الامريكي في باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن في ٢٢ ايار ١٩١٧، وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج في غلاسكو في ٩ حزيران ١٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها وترك الخيار لها في بت مصيرها والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها •

وقد كان [لبعض قادة العرب] الفضل الاكبر في تحرير الامة العربية وانقاذها من نير العبودية والذل واحراز النصر المشترك على الاعداء في الشرق

فابلوا في الحرب احسن بلاء وقادوا الامة من نصر الى نصر ثلاث سنوات متواصلة اراقوا فيها دماء زهرة ابناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع اعجاب الحلفاء والاعداء على السواء ذلك فضلا عما تحملته الامة في الاقطار العربية المختلفة من المصائب والاهوال وما قامت به من جليل الاعمال تأييدا لقضيتها الحقة وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام •

وقد اسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الاعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية اليه بصفة حلفاء ومحررين فاعلنوا حينئذ ان لا مطمع لهم في البلاد ولا غاية الا استقلال الامة وترك الخيار لها في البت بمصيرها وتعيين شكل حكومتها •

على ان الحرب العظمى قد وضعت اوزارها منذ نحو عام ونصف عام والبلاد لا تزال تئن تحت رزء الاحتلال الاجنبي الذي الحق بها اضرارا جسيمة مادية وادبية واوقف سير اعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية بشكل كاد يزلزل موقفها السياسي • فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانقض في اماكن مختلفة على الحكم العسكرى الاجنبي مطالبا باستقلاله التام •

فنحن اعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الان ان نجهر بارادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب فاستنادا الى حق الامة الطبيعي بالحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادىء السامية التي اعلنها الحلفاء العظام اكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية والى الرغائب التي اعربت عنها الامة العربية العراقية في ٦ ربيع الثاني **١٣٣٧** هـ بوثائق رسمية وقعها الامراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب والى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي اليه ، وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب

عن ارادته اعلنا الان باجماع الاراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لا شائبة فيه وايدنا استقلال سورية التام واعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا ونادينا بحضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله ملكا دستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا في نيابة الملك الى صاحب السمو الامير زيد المعظم واعلنا انتهاء الحكم الاحتلالي العسكري الحاضر على ان تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤلة امام الشعب •

واننا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبية في بلادنا راجين ان يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقية ليحل محلهم فيها الجند الوطني والادارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ من ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن • هذا وان الحكومة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا •

تحريرا في ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادي الاولى سنة ١٣٣٨ هـ •

فهرست الاعلام

●

فهرس الاماكن

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

المصـــادر

ابراهيم ، عبدالفتاح ـ على طريق الهند ، بغداد ١٩٣٥ ٠

احد اعضاء الجمعيات العربية ـ ثورة العرب ، القاهرة ١٩١٦ ٠

انطونيوس ، جورج ـ يقظة العرب (ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس) بيروت ١٩٦٢ ٠

آيرلند ، ويلارد ـ العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩ ٠

بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، بيروت ١٩٥٠

آل بازركان ، علي ـ الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ١٩٥٢ ٠

البصير ، محمد مهدي ـ تاريخ القضية العراقية ، جزآن ، بغداد ١٩٢٤ ٠

بيل ، المس ـ فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩ ٠

الحسني ، عبدالرزاق ـ تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ١٩٥٧ ٠

الحسني ، عبدالرزاق ـ الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ١٩٥٢ ٠

الحسني ، عبدالرزاق ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، الجزء الاول ، صيدا ١٩٣٥ ٠

الحكومة العراقية ـ تقرير وليم ويلكوكس ، بغداد ١٩٣٧ ٠

الحكومة العراقية ـ الاصلاح الزراعي واعمار الارض ، بغداد ١٩٥٦

الخاقاني ، علي ـ شعراء الغري ، الجزء السابع ، النجف ١٩٥٥ ٠

الخاقاني ، علي (الناشر) ـ فنون الادب الشعبي (الحلقة الرابعة) بغداد ١٩٦٢ ٠

دائرة الاستخبارات البريطانية ـ تقرير سري عن العشائر والسياسة (ترجمة عبدالجليل الطاهر) بغداد **١٩٥٨** .

الدباغ ، عبدالوهاب ـ النخيل والتمور في العراق ، بغداد **١٩٥٦** .
زكي ، امين ـ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، الجزء الاول ، بغداد **١٩٦١** .

الزهاوي ، جميل صدقي ـ الديوان ، القاهرة **١٩٢٤** .
سركيس ، يعقوب ـ مباحث عراقية ، جزءآن ، بغداد **١٩٤٨** و **١٩٥٥**
سعيد ، امين ـ الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، القاهرة **١٩٣٥**
شاكر ، صابر ـ موجز تاريخ التركمان ، الجزء الاول ، بغداد **١٩٦٠** .
شكارة ، ضياء ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق (تقرير رسمي مطبوع على الآلة الطابعة) .

الصايغ ، سليمان ـ تاريخ الموصل ، الجزء الاول ، بيروت **١٩٢٨** .
الطاهر ، عبدالجليل ـ البدو والعشائر في البلاد العربية ، بغداد **١٩٥٤** .

الظاهر ، عبدالرزاق ـ الاقطاع والديوان ، القاهرة **١٩٤٦** .
عز الدين ، يوسف ـ الشعر العراقي الحديث ، بغداد **١٩٦٠** .
العلاف ، عبدالكريم ـ بغداد القديمة ، بغداد **١٩٦٠** .
علي ، عباس ـ زعيم الثورة العراقية ، بغداد **١٩٥٠** .
العمري ، محمد امين ـ تاريخ حرب العراق ، الجزء الاول ، بغداد **١٩٣٥** .

العمري ، محمد طاهر ـ تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ثلاثة اجزاء ، بغداد **١٩٢٥** .

الغملاس ، ابن ـ ولاة البصرة ومتسلموها ، بغداد ١٩٦٢ .
غنيمة ، يوسف ـ تجارة العراق قديما وحديثا ، بغداد ١٩٢٢ .
فائق ، سليمان ـ تاريخ بغداد ، بغداد ١٩٦٢ .

فراتي ـ على هامش الثورة العراقية الكبرى ، بغداد ١٩٥٣ .
الفرعون ، فريق المزهر ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، جزءآن ، بغداد ١٩٥٢ .

الفياض ، عبدالله ـ مشكلة الاراضى في لواء المنتفك ، بغداد ١٩٥٦ .
فيلبي ، هـ . سنت جون ـ ايام فلبي في العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٥٠ .

كمال الدين ، محمد علي ـ التطور الفكري في العراق ، بغداد ١٩٦٠ .

كمال الدين ، محمد علي ـ سعد صالح ، بغداد ١٩٤٩ .
لونكريك ، ستيفن همسلي ـ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) بغداد ١٩٥٤ .

محبوبة ، جعفر ـ ماضى النجف وحاضرها ، الجزء الاول ، صيدا ١٣٥٣ .

نصري ، القس بطرس ـ ذخيرة الاذهان ، الجزء الثاني ، الموصل ١٩١٣ .

هيئة مدرسة الخالصي ـ زعيم الاسلام الخالد المجتهد الاكبر الامام الخالصي ، بغداد ١٩٥٠ .

الهلالي ، عبدالرزاق ـ تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، بغداد ١٩٥٩ .

الجرائد والمجلات

الاستقلال : العدد (٣) ١٠ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ (٢) ٣ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ (٥) ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠ •

الايام : العدد (١٢٤) ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ١٩٦٢ ؛ (١٠٠) ١١ ربيع الاول ١٣٨٢ •

البلاد : العدد (٤٨٧٢) ٣١ كانون الثاني ١٩٥٧ •

تنوير الافكار (مجلة) : العدد (٧) ج١ ربيع الاول ١٣٢٩ ؛ (١) شعبان ١٣٢٨ •

الرقيب : العدد (١٠) ١ نيسان ١٩٠٩ ؛ (١١) ٥ نيسان ١٩٠٩ ؛ (٤) ٢٧ محرم ١٣٢٧ ؛ (٣) ٢٠ محرم ١٣٢٧ ؛ (١٢) ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧ ؛ (٨) ٢٥ صفر ١٣٢٧ ؛ (٦) ١١ صفر ١٣٢٧ ؛ (٥) ٤ صفر ١٣٢٧ ؛ (٢) ١٣ محرم ١٣٢٧ •

الشرق : العدد (١٨) ٢١ ايلول ١٩٢٠ ؛ (١٦) ١٨ ايلول ١٩٢٠ •

صدى الاحرار : العدد (٢٠٤) ١٩ رجب ١٣٧٢ ؛ (٢١٢) ١٥ رمضان ١٣٧٢ •

صدى الاسلام : العدد (١١٤) ٢٨ محرم ١٣٣٤ ؛ (٥٦) ١٧ ذي القعدة ١٣٣٣ ؛ (٤٤) ٣ ذي القعدة ١٣٣٣ ؛ (٤٩) ٩ ذي القعدة ١٣٣٣ •

صدى بابل : العدد (١٨) ١٠ كانون الثاني ١٩٠٩ ؛ (١٠) ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ؛ (٩) ٨ تشرين الاول ١٩٠٩ ؛ (٧٥) ٢٨ محرم ١٣٢٩ ؛ (٢٠) ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ ؛ (١٧) ٣ كانون ١٩٠٩ •

العراق : العدد (١٠٨) ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ العدد (٦٢) ١٢ آب

١٩٢٠ ؛ (٢٥) ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ؛ (٣) ٣ حزيران ١٩٢٠ ؛ (٤) ٤ حزيران ١٩٢٠ ؛ (٣٦) ١٣ تموز ١٩٢٠ •

العرب : العدد (١١٢) ١١ مايس ١٩١٨ (١١٣) ١٣ منه (١١٤) ١٥ منه (١١٦) ١٦ منه والاعداد ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ٨٧ سنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة •

العلم (مجلة) : العدد (١) مج ١ ٢٩ مارت ١٩١٠ ؛ (٥) مج ١ ١٠ تموز ١٩١٠ ؛ (٢) مج ١ ٢٩ نيسان ١٩١٠ •

لغة العرب (مجلة) : العدد (٣) ايلول ١٩١١ •

الفرات : العدد (٢) الســـــنة (١) ٢٨ ذي القعـــدة ، ١٣٣٨ هـ ؛ (٣) ٥ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ •

مجلة غرفة تجارة بغداد : العدد (٨) ٤ تشرين الاول ١٩٤١ •

المستقبل : العدد (٦٠٥) ٢٢ جمادى الاخر ١٣٨٢ •

المعرفة (مجلة) : العدد (٣٩) ١٥ آب ١٩٦٢ •

النهضة : العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول ١٩٢٧ ؛ (٢٣) ٣٠ ايلول ١٩٢٧ ؛ (٢٢) ٢٨ ايلول ١٩٢٧ •

المصادر الاجنبية

Barlow, E. The Egyptian Crisis 1918—1922, (typed Copy).

Bell, Lady Florence, The Letters of Gertrude Bell, Vols I & II, London, 1947.

Birge, J. K., A Guide to Turkish Area Study, Washington, 1949.

British Government, Administration Report of The Baghdad Wilayat 1917.

British Government, Arabs of Mesopotamia, 1916.

British Government, The Muntafik Confederacy.

British Government, Political Officers' Reports from Iraq, August 1919.

British Government, Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia, I.

British Government, Reports of Political Officers of the Occupied Territories.

Browne, E. G., The Litirary History of Persia, IV, London, 1909.

Browne, E. G., The Press and Poetry of Modern Persia, Cambridge, 1914.

Debrodt R. E., The British Attempt at Colonial Rule in Iraq 1918—1921, 1959 (Typed Copy).

Gibb, H.A.R., The Modern Trends in Islam, Chicago, 1950.

Haldane, A. L., The Insurrection in Mesopotamia 1920, Edinburgh, 1922.

House of Commons Debates, 5th Series, 127 (1920), 662, 663, cited by Robert E. Debrodt "The British Attempt at Colonial Rule in Iraq, 1918—21".

Ireland, P. W., Iraq: A Study in Political Development, London, 1937.

Kirk, G. E., A Short History of The Middle East, London, 1959.

كوتلوف ، ل• ن ، الثورة التحررية الوطنية العراقية في سنة ١٩٢٠ ، موسكو ١٩٥٨ • (كان اصل هذا الكتاب بالروسية ولاسباب مطبعية اثبت عنوانه بالعربية) •

Lawrance, T.E., Seven Pillars of Wisdom, New York, 1938.

Longrigg, S.H., Iraq, 1900 - To 1950, London, 1953.

ملكزاده ، مهدي ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، ٦ مجلدات ، طهران ١٣٣٠ •

Moberly, F. J., The Campaign in Mesopotamia, Vols I, II & III, London, 1924.

Wilson, A.T., A Clash of Loyalties, 2 Vols, London, 1939.

Ziadeh, A. Nicola, "Recent Arabic Literature on Arabism", The Middle East Journal Vol IV, 1952.

جدول الخطأ والصواب

هناك بعض الهنات تركتها لفطنة القارىء الكريم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٢	احدهما	احداهما
١٦	١٠	هذه	هذا
٢٨	٥	فروع	فرع
٨٤	٧	السادس	السادس عشر
١١٠	١١	حضر	حضرة
١١٣	٤	هو	هما
١٣٣	١٢	تضاف كلمة «حاكم» بعد الكلمة الانكليزية	
١٣٩	٢	وقد	قد
١٨٧	٢٣	قلة	قلت
٢٠٣	٩	سقطت كلمة « التي » من آخر السطر	
٢٠٨	٢٣	سقطت عبارة Op. cit I, p. 258.	
٢٣٠	١٩	فعالة	فعالا
٢٣٣	١٢	سقطت كلمة « بل » التى تأتي قبل كلمة « لا »	
٢٣٧	١٤	وتضافر	تضافرت
٢٩٢	١٤	منهكمة	منهمكة

فهرست المواضيع

مؤلفات الفياض

١ ـ تاريخ البرامكة (نفد)

٢ ـ تاريخ بلادك وامتك الفه بالاشتراك مع احد الزملاء

٣ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع المرحوم محمد حسن العضاض

٤ ـ الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة

٥ ـ مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع احد الزملاء

٦ ـ مشاهداتي في تركيا

٧ ـ مشكلة الاراضي في لواء المنتفك

٨ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة

٩ ـ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠

١٠ـ مجموعة مقالات نشرت في مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية ـ جامعة بغداد

من كتب المؤلف المعدة للطبع

١١ـ تاريخ التربية عند الشيعة الامامية في عهد الخلافة العباسية (ان الكتاب المذكور اطروحة للدكتوراه)

١٢ـ الزراعة العراقية في مائة عام

١٣ـ تدوين التاريخ عند المسلمين

much money in putting down the revolt as had spent in helping the Sharif of Makka revolution of 1916.

The sixth chapter covers the general conclusions which were reached by the author.

Abdullah Fayyad
History Department
Faculty of Education
University of Baghdad

Baghdad, January, 17, 1963.

The third part of the third chapter deals with the 1918—1920 armed uprisings against the British. The Iraqis, resisting British occupation and seeking their independence, demonstrated, protested and fought with the British authorities, with little success. Sir Arnold Wilson, the Acting High-Commissioner, recommended British protection instead of independence and he turned a deaf ear to all the Iraqi demands. Failing to convince the British government of their just demands, the Iraqi nationalists worked hard to win the uneducated large segment of the population and they influenced the Ulama, who understood and sympathized with the national aims, to issue their Fetwas against occupation.

The fourth chapter discusses the causes of the Revolution of 1920. The important but not decisive nationalist sentiment, the abuses of the British officials, heavy taxation and religious factor, namely where non-Muslims have not to rule Muslims, led to the revolt of 1920. Other factors, such as the Shurafa government in Syria, the silght success of the Egytian uprising of 1919 and the success of the Turkish revolution under Mustafa Kemal, encouraged the Iraqi revolutionists.

The fifth chapter deals with the military side of the revolution. Inspite of the fact that the Iraqis did not have modern arms, sufficient money to finance the military operations, they were able to inflict heavy damages on the British forces. British casualties were 2269 killed or wounded and the British government spent three times as

lack of political training and their firmly held feeling for a pan-Islamic movement, issued Fetwas supporting the Jihad call against the British. It is interesting to note that many of the Iraqis who had responded to the Jihad, lost their lives and property in helping the Turks who did not sympathize with the Arab national aims.

The first part of the third chapter surveys the major economic, territorial and strategic causes which led to the British occupation of Iraq. The great Britain's commercial interests which went back to the nineteenth century was added the confirmation of oil deposits. The government of India coveted Iraq especially the Wilayat of Basra, where India wanted to ship out three million Muslim Indians. Added to these was Britain's plan to control all the countries lieing astride the British lifeline to the Far East. Furthermore, Russian and German plans to build railways and to spread their influence in this part of the world worried the British.

The second part of the third chapter is restricted to the socio-economic changes which resulted from the British occupation of Iraq. Administrative measures by the occupation authorities are discussed. The people were heavily taxed. The British were unsuccessful in their attempts to solve the land tenure problem. They tried to replace the land lords, especially in the Nasiriyyah (Muntafik) Lewa, by the shaikhs and the Serkals. They did little or nothing for the peasants. For political reasons, they deprived some families, such as the Sa'dun, from their immense estates and they gave the land, in practice but not in law, to the Serkals.

the landlords. Midhat's policy, not only was responsible for causing conflicts between the land lord and the peasant but it also led to the creation of the absentee land-lord system which became so serious that the British occupation authorities were forced to tackle it. The chapter also includes a general survey of the increase in Iraqi trade which resulted from the opening of the Suez canal and the improvement of the land and sea transportation facilities. Other elements such as the foreign banking system, which was introduced by the British commercial companies, and which faciliated Iraq's international trade, are also mentioned.

The second chapter deals with the Iraqi cultural revival and political awakening during the first two decades of the twentieth century, an awakening which was produced by the following factors: The impact of western civilization, the opening of some modern native schools, the enlightened, though limited, press activities, the strong propaganda campaign for the revival of the Arab heritage, especially the Arabic language, the activites of the political parties and the ifluence of the Iranian and Turkish constitutional movements. Needless to say, the above mentioned factors were confined to a limited group of educated individuals, who were to prove themselves by realizing some of their goals. Their main problem was how to win over to their side the illiterates. They worked hard and they pointed out that the Turks were not serious in their pan-Islamic propaganda. Seeking the peoples's support, this educated group first sought the Ulama's help, some of whom had sympathized and supported the national aims. However, the Majority of the Ulama, due to their

Al-Thawrah al-Iraqiyyah al-Kubra Sanat 1920 is a study of Iraq's cultural revival and political awakening which culminated in the revolution of 1920.

Originally an M.A. thesis submitted to the American University of Beirut, this study assumed the proportions of a book after the author had collected important information on the subject. Different sources, both oral and written, were used.

The study consists of an introduoction, six chapters, two appendices and an introductory preface by al-Shaykh Muhammad Riḍa al Shabibi, a veteran politician and thinker who had participated personally in the events under discussion.

The introduction listing the major sources which were used, gives the outline the main ideas covered in detail in the body of the book. The introducation, furthermore, reflects the author's conception of the Iraqi revolution of 1920 and how it developed.

The first chapter deals with the socio-economic conditions which were prevailing in Iraq at the end of the 19th century. The country was underdeveloped, agricultural production was low, large areas of cultivable land were left uncultivated and floods were uncontrollable. The author also refers to the wide-spread tribal system, its degeneration and Midhat Pasha's land tenure policy and its impact on the interrelations between the peasants and

PREFACE

The author would like to take this opportunity to express his sincere appreciation and cordial thanks to all those who helped him during the preparation of this study. He expresses special thanks to His Highness the sage al-Shaykh Muhammad Rida al-Shabibi who wrote the introductory preface of this study. He also expresses his sincere appreciation to professor Abdul Aziz al-Duri who read this book and offered many worthy and constructive suggestions.

The author.

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

THE IRAQI REVOLUTION OF 1920

By

ABDULLAH FAYYAD

Faculty of Education University of Baghdad

First Edition

Al-Irshad Press, Baghdad 1963.